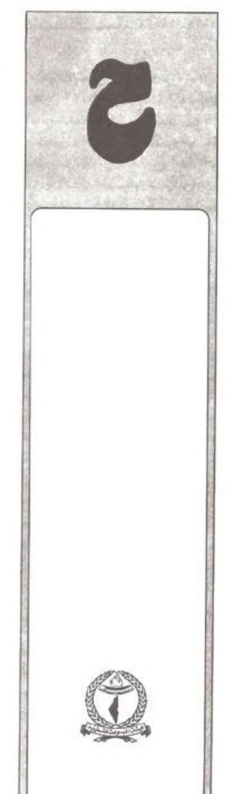


حاتسور : رَ : حاصور

الحاخاميون : رَ : يهود البلاد العربية

الحارثية (قرية ـ) : رَ : القرى العربية المندثرة

حاصور :

مدينة كنعانية قديمة هامة كانت تسيطر على القسم الشمالي من فلسطين . تقوم اليوم في تل القدح * ، أو تل الوقاص كما يسمى في بعض الأحيان . تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة صفد * ، وإلى الجنوب من بحيرة الحولة * على بعد ٨ كم إلى الشمال من الجاعونة * .

تذكر التوراة * أن الملك يشوع اخضعها واحرقها بالنار . ويظهر ان اهل حاصور كانوا يقيمون في بيوت ثابتة ، كما يستدل من تسمية المدينة ، تمييزاً لهم من أهل الوبر . كانت حاصور قبل الغزو اليهودي من معاقل الهكسوس * الهامة عندما سيطروا على المنطقة حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد . فتحها الأشوريون في زمن تغلات فلاسر الثالث (٧٤٦ ـ ٧٢٧ق . م .) وسبوا سكانها ونقلوهم إلى أشور * . كما أن نبوخذ نصر الكلداني ضربها في أوائل القرن السادس قبل الميلاد .

ورد ذكر حاصور في الوثائق القديمة ، فقد جاء ذكرها في الكتابات المصرية من القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وفي نصوص ماري ومراسلات تل العمارنة أيضاً . ويبدو أن المدينة بدأت حياتها حوالي عام ٢٧٠٠ق . م . ، وبلغت ذروة اتساعها حوالي عام ١٧٠٠ ق . م . ، فبلغت مساحتها حوالي ٨٠ هكتاراً داخل الأسوار .

أجرى غارستانغ *M.John Garstang* من جامعة ليفربول عام ١٩٢٨ تنقيبات أثرية في تل القدح ، واقترح مطابقتها مع مدينة آزور *Asor* أو حازور *Hazor* القديمة . وقد أظهرت تنقيباته أن المدينة كانت موجودة منذ العصر البرونزي الوسيط (عصر الهكسوس) ، وبقيت حتى عصر العمارنة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . كذلك

ظهرت قلعة كانت تقوم في الجنوب الشرقي من التل منذ نهاية العصر البرونزي الوسيط ، واستمرت حتى نهاية العصر البرونزي الحديث (رَ : العصور القديمة) . وقد أعيد استيطان المدينة وبقيت حيّة حتى العصر الهلينستي * .

وفي الفترة ما بين ١٩٥٥ - ١٩٥٨ ، ثم في عام ١٩٦٨ ، قام الصهيونيون بتنقيبات أثرية واسعة في التل المذكور . وقد عثروا على خمسة معابد أحدها للرب سن *Sin* رب القمر ، وآخر لرب الطقس حدد . ويهدف الصهيونيون من وراء تنقيباتهم التركيز على العصر الحديدي باعتباره العصر الإسرائيلي في المدينة كما يزعمون .

في عام ١٩٥٣ أقام الصهيونيون مستعمرة بجوار مدينة تل القدح القديمة وأسموها « حاتسور » ووطّنوا فيها صهيونيين من الولايات المتحدة الأمريكية . وهناك « حاتسور » أشدود ، وهي كيبوتز أسس في عام ١٩٣٧ ، وأعيد تنظيمه في عام ١٩٤٦ / ١٩٤٧ . كذلك يذكر ناموس الكتاب المقدس حاصور أخرى في جنوب فلسطين .

المراجع :

- أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، دمشق ١٩٧٣ .
- قسطنطين خمار : موسوعة فلسطين الجغرافية ، بيروت ١٩٦٩ .
- جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٨٩٤ .
- أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ - ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
— Garstang,J.: **Liverpool Annals**, t.XIV, 1927.
— **Illustrated Dictionary of Archaeology**, 1977.
— Olmstead, A.T.: **History of Palestine and Syria**, New York 1939.
— Pirot, L.: **Supplement du Ditionnaire de la Bible**, t. III 1938.

حافظ الدين بن مكّية (- ١١٠٧هـ) (- ١٦٩٥م) :

مفتي الحنفية (رَ : المذهب الحنفي) في نابلس * . عالم ، فقيه ، أديب ، شاعر . له مصنفات منها : « شرح الملتقى » لإبراهيم الحلبي في الفقه ، " أزال به صعابه وكشف نقابه " . وله تعليقات على « المنح الغنائية والنفحات الملكية » لمحمد بن عراق في التصوف ، مات وهي في مسودتها أواخر سنة ١١٠٧هـ / ١٦٩٥ م .

المرجع :

- محمد خليل المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، القاهرة ١٣٠١هـ .

حافظ السعيد (١٨٤١ - ١٩١٥) :

أديب فلسطيني من العاملين في ميدان الخدمة العامة . ولد في مدينة غزة * لأسرة مغربية نزحت إلى فلسطين منذ قرون . وقد توفي والده وهو رضيع فكفله أخوه مصطفى بك السعيد . وكان مصطفى بك متسلماً ليافا ، ثم متسلماً للقدس ، يقدم للدولة العثمانية خراجاً سنوياً وعدداً معيناً من الجند . وقد حاول اليهود في عهده أن يشتروا بعض الأراضي ، فاستصدر قراراً من مجلس القدس بأن حكم الشريعة لا يقرّ شراءهم الأرض ويحصر حقهم في التجارة . ولما احتل إبراهيم باشا فلسطين (رَ : الحكم المصري —) أقرّ حاكم مصر قرار مجلس القدس بمنعهم من شراء الأراضي .

تلقى حافظ السعيد العلوم على أعلام في عصره حتى غدا أديباً ناثراً وشاعراً يجيد العربية والتركية . وقد تولى قائمقامية الرملة (وكانت تابعة لمتصرفية القدس) ، فقائمقامية بيت لحم ، ثم قائمقامية قضاء بني صعب في طولكرم (رَ : الإدارة) . وحدث أن نشب خلاف شديد بين الرهبان في كنيسة المهد في بيت لحم * حول حقوق الطوائف المسيحية في ممارسة الطقوس الدينية ومواقيتها وأماكنها أدى إلى اصطدام مسلح وتخريب مغارة المهد . وتدخلت روسيا لمصلحة الأرثوذكس ، وفرنسا لمصلحة اللاتين ، فعهدت الحكومة العثمانية إلى حافظ السعيد في مهمة الفصل بين الطوائف ، وتعيين وتسجيل حقوق كل طائفة ، وعينته مديراً لبيت لحم لهذه الغاية (١٨٧٣ - ١٨٧٤) ، فأعدّ تقريراً بالغ الأهمية قرر فيه لكل طائفة حقوقها . وقد تبنت مديرية المذاهب في الباب العالي ، أي الصدارة ، هذا التقرير ، واحتفظت بنسخة منه ، وأحالت أخرى على مركز لواء القدس . وأشرف حافظ السعيد على تنفيذ التقرير ثلاث سنوات ، ثم استقال وعاد إلى يافا حيث عين رئيساً للمحكمة التجارية ، ثم انتخب عضواً في مجلس إدارة يافا مرتين .

وعلى أثر ثورة عرابي باشا في مصر ، ولاتصال يافا بحراً بها ، عهدت الدولة إليه في وكالة قائمقامية يافا لكفايته وحزمه . وبعد انتهاء حركة عرابي عيّنته الحكومة رئيساً لبلدية يافا فعمل على تحسينها وشق طرقاتها وتجميلها . ولما زار إمبراطور ألمانيا غليوم يافا منحه وسام النسر الأحمر ، كما منحته الدولة « الرتبة الثانية المتمايزة » .

انتخب سنة ١٩٠٨ نائباً عن القدس (القدس وغزة ويافا) في مجلس المبعوثان * العثماني مع النائبين سعيد الحسيني وروحي الخالدي * . وبسبب طغيان الاتحاديين اشترك وجهرة من المبعوثين في تأليف حزب الحرية والائتلاف (رَ : النضال الفلسطيني في العهد العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٧) . وقد طالب في البرلمان العثماني بجعل اللغة العربية لغة رسمية في الدولة ، وبأن يكون رؤساء المحاكم

وأعضاؤها في البلاد العربية ملمّين باللغة العربية ليفصلوا في الدعاوى بالحق .

وحين قامت في بيروت سنة ١٩١٣ حركة المطالبة بإصلاح الدولة (رَ : اللامركزية الإدارية ، حزب) ، وهي حركة عربية إصلاحية ، أبرق حافظ السعيد إلى الصدارة (رئاسة الوزارة) ووزارة الداخلية في الأستانة يزيد اللائحة الإصلاحية التي قدمتها الجمعية الإصلاحية ، وينذر بسوء مصير الدولة إذا هي لم تأخذ بالإصلاح ، ويطالب بسرعة تطبيق اللائحة الإصلاحية في فلسطين لأنها العلاج الوحيد لحفظ حياتها . وقد تلقى وعداً بتنفيذ الإصلاحات قريباً ، ولكنه راح يرسل الصرخات الإصلاحية على صفحات جريدة الحقيقة البيروتية ، وفيها يعزو خراب الدولة إلى سوء الإدارة ، وعزوفها عن الإصلاح ، وإغفالها حقوق العرب ، وتجاهلها لغتهم ، لغة القرآن ، في حين انهم يؤلفون الأكثرية ، وندد بتعليم العربية ونحوها وصرفها وعلومها والتاريخ والإنشاء وسائر الدروس باللغة التركية .

وقد انضمّ إلى حزب اللامركزية الإدارية* الذي طالب بحكم يحفظ للعرب حقوقهم ويبقي على لغتهم . واختاره الحزب معتمداً له في يافا (١٩١٣) .

ولما ساق حاكمُ سورية وقائد الجيش الرابع أحمد جمال باشا سنة ١٩١٥ أحرارَ العرب إلى الديوان العرفي أمر بالقبض على حافظ السعيد ، وجرت محاكمته في ديوان الحرب العرفي بعاليه فكان له فيه موقف جريء مشرّف ، فحكم عليه بالإعدام . ولكنه توفي في السجن في أيلول سنة ١٩١٥ بعد إعدام القافلة الأولى من رفاقه بشهر (٢١ آب ١٩١٥) ، فأبدل بحكم الإعدام السجن المؤبد ، وجرى دفنه سراً في مكان لا يزال مجهولاً .

المراجع :

ـ أحمد عزة الأعظمي : القضية العربية ، بغداد ١٩٣١ .
ـ جرائد المفيد والجامعة الإسلامية والمضحك المبكي .

الحافظ العلائي : رَ : خليل بن كيكلدي

الحافظ أبو الفتح المقدسي : رَ : نصر بن إبراهيم

الحافظ القيسراني : رَ : محمد بن طاهر بن علي

الحالوتسيم :

« الحالوتسيم » كلمة عبرية تعني « روّاد » أو « طلائع » ، ومفردها « حالوتس » . وقد أطلق المؤرخون الصهيونيون هذه التسمية على تيار من مهاجري الهجرة الثانية (١٩٠٤ - ١٩١٤) من الشبان الصهيونيين المتحمسين الذين قدموا إلى فلسطين ليصبحوا عمالاً زراعيين في المستعمرات الصهيونية . وكان كثير من هؤلاء المهاجرين - حسب المصادر الصهيونية - أعضاء في جماعات ثورية روسية تأثروا بالأفكار الراديكالية والاشتراكية التي كانت مألوفة في أوساط المنظمات السياسية المختلفة في روسيا آنذاك . ويقال إن دوافع تكوين هذا التيار ترجع إلى أحداث سنة ١٩٠٥ في روسيا ، والاضطرابات ضد اليهود ، وخيبة أمل قسم من الشباب اليهودي بإمكان حلّ مشكلة اليهود في المهجر . ويفترض المؤرخون الصهيونيون أن الحالوتس ، أو الرائد ، شخص تتجسّد فيه مجموعة من العوامل المشتركة أولها عنصر التضحية بالذات ، فهو على استعداد لحرمان نفسه والعيش حياة الزاهد الناسك . وليس هذا الحرمان من أجل الحرمان نفسه ، وإنما من أجل القيام بواجب مهمّ للجماعة .

ويتمثّل العنصر الثاني في الاهتمام الشديد بالأعمال الزراعية ، أو العمل اليدوي بصفة عامة . وهذا العنصر أمر جوهري في خلق انسان يهودي جديد عن طريق العمل الجسماني .

وثالث العناصر هو إحياء اللغة والثقافة العبريتين . ويرتبط بهذا ارتباطا وثيقاً التركيز على المساهمة الفعالة في أوجه النشاط الاجتماعي وفي حياة المجتمع .

وكان هذا المزيج من العناصر المختلفة هو الذي هيأ الجوانب الديناميكية لصورة الرائد . لقد نادى الحالوتسيم برفض حياة اليهود فيما سمّوه « الدياسبورا » أو الشتات* ، وبرفض اندماج اليهود في مجتمعاتهم الأصلية ، وبالتمسك بفكرة العمل الذاتي وبعودة يهود العالم إلى فلسطين .

توجز أهداف الحالوتسيم في ثلاثة أمور : أرض عبرية ، وعمل عبري ، ولغة عبرية . وقد برزت في تلك الفترة ، أي فترة الهجرة الثانية التي كان الحالوتسيم في عدادها ، الدعوة إلى احتلال الأرض وممارسة العمل العبري . وساهم الحالوتسيم في ظهور فكرة الحراسة الذاتية للمستعمرات الصهيونية في فلسطين ، ولهذا ارتبطت هذه الريادة بمزارع الكيبوتز* ، وهي الفكرة التي كانت نواة للتنظيمات العسكرية الصهيونية التي نشأت في فلسطين ابتداء من منظمة هاشومير* سنة ١٩٠٩ ، ومنظمة الهاغاناه* سنة ١٩٢١ ، وغيرها من المنظمات العسكرية التي انبثق منها سنة ١٩٤٨ الجيش (الإسرائيلي) .

ويعتبر أهارون غوردون ، وهو صهيوني عملي ، الأب الروحي المؤسس للحالوتسيم . فقد تبنّت هذه الجماعة دعوته إلى « دين العمل » وتقديسه ، وهي دعوة استمدّها غوردون من التوراة والتلمود .

وقد ترك نمط الرائد أثره العميق في الفكر الاستيطاني الصهيوني ، فهو إلى اليوم المثل الأعلى الذي يحتذى في (إسرائيل) ، لأن المجتمع الإسرائيلي الذي لم تتحدد بعد حدوده الجغرافية لا يزال ، بشكل من الأشكال في نظر الصهيونيين ، مجتمع رواد يقومون باستيطان أراض جديدة .

المراجع :

- شموئيل ايزنشتدات : المجتمع الإسرائيلي ، خلفية وتطور ومشكلات (بالعبرية) ، القدس ١٩٦٧ .
- عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٥ .
- تاريخ الهاغاناه (بالعبرية) ، تل أبيب ١٩٥٤ .

حانوتا (قرية ـ) : رَ : القرى العربية المندثرة

حانون (وادي ـ) : رَ : الحسي (وادي ـ)

حائط البراق (لجنة ـ) :

حائط البراق جزء من الحائط الغربي للحرم الشريف في القدس . وقد كان ادعاء اليهود ملكيته سبباً في التوتر الذي نجمت عنه اضطرابات واشتباكات عنيفة خلال شهر آب سنة ١٩٢٩ بين العرب واليهود في القدس وفي أنحاء عديدة من فلسطين (رَ : ثورة ١٩٢٩) .

وقد أرسلت الحكومة البريطانية الى فلسطين لجنة تحقيق في أسباب الاضطرابات عرفت باسم « لجنة شو » * ، فأوصت هذه بإرسال لجنة دولية لتحديد حقوق العرب واليهود في حائط البراق . وقد وافقت جمعية عصبة الأمم * على هذه التوصية بقرار أصدرته يوم ١٤ / ١ / ١٩٣٠ ، وتشكلت بموجبه لجنة من ثلاثة أعضاء من غير الجنسية البريطانية مهمتها « تسوية مسألة حقوق ومطالب اليهود والمسلمين في حائط المبكى » ، لأن هذه المسألة" تستدعي حلاً سريعاً نهائياً " .

تألفت اللجنة من ثلاثة أعضاء من السويد وسويسرا وأندونيسيا . ووصلت إلى القدس في ١٩ / ٦ / ١٩٣٠ حيث بدأت عملها الذي استمر شهرا واحدا عقدت خلاله ٣٣ جلسة ، واستمعت إلى وجهات نظر الفريقين ، العربي واليهودي ، كما استمعت إلى شهادات ٥٢ شاهداً قدّمهم الفريقان اللذان زوّدا اللجنة أيضا بـ ٦١ وثيقة .

كانت المشكلة الرئيسة التي واجهت اللجنة يومذاك تتمثّل في محاولة الصهيونية * قلب الوضع الراهن بالنسبة إلى الأماكن المقدسة ، إذ ركّزت جهودها ، بادىء ذي بدء ، على حائط البراق متبعة أساليب تدريجية تصاعدية تنتهي بها إلى ادعاء حق اليهود في ملكية « حائط المبكى » . وقد تمثلت المرحلة الأولى من تلك الخطة بجلب اليهود الكراسي والمصابيح والستائر على غير عادتهم السابقة ، ووضع هذه الأدوات أمام الحائط ليحدثوا سابقة تمكنهم من ادعاء حق ملكية الأرض التي يضعون عليها هذه الأدوات ، ومن ثم حق ملكية الحائط .

انتهت اللجنة من وضع تقريرها في مطلع كانون الأول ١٩٣٠ ، وخلصت فيه إلى استنتاجات حازت موافقة الحكومة البريطانية وعصبة الأمم معا ، فاصبح بذلك وثيقة دولية هامة تثبت حق الشعب العربي الفلسطيني في حائط البراق . وأهم هذه الاستنتاجات :

" ١) تعود ملكية الحائط الغربي إلى المسلمين وحدهم ، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لأنه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف . وتعود اليهم أيضاً ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط ، لكون الرصيف موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير .

" ٢) إن أدوات العبادة ، و/أو غيرها من الأدوات التي يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط ، بالاستناد إلى أحكام هذا التقرير ، أو بالاتفاق بين الفريقين ، لا يجوز في حال من الأحوال أن تعتبر ، أو أن يكون من شأنها إنشاء أي حق عيني لليهود في الحائط او في الرصيف المجاور له .

" ٣) لليهود حرية السلوك إلى الحائط الغربي لإقامة التضرعات في جميع الأوقات " مع مراعاة شروط حددها التقرير .

" ٤) يمنع جلب أية خيمة أو ستار أو ما شابههما من الأدوات إلى الحائط .

" ٥) لا يسمح لليهود بنفخ البوق بالقرب من الجدار " .

وهكذا أثبتت اللجنة الدولية ، بالرغم من وجود الانتداب البريطاني في فلسطين وشراسة الهجمة الصهيونية الاستعمارية آنذاك ، أن حائط البراق أثر إسلامي مقدس ، وأن كل حجر فيه ،

والرصيف المقابل والمنطقة الملاصقة داخل أسوار المدينة القديمة ، ملك عربي ووقف إسلامي ، وأن لا حق إطلاقاً لليهود وللبهودية في ملكية أية ذرة من ذراته ، وأن كل ما لليهود من حق هو إمكان زيارة الحائط فقط . بل إن هذا الإمكان مصدره التسامح العربي الإسلامي .

المرجع :

ـ تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم عام ١٩٣٠ .

الحبوب :

إذا كانت الزراعة * عمود الثروة الاقتصادية في فلسطين فالحبوب محور الزراعة الفلسطينية . وهي تشغل مساحة كبيرة من الأرض الزراعية ، وتمثل مصدراً هاماً من مصادر دخل الفلاح الفلسطيني .

وزراعة الحبوب في فلسطين والبقاع المحيطة بها قديمة ترجع إلى عشرات القرون . فقد عرف الإنسان عدداً من أنواع الحبوب التي كانت تنمو بشكل طبيعي في المنطقة ، وعمل على تطويرها وتحسينها ، وجعلها محصولاً هاماً يؤمن له غذاءه .

قدّرت قيمة الحبوب في أواخر فترة الانتداب بنحو ٣٥٪ من قيمة الإنتاج الزراعي لفلسطين . وقد استمد الفلاحون العرب منها نحو ٥٢٪ من دخلهم . وتشمل الحبوب : الحبوب الغذائية ، والحبوب العلفية كالقمح والشعير والذرة والعدس والفول والسمسم .

بلغت المساحة المخصصة للحبوب في عام ١٩٤٤ / ١٩٤٥ نحو ٤,٦ مليون دونم ، منها ٤,٤ مليون دونم للفلاحين العرب والباقي للمزارعين الصهيونيين . وقد قدرت قيمة الإنتاج العربي من الحبوب في ذلك العام بنحو ٤,٤ مليون جنيه فلسطيني ، والإنتاج الصهيوني بنحو نصف مليون ج . ف . أي أن قيمة إنتاج الحبوب في فلسطين بلغت آنذاك نحو ٤,٩ مليون ج . ف . وشغل القمح والشعير وحدهما نحو ٦٠٪ من مجموع مساحة الأرض الزراعية العربية ، على حين تدنت نسبتها إلى ٢٤٪ من مجموع الأرض التي كان يزرعها الصهيونيون .

تتركّز زراعة الحبوب في السهول الساحلية والداخلية وفي المنخفضات وبطون الأودية حيث التربة * المناسبة والأرض المنبسطة أو المتموّجة . ويعد المناخ * أهم العوامل المؤثرة في زراعة الحبوب في فلسطين ، فالحبوب بصفة عامة لا تزرع في الأقاليم الجبلية ذات القمم العالية والسفوح الشديدة الانحدار بسبب تعرضها للصقيع وانجراف التربة في فصل الشتاء . وتتطلب زراعة الحبوب كميات مياه متوسطة ، إذ يحتاج الدونم الواحد من مياه الأمطار أو الري إلى ما بين ٤٠٠ و ٦٠٠ م٣ في السنة . وهذا ما يتوافر في معظم مناطق زراعة الحبوب في فلسطين ، إذ تراوح كميات الأمطار السنوية فيها ما بين ٢٠٠ و ٥٠٠ مم .

تعتمد زراعة الحبوب في فلسطين على الأمطار بسبب قلة مياه الري الدائمة في البلاد ، ولذا يتأثر إنتاجها بكميات الأمطار التي تهطل على فلسطين . ولما كانت كميات الأمطار السنوية تتذبذب من سنة إلى أخرى فإن هذا يؤثر في إنتاج الحبوب ويسبب عدم انتظام في



بيادر القمح في الخليل

دخل المزارعين ، والدخل الوطني بصفة عامة . ويعظم التفاوت في إنتاج الحبوب من سنة لأخرى ، وقد يصل الفرق بين أعلى السنين وأقلها إنتاجاً إلى أكثر من نصف المحصول الكلي . ويؤثر هذا الفرق تأثيراً كبيراً في اقتصاد فلسطين لأن الحبوب عنصر غذائي هام للسكان بعامة ، وللفلاحين بخاصة . وتشير الأرقام إلى أن فلسطين كانت تنتج أثناء الانتداب من الحبوب ما يكفي ثلثي حاجة سكانها تقريباً ، وكانت تستورد الثلث الآخر من الخارج ، ولا سيما من شرقي الأردن . وتنتج فلسطين المحتلة حالياً (مطلع الثمانينات)

من الحبوب ما يفي في المتوسط بثلث المتطلبات الاستهلاكية (نحو ٤٥٠ ألف طن) ، وتضطر إلى استيراد ثلثي استهلاكها من الخارج .

وتعزى أسباب انكماش المساحات المخصصة لزراعة الحبوب في فلسطين المحتلة إلى عزوف كثير من السكان الزراعيين العرب عن حرفة الزراعة بسبب الظروف السيئة التي يعانونها في الأراضي المحتلة ، وبسبب الدخل العالي نسبياً من العمل في القطاعات الاقتصادية الأخرى . من جهة أخرى جعل تفاوت المردود الاقتصادي بين المحاصيل الزراعية كثيراً من المزارعين يتجهون نحو التوسع في زراعة الأشجار المثمرة على حساب زراعة الحبوب ذات المردود القليل .

وإنتاج الوحدة المساحية منخفض إذا قورن بإنتاج الوحدة نفسها في بلدان أخرى . فزراعة الحبوب لا تزال تمارس بطرق تقليدية ، وتعتمد على الأمطار المتذبذبة ، وتعاني من مشكلات الجفاف * وقلة مياه الريّ وقلة استعمال الأسمدة ، وتتعرض لانتشار الحشرات والأمراض المختلفة ، ولا سيما مرض الصدأ الذي يصيب القمح .

وتعد الحبوب من المحاصيل الرئيسة في الأراضي الزراعية البعلية التي تعتمد على الأمطار . ويفضل أن يزرع القمح في المناطق التي تتلقى كمية أمطار سنوية تقارب ٣٥٠ مم على الأقل ، على حين يفضل إن يزرع الشعير في المناطق الأقل أمطاراً ، أي في المناطق الهامشية التي لا تقل أمطارها السنوية عن ٢٠٠ مم . ويحرص المزارعون على ترك بعض أراضيهم الزراعية بوراً طوال فصل الشتاء ليتسنى لهم زراعة المحاصيل الصيفية فيها بعد أن تكون الأرض قد اختزنت قسطاً كافياً من الرطوبة بفعل الأمطار ، بالإضافة إلى إتاحة المجال لها لتنال قسطاً من الراحة .

ويطبق المزارعون العرب نظام دورة زراعية يتألف من :

١) دورة زراعية ثنائية مدتها سنتان ، وفيها يزرع القمح أو الشعير كمحصول شتوي يتلوه محصول صيفي من الذرة أو السمسم .

٢) دورة زراعية ثلاثية مدتها ثلاث سنوات ، ويزرع فيها أحد أنواع البقول كمحصول شتوي إضافي بين الحبوب الشتوية والصيفية .

وفي الدورة الزراعية النموذجية يقوم المزارعون العرب ببذر القمح أو الشعير في تشرين الثاني وكانون الأول ، ثم يقومون بجني المحصول في أيار وحزيران . وتترك الأرض بعدئذ بورا حتى نيسان من العام التالي فتبذر فيها الذرة أو السمسم . ويبقى هذا المحصول الصيفي في الأرض حتى آب فيتمّ جنيه . وتترك الأرض بعدئذ للراحة حتى أواخر الخريف فيبدأ بذرها بأحد المحاصيل الشتوية .

وبالإضافة إلى الدورتين الزراعيتين الثنائية والثلاثية يقوم بعض المزارعين الصهيونيين في المستعمرات بتطبيق دورة زراعية رباعية مدتها أربع سنوات للمحاصيل الزراعية في الأراضي البعلية المعتمدة على المطر . وفي هذه الدورة يضاف محصول العلف الأخضر إلى محاصيل الحبوب الشتوية والصيفية . وتشغل محاصيل الحبوب الشتوية في فلسطين بصفة عامة ثلاثة أضعاف المساحة التي تشغلها محاصيل الحبوب الصيفية .

وأبرز أنواع الحبوب بعد القمح * :

أ ـ الشعير : محصول من محاصيل الحبوب الشتوية . وبالرغم من أن متوسط المساحة التي زرعت شعيرا أثناء الانتداب ساوى متوسط المساحة التي كانت تخصص لزراعة القمح ، وهي ٢,٥ مليون دونم سنوياً ، فإن إنتاجه قدر بنحو ٦٠٪ من مجموع إنتاج القمح . وتعزى قلة إنتاج الشعير بصورة عامة بالمقارنة مع إنتاج القمح إلى أن المساحة المزروعة شعيرا (١,٧ مليون دونم) يقع معظمها في أقليم النقب * الصحراوي وشبه الصحراوي . وفي عام ١٩٣٥ كان معدل إنتاج الدونم الواحد من الشعير في منطقة بير السبع ٩ كغ ، في حين وصل في منطقة طبرية إلى ١١٨ كغ . وفي عام ١٩٣٦ الجاف هبط معدل الإنتاج في النقب الى ٢ كغ فقط للدونم ، على حين ارتفع في عام ١٩٣٧ إلى ١٢ كغ للدونم .

ولما كان الشعير أكثر تحملا لملوحة التربة ، فضلا عن أنه يجود في التربة الرملية (رَ : التربة) ، فإنه يشغل مساحات كبيرة ، في حين يشغل القمح مساحات صغيرة جدا من الأرض التي تزرع بالمحصولين في الدورة الزراعية ، لأن الشعير يجود في جهات لا يجود القمح فيها . ويزرع الشعير قبل القمح بأسبوع واحد ، ويحصد قبله بشهر تقريباً . وكانت فلسطين تنتج من الشعير ما يكفيها في معظم السنين ، بل إنها كانت تصدر ما يفيض عن حاجتها منه إلى الخارج في السنوات المطيرة ، كما حدث بين عامي ١٩٢٦ و ١٩٣٠ عندما فاضت كمية من الشعير بلغ متوسطها السنوي نحو سبعة آلاف طن . أما في السنوات الجافة (١٩٣١ ـ ١٩٣٦) فإن فلسطين كانت تستورد كميات قليلة من الشعير قدرت بنحو ستة عشر ألف طن كل عام . وقد انكمشت المساحة المخصصة للشعير في السنوات الأخيرة في فلسطين المحتلة ، وتناقص الإنتاج ، وزاد الاستيراد .

ب ـ البقول : وتشمل الحبوب الغذائية والعلفية ، وهي مرتبة بحسب أهميتها : الكرسنة ، والعدس ، والفاصولية ، والحمّص .

وتزرع معظم هذه البقول بأيدي العرب . أما المزارعون الصهيونيون فيزرعون منها نحو ٢٢ ألف دونم ، أو ما نسبته ٤٪ من مجموع مساحة ما يزرعه الصهيونيون من محاصيل الحقل . وتتركز زراعة البقول الصهيونية في منطقتي طبرية وحيفا . أما البقول العربية فإنها تتوزع على أقضية متعددة ، كأقضية صفد وطبرية والناصرة وحيفا وجنين وطولكرم ويافا والرملة ونابلس . وقد شغلت مساحة البقول العربية في عام ١٩٤٢ ما يقرب من ٣٣٧,٥٥٧ دونما أنتجت نحو ١٥,٧٦٤ طنا .

والبقول من المحاصيل الشتوية التي تجنى بين أيار وتموز حسب المحصول والإقليم. ففي وادي الأردن يتم جنيها قبل موعد جَنْيها في الإقليم الجبلي بأكثر من شهر ، وقبل موعد جنيها في إقليم السهول الساحلية بنحو أسبوعين أو ثلاثة .

جـ - الذرة : يرجع أصل الذرة الرفيعة إلى إفريقيا ، وقد أدخلها العرب إلى فلسطين وزرعوها في أراضيهم . ويملك العرب معظم الأراضي المزروعة ذرة في حين لا يميل الصهيونيون كثيراً إلى زراعتها . ويتركز معظم إنتاجهم للذرة في مستعمرات قضاء طبرية ، على حين تتركز زراعة الذرة عند العرب في منطقتي غزة وبير السبع حيث يبلغ إنتاجهما منها نحو ثلث مجموع إنتاج فلسطين . وتزرع الذرة أيضا في مناطق يافا - الرملة ، والخليل ، وطولكرم ، وجنين ، وحيفا ، وصفد . وقد بلغت المساحة المزروعة ذرة في فلسطين عام ١٩٤١ / ١٩٤٢ نحو مليون دونم .

المراجـع :

- سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في فلسطين ، بيروت ١٩٣٨ .
—Hobman, J.B.: The Economic Future of Palestine, London 1946.
—Nuttonson, M. Y.: Agroclimatology and Crop Ecology of Palestine, 1947.

الحبيس (وادي –) : ر : القرن (وادي –)

حتّـا (قرية –) :

قرية عربية تقع على مسافة ٤١ كم شمالي شرق غزة * . وتبعد كيلومترين إلى الشمال من الفالوجة * ، وتجاور قرى كرتيا * والجسير * وصمّيل * . وقد نشأت القرية على أرض منبسطة ترتفع ٨٥ م عن سطح البحر ، وتعد جزءاً من السهل الساحلي * .



تبلغ مساحة القرية ٤٥ دونما ، ومخططها مستطيل تتعامد فيه شوارعها شبه المستقيمة . ومبانيها من اللّبن . أما مساحة الأراضي التابعة لها فتصل إلى ٥,٣٠٥ دونمات ، منها ١١٢ دونما للطرق * والأودية . ولم يكن الصهيونيون يملكون منها شيئا . ومعظم أراضيها منبسطة خصبة ، تجود فيها زراعة الحبوب * والأشجار المثمرة والخضر * . وتعتمد الزراعة * في حتّا على المطر الذي يصل معدله إلى ٤٠٠ مم سنويا . ويربي السكان ، بالإضافة إلى ذلك ، الأغنام في أراضي القرية الصالحة للرعي * .

نما عدد سكان القرية من ٥٧٠ نسمة سنة ١٩٢٢ إلى ٩٧٠ نسمة سنة ١٩٤٥ ، وجميعهم من العرب . وقد ضمت القرية مدرسة ابتدائية للبنين . وكانت تابعة للفالوجة تعتمد عليها في جميع شؤونها . وتحيط بالقرية الخرب والتلال الأثرية التي تدل على عمران المنطقة في الماضي (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . وقد أقام الجيش البريطاني أيام الانتداب مطارا عسكريا واسعا في الأراضي المنبسطة بين حتّا والفالوجة .

اضطر سكان القرية إلى تركها عند استيلاء الصهيونيين عليها عام ١٩٤٨ . وقد قام المحتلون الصهيونيون بنسف منازل القرية ومحوها من عالم الوجود ، وأنشأوا على أراضيها مستعمرة « رفاحا » ، واستفادوا من المطار القريب منها .

المراجـع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة برير .

الحثّيـون :

شعب هندي - أوربي نزح إلى بلاد الأناضول في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد ، وهجرتهم أقدم الهجرات الهندية - الأوربية المعروفة .

كانت معرفة المؤرخين بالحثيين قبل منتصف القرن التاسع عشر الميلادي لا تتجاوز ما ورد عنهم في التوراة * التي أطلقت عليهم اسم « حيث » وأشارت إلى وجودهم في فلسطين قبل الغزو الإسرائيلي . ثم بدأت الوثائق المصرية والعراقية القديمة تلقي ضوءاً جديدا على

تاريخهم ، فظهر من الوثائق المصرية أن ملوك الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ ـ ١٠٨٥ ق.م) كانوا على صلة ببلاد أطلقوا عليها اسم « خيتا » . وورد اسم « خاتي » في نصوص الملك الأشوري تغلات فلاسر الأول (١١١٥ ـ ١٠٧٧ ق.م.) . ولم يكن من الصعب على الباحثين ملاحظة الصلة بين كلمة « حيث » التوراتية ، و« خيتا » في النصوص المصرية ، و« خاتي » في المصادر الأشورية . ومنذ سنة ١٨٧١ م بدأت الآثار الحثية تظهر في مواقع متعددة في سورية . وتتبع العلماء الآثار الحثية حتى قادهم ذلك إلى قلب بلاد الأناضول . واكتشفوا عاصمة الحثيين « حاتوشاش » في موقع بوغازكوي على بعد ١٨٠ كم من أنقرة . ثم عكفوا على دراسة الآثار المادية والمدونة وتحليلها ، الامر الذي مكنهم من تتبع تاريخ الحثّيين السياسي والحضاري من بداية استقرارهم إلى سقوط آخر دولة من دويلاتهم في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد .

يتفق المؤرخون على أن الحثيين نزحوا من مواطنهم الأصلية في سهوب جنوب أوربا إلى بلاد الأناضول بمجموعات صغيرة استغرقت هجرتها فترة طويلة . ووجدوا في المناطق التي استقروا فيها أقواما سبقتهم في الاستيطان وكانت تطلق على نفسها اسم « خاتي » ، فتبنّى المهاجرون الجدد هذا الاسم الذي وصل إلى هذا العصر بصيغته الحالية .

يقسم تاريخ الحثيين الطويل إلى ثلاثة عهود يعرف الأول باسم المملكة القديمة ويعتقد أنه بدأ حوالي سنة ١٨٠٠ ق.م. وجاء في نص من فترة متأخرة أن « آنيتا » كان مؤسس المملكة الحثية ، ولكن التقاليد الحثية المتأخرة تنسب تأسيس الدولة إلى « لابارناس » لأنه ربما كان أول هندي ـ أوربي يتولى الحكم . ونقل الملك الثاني « حاتوشيليش » العاصمة إلى مدينة « حاتوشاش » ، وكان أول من غزا شمال سورية وعبر نهر الفرات . واشتهر الملك الثالث « مورشيليش » الأول بسبب قيامه بغزو العراق وإسقاطه دولة بابل العظيمة حوالي سنة ١٦٠٠ ق.م. ويعدّ سقوط بابل من الأحداث الحاسمة في التاريخ القديم .

ويعرف العهد الثاني بعهد الإمبراطورية ، وفيه حقق الحثيون أعظم انتصاراتهم التي رفعتهم إلى مستوى الدول العظمى . وبلغت الإمبراطورية أوج مجدها في زمن « شوبيلوليوما » (١٣٧٥ ـ ١٣٣٥ ق.م.) الذي مد سلطانه إلى سورية وأرغم الكثير من دويلاتها على تحويل ولائها من الدولة المصرية إلى الدولة الحثية . وقضى هذا الملك على الدولة الميتانية التي كانت تتحكم في شمال سورية والعراق ، وكانت حليفة لمصر التي خاضت مع الحثّيين حروبا طاحنة لمنعهم من التوغّل في سورية لأن مصر كانت تعدّها من مناطق نفوذها . ومن أشهر المعارك بين الطرفين معركة قادش سنة ١٢٨٦ ق.م. زمن الملك رعمسيس الثاني . وانتهت المعارك بمعاهدة صلح تعهد فيها الطرفان باتباع سياسة سلمية . ويعتقد أن تخوف الطرفين من القوة الأشورية الجديدة كان وراء الصالحة لمواجهة الخطر الجديد . وحصلت الدولة الحثية بموجب المعاهدة على شمال سورية حتى دمشق .

ويبدأ العهد الثالث بعد سقوط الدولة الحثية المفاجىء في سنة ١٢٠٠ ق.م. على يد أقوام بربرية أشاعت الفوضى في آسيا الصغرى ، مما هيأ فرصة لبعض العناصر الحثية وغيرها لتأسيس دويلات في شمال سورية أشهرها « كركميش » و« حلب » . وربما كان هذا هو سبب إطلاق الأشوريين على هذه المناطق من سورية اسم « بلاد خاتي » . وحارب الأشوريون الدويلات الحثية حتى سقطت آخر دويلة على يد صارغون الثاني حوالي سنة ٧١١ ق.م. وانتهى بذلك تاريخ الحثيين السياسي والحضاري .

ورد اسم الحثيين في كتب التوراة على هيئة « حيث » ، وكانوا من بين القبائل الموجودة في فلسطين قبل الغزو الإسرائيلي . واعتبر الحثيون في التوراة ، خطأ ، من سلالة كنعان . ومما ذكر أيضا أن إبراهيم الخليل * اشترى من الحثّيين كهفا ، وأن بني إسرائيل تزاوجوا معهم . وجاء أيضا أن حزقيال خاطب القدس بقوله : " أبوك عموري وأمك حثية " . إنّ هذه الإشارات الكثيرة إلى الحثيين توحي بالاعتقاد بأنهم كانوا في فلسطين بأعداد كبيرة ، وكانوا على مستوى واحد من الأهمية مع الشعوب الأخرى . بيد أن مسألة وجود الحثيين في فلسطين ما زالت من المشاكل الغامضة التي تتطلب المزيد من الدراسة ، وخاصة فيما يتعلق بتاريخ دخولهم إلى فلسطين وعلاقتهم بالحثيين الذين تتحدث عنهم المصادر الأخرى التي اكتشفت في سورية والأناضول .

كان نزوح الحثيين من الأناضول في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد . إلاّ أن صلتهم بسورية لم تبدأ إلاّ بعد عام ١٨٠٠ ق.م. عندما قامت دولتهم . وبلغ توغلهم في سورية أقصاه في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . أما الدويلات الحثية المتأخرة فإنها كانت محصورة في المنطقة الواقعة إلى الشمال من دمشق . يضاف إلى ذلك أن الجيش الحثي لم يغز فلسطين . ولهذا يتساءل المؤرخون في ضوء هذه المعلومات التاريخية عن طريقة وصول الحثيين إلى المناطق المرتفعة في فلسطين كما ورد في التوراة . يحاول بعضهم أن يجد الجواب في نص من عهد « مورشيليش » الثاني (حوالي ١٣٣٠ق.م.) ورد فيه أن الملك حينما حاول معرفة أسباب غضب الآلهة الذي أدى إلى انتشار الوباء وجدها في غضب إله الجو الذي كان شاهدا على معاهدة عقدت بين إحدى المدن الحثية وبين شعب مصر ، لأن الحثيين خانوا العهد عندما أرسل « شوبيلوليوما » الجيش لغزو مصر ، ونقل

الأسرى الوباء معهم إلى الحثيين . ويعتقد هؤلاء المؤرخون أن لفظ « مصـر » الوارد في النص يقصـد به ، إلى جانب مصـر نفسها ، المناطق الخاضعة لها ، ومنها فلسطين . ويرى هؤلاء أن الحثيين الذين ذكروا في التوراة هم من بقايا تلك الحملة الحثية . فإذا صح هذا الرأي كان الحثيون قد دخلوا إلى فلسطين في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وهناك من يرى أن الحثيين الذين ذكروا في التوراة ربما كانوا من بقايا « الحاتيين » سكان بلاد الأناضول قبل مجيء الهنود - الأوربيين إليها ، وأن هؤلاء انتشروا ، على وجه الاحتمال ، فوق رقعة واسعة من الشرق الأدنى قبل عام ٢٠٠٠ ق.م. ويتفق هذا التاريخ مع ما ورد في التوراة من أن إبراهيم الخليل اشترى كهفا من الحثّيين ، وأنه وجدهم يقيمون هناك ، لأن هجرة إبراهيم كانت على ما يعتقد في القرن الثامن عشر قبل الميلاد .

من الواضح أن أي رأي من الآراء السابقة يفتقر إلى الأدلة المقنعة . وستبقى مشكلة وجود الحثيين في فلسطين من المشاكل التي تنتظر أدلة جديدة تزيل الغموض الذي أحاط بها .

كانت لغة الحثيين من اللغات الهندية - الأوربية . وقد دوّنوا نصوصهم بالخط المسماري ، وبخط مشابه للخط الهيروغليفي . وكانوا يعبدون آلهة متعددة أعظمها إله الزوابع وإله الجو . وكانت طقوسهم الدينية متنوعة تنوع بيئات مناطق بلاد الأناضول الواسعة . وظهرت في ديانتهم تأثيرات من الديانة العراقية منها عبادة آنو وانليل وعشتار . وتدل آثارهم على براعتهم في الفنون المختلفة ، وخاصة النحت المجسم والنقوش البارزة . واشتهروا بتنظيماتهم العسكرية ، وباعتمادهم على العربة التي ساعدتهم على الحركة السريعة . واهتموا بتحصين مدنهم ، وخاصة في المناطق الشمالية التي كانت تتعرّض لهجمات القبائل البربرية المستمرة .

المراجـع :

- أ . ر . كورني : الحثّيون (مترجم) ، القاهرة ١٩٦٤ .
- Seton Lloyd: **Early Anatolia**, London 1956.
- Speiser, E.: **Genesis**, New York 1964.

الحـــج (طـــريق –) : رَ : الطريق النزاوي

الحـج إلى الأماكن المقدسة في فلسطين :

أ - حج المسلمين : بيت القدس المدينة المقدسة الثالثة في الإسلام بعد مكة المكرمة والمدينة المنوّرة . وقد جاء في صحيح البخاري الحديث الشريف «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا (في المدينة المنوّرة) والمسجد الأقصى » . وقد أكّد الخليفة عمر بن الخطاب * مكانة بيت المقدس العظيمة يوم دخوله المدينة فاتحا ، فبعد أن أعطى سكانها عهد الأمان أخذ يبحث عن مكان سجود رسول الله (ص) عند إسرائه إليه ، ولمّا وجده نظّفه مع المسلمين ، ثم طلب من بلال مؤذن الرسول أن يؤذن للصلاة ، فصلّى المسلمون وراء أميرهم في ذلك المكان ، وأمر عمر أن يبنى عليه مسجد ظلّ قائما حتى إنشاء المسجد الأقصى وبناء قبة الصخرة (٧٢هـ/٦٩١م) .

ويؤكد هذه المكانة الدينية العظيمة للقدس في نفوس المسلمين كثرة من أمّها بعد الفتح من قرّاء القرآن ورواة الحديث وأهل الزهد رغبة منهم في الحج إليها والإقامة فيها . ويؤكدها أيضا دفن شهداء الفتح في مقبرة مأمن الله (حرّفت فصارت ماملاّ) على بعد ٨٠٠ م غرب سور المدينة ، أو في مقبرة باب الرحمة خارج السور الشرقي للحرم الشريف . وقد أزال الصهيونيون معالم المقبرة الأخيرة وما فيها من قبور المسلمين منذ الفتح الإسلامي (رَ : الاستيطان الصهيوني بعد ١٩٦٧) ، و(رَ: الحرم القدسي الشريف ، تهويد –) .

فرض الحج إلى مكة على من كان قادرا على تحمّل نفقته ومشقته . أما العاجز فله أن يمسك أو أن يحجّ إلى أحد المساجد التي تشدّ إليها الرحال . وقد أخذ بعض حجاج بلاد الشام يجعلون زيارة المسجد الأقصى * وقبة الصخرة * مبدأ الحج إلى الحجاز . ثم أضافوا إليها زيارة الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل . ولم يقتصر الأمر على حجاج بلاد الشام ، بل شمل الحجاج من مختلف الأقطار الإسلامية ، وكان بعضهم يبدأ الإحرام تحت قبة الصخرة ، ويظل محرما إلى أن يصل مكة فيؤدي ما فرض عليه فيها . وقد ذكر الرحالة ناصر خسرو الذي زار القدس سنة ٤٦٠هـ/١٠٤٧م أن أهل بلاد الشام كانوا « يحجّون إلى بيت القدس ، وأن عدد الحجّاج في شهر ذي الحجة كان يزيد عن عشرين ألفا » .

وكان للقدس مكانة عظيمة عند خلفاء بني أمية ، فقد آثر معاوية * أول خلفائهم أن يبايع له فيها بالخلافة ، وأكثر عبد الله بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك * من زيارة القدس أثناء بناء المسجد الأقصى وقبّة الصخرة ، وبويع سليمان بن عبد الملك * بالخلافة فيها ، وكان عمر بن عبد العزيز يحاسب عمّاله تحت قبة الصخرة . وقد ذكر المؤرخون أن الخليفةالعباسي أبا جعفر المنصور حجّ إلى مكة والمدينة ثم إلى القدس ، وأن الخليفة المهدي زار القدس للصلاة في المسجد الأقصى . أما المأمون فقد رمّم قبة الصخرة وضرب نقودا خاصة بهذه المناسبة نقش عليها اسم القدس . وذكر المؤرخون أن عددا من سلاطين المماليك والعثمانيين

زاروا القدس . ولا حاجة إلى ذكر أفواج المسلمين الذين ظلّوا يزورونها ويحجّون إلى حرمها إلى أن وقعت تحت الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧ .

واكتسبت مدينة القدس عند علماء المسلمين مقاما عاليا قد لا يقل عن مقام مكة والمدينة ، فكان هؤلاء العلماء يمرّون بها في طريقهم إلى الحجاز ، ويقضون فيها سنوات يتعلمون ويعلّمون ، فوطّدوا بذلك دعائم وحدة ثقافية بين المسلمين لم تتزعزع حتى أثناء الغزو الصليبي (ر : الفرنجة) . وتدل أسماء العلماء الذين أقاموا في القدس أو دفنوا في مقبرة مأمن الله أو في مقبرة باب الرحمة على أنهم جاءوا من مختلف البلاد العربية والإسلامية . ويكفي أن يذكر في هذا الباب الإمام أبو حامد الغزالي الذي جاء من بغداد إلى دمشق ، ثم انتقل إلى القدس قبيل سقوطها بيد الصليبيين ، وأقام في الحرم الشريف في زاوية قرب باب الرحمة عرفت فيما بعد باسمه ، وكتب وهو مجاور في القدس ومدرّس في المسجد الأقصى « الرسالة القدسية » . وزار الغزالي الخليل في طريقه إلى مكة وكتب شطرا من كتاب « إحياء علوم الدين » في القدس .

ولا يقل شأن فتح صلاح الدين الأيوبي * للقدس واستعادتها من الصليبيين عن شأن الفتح العمري في تاريخ العرب والإسلام . وقد زاد اهتمام المسلمين بالقدس والحج إليها بعد هذا الفتح . ويسّر صلاح الدين ومن جاء بعده الأمر على الحجاج بما أنشأوا من الزوايا والربط (ر : الخوانق والربط والزوايا) والمدارس ، وبما حبسوا من أوقاف لإيواء الحجاج وإطعامهم وكسوتهم . وقد أوقف الملك الأفضل (ابن صلاح الدين) الأرض الواقعة خارج سور الحرم الغربي بين باب السلسلة شمالا وباب النبي (باب البراق أو باب المغاربة) جنوبا لمنفعة حجاج المغرب (كانت تقوم فوق هذه الأرض حارة المغاربة التي هدمها الصهيونيون واغتصبوا أرضها بعد حرب ١٩٦٧ *) .

وقد كثرت الكتب التي تحدثت عن القدس ومسجدها الأقصى ، وقوّت في النفوس الرغبة في زيارتها والحج إلى حرمها . ومنها : « كتاب الأنس في فضائل القدس » لبهاء الدين ابن عساكر (ابن المؤرخ المعروف) ، و« الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجير الدين عبد الرحمن العليمي قاضي القدس أواخر عهد المماليك ، وكتاب « إتحاف الأخصّا في فضائل المسجد الأقصى » لكمال الدين السيوطي ، و« الجامع المستقصى في فضائل الأقصى » لأبي محمد ابن علي بن عساكر ، وكتاب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » لأبي الفداء إسحق الخليلي ، وكتاب « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » لبرهان الدين الفزاري .

ب - حج المسيحيين : يطلق لفظ « الحج » عند المسيحيين على زيارة الأماكن المقدسة في فلسطين ، تلك الأماكن التي شرفها السيد المسيح في القدس والناصرة وبيت لحم وغيرها (ر : المسيحية) .

ولم تنشأ عادة زيارة هذه الأماكن المقدسة إلاّ في القرن الرابع الميلادي ، بعد أن تنصّر الإمبراطور قسطنطين (٣٠٦ م - ٣٣٧ م) وجعل المسيحية دينا من أديان الدولة ، فأمر بالكشف عن معالم القبر ومكان المهد والجلجلة . وذهبت هيلانة إلى فلسطين ، وأشرفت بنفسها على الأعمال ، وبنت ثلاث كنائس كتب البقاء للثالثة التي بنيت فوق مغارة بيت لحم .

نشط العمران بعد ذلك ، وتواصل البناء بجهود الأباطرة ورجال الدين والأثرياء ، فأنشئت الكنائس والأديرة وفنادق الحجيج . ورافقت ذلك حركة حج عظيمة ، وكان الحجاج المسيحيون يتوافدون إلى فلسطين من كل مكان وفيهم الأساقفة أمثال هيلاريون الغزاوي وباسيليوس الكبير ويوحنا الأنطاكي ، والنسّاك أمثال سمعان العمودي ، والأباطرة كثيودوسيوس وأفدوكيا . وقد كتب الكثيرون مشاهداتهم في مؤلفات أجمعت على إبراز المركز العظيم الذي شغلته الأماكن المقدسة في العالم المسيحي كله . وتبع ذلك منح أسقف القدس لقب بطريرك عام ٤٥١ ، فغدت كنيسة القدس في المرتبة الخامسة بين الكنائس المسيحية بعد روما والقسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية .

لم تنقطع حركة الحج إلى الأماكن المقدسة في فلسطين بعد الفتح الإسلامي ، وشهدت الفترة الممتدة حتى دخول الصليبيين القدس أواخر القرن الحادي عشر الميلادي (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) نموا كبيرا في هذه الحركة . وكان لاعتناق استفانوس ملك المجر (٩٩٧م - ١٠٣٨ م) المسيحية أثر كبير في فتح وادي الدانوب في وجه الحجيج الغربيين .

ولما دخل الصليبيون القدس وأنشأوا فيها وفي المناطق التي احتلوها مملكة لهم (ر : القدس . مملكة - اللاتينية) قويت الحركة التجارية بين الشرق والغرب ، وقويت معها حركة الحج إلى الأماكن المقدسة في فلسطين .

ثم استعاد المسلمون الأراضي المقدسة ، وانحسر المدّ الصليبي ، وأخذت فكرة الحرب الصليبية تختفي شيئا فشيئا ، وبرز عنصر جديد في الصراع بين الغرب والشرق على الأماكن المقدسة هو عنصر الحوار الديني والسياسي . وأثمر ذلك نموّ حركة الحج إلى فلسطين طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، وقدوم الكهنة المسيحيين إلى القدس لخدمة الأماكن المقدسة في وجه جميع قاصديها .

وكان سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م ، ثم دخول السلطان سليم الأول القدس فاتحا عام ١٥١٧ م، بداية مرحلة جديدة من

مراحل الصلة بين الشرق والغرب كان لها أثرها في حركة الحج إلى الأماكن المقدسة في فلسطين . وقد تكشفت الأغراض الاقتصادية والعسكرية التوسعية التي كانت تختبىء وراء الحملات الصليبية ، وظهرت فكرة سياسة المحاور ، فوقّع ملك فرنسا فرنسوا الأول مع السلطان العثماني سليمان الثاني عام ١٥٣٦م معاهدة كانت الأولى في سلسلة من المعاهدات استمرت بين مدّ وجزر ، وتعليق وتثبيت ، حتى الحرب العالمية الأولى . وقد أطلق عليها اسم « امتيازات » ، وكان ظاهرها يرمي إلى حماية الأماكن المقدسة المسيحية والحجاج



الغربيين القادمين إليها والمسيحيين المقيمين فيها ، في حين كان باطنها يرمي ، فيما يرمي إليه ، إلى قطع طريق البحرين إسبانيا وإيطاليا وقد اعترف نص المعاهدة بحق عملاء فرنسا في الشرق ، دون سواهم ، في رعاية الحجاج الغربيين وضمان حياتهم وممتلكاتهم إذا وضعوا أنفسهم تحت حماية ملك فرنسا ودفعوا ما يفرض عليهم من ضرائب . ومنح السلطان سليمان الكهنة الفرنسيسكان عام ١٥٥٨م دير القديس يوحنا فأطلقوا عليه اسم دير المخلص وحوّلوه دارا عظيمة لإقامتهم واستقبال الحجاج الكثيرين الوافدين إلى القدس.

وقد كثرت المعاهدات ، أو الامتيازات ، بعد ذلك بين فرنسا والعثمانيين ، وتحركت دول أوربية أخرى ، كالنمسا وروسيا وإيطاليا وألمانيا ، ساعية لعقد معاهدات مماثلة ، واعترفت الكنيسة في روما بتلك الاتفاقيات وباركتها . وزحفت مختلف الرهبانيات الغربية إلى الأماكن المقدسة وأنشأت الأديرة والمؤسسات الكثيرة ، وتدفق الحجاج على اختلاف أقطارهم ومذاهبهم لزيارة فلسطين .

وقد تأثرت حركة الحج إلى فلسطين بقيام الكيان الصهيوني (١٩٤٨) ، ومن ثمّ احتلالها لبقية الأراضي الفلسطينية في حرب ١٩٦٧ وما رافق هذا الاحتلال من إرهاب وقمع وتشويه مدروس ومنظّم للأراضي الفلسطينية ، ومن ضمنها الأماكن المقدسة

جـ ـ حج اليهود : الحج عند اليهود احتفال بأعياد أهمها ثلاثة في السنة جاء ذكرها في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر الخروج: " ثلاث مرات تعيّد لي في السنة " : عيد الفطير ، وهو عيد الفصح الذي يحتفل به تذكارا لهرب بني إسرائيل من مصر ، وعيد الحصاد ، وهو عيد زراعي تحصد فيه الغلال ، وعيد الجمع ، ويقع في آخر الحصاد ، ويسمّى أيضا عيد المظالّ . والاحتفال بهذه الأعياد فرض على الذكور دون الإناث كما هو وارد في الإصحاح الثالث عشر من سفر التثنية

ظل اليهود يحتفلون بهذه الأعياد إلى أن حرم الرومان عليهم دخول القدس ، فكانوا يستأذنون الرومان للوقوف مرّة في السنة على جبل الزيتون على مرأى من المدينة ، فيبكون في يوم واحد في السنة (التاسع من آب) لا في ثلاثة أيام

واصل اليهود احتفالهم بذلك حيث كانوا ، سواء في فلسطين أو في غيرها ، أيام الرومانيين ، ثم أيام البيزنطيين . ثم مكّنهم التسامح الإسلامي من دخول القدس والإقامة فيها . ولما دخل الصليبيون القدس كان فيها عدد قليل من اليهود جمعوهم في الكنيس وأحرقوهم معه .

ولمّا خلّص صلاح الدين الأيوبي القدس من أيدي الصليبيين سمح لليهود بالإقامة فيها . وصاروا ، بمرور الزمن ، يزورون جزءاً من الحائط الغربي للحرم الشريف معتقدين أن حجارته السفلى هي من بقايا هيكلهم ، وهو المكان المعروف عند العامة بحائط مبكى اليهود ، وهو في الحقيقة حائط البراق .

لم يتعرض العرب لليهود الذين كانوا يؤمون فلسطين لزيارة " حائط المبكى " وإقامة الشعائر الدينية عنده بل أكرموا مثواهم وبالمقابل ، لم يدّع اليهود أي حق في الحائط ، بل كانوا قانعين بالذهاب إليه للنواح . ولكن الصهيونية استغلت عنصر الدين في محاولاتها الرامية إلى تسخير الديانة لخدمة أغراضها . وحمل اليهود من جهة ، والعالم المسيحي من جهة أخرى ، على مسايرة أهدافها

السياسية . وقد سعت لتحويل حنين اليهود الديني إلى الأماكن المقدسة عن مقصده ، وربطه بعجلة أطماعها السياسية تحت شعار الأحلام والأساطير التي تترجم إلى الوقائع ، معتمدة في ذلك على الحجج الدينية لتبرير اغتصابها لفلسطين ، وتغليف أهدافها التوسعية في الوطن العربي (ز : التوسعية الصهيونية) و(ز : العنصرية والصهيونية) .

ابن حجر العسقلاني : ز : أحمد بن حجر العسقلاني

حَدَثَة (قرية -) :



قرية عربية تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة طبرية * . وتبعد قرابة ١٠ كم إلى الشرق من جبل الطور * (طابور) . وهناك طريق معبدة للسيارات تصل بين حدثة وكفركما . وفي منتصف المسافة بين القريتين يتفرع درب ترابي ينتهي عند قرية المعذّر * ، التي تعد أقرب القرى إلى حدثة . ويعتقد أن القرية بنيت على موقع قرية « عين حدّة » الكنعانية . وهي تعلو ٢٢٥ م فوق سطح البحر ، وتقوم على هضبة مرتفعة تمتد باتجاه شمالي غربي ، وتنحدر حافتها الشمالية الشرقية انحدارا شديدا ، وتقل حدة الانحدار مع الاتجاه نحو الجنوب الغربي . وفوق هذا الجزء القليل الانحدار تقوم قرى حدثة والمعذّر وكفركما . وتعدّ هذه المنطقة حوض تغذية للكثير من مجاري الأودية العليا التي تلتقي لتؤلف معا مجرى وادي البيرة * الذى يخترق منطقة بيسان ويصب في نهر الأردن * . وأهم هذه المجاري العليا وادي تفاحة ووادي الحوارية . وكانت عين أبو الرجون الواقعة إلى الغرب من القرية تزوّد الأهالي بمياه الشرب . وتوجد إلى الجنوب الغربي من القرية مباشرة إحدى العيون الرئيسة التي يتغذى منها وادي البيرة . وقد امتدت مباني القرية في الاتجاه الشمالي الغربي بمحاذاة الطريق المؤدية إلى قرية كفركما . فبلغت مساحتها ٣٨ دونما . كما بلغت مساحة الأراضي التابعة للقرية ١٠،٣٤٠ دونما ، منها ٢٤٩ دونما للطرق * والأودية . وكان الزيتون * يشغل ٢٢٦ دونما معظمها من الأراضي المرتفعة الواقعة شمالي القرية وشرقها ، في حين انتشرت المحاصيل الحقلية في الجهات الغربية والشرقية والجنوبية .

كان في حدثة ٣٣٣ نسمة في عام ١٩٢٢ ، ونما هذا العدد إلى ٣٦٨ نسمة في عام ١٩٣١ كانوا يقطنون في ٧٥ مسكنا . وقدر عددهم بنحو ٥٢٠ نسمة في عام ١٩٤٥ . وقد أنشأ العثمانيون عام ١٨٩٥ م مدرسة في القرية توقفت أيام الانتداب البريطاني .

دمّر الصهيونيون حدثة وشتتوا أهلها في عام ١٩٤٨ .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠،٠٠٠ ، لوحة جبل طابور
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠،٠٠٠ لوحة طبرية - قبلي .

الحدود : ز : حراسة السواحل والحدود (لجنة -)

الحدود الآمنة :

ظهر مفهوم « الحدود الآمنة » في الصراع العربي - الإسرائيلي لأول مرة في قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بتاريخ ٢٢/١١/ ١٩٦٧ الذي صدر إثر حرب ١٩٦٧ * (ز : حرب ١٩٦٧ في منظمة الأمم المتحدة) . بل لم يسبق قبل ذلك أن ورد في قرارات الأمم المتحدة ووثائقها تحديد للخطوط النهائية أو الحدود التي تفصل بين أقاليم أطراف النزاع ، إلا في قرار تقسيم فلسطين * الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩/١١/ ١٩٤٧ وتضمن رسما واضحاً لحدود الدولتين المقترحتين ، العربية واليهودية . ثم جاء القرار ٢٤٢ فلم يرسم حدوداً جديدة واضحة ، وإنما أكد حق كل دولة في منطقة الشرق الأوسط" في أن تعيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها حرة من أعمال القوة أو التهديد بها " . وبذلك يمكن القول إن منظمة الأمم المتحدة لم تعبّر قط عن قبولها لأية حدود (لإسرائيل) غير حدود الدولة اليهودية المرسومة على خريطة ملحقة بقرار التقسيم . وقد قُبلت (إسرائيل) عام ١٩٤٩ عضواً في الأمم المتحدة على أساس إعلانها الاستعداد لتنفيذ قرار التقسيم هذا (ز : إسرائيل في الأمم المتحدة ، عضوية) .

فهمت (إسرائيل) القرار ٢٤٢ على أنه يعني - من بين ما يعنيه - انسحاب القوات الإسرائيلية من أجزاء من الأراضي التي احتلتها في عدوان ١٩٦٧ لا منها جميعها .

ومنذ صدور القرار ٢٤٢ حتى الآن أدلى المسؤولون والسياسيون الإسرائيليون ، سواء من كان منهم في الحكم أو خارجه ، بمئات التصريحات المختلفة حول مفهوم الحدود الآمنة . وبالرغم من اختلاف تصور هؤلاء السياسيين لهذا المفهوم فإنهم جميعاً متفقون على

ثلاث نقاط : أولها أن الحدود الآمنة ليست أبدا خطوط ما قبل ٥/٦/١٩٦٧ . وثانيها أن الانسحاب من أي جزء من الأراضي المحتلة لا يمكن أن يتم قبل الاتفاق على الحدود النهائية الآمنة بين (إسرائيل) وجاراتها . وثالثها أن البحث في الحدود الآمنة هو بحث في أمن (إسرائيل) وسلامتها وحدودها ، دون الأخذ بعين الاعتبار متطلبات الأمن وشروط السلامة للأطراف الأخرى . واستنادا إلى هذه الأسس وضع عدد من الأحزاب والسياسيين في (إسرائيل) مشروعات رسم فيها أصحابها « الحدود الدولية » و« الحدود الآمنة » و « الحدود الرادعة » و « الحدود التي يمكن الدفاع عنها » . ولعل تصريح رئيسة وزراء (إسرائيل) السابقة غولدا مائير الذي قالت فيه عام ١٩٧١ " إن الحدود الدولية لإسرائيل تتحدد حيث يتوطن اليهود " ، ومشروع رئيس وزراء (إسرائيل) مناحيم بيغن عن الضفة الغربية في فلسطين الذي أعلنه يوم ٢٨ / ١٢ / ١٩٧٧ والذي يؤدي إلى ضم الضفة الغربية وقطاع غزة إلى (إسرائيل)، يرسمان صورة أقرب لحقيقة مفهوم قادة (إسرائيل) عن الحدود الآمنة ، وبخاصة بعد أن أبلغ بيغن الولايات المتحدة الأمريكية في شهر آذار سنة ١٩٧٨ أن القرار ٢٤٢ لا ينطبق على الضفة الغربية ، على أساس أنها أراض « محررة » لا « محتلة » .

نضيف إلى ذلك أن (إسرائيل) لم تلتزم أمام منظمة الأمم المتحدة بنص مكتوب يوضح مفهومها للحدود الآمنة . وقد تهربت من تحديد هذا المفهوم في جوابين قدمتهما إلى الممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة السفير غونار يارنغ . ففي مذكرة قدمها يارنغ إلى (إسرائيل) في ٩/ ٣/ ١٩٦٩ طرح السؤالين التاليين :

" ١) ما هو مفهوم الحدود الآمنة والمعترف بها الذي تتمسك به إسرائيل ؟ .

" ٢) هل توافق إسرائيل على سحب قواتها المسلحة من أراض احتلتها في الحرب الأخيرة ؟ "

وقد أجابت (إسرائيل) بمذكرة مؤرخة في ٢/ ٤/ ١٩٦٩ بما يلي :

" ١) لا توجد حدود آمنة ومعترف بها بعد بين إسرائيل والدول العربية . ولذلك يجب إقامة هذه الحدود الآن كجزء من عملية إقامة السلام . ويجب أن يستعاض عن وقف إطلاق النار بمعاهدات سلام تنشأ بموجبها حدود دائمة وآمنة ومعترف بها يتم الاتفاق عليها عن طريق المفاوضات بين الحكومات المعنية .

" ٢) عندما يتم الاتفاق على الحدود الدائمة والآمنة والمعترف بها ، وتقام بين إسرائيل وكل دولة عربية مجاورة ، فإن تنظيم أمر القوات سيتم وينفذ بما يتوافق تماما والحدود المتفق عليها في معاهدات السلام "

وفي مذكرة قدمها يارنغ إلى مصر (وإسرائيل) في ٨ / ٢ / ١٩٧١ بشأن الالتزامات المتبادلة بينهما أجابت (إسرائيل) ، في مذكرة مؤرخة في ٢٦ شباط ، بأنها تقدم التعهد التالي : " انسحاب القوات الإسرائيلية المسلحة من الخط الإسرائيلي- المصري لوقف إطلاق النار إلى حدود آمنة ومعترف بها تقرر في اتفاقية السلام . ولن تنسحب إسرائيل إلى خطوط ما قبل الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ " .

وتستند (إسرائيل) في دعواها بأن الحدود الآمنة التي عناها القرار ٢٤٢ هي غير خطوط ما قبل حزيران سنة ١٩٦٧ إلى أن القرار اقتصر في نصه الإنكليزي على طلب انسحاب " قوات إسرائيلية مسلحة من أراض احتلت في النزاع الأخير " ، ولم يحدد بالتالي الأراضي الواجب الانسحاب منها أو الخطوط التي يتم الانسحاب إليها . وأول ما يلاحظ هنا هو أنه ليس صحيحا ، من الناحيتين القانونية واللغوية ، ما يرد في هذه الحجة من أن النص الإنكليزي للقرار يقتصر على المطالبة بالانسحاب الجزئي . فالقرار يطلب الانسحاب من أراض حددها بوصف معين ، وهو أن تكون قد احتلت في « النزاع الأخير » ، وبالتالي فالانسحاب يسري على أية أرض توفر فيها هذا الوصف . وأي استثناء لأرض أو أراض محتلة من حكم الانسحاب المقرر في القرار استثناء لا يجيزه نص القرار ، بل يمنعه صراحة بتحريم " جواز الاستيلاء على أراض عن طريق الحرب " ، وهو نص ورد في مقدمة القرار ذاته . كما أن النصوص الفرنسية والإسبانية والروسية والصينية للقرار - وهي اللغات الرسمية لمنظمة الأمم المتحدة ، ولكل منها القوة ذاتها للغات الأخرى - تشير بوضوح إلى أن الانسحاب هو « من الأراضي التي احتلت في النزاع الأخير » . ويضاف إلى ذلك أن فهم يارنغ للحدود الآمنة كما وردت في القرار ينطبق على ما ذكرناه . والدليل على ذلك أنه طلب من (إسرائيل) في المذكرة المؤرخة في ٨/ ٢/ ١٩٧١ التي أرسلها إليها أن " تتعهد بأن تسحب قواتها من أراضي الجمهورية العربية المتحدة (أي مصر) المحتلة إلى الحدود الدولية السابقة التي كانت قائمة بين مصر وحكومة الانتداب البريطاني على فلسطين " .

وفوق هذا كله فإنه ليس في قواعد القانون الدولي أية نظرية تسمى نظرية الحدود الآمنة . فقواعد هذا القانون مستقرة على أن حدود أية دولة يجب أن تحدد وتعرف سواء كان هذا التحديد عرفياً أو اتفاقياً . كما أن القانون الدولي مستقر على رفض مبدأ الاعتراف بالآثار المترتبة على الاحتلال ، وبخاصة ما تعلق منها بضم الأراضي تحت أية ذريعة ، على أساس المبدأ المعروف بأن ما بني على الباطل فهو باطل .

وهكذا تنتفي الحجج التي تتذرّع بها (إسرائيل) لتفسير الحدود

الأمنة على أنها الحدود التي تكفل لها التوسع بضم أراض جديدة إليها . والحقيقة أن مثل هذا التفسير لا يمكن أن يستند إلا إلى اعتبارات العدوان والرغبة في التوسع بقوة السلاح . وهو في النهاية ذريعة إسرائيلية للتوسع ومدّ الحدود ، وترديد جديد لنظريات النازية البائدة التي تنادي بأن الحدود التي ينشئها الإنسان يمكن أن يعدّلها الإنسان بالقوة ، وأن نمو الدولة وتوسعها علامة أساسية على حيويتها .

المراجع :

- إبراهيم شحاتة : الحدود الآمنة والمعترف بها ، بيروت ١٩٧١ .
- تقرير الأمين العام للأمم المتحدة إلى مجلس الأمن ، الوثيقة رقم س/ ١٠٩٢٩ بتاريخ ١٨/ ٥ / ١٩٧٣

الحدود السياسية :

اكتسب اسم فلسطين صفة سياسية دولية محددة بعد الحرب العالمية الأولى إثر انهيار الدولة العثمانية وتقسيم بلاد الشام إلى مناطق نفوذ إنكليزية وفرنسية .

أ ـ حدود فلسطين في اتفاقية سايكس بيكو * : تبدأ حدود فلسطين وفقاً لهذه الاتفاقية من نقطة الزيب * جنوبي رأس الناقورة على ساحل البحر المتوسط ، وتتجه صوب الجنوب الشرقي تاركة منطقة منابع نهر الأردن * وبحيرة الحولة * ضمن منطقة النفوذ الفرنسي . وتتجه بعد ذلك على طول الساحل الغربي لبحيرة طبرية * ، وتسير جنوبا مع الضفة الغربية لنهر الأردن حتى الساحل الشمالي الغربي للبحر الميت * . وتتجه بعدئذ نحو الجنوب الغربي في خط مستقيم لتمرّ ببير السبع * ، وتنتهي على ساحل البحر المتوسط بين غزة * ورفح * . وأما في الغرب فيحدها البحر المتوسط .

ب ـ حدود فلسطين في اتفاقية ٢٣ كانون الأول ١٩٢٠ : نصّت اتفاقية الحدود المعقودة بين إنكلترا وفرنسا في ٢٣ كانون الأول سنة ١٩٢٠ على أن يصل الحد الفاصل بين النفوذين الإنكليزي والفرنسي إلى سمخ * على الشاطىء الجنوبي لبحيرة طبرية ، ثم يسير وسط بحيرة طبرية متجهاً إلى مصب وادي المسعودية * فيكون سهل البطيحة (شمالي شرق بحيرة طبرية) ، وسهل النقيب * (على الساحل الشرقي لبحيرة طبرية)، والحمة * (جنوبي شرق بحيرة طبرية) ضمن الأراضي السورية ، في حين يكون مصب نهر الأردن ومخرجه من بحيرة طبرية ، وكذلك سمخ ، ضمن الأراضي الفلسطينية .

ومن مصبّ وادي المسعودية في بحيرة طبرية يتجه الحدّ مع مجرى الوادي نحو أجزائه العليا . وبعد ذلك يسير الحد في وادي جرابا حتى منبعه ، ثم يصل إلى قرية سكيك الواقعة في منتصف المسافة بين مدينة القنيطرة وقرية بانياس تقريباً . ويسير الحدّ بعد ذلك مع طريق القنيطرة ـ بانياس ضامناً بقاء هذه الطريق في المنطقة الواقعة تحت الانتداب الفرنسي حتى قرية بانياس . وبعد ذلك يتجه الحدّ غرباً حتى المطلة التي تبقى ضمن فلسطين . ولقد تعين الحد في هذا القطاع بطريقة تؤمن للمنطقة الواقعة تحت الانتداب الفرنسي سهولة الاتصال بين مراكزها الداخلية من جهة ، وإقليمي صور وصيدا من جهة أخرى

ويتجه الحدّ من المطلة الى منطقة خط تقسيم المياه بين نهري الأردن والليطاني ثم يسير متجهاً نحو الجنوب مع خط تقسيم المياه بين وادي فارة حوران ووادي قرقرة اللذين يبقيان في المنطقة الواقعة تحت الانتداب البريطاني ، ووادي الدويلة ووادي العيون ووادي زرقا التي تبقى في منطقة الانتداب الفرنسي .

جـ ـ تعديلات على الحد السياسي الشمالي والشمالي الشرقي لفلسطين : لم ترض الصهيونية عن حدود فلسطين وفقاً لاتفاقية ٢٣ كانون الأول ١٩٢٠ ، ولذا قامت إنكلترا مرة ثانية بإجراء تعديل على حدود فلسطين في الشمال والشمال الشرقي لتضمن أكبر قدر من مياه نهر الأردن وروافده . وشملت التعديلات المناطق التالية :

١) شرق بحيرة الحولة : تزحزح الحدّ نحو الشرق داخل الأراضي السورية ، وأصبح خط التسوية ١٨٠ م داخل فلسطين تسهيلاً لمدّ قنوات الري اللازمة في المستقبل . ويقتضي هذا التعديل فقدت سورية ثلاثة قطاعات أرضية ، أحدها طوله ١٧ كم وعرضه كيلومتر واحد ، والثاني طوله ٥ كم وعرضه ٢٠٠ م ، والثالث طوله ٩ كم وعرضه ٣٠٠ م . وأصبحت هذه القطاعات جزءاً من الأراضي الفلسطينية .

٢) بحيرة طبرية : حرصت انكلترا على ان تنال فلسطين كل هذا المسطح المائي العذب (بحيرة طبرية) . وسمحت فرنسا بأن يسير الحد هناك على الشاطىء الشرقي لبحيرة طبرية ، وقد أتاح ذلك لإنكلترا امتلاك شاطىء البحيرة الشرقي تمكيناً للصهيونيين في المستقبل من رفع منسوب الماء فيها لأغراض الري وتوليد الكهرباء .

يبدأ الحدّ بالقرب من مصب نهر الأردن في بحيرة طبرية ، ويسير مع ساحل البحيرة الشرقي على بعد ١٠ م من خط البحيرة حتى عيون مسفير الكبريتية (تخم ٦١) ، علماً بأنه يتحرك مع مستوى الماء فيها . وبعد ذلك يتجه الحدّ شرقاً إلى (تخم ٦٢) على بعد ١,٢٠٠ م شرقي مسفير . ثم يواصل سيره حتى (تخم ٧١) على شكل شريط عرضه يراوح بين ١ و ٢ كم شرقي البحيرة .

٣) وادي اليرموك الأدنى (المثلث) : استطاعت انكلترا أن تسلخ مثلث اليرموك الأدنى من سورية لحساب فلسطين لتشترك الأخيرة أيضا في هذا الرافد المهم لنهر الأردن وتستفيد من مياهه في الري وإقامة السدود وتوليد الكهرباء .

٤) منطقة المطلة : أدخلت انكلترا منطقة المطلة الواقعة شمالي بحيرة الحولة ضمن فلسطين ، وهو أمر لا يتفق مع ظروف السكان الاقتصادية والاجتماعية . وقد اشتملت تلك المنطقة على ٢٦ قرية . ويسير الحد من بانياس إلى المطلة ، وتبقى الطريق الواصلة بينهما في المنطقة الواقعة تحت الانتداب الفرنسي .



النقطة الفاصلة بين فلسطين ولبنان

د - اتفاقية الحدود المعقودة في ٣ شباط ١٩٢٢ بين إنكلترا وفرنسا

١) الحدّ الشمالي : أصبح الحدّ الشمالي لفلسطين وفقاً لهذه الاتفاقية يسترعي الانتباه ، فهو يبدأ على البحر المتوسط عند رأس الناقورة ، ويسير في خط مستقيم تقريباً نحو الشرق . ثم يتجه فجأة بزاوية حادة نحو الشمال ملتفاً حول المنابع العليا لنهر الأردن ومحاولاً اللحاق بها ليضمّها إلى فلسطين في صورة مستطيل ضيق يمتد بين سورية شرقاً ولبنان غرباً لمسافة تراوح بين ٢٠ و ٢٥ كم ، وبمساحة تبلغ ٣٢٥ كم² . ويزداد توغل الحد شمالاً صوب سهل مرج عيون ، وكذلك ناحية الشمال الشرقي صوب نهر بانياس . ثم يتجه من بانياس صوب الجنوب حتى الحمة تاركاً نهر الأردن الأعلى وروافده في فلسطين ، وكذلك بحيرة الحولة ، وبحيرة طبرية ، ومخرج نهر الأردن من بحيرة طبرية حتى نهر اليرموك .

٢) الحدّ الشرقي مع الأردن : يبدأ الحدّ الفاصل بين فلسطين والأردن من نقطة تبعد ٣,٢ كم غربي العقبة ، ويمر في وادي عربة ملازماً جانبه الغربي ومسايراً للأجزاء المنخفضة به . وهذا يجعل ثلث الوادي تقريباً لفلسطين وثلثيه للأردن . ويدخل الحدّ البحر الميت ويسير في وسطه ، أي على بعد متساوٍ من كلا الشاطئين . ثم يتابع خط الحدود سيره وسط مجرى نهر الأردن ، أي على بعد متساوٍ من ضفّتيه . ولما كان نهر الأردن يغيّر مجراه باستمرار لكثرة انحناءاته ترتّب على ذلك تغيّرات دورية صغيرة في الخط . ثم يدخل الحدّ نهر اليرموك الأدنى ليسير في وسطه ابتداء من نقطة الحدود السورية الأردنية الفلسطينية على النهر .

٣) الحدّ الجنوبي الغربي مع مصر : يعدّ حدّ فلسطين الجنوبي الغربي مع مصر أول قطاع حدّي تم تحديده لفلسطين إثر أزمة طابة عام ١٩٠٦ بين الإمبراطورية العثمانية من ناحية وإنكلترا ومصر من ناحية أخرى . وقد نصّت الاتفاقية الخاصة بذلك على أن يرسم خط للحدود يبتدىء من رفح ويتجه جنوباً بشرق على خط مستقيم تقريباً إلى نقطة على خليج العقبة * تبعد على الأقل ٤,٨ كم عن العقبة . وقد فُوّضت لجنة تعيين الحدود تفويضاً مطلقاً بإجراء ما تراه مناسباً من تعديلات طفيفة في خط الحدود لتسهيل الأعمال الإدارية لكلا الطرفين . وكان تعيين الخط يساير القواعد الطبوغرافية إلى حد كبير . وبذلك نالت فلسطين صحراء النقب وأصبح لها ساحل على خليج العقبة طوله نحو ٦,٥ كم .

وهكذا كانت حدود فلسطين التي تمّ تحديدها بدقة وأقرتها الوثائق الدولية نتيجة لصراع القوى المختلفة في محاولات لتحقيق مصالحها دون الالتفات إلى رغبات السكان المقيمين على جوانب هذه الحدود أو مصالحهم . هذا باستثناء حدود فلسطين مع الأردن ، فقد عيّنتها إنكلترا بمفردها ضماناً للمنطقة التي نصّ وعد بلفور * على أن يقام فيها وطن قومي لليهود .

وتتميز حدود فلسطين بأنها متنوعة ، فقطاعات منها تسير مع قمم جبلية عالية ، وبعضها يسير مع خطوط تقسيم المياه بين أنهار مختلفة الانحدار ، ويجري بعضها الآخر في وسط أنهار وعلى ضفافها ، أو في أودية جافة . ويمر بعضها وسط البحار الملحية المغلقة ، ومع البحار والخلجان الساحلية . ويسير حدها الجنوبي الغربي وسط منطقة صحراوية بين النقب في فلسطين وسيناء في مصر . ولم يعثر على وثائق تدل على الحدود البحرية لفلسطين وفقاً

لصك الانتداب . فقد كانت حدود المياه الاقليمية لفلسطين تتبع لإنكلترا في هذا المضمار .

إن إلقاء نظرة على حدود فلسطين السياسية كما أقرتها وثيقة الانتداب يدل على تجاهل بعض قطاعات هذه الحدود للظاهرات الطبيعية في المنطقة التي تجتازها . وقد ترتب على هذا الأمر وجود شذوذ ونقائص كثيرة في هذه الحدود . وهذا ما دعا لورنس إلى أن يقول : " كانت حدود مناطق النفوذ في اتفاقية سايكس - بيكو منافية للعقل والواقع ، إلاّ أنها كانت أفضل ألف مرة من الحدود التي تمّ التوصل اليها عام ١٩٢٢ " . وقد أثّرت حدود فلسطين على سكان المناطق التي تجتازها ، وحدث تبادل لبعض القطاعات الأرضية ، وترتب على ذلك فصل المزارع والممتلكات والقرى والقبائل . وهذا ما يؤكد وجود الشذوذ في بعض أجزاء الحدود الفلسطينية . واستدعى الأمر عقد اتفاقية حسن الجوار عام ١٩٢٦ بين فلسطين وسورية للتخفيف من النتائج السلبية التي أوجدتها هذه الحدود على جوانبها .

وأخيراً يمكن الاستدلال على خمسة معايير أخذت في الاعتبار عند رسم الحدود السياسية لفلسطين ، وهي :

١) الاعتبار العسكري والإستراتيجي لحماية قناة السويس ومصر من تركيا والقوى الأوربية .

٢) الاعتبار الاقتصادي بعناصره المختلفة ممثلة في المياه العذبة والأرض الخصبة والثروات المعدنية وشبكات المواصلات والموانىء وغيرها من المصادر الطبيعية والموارد الاقتصادية .

٣) الصهيونية ومخططاتها الرامية إلى تهويد فلسطين في المستقبل .

٤) الهجرة اليهودية إلى فلسطين لاستيطانها وتجميع ما يزيد على خمسة ملايين يهودي فيها .

٥) المصالح الاستعمارية لكل من بريطانيا وفرنسا في المنطقة .

في ضوء هذه المعايير تمّ تعيين الحدود السياسية لفلسطين التي بلغ مجموع طول البرّية فيها ٧١٩ كم ، منها ٣٦٠ كم مع الأردن ، و٢١٠ كم مع مصر ، و ٧٩ كم مع لبنان ، و ٧٠ كم مع سورية . وتعد هذه الحدود طويلة بالنسبة إلى مساحة فلسطين البالغة ٢٧,٠٠٠كم٢ .

المراجـع :

- خيرية قاسمية : قضية الحدود بين مصر وفلسطين قبل الحرب العالمية الأولى ، مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٥ ، بيروت ١٩٧١ .
- عادل محمود رياض : الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة ، القاهرة ١٩٧٧ .
- محمود كامل خلّة : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ - ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٤
- محمد محمود الدسب : حدود فلسطين ، القاهرة ١٩٧٩
- خرائط الحدود المختلفة بمقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ و ١ : ١٠٠,٠٠٠

الحـديـث (دار -) :

رَ : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في -)

الحـديثـة (قـريـة -) :

قرية عربية تقع على بعد ١٠ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة الرملة* ، وتبعد إلى الشرق من طريق اللد - بيت نبالا كيلومتراً واحداً . ويربطها درب ممهد بهذه الطريق التي تصلها بمدينة اللد* غرباً . وتبلغ المسافة من نقطة التقاء الدرب بالطريق حتى اللد نحو ٤ كم . وتصلها دروب ممهدة بالقرى المجاورة مثل بُدْرس وبيت نبالا* ودير أبو سلامة* وجمزو* .

نشأت قرية الحديثة فوق رقعة منبسطة في الطرف الشرقي للسهل الساحلي* الأوسط ترتفع نحو ١٢٥م عن سطح البحر . وهي على الضفة الغربية لوادي الناتوف أحد روافد وادي كبير الذي يمر بالطرف الشرقي لمدينة اللد . وكانت الحديثة تتألف من بيوت مبنية باللِّبن تفصل بينها شوارع ضيقة . وتحيط هذه البيوت بوسط القرية الذي يضم مسجدها ، وسوقها الصغيرة ، ومدرستها الابتدائية التي تأسست عام ١٩٤٣ . وكان مخططها التنظيمي بشكل شبه المنحرف ، ثم اتخذ شكلاً مستطيلاً نتيجة نمو عمران القرية في أواخر فترة الانتداب نحو الشمال والجنوب الشرقي ، وأصبحت مساحتها ١٦ دونماً . وفي الحديثة بئر مياه للشرب ، وآثار بلدة حاديد الكنعانية التي قامت الحديثة على أنقاضها .

بلغت مساحة أراضي الحديثة ٧,١١٠ دونمات ، منها ٢٠٦ دونمات للطرق* والأودية ، و ١٥٧ دونماً تسربت إلى الصهيونيين . وتعد أراضيها الزراعية ذات أصناف جيدة لخصب تربتها الطفاليّة الحمراء ، ولتوافر المياه الجوفية فيها . ولذا فإن إنتاجها كبير ، وتزرع

فيها معظم المحاصيل الزراعية كالحبوب * والخضر * والأشجار المثمرة . وتتركز زراعة الزيتون * في الجهتين الشمالية والجنوبية من الحديثة ، وهو أهم محصول في القرية ، ويزرع في مساحة تزيد على ٢٠٠ دونم . وتأتي الحمضيات * في المرتبة الثانية بعد الزيتون . وقد تركزت زراعتها في الجهتين الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية . وتحيط الأرض الزراعية بالحديثة من معظم جهاتها . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار التي تهطل بكميات كافية ، كما أن البساتين تروى بمياه الآبار .

بلغ عدد سكان الحديثة في عام ١٩٢٢ نحو ٤١٥ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٥٢٠ نسمة كانوا يقيمون في ١١٩ بيتاً . وقدّر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٧٦٠ نسمة . وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون الحديثة فأجلوا سكانها عنها وقاموا بتدميرها وإنشاء مستعمرة « حاديد » على أراضيها بالقرب من خرائب الحديثة المدمرة .

المراجـع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة اللد

الحـديـد : رَ : المعادن

خَـديـرا (مدينة ـ) : رَ : الخضيرة (مدينة ـ)

الحـرارة (درجة ـ) : رَ : المناخ

حـراسة الأمـاكن الإسلامـيـة المـقـدسة (جمعيات ـ) : رَ : المؤتمر الإسلامي الكبير

حراسة السواحل والحدود (لجنة ـ) :

وحدات كشفية نظمها حزب مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني * لمراقبة سواحل فلسطين وحدودها للحيلولة دون تهريب الصهيونيين إلى فلسطين . وكانت المنظمات الصهيونية قد نشطت في تهريب الصهيونيين عن طريق ساحل البحر المتوسط ، وعبر الحدود بين فلسطين وكل من سورية ولبنان ، مستغلة إجراءات الحكم النازي ضد اليهود في ألمانيا ، مستفيدة من تهاون سلطات الانتداب في حراسة الحدود والسواحل وتغاضيها عن تهريب الصهيونيين .

أخذ حزب مؤتمر الشباب العربي على عاتقه مسؤولية القيام بجهود ذاتية تطوعية لمراقبة الحدود والسواحل والقبض على كل مهاجر مهرّب وتسليمه إلى السلطات الحكومية . وقد اجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب في ١٩٣٤/٧/١٢ وقررت تشكيل لجنة حراسة السواحل والحدود التي بدأت عملها في ١٩٣٤/٧/٢٣ .

قسمت الحدود والسواحل إلى مناطق وأجزاء ، وعهد بكل قسم إلى مجموعة من الكشافة أو من أفراد الحزب وأعضاء اللجنة ، لها رئيس مسؤول . كذلك أرسلت اللجنة وفداً إلى بيروت ودمشق لمراقبة عمليات التهريب السرية وتعطيلها . وقد قام الشباب بالعمل خير قيام ، فراقبوا السواحل ، ومنعوا أكثر من مرة رسوّ الزوارق التي كانت تحمل الصهيونيين تحت جنح الظلام ، ووفقت فرقهم للقبض على صهيونيين مهرّبين في جهات الحولة وحيفا * وعكا * والمجدل * .

حاربت سلطات حكومة الانتداب جهود لجان الحراسة . وقد حدث في ١٩٣٤/٨/١٧ أن كانت مجموعة من كشافة أبي عبيدة في طولكرم * تقوم بدورها في حراسة الشاطىء عند قرية أم خالد * بالقرب من مستعمرة ناتانيا * فهاجمتها جماعة من الصهيونيين المسلحين ، وأسفرت المعركة عن جرح ثمانية من أفراد المجموعة الكشفية . فأصدرت حكومة الانتداب في اليوم نفسه بلاغاً رسمياً عدّت فيه عمل « لجنة حراسة السواحل والحدود » العربية " عرقلة أكيدة وتشويشاً من شأنه أن يساعد على الإخلال بالأمن " . وأنذر البلاغ بأن الحكومة " ستمنع جميع المحاولات التي يقوم بها أفراد وهيئات لأخذ القانون في أيديهم ، ومن يخالف يعرّض نفسه للإجراءات بموجب قانون منع الجرائم " .

وقد كان للحادث صدى بعيد في أوساط الحركة الوطنية كلها ، إذ استنكرت الحادث ، واستهجنت سلوك السلطة بشرك المعتدين وتحريم أعمال « المساعدة القانونية » التي يقوم بها العرب . وردّت اللجنة التنفيذية العربية على بلاغ الحكومة برسالة إلى المندوب السامي بتاريخ ١٩٣٤/٨/١٨ وضعت فيها " مسؤولية هذه الحادثة على عاتق الحكومة والمعتدين " .

لم تتوقف عمليات حراسة الحدود والسواحل بل اتسع نطاقها واشتركت فيها مجموعات أخرى إلى جانب حزب مؤتمر الشباب العربي في محاولة لتطوير القدرة الذاتية العربية لمواجهة أساليب الصهيونية . فقد أصدرت اللجنة العربية (نواة الحزب العربي الفلسطيني *) بتاريخ ١٩٣٤/٨/١٨ أيضاً بياناً نددت فيه بالحادثة ، وبسلوك السلطة البريطانية وتخاذلها ، وانتقدت بلاغها

الرسمي ، وبيّنت ما فيه من تناقض ومحاباة للصهيونيين ، ثم دعت اللجنة في نهاية بيانها " لتوسيع نطاق مساعدة البوليس في حراسة الشواطىء والحدود ضد الهجرة اليهودية ، وتنظيمها تنظيما يكفل الدوام والكفاءة في العمل " . ووجهت الخطاب إلى " كل شاب مخلص من أبناء هذه الأمة " كي يتطوع من أجل " درج اسمه في سجل المحافظين متعهدا أن يلبي الدعوة للذهاب إلى أي نقطة يطلب منه الذهاب إليها " .

ظلّت الحكومة على موقفها في عرقلة جهود لجان الحراسة ومنعها من القيام بمهامها ، في حين تغاضت عن الهجرة الصهيونية وتسليح الصهيونيين وأعمالهم الإرهابية ضد العرب . وطُوي أمر اعتداء الصهيونيين على كشافة أبي عبيدة ، فلم تطبّق الحكومة على المستعمرة الصهيونية قانون العقوبات المشتركة ، ولا سعت الى القبض على المعتدين .

المراجــع :

ــ عيسى السفري : فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، يافا ١٩٣٧
ــ عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٠ .
ــ عبد الوهاب الكيالي (جمع) : وثائق المقاومة ، بيروت .
ــ كامل محمود خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٤ .
ــ جريدة الجامعة العربية ، القدس ١٩٣٤/٨/١٩ .

حــــرب : رَ : الاستنزاف السورية ـ الإسرائيلية
رَ : الاستنزاف المصرية ـ الإسرائيلية

حــــرب ١٩٤٨ :

هي الجولة العسكرية الأولى التي خاضها العرب مع الغزو الصهيوني لفلسطين وشاركت فيها الجيوش النظامية لخمس دول عربية هي مصر وسورية والأردن والعراق ولبنان . وقد بدأت في ١٩٤٨/٥/١٥ وانتهت بعقد اتفاقيات هدنة فردية مع الكيان الصهيوني (رَ : الهدنة الدائمة ، اتفاقية ــ) . وكان السبب المباشر لنشوب هذه الحرب تصميم الصهيونية والقوى الدولية المؤيدة لها على إقامة الدولة اليهودية في فلسطين بناء على قرار التقسيم (رَ : تقسيم فلسطين) الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٩٤٧/١١/٢٩ . وقد سعت الجيوش العربية إلى حماية الشعب العربي الفلسطيني من الاحتلال الصهيوني وتخليصه من الإرهاب والظلم اللذين حلّا به من جراء الغزوة الصهيونية وطغيانها . كما سعت ، في الوقت ذاته ، إلى إعادة الأمن والسلم إلى فلسطين .

قبل ذلك كانت جامعة الدول العربية قد عقدت اجتماعاً بتاريخ ١٩٤٧/٩/١٦ في صوفر (لبنان) تقرر فيه تقديم أقصى ما يمكن من الدعم العاجل لأهل فلسطين في حال إقرار التقسيم . ثم قررت في اجتماع آخر عقد في عاليه (لبنان) بتاريخ ١٩٤٧/١٠/١٥ (رَ : عاليه ، اجتماع) تقديم ما لا يقل عن عشرة آلاف بندقية مع ذخائرها إلى أهل فلسطين وتأليف لجنة عسكرية لإعداد الدفاع عن عروبة فلسطين وتنظيمه . وعند صدور قرار التقسيم ، وفي غمرة الهياج الشعبي ، دعت الجامعة إلى اجتماع عقد في القاهرة يوم ١٩٤٧/١٢/٨ حضره رؤساء وزراء الدول العربية وصدر في ختامه بيان جاء فيه : " إن الحكومات العربية لا تقرّ قرار الأمم المتحدة ، وتعتبر التقسيم باطلاً من أساسه ، وهي تقف إلى جانب استقلال فلسطين وسيادتها ، وستتخذ من التدابير الحاسمة ما هو كفيل بإحباط مشروع التقسيم وخوض المعركة من أجل ذلك " .

وهكذا أعلن العرب عزمهم على مقاومة التقسيم ، وفي الوقت نفسه عقد الصهيونيون عزمهم على إنشاء دولة يهودية في فلسطين بعد أن استمدوا قوة من قرار الأمم المتحدة . فهبّ عرب فلسطين ، من خلال جيش الجهاد المقدس * (٨ ـ ١٠ آلاف مقاتل) ، وبمساعدة جيش الإنقاذ * (٣ ـ ٤ آلاف مقاتل) ، يدافعون عن وطنهم ضد القوات الصهيونية التي بلغت آنذاك نحو ٦٧ ألف مقاتل . وقد اعتمدت هذه القوات في تسليحها على ما كانت تستورده من أوروبا وتحصل عليه من القوات البريطانية ، بالإضافة إلى صناعة بعض الأسلحة الخفيفة محلياً . وقد استعدّت القوات الصهيونية فحصّنت مستعمراتها تحصيناً قوياً ، ودرّبت سكانها على الدفاع الذاتي ضد أي هجوم عربي . وبدأت مرحلة من مراحل الصراع الدامي بين الجانبين تمثّلت بعمليات النسف والتدمير والإغارات . وكان البريطانيون يتظاهرون خلال هذا الصراع بالوقوف على الحياد ، في حين كانوا يدعمون عملياً المنظمات الإرهابية الصهيونية ويزوّدونها بالسلاح والذخائر .

أعلن دافيد بن غوريون يوم ١٩٤٨/٥/١٤ قيام (دولة إسرائيل) على شطر من أرض فلسطين العربية وشكّل حكومة مؤقتة لها . وسارعت الولايات المتحدة الأمريكية * إلى الاعتراف بها ، وتلاها الاتحاد السوفييتي * ، ثم توالت بقية الاعترافات من الدول الأخرى المؤيدة للصهيونية .

وقد أكدت لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين * آنذاك أن الحكومة البريطانية ، بوصفها الدولة المنتدبة ، اعتزمت سحب قواتها

العسكرية وإنهاء مهام قوة الشرطة الفلسطينية المحلية المؤلفة من عرب ويهود يوم ١٥/٥/١٩٤٨ ، على أن تترك معداتها وأسلحتها ومخازنها للسلطات التي تخلفها . والواقع أنه لم تكن هناك سلطة عربية فلسطينية تخلفها ، في حين كانت المنظمة الصهيونية قد وضعت خطة متكاملة استعداداً لمثل هذا الموقف ، فاستغلّت حالة الفراغ الناجمة عن انسحاب السلطات البريطانية لتستولي على جميع مخلفاتها من المعدات والسلاح والمؤسسات الإدارية والمنشآت . وإزاء هذا الوضع ، وإزاء تكرار الاعتداءات الوحشية الصهيونية على القرى العربية ، وتقاعس السلطات البريطانية عن تنفيذ واجباتها في الإشراف على الأمن وحفظه حتى قيام سلطة محلية ، لم يعد أمام الدول العربية معدى من التصدي لهذا الغزو الصهيوني الاستعماري لفلسطين بالقوة ، فاضطرت إلى دفع قواتها المسلحة النظامية لحماية شعب فلسطين من القتل والتشريد ، ولمنع التقسيم .



وقد أوضح الأمين العام لجامعة الدول العربية الأسباب التي حملت الحكومات العربية على التدخل العسكري في مذكرة بعث بها إلى الأمين العام للأمم المتحدة جاء في الفقرة السادسة منها :

" لذلك ، ونظراً لأن أمن فلسطين وديعة مقدسة في عنق الدول العربية ، ورغبة في وضع حد لهذه الحالة ، وفي منعها من أن تتفاقم وتتحول إلى فوضى لا يعلم مداها أحد ، ورغبة في منع انتشار الاضطراب والفوضى في فلسطين إلى البلاد العربية المجاورة ، وفي سد الفراغ الحادث في الجهاز الحكومي الفلسطيني نتيجة لزوال الانتداب وعدم قيام سلطة شرعية تخلفه ، فقد رأت حكومات الدول العربية نفسها مضطرة إلى التدخل في فلسطين لمجرد مساعدة سكانها على إعادة السلم والأمن وحكم العدل إلى بلادهم ، وحقناً للدماء " .

أ ـ الموقف العسكري قبيل بدء الحرب :

١) الجانب الصهيوني : إذا كانت الصهيونية قد وجدت في وعد بلفور * ١٩١٧ ، وفي صك الانتداب * ١٩٢٠ ، غطاء شرعياً لغزو فلسطين بهجرات يهودية متتالية ، فإنها اعتبرت قرار التقسيم دعوة شرعية لإقامة (الدولة) . وقد أدركت استحالة تحقيق ذلك بالطرق السلمية ، ولذا سارعت في استكمال استعداداتها لفرض دولتها بالقوة داخل حدود مؤقتة ، مردّدة شعار هاشومير * الذي نادى به بن غوريون : " بالدم والنار سقطت اليهودية ، وبالدم والنار سوف تعود من جديد " .

وكانت قيادة الهاغاناه * قد أكملت وضع تفاصيل خطة عسكرية للاستيلاء على أوسع مساحة ممكنة من فلسطين قبل انسحاب القوات البريطانية . وقد رمزت إلى هذه الخطة باسم الخطة الإسرائيلية « دال * » . وبإيعاز من الوكالة اليهودية * أعلنت التعبئة العامة بين القوات الصهيونية من مطلع نيسان ١٩٤٨ . وكان هذا القرار إيذاناً بالبدء بتطبيق الخطة دال . وانتقلت القوات الصهيونية إلى مرحلة الهجوم ، وتمكّنت خلال شهر ونصف ، أي حتى تاريخ ١٥/٥/١٩٤٨ ، من السيطرة على المنطقة المخصصة للدولة اليهودية بموجب قرار التقسيم ، بالإضافة الى مناطق أخرى خارج حدودها ، وأصبحت على استعداد للتصدي للقوات العربية النظامية عند تدخلها لنجدة عرب فلسطين . وقد توزعت القوات العسكرية الصهيونية على الشكل التالي : ٤٠ ألف مقاتل جيد التسليح من الهاغاناه والبالماخ * وهاشومير * ، وقوات ميدانية مدربة تتمتع بقدرة حركية كبيرة تعدادها ١٦ ألف مقاتل ، وقوة ضاربة خفيفة الحركة عالية التدريب من البالماخ تبلغ ٦ آلاف مقاتل ، بالإضافة إلى قوات العصابات الإرهابية من الإرغون * وشتيرن ونيللي البالغة ٥ آلاف مقاتل موزعين على عشرة ألوية في كل منها ثلاث كتائب على رأسها قادة مؤهلون في دورات عسكرية على مختلف المستويات . وهكذا كانت القوات الصهيونية عند بدء الحرب المعلنة جاهزة عسكرياً ، سواء من ناحية العدد أو التدريب أو التسليح ، وقد سيطرت على أهم المناطق الاستراتيجية في فلسطين .

٢) الجانب العربي : أصرّت بريطانيا ، رغم الموقف الأمني المتدهور في فلسطين واستمرار مناقشة الوضع في الأمم المتحدة ، على تنفيذ قرارها بالانسحاب النهائي من فلسطين بتاريخ أقصاه ١٥/٥/١٩٤٨ . وكانت واثقة من نجاحها في إقرار التقسيم في النهاية حتى بعد تغيّر مواقف بعض الدول منه . ونظراً لاقتناعها بعدم قدرتها على فرضه بالقوة مع وجود المقاومة العربية العنيدة المتصاعدة ، وضعت مخططاً جديداً يتلخص في تمكين العصابات الصهيونية من الاستيلاء على أكبر عدد من القواعد والمعسكرات البريطانية في فلسطين خلال فترة وجود القوات البريطانية ، وبدعم منها ، مع خلق الظروف الدافعة للعرب إلى الجلاء عن المناطق التي

رأت بريطانيا أنها ضرورية لقيام الدولة اليهودية ولتحقيق سلامتها ، وانتزاع قيادة الكفاح العربي من الشعب الفلسطيني ومن هيئته الوطنية ونقله إلى قيادة يمكن لبريطانيا توجيهها والهيمنة على تصرفاتها . وتنفيذاً لهذا المخطط بدأت القوات البريطانية تنسحب على مراحل اعتباراً من يوم ١٩٤٨/٢/١٩ . ولم تُتِمّ عملية الانسحاب من المناطق العربية واليهودية في آن واحد ، وإنما بدأت الجلاء عن المناطق اليهودية مع تسليم السلطات الإدارية إلى الوكالة اليهودية ، بالإضافة إلى تسليمها المعسكرات والمستودعات والمطارات . وأما في المناطق العربية فقد ظلت جميع القوات البريطانية ، حتى آخر أيام الموعد المحدد للانسحاب ، تمارس صلاحياتها واضطهادها الشعب العربي الفلسطيني واستعداداته العسكرية للدفاع عن نفسه أمام الهجمات المنظمة التي أخذت القوات الصهيونية تشنها على السكان العرب . وقاومت السلطات البريطانية إدخال الأسلحة إلى المناطق العربية ودخول المتطوعين العرب إلى فلسطين . وبالتالي كانت القوات العربية الفلسطينية الموجودة في فلسطين قبل الحرب مقتصرة على المناضلين المحليين الذين يفتقرون إلى السلاح والذخيرة والقيادات الفعّالة الخبيرة والقيادة الموحدة التي تنظم عملياتهم وتوجهها ، بالإضافة إلى تعرضهم للملاحقة والسجن أو الإبعاد من قبل السلطات البريطانية . وفي الوقت الذي كانت القوات الصهيونية تزداد قوة واستعداداً وتوسُّع مناطق احتلالها ، كانت المقاومة الفلسطينية تضعف وتتقلّص وتخسر القدرة على المبادأة وتتحول إلى الدفاع في محاولات يائسة للمحافظة على مواقعها .

ب ـ القوات النظامية العربية التي دخلت فلسطين :

١) الجيش المصري : بقيادة اللواء أحمد علي المواوي . وقد بلغ عدد أفراد الوحدات المصرية خمسة آلاف مقاتل ضمن مجموعة لواء مشاة واحدة مؤلفة من ثلاث كتائب مشاة وسرية مدرعة ولواء مدفعية ميدان . ولم تستكمل هذه الوحدات تدريبها إلا على مستوى الفصائل والسرايا فقط .

٢) الجيش الأردني : بقيادة الجنرال جون باجوت غلوب (بريطاني) . ويبلغ تعداده ٤,٥٥٠ مقاتلاً موزعين على أربع كتائب ميكانيكية ضمن ملاك لواءين وبطاريتي مدفعية ميدان في كل منها أربعة مدافع .

٣) الجيش العراقي : بقيادة الزعيم محمد الزبيدي ، وعدده ٢,٥٠٠ مقاتل موزعين على كتيبة مدرعة ، وفوج مشاة آلي ، وفوجَيْ مشاة ، وكتيبة مدفعية ميدان ، وبطارية مدفعية مضادة للطائرات .

٤) الجيش السوري : بقيادة العقيد عبد الوهاب الحكيم . وقد بلغ عدد أفراده ١,٨٧٦ مقاتلاً ضمن كتيبتي مشاة وكتيبة مدفعية ميدان .

٥) الجيش اللبناني : بقيادة الزعيم فؤاد شهاب . وكان مؤلفاً من ألف مقاتل ضمن كتيبة مشاة وبطارية مدفعية ميدان .

وبهذا يبلغ مجموع القوات العربية النظامية التي دخلت فلسطين يوم ١٩٤٨/٥/١٥ حوالي ١٤,٩٢٦ مقاتلاً ضمن ١٢ كتيبة مشاة أو ميكانيكية . وقد زاد حجم بعض الجيوش مع استمرار الحرب ، في حين بقي حجم بعضها الآخر ثابتاً أو تناقص . وقد أوكلت جامعة الدول العربية يوم ١٩٤٨/٥/١٠ قيادة هذه القوات إلى ملك الأردن عبد الله تساعده هيئة أركان عامة .

ويبدو واضحاً أن إطلاق اسم الجيوش على هذه القوات لا ينسجم مطلقاً وحجمها ، إذ لم يتجاوز حجم بعضها الكتيبة الواحدة ، وحجم أكبرها اللواءين . أما درجة استعدادها للحرب فقد أجمع رؤساء أركان الجيوش العربية آنذاك على أن قواتهم غير مستعدة لخوض الحرب ، سواء من حيث التدريب أو من حيث التسليح . وفي الوقت نفسه لم تكن هناك خطة عمل واضحة لهذه الجيوش مجتمعة أو منفردة . واقتصر الأمر على إسناد مهمة حربية لكل جيش . وكانت المهام على النحو التالي :

١) الجيش اللبناني : يحتشد حول منطقة رأس الناقورة ، ومن ثمّ يتقدم على امتداد الساحل ، ويحتل نهاريا * ، ثم يتابع تقدمه نحو عكا * .

٢) الجيش السوري : يحتشد في منطقة بانياس وبنت جبيل ، ويتحرك عبر الحدود الفلسطينية نحو صفد * ـ الناصرة * ـ العفّولة * .

٣) الجيش العراقي : يتحرك من منطقة تحشّده غربي إربد ، ويعبر نهر الأردن * نحو غور بيسان والعفّولة .

٤) الجيش الأردني : وقد كلف دفع لواء منه نحو نابلس * في الوقت الذي يتقدم فيه لواء ثان نحو باب الواد عن طريق رام الله * . ومن هناك ، وبعد التقاء اللواءين ، يتجهان نحو الساحل لاحتلال الخضيرة وناتانيا * فتتشطر القوات الصهيونية إلى شطرين .

٥) الجيش المصري : كان على الجيش المصري أن يجتاز الحدود الفلسطينية عند رفح * والعوجا * ثم يزحف للاستيلاء على المجدل وبير السبع * .

غير أن هذا كله تعرّض لتعديل جذري . فبعد أن تمّ إقرار هذه المهام ، وبدأت القيادات العسكرية العربية تنفذ التدابير والتحركات اللازمة ، أصدر الملك عبد الله ، بصفته القائد العام للجيوش العربية ، يوم ١٩٤٨/٥/١٣ ، أي قبل دخول القوات العربية إلى فلسطين بيومين ، وبناء على توصية من الجنرال غلوب ،

قد حشدت كامل طاقاتها المحلية والدولية لخدمة أهدافها الإستراتيجية بالتعاون مع الدول العظمى نفسها .

المراجـع :

ـ هنري كتن : فلسطين في ضوء الحق والعدل ، بيروت ١٩٧٠ .
ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر : الموسوعة العسكرية ، بيروت ١٩٧٧ .
ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية : العسكرية الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٢ .
ـ حسن البدري : الحرب في أرض السلام ، بيروت والقاهرة ١٩٧٦ .
ـ وزارة الإرشاد القومي : ملف الوثائق الفلسطينية ، القاهرة ١٩٦٦ .
— Dupuy, T.N.: **Elusive Victory**, New York 1978.

حـــرب ١٩٥٦ :

جعلت ثورة ١٩٥٢/٧/٢٣ في مصر إقامة جيش وطني قومي أحد أهدافها الستة . وأخذت قيادة الثورة تعيد تنظيم الجيش ، وتزوّده بأحدث الأسلحة ، وتدرّبه على أنجح الأساليب والطرائق القتالية الحديثة . وهكذا عقدت مصر في أيلول ١٩٥٥ مع الاتحاد السوفيتي وبعض الدول الاشتراكية صفقات لشراء الأسلحة . وتبع ذلك تأميم مصر قناة السويس في ١٩٥٦/٧/٢٦ . وحينذاك قررت فرنسا وإنكلترا (وإسرائيل) التعاون في القيام بعدوان على مصر . وكان لكل طرف من هذه الأطراف الثلاثة هدف خاص به يسعى إلى تحقيقه من وراء العدوان . لقد وجدت (إسرائيل) في تسلح الجيش المصري سببا يخلّ بتوازن القوى القائم آنذاك . كما أن توجيه ضربة قوية إلى مصر ستؤدّي إلى وضع حد لعمليات الفدائيين الفلسطينيين المنطلقة من قطاع غزة (ر : غزة ، العمل الفدائي من ـ) . وهدفت فرنسا إلى إنزال الضرر بمصر لدعمها الثورة الجزائرية ، ولتأميمها شركة القناة . وسعت إنكلترا إلى جانب الانتقام من التأميم ، إلى استعادة مركزها السابق في مصر قبل ثورة تموز (يوليه)

تلاقت هذه القوى الثلاث على تحقيق أهدافها . واجتمع ممثلوها في ضاحية سيفر (قرب باريس) ، ووقّعوا على بروتوكول سرّي ينظّم عملية العدوان ويحدد واجبات ومسؤوليات كل طرف من الأطراف الثلاثة وفق الخطة التالية :

١) يقوم الجيش الإسرائيلي بخلق حالة صراع مسلح محدود على مشارف قناة السويس لتستغلها إنكلترا وفرنسا كذريعة للتدخل العسكري ضد مصر ، على أن تسعى (إسرائيل) إلى ألّا يبدو عملها العسكري لخلق الذريعة كبير الحجم بالدرجة التي قد تدفع مصر إلى توجيه قوتها الرئيسة فتنفرد بذلك (بإسرائيل) وتوقع بها الضرر البليغ قبل أن تدركها حليفتاها إنكلترا وفرنسا بعد انصرام ٣٦ ساعة من بدء هذا القتال .

٢) تـوفّر القوات الجوية والبحرية الفرنسية الحماية لسماء (إسرائيل) ومياهها الإقليمية .

٣) بانقضاء ٢٤ ساعة على خلق الذريعة تصدر بريطانيا وفرنسا إنذارا مشتركا لكل من مصر (وإسرائيل) بوقف القتال والابتعاد عن قناة السويس مع قبول مصر احتلال القناة مؤقتا لحماية الملاحة البحرية العالمية فيها .

٤) بانقضاء ١٢ ساعة على الإنذار ، الذي صيغت كلماته بما لا يدع لمصر سبيلا إلى قبوله تقوم القوات الجوية الإنكليزية والفرنسية بتدمير الغطاء الجوي المصري والأهداف الحيوية لتحقيق السيطرة


الانزال البريطاني في بور سعيد ١٩٥٦

الجوية على سماء مصر ، بينما ينطلق الجيش الإسرائيلي في أعماق سيناء ليستدرج القوات البرية المصرية الرئيسة إلى شرك مدبر ينصبه لها هناك .

٥) بعد انقضاء ٧ أيام ، تعتبر كافية لإنجاز (إسرائيل) مهمتها على الوجه الأكمل ولاستغلال إنكلترا وفرنسا لها في شنّ حملة حرب نفسية عارمة ضد مصر بكل وسائل الإعلام المتوافرة ، يبدأ الغزو الإنكليزي والفرنسي لاحتلال قناة السويس وقطع خط الرجعة على جيش مصر الذي يكون قد تم استدراجه إلى سيناء تمهيدا للقضاء عليه هناك . وبهذا تجد الحكومة نفسها في القاهرة بغير جيش يحميها

٦) خلال كل هذه الأحداث تبذل فرنسا جهدها في الدفاع عن موقف (إسرائيل) في الأمم المتحدة ، كما تبذل إنكلترا جهودها

لمساندة (إسرائيل) سرا دون الكشف عن ذلك علانية حتى لا يضارّ مركزها في العالم العربي .

وضع الأطراف الثلاثة خطة العدوان التي أسموها « موسكيتو » ، وقد حدد فيها حجم القوات المكلفة تنفيذ العمليات الحربية بالشكل التالي :

١) (إسرائيل) : ١٨ لواء مشاة - ٣ ألوية مدرعات - ١٠ كتائب ناحال - ١٦ كتيبة مدفعية - ١٩٢ طائرة مقاتلة - ٥٠ طائرة قاذفة .

٢) إنكلترا : ٤٥ ألف جندي - ١٢ ألف عربة - ٣٠٠ طائرة - ١٣٠ سفينة حربية منها ٥ حاملات طائرات .

٣) فرنسا : ٣٤ ألف جندي - ٩٠٠ عربة - ٢٠٠ طائرة - ٣٠ سفينة حربية منها حاملتا طائرات وبارجة وثلاثة طرادات

وخصصت إنكلترا وفرنسا قواعدهما في قبرص ومالطة والجزائر وجنوبي الجزيرة البريطانية وجنوبي فرنسا لحشد قوات الغزو تمهيدا لدفعها عبر البحر المتوسط إلى شواطىء بور سعيد .

كما اتفقت الدولتان على تشكيل قيادة مشتركة بينهما ، عُيّن لرئاستها يوم ١٩٥٦/٨/١١ الجنرال تشارلز كيتلي قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط آنذاك . كما عين نائب فرنسي لكل قائد عام بريطاني وضع على رأس أحد الفروع الرئيسة لقوات الغزو .

وفي ١٩٥٦/١٠/٢٥ أصدرت القيادة المشتركة قرارا بأن تبدأ (إسرائيل)عصر يوم ١٩٥٦/١٠/٢٩ العدوان خلق الذريعة ،وذلك بإسقاط كتيبة مظلات فوق ممر متلا في سيناء ، على أن يعقب ذلك صدور الإنذار الإنكليزي - الفرنسي يوم ٣٠ تشرين الأول ، ثم وقوع الضربة الجوية في اليوم التالي ، وأخيرا انطلاق الجيش الإسرائيلي إلى داخل سيناء. فإذا نجح الجيش الإسرائيلي في احتلال المنطقة الأمامية حول رفح * والعريش والقسيمة وجبل لبنى كمهمة مباشرة على جبهة عرضها ٤٠ كم وعمقها ٨٠ - ٩٠ كم طوّر الجيش الإسرائيلي هجومه ، واستغل نجاحه ، وواصل تقدمه حتى يصل إلى مشارف الضفة الشرقية لقناة السويس ليحمي الجانب الأيسر للهجوم الإنكليزي - الفرنسي على جبهة عرضها ٥٠ كم وعمقها ١٥٠ كم . وخلال ذلك تطلق وسائل الإعلام الإنكليزية والفرنسية حملتها النفسية والإعلامية ضد مصر قبل أن تنقض قوات الغزو البحري على شاطىء بور سعيد يوم ١٩٥٦/١١/٧ وتنطلق في تقدمها على امتداد قناة السويس حتى الإسماعيلية . وتتابع قوات الغزو عملياتها حسب وضع الجبهة الداخلية في مصر ، فإذا سقط الحكم في القاهرة استمرت القوات في تقدمها حتى تكمل سيطرتها على القناة بكاملها . وأما إذا صمد الحكم فإن على القوات أن تندفع نحو جنوبي القاهرة لتكون المعركة الحاسمة حولها ، وتعمل لقطع خط الرجعة على جيش مصر الذي يفترض أنه سينسحب أمام الهجوم الإسرائيلي ، هذا إذا لم يُقضَ عليه في صحراء سيناء .

ضرب الأطراف الثلاثة سياجا من السريّة والكتمان حول ما اعتزموه من عدوان ، كما اهتموا برسم خطة للخداع الاستراتيجي والتكتيكي يتم تنفيذها جنبا إلى جنب مع خطة موسكيتو .

لقد التزمت أطراف العدوان الثلاثي بأسلوب الحرب المحلية المحدودة زمانا ومكانا وحجما وهدفا ، وذلك بشن الهجوم الاستراتيجي الثانوي عبر سيناء بواسطة (إسرائيل) ، والهجوم الرئيس عبر قناة السويس بواسطة إنكلترا وفرنسا ، مع اتخاذ الحيطة والحذر لئلا يفلت الزمام وتتحول عمليات العدوان إلى حرب عالمية .

وفي الجانب الآخر كانت مصر إثر تأميم قناة السويس واستعادتها سيادتها الوطنية عليها قد أدركت الأخطار التي برزت بوضوح كاف في مطلع آب ١٩٥٦ ، مما استدعى أن تدخل تغييرا جذريا على الهيكل العام لاستراتيجيتها الدفاعية طبقا لتقدير موقف جديد أساسه انتقال منطقة الخطر الرئيس من شبه جزيرة سيناء إلى قناة السويس ، وذلك بعدما تزايدت احتمالات دخول بريطانيا وفرنسا إلى حلبة القتال بمجرد أن تبدأه (إسرائيل) .

ولقد ترتب على ذلك تخفيف القوات المصرية في شبه جزيرة سيناء إلى الحد الذي يكفي لردع (إسرائيل) عن التورط في مغامرة لحسابها الخاص ، ليتسنّى تركيز الجهد الرئيس للقوات المسلحة المصرية على الدفاع الاستراتيجي عن المثلث الحيوي بور سعيد - السويس - القاهرة ، وتعزيز الدفاع الشعبي فيه ، مع حشد الاحتياطات العامة القوية حول منطقة القاهرة الكبرى والاستعداد للعمل على خطوط داخلية ، وتخصيص أكبر جهد للدفاع الجوي ولدعم العمليات الدفاعية .

وكان معنى ذلك أن سياسة الدفاع المصري اقتنعت بأن مصدر التهديد الرئيس لأمن الدولة قد أصبح الخطر الإنكليزي - الفرنسي الذي قد يستهدف منطقة القناة . ولذلك صدرت الأوامر بوضع الخطط لإقامة جبهات دفاعية قوية ذات اكتفاء ذاتي قتالي وإداري ، مع استمرار تأمين خطوط المواصلات فيما بينها للمناورة بالقوات والإمكانات طبقا لتطورات الموقف .

وفي ١٩٥٦/٩/١ تمّ تقسيم الجمهورية - عدا الوجه القبلي - إلى ست جبهات هي : جبهة سيناء ، وجبهة خليج العقبة ، وجبهة القناة وشرقي الدلتا ، وجبهة الدلتا ، وجبهة الإسكندرية ، وجبهة القاهرة . وقد وضعت جبهات سيناء والقناة وشرقي الدلتا تحت أمرة القيادة الشرقية التي أوكل إليها مهام إدارة الدفاع عن قطاع غزة وجبهة سيناء لاستنزاف القوات الإسرائيلية إذا ما شنّت العدوان ،

بالإضافة إلى إعداد جبهة القناة وشرقي الدلتا لمواجهة أي هجوم جوي أو بحري انكليزي ـ فرنسي وتأمين حركة المرور في قناة السويس .

أوكل إلى جبهة شرقي الدلتا بصورة خاصة مهمة تنسيق جهود المقاومة الشعبية مع قوات الجيش التي تعمل على مختلف الجبهات المجاورة ، ومداومة قطع خطوط مواصلات العدو ، وإزعاج مؤخرته على محور الإسكندرية ـ القاهرة ، أو الإسماعيلية ـ القاهرة ، أو السويس ـ القاهرة ، بشنّ الغارات الجريئة ضده . وقد وضع تحت قيادتها ٣٥ ألف متطوّع انتظموا في ١٧٥ كتيبة مقاومة شعبية و٢٤ كتيبة شباب و٣ ألوية من جيش التحرير الوطني

تمّ توزيع القوات المسلحة المصرية ، البرية والجوية والبحرية ، على مختلف الجبهات والمحاور المتوقعة للعمليات ، وحددت لها مهامها بشكل يحقق أهداف الخطة الدفاعية . واستبقت القيادة العامة جزءاً من هذه القوات كاحتياطي تحت تصرفها تستخدمه حسب الحاجة وتطور الموقف الميداني .

ويبيّن الجدول المرفق حجم القوات المصرية والقوات المعادية (الإسرائيلية ـ الإنكليزية ـ الفرنسية) التي اشتركت في العمليات . كما يبين مدى الخلل الاستراتيجي في ميزان القوى لصالح قوات العدوان :

إن نظرة إلى هذا الجدول تبين مدى اختلال الميزان الاستراتيجي

البيـــان	القوات المصرية	قـوات الـعدو				المقارنـة	
		إنكلترا	فرنسا	إسرائيل	المجموع	مصر	العدو
قوات بريـة							
ألوية مشاة وألوية مدرعة	١٢	١٢	٥	٢١	٣٩	١	٣.٣
دبابات	٣٠٠	٤٠٠	١٠٠	٢٥٠	٧٥٠	١	٢.٥
مدافع ميدان ومدافع هاون	٧٧٦	١,٣٠٠	٢٢٠	٩٩٠	٢,٥١٠	١	٣.٢
قوات بحـريـة							
بارجة	—	—	١	—	١		
حاملة طائرات	—	٥	٢	—	٧		
طـراد	—	٦	٢	—	٨		
مـدمـرة	٢	١٤	٤	٢	٢٠	١	١٠
فرقاطـة	٧	٧	٨	٥	٢٠	١	٣
غواصـة	—	٧	٢	—	٩		
زوارق طوربيـد	٢٤	—	—	٢٢	٢٢	١	٠.٩
سفـن أخـرى	٤٠	٩٤	١٤	٢٦	١٣٤	١	٣.٤
قـوات جويـة							
سرب مقاتـلات	٧	١٠	٩	٩	٢٨	١	٤
سرب قاذفـات مقاتلة	١	١٥	٣	٧	٢٥	١	٢٥
سرب قاذفات	٢	١٩	—	٤	٢٣	١	١١.٥
سرب نقل جـوي	٣	٧	٩	٣	١٩	١	٦
سرب استطـلاع	—	٣,٥	٣	٣	٩.٥		
سرب حوامات اقتحام (هيلوكوبتر)	—	٢	—	—	٢		
سرب إمداد واتصال جوي	١	١	٢	٢	٥	١	٥

للقوى ضد مصر ، وهو أهم ما حرصت (إسرائيل) على تحقيقه كشرط لدخولها في عملية العدوان ، لإدراكها أن هذه الحرب تشكل ، بالنسبة إلى الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية *، مرحلة وسيطة بين استراتيجية الإغارات الانتقامية التي مارستها قبل ذلك واستراتيجية الحرب الشاملة القادمة . ومن هنا كانت ضرورة اعتمادها على التواطؤ مع إنكلترا وفرنسا لتغطية مخاطر مرحلة الانتقال هذه عن طريق توفير التفوق العددي الساحق والسيطرة الجوية الكاملة . غير أن عدم توحيد قيادة دفة الحرب توحيدا كافيا ، إمعانا من إنكلترا في إخفاء التواطؤ ، أضعف الترابط والتنسيق بين القوات الإسرائيلية والقوات الإنكليزية والفرنسية . وقد أدى ذلك إلى تعرض خطة العدوان ، أثناء التنفيذ ، إلى عدة هزات صبغت سير العمليات بالبطء حينا وبالجمود حينا آخر أمام المواقف السريعة التطور

واجهت مصر العدوان تحت قيادة وطنية وجبهة متحدة التحمت فيها قواتها المسلحة مع قوى النضال الشعبي ، تساندها طاقات الوطن العربي ، وتشد أزرها قوى التحرر والتقدم والسلام في مختلف أرجاء العالم .

جرت الحرب من وجهة نظر الاستراتيجية المصرية وطبقا لتطوراتها السياسية والعسكرية في أربع مراحل رئيسة هي :

المرحلة الأولى : حصر العدوان الإسرائيلي والاستعداد لتدميره .

المرحلة الثانية : النضال من أجل تحقيق التوازن الاستراتيجي في مسرح الحرب .

المرحلة الثالثة : الصراع في اتجاه المجهود الرئيس .

المرحلة الرابعة : تصعيد الجهود السياسية والعسكرية حتى انسحاب قوات العدوان .

١) المرحلة الأولى : حصر العدوان الإسرائيلي والاستعداد لتدميره : دام الصراع المسلح خلال هذه المرحلة ٤٧ ساعة ، وبدأ في الساعة الخامسة عصر يوم الاثنين ٢٩/١٠/١٩٥٦ عندما بدأت ١٦ طائرة داكوتا إسرائيلية بإنزال كتيبة المظلات ٨٩٠ فوق ممر متلا لتخلق ذريعة التدخل الإنكليزي ـ الفرنسي فيما بعد ، واستمر حتى الساعة الرابعة عصر يوم الأربعاء ٣١ تشرين الأول عندما تأكدت القيادة المصرية من نية إنكلترا وفرنسا العدوان عليها .

وقد حرصت القيادة الإسرائيلية على إنزال جنود المظلات في منطقة تخلو من القوات المصرية على مسافة ٦٥ كم شرقي القناة ، ثم زجت على أثرها اسم قناة السويس في بيان أذاعه المتحدث الرسمي للجيش الإسرائيلي في الساعة التاسعة مساء ٢٩ تشرين الأول ليوهم العالم بوجود حالة صراع مسلح على مشارف القناة تعرّض الملاحة الدولية فيها للخطر .

وقعت في هذه المرحلة عدة معارك محدودة بين اللواء الإسرائيلي المظلي ٢٠٢ الذي عبر الحدود الشرقية عند الكنتيلة في آخر ضوء من يوم ٢٩ تشرين الأول ليدرك ويدعم الكتيبة ٨٩٠ الهابطة في متلا واللواء الثاني الآلي المصري الذي اصطدم اللواء الإسرائيلي بمواقعه في الكنتيلة والتمد ونخل . وقد تابع اللواء الإسرائيلي تقدمه فوصل في الساعة ٢٢,٣٠ من يوم ٣٠ تشرين الأول إلى منطقة صدور الحيطان وانضمّ إلى الكتيبة ٨٩٠ .

وكانت القيادة الشرقية المصرية عند سماعها نبأ إنزال كتيبة المظلات ٨٩٠ الإسرائيلية قد أمرت لواء المشاة الثاني بعبور القناة ، والتوجّه نحو ممر متلا للقضاء على القوة المعادية . ولكن طلائع اللواء لم تصل إلى المنطقة المقصودة حتى الساعة السادسة من صباح ٣٠ تشرين الأول بسبب كثافة القوافل البحرية التي كانت تعبر القناة طوال ليلة ٢٩ ـ ٣٠ تشرين الأول ، وإعطاء القيادة السياسية الأسبقية الأولى لها كضرورة سياسية ، مع قصر عبور القوات المصرية على الفواصل الزمنية بين هذه القوافل .

وفي الوقت نفسه كان لواء الاستطلاع المدرع الثاني يعبر القناة من منطقة الإسماعيلية ويجري مناورة تطويق واسعة عبر وادي المليز ليصل إلى مؤخرة جنود المظلات في صدور الحيطان حيث يقوم بتدميرها بالتعاون الوثيق مع لواء المشاة الثاني الذي يقوم بمقاتلة العدو قتالا جبهيا .

ومع أول ضوء من نهار ٣٠ تشرين الأول تعرضت كتيبة المظلات ٨٩٠ الإسرائيلية لغارات جوية مصرية عنيفة ، كما هاجمت الطائرات المصرية عناصر اللواء المظلي ٢٠٢ المتقدمة على محور الكنتيلة ـ نخل .

وفي مواجهة مواقع لواء المشاة السادس المصري في أبي عجيلة قام لواء المشاة الرابع الإسرائيلي في منتصف الساعة العاشرة من صباح ٣٠ تشرين الأول بحركة التفاف من الموجة مرورا بالقسيمة للوصول إلى الجناح الأيمن لدفاعات أم قطف .

ورغم أن خطة موسكيتو المعدلة كانت تقضي بعدم التورط في قتال واسع النطاق قبل أن تقع الضربة الجوية الإنكليزية ـ الفرنسية يوم ٣١ تشرين الأول لتتمّ جميع الأعمال الإسرائيلية الرئيسة في جو التفوق الجوي ، فإن القائد الإسرائيلي تعمّد الخروج على هذه التعليمات فدفع اللواء المدرع السابع لدعم لواء المشاة الرابع في هجومه على دفاعات أم قطف . ولكن القوات المصرية صدّت هذا الهجوم ، وأوقعت بالعدو خسائر كبيرة ، مما اضطر اللواء المدرع السابق إلى قطع الاشتباك والتحول نحو الغرب في اتجاه الحسنة .

وطوال يوم ٣٠ تشرين الأول نشط الطيران المصري فوق سيناء ، وكال الضربات المركزة للأرتال الإسرائيلية المتحركة فوق



الانسحاب البريطاني من بور سعيد

محاورها الجنوبية والوسطى ، كما قصف مطارات عفير وقسطينة ورامات داقيد وسان جين الإسرائيلية .

وفي الساعة السادسة من مساء ٣٠ تشرين الأول صدر الإنذار الإنكليزي - الفرنسي المشترك الذي لم يكن سوى دعوة صريحة (لإسرائيل) كي تكمل احتلال سيناء .

وعندما تأخر وقوع الضربة الجوية الإنكليزية - الفرنسية صباح ٣١ تشرين الأول طبقا لبروتوكول سيفر جزع بن غوريون رئيس وزراء (إسرائيل) آنذاك على مصير قواته في سيناء فأصدر أمرا بسحبها خلف الحدود .

وأخذت القيادة العامة الإسرائيلية تضع خطة الانسحاب الشامل من سيناء ، في حين كانت القيادة الشرقية المصرية قد أتمت التحضير للضربة المضادة التي اعتزمت أن تقضي بها على قوات العدو التي اخترقت الحدود ، وحددت لها غروب شمس ٣١ تشرين الأول . غير أن بيانات حكومتي إنكلترا وفرنسا أمام مجلسيهما النيابيين كشفت عن اعتزامهما القيام بعمل عدائي ضد مصر ، كما أن زيادة نشاط قواتها الجوية في المنطقة ، واتخاذ أساطيلهما أوضاعا مريبة قرب المياه الإقليمية المصرية ، ومدهما يد المساعدة (لإسرائيل) في عملية أسر المدمرة إبراهيم الأول ، وموقف مندوبيهما في مجلس الأمن ، وتأييدهما المطلق لعدوان (إسرائيل) ، والتهديد باستخدام النقض (الفيتو) لصالحها ، كل ذلك كان دليلا كافيا للقيادة المصرية على قرب تدخلهما في الحرب الدائرة لعزل سيناء عن مصر على امتداد قناة السويس ، وللقضاء على قوات مصر المسلحة التي استدرجها العدوان الإسرائيلي هناك ، وبذلك يصبح الطريق مفتوحا إلى قلب مصر .

وكانت التجربة التاريخية التي أكدت للقيادة السياسية المصرية دور (إسرائيل) الاستعماري من أهم العوامل التي ساعدتها على اكتشاف التواطؤ الثلاثي مبكراً ، فأصدر الرئيس جمال عبد الناصر * توجيهاته بوقف جميع أنواع النشاط العسكري التي تهدف إلى دفع قوات جديدة إلى سيناء مع الاستعداد لإعادة التوازن الاستراتيجي إلى المسرح بحشد القوات الرئيسة المصرية على جبهة المجهود الرئيس الجديد في مواجهة الغزو الإنكليزي - الفرنسي المنتظر . وقد صدرت هذه التوجيهات في الساعة الرابعة من عصر ١٩٥٦/١٠/٣١ فوضعت النهاية للمرحلة الأولى من الحرب .

٢) المرحلة الثانية : النضال من أجل تحقيق التوازن الاستراتيجي في مسرح الحرب : كانت الساعة السابعة من مساء ١٩٥٦/١٠/٣١ اللحظة الحاسمة في سجل العدوان الثلاثي ، إذ كشفت القنابل التي انهالت من الطائرات الإنكليزية والفرنسية على مصر عن خطة المؤامرة الثلاثية ضلعا وأبعاد العدوان الامبريالي الصهيوني المبيت لها . لذلك صدر في الساعة ٢٢,٠٠ من اليوم ذاته قرار حشد القوات المصرية غربي قناة السويس لتحقيق التوازن الاستراتيجي في مسرح الحرب ، ومقابلة الغزو الإنكليزي - الفرنسي المتوقع ، مع تركيز حشد القوات المسلحة المصرية وقوى النضال الشعبي داخل المثلث الحيوي بور سعيد - القاهرة - السويس . وبصدور هذا القرار تحولت الصورة العامة للحرب من صراع عسكري محدود إلى حرب تحرير شعبية قوامها القوات المسلحة ومنظمات المقاومة المصرية الشعبية .

وما أن بدأ العدوان الثلاثي ، وانكشفت خططه ، حتى التأمت قلوب الأمة العربية جمعاء حول مصر وقيادتها ، ووقفت الدول العربية مؤيدة لمصر في نضالها ضد العدوان وأطرافه ، واتخذت من التدابير ما هي قادرة عليه في تلك المرحلة ، ووضعت سورية إمكاناتها وجيشها تحت تصرف القيادة المصرية ، وتم نسف أنابيب النفط العراقي التي تملكها شركات أجنبية وتمر في الأراضي السورية كوسيلة للضغط على فرنسا وإنكلترا المعتديتين . وأعلن عدد كبير من الدول في العالم ، وبخاصة الدول الإسلامية والإفريقية والاشتراكية ، شجبها واستنكارها للعدوان ، ووقفت إلى جانب مصر في نضالها . وأيدتها حينما بحثت الأمم المتحدة العدوان والتدابير الواجب اتخاذها لوقفه وإزالة آثاره

تركز النشاط العسكري خلال هذه المرحلة حول تنفيذ قرار إيقاف الأعمال التعرضية بمنطقة سيناء الاستراتيجية ، ثم قرار إخلائها لتوحيد الجبهة الرئيسة غربي القناة . وقد استغرق ذلك كله نحو ٨٦ ساعة ، فيما بين الساعة ١٦,٠٠ من يوم ٣١ تشرين الأول والساعة ٦,٠٠ من صباح يوم ٤ تشرين الثاني . وقد تصاعد نشاط العناصر الفدائية لتغطية عملية إخلاء سيناء ، كما تم نقل القوات

الجوية من قواعدها المعرضة في المناطق الأمامية إلى قواعد أكثر أمنا في الداخل ، ثم إلى قواعد في أقطار عربية ، وتوضّعت وحدات الأسطول المصري داخل القواعد البحرية . وتعرضت مصر على امتداد هذه المرحلة للضرب الجوي الإنكليزي - الفرنسي المركز ، كما شنّت الدعاية الامبريالية الصهيونية حربا نفسية لم يسبق لها مثيل من حيث العنف ودرجة الاستمرار وحجم الوسائل المستخدمة .

وعندما سقطت القنابل الإنكليزية - الفرنسية على مصر اطمأن بن غوريون إلى احترام إنكلترا وفرنسا لشروط التواطؤ ، ولهذا ألغى أمره السابق بسحب قواته من سيناء .

دارت معركة ضارية في منطقة ممر متلا بين لواء المظلات الإسرائيلي ٢٠٢ ولواء المشاة الثاني المصري امتدت أكثر من ٧ ساعات تلاحم فيها الطرفان بالسلاح الأبيض ، وتكبدا خسائر فادحة . وفي نهاية هذه المعركة كانت القوات الإسرائيلية قد فشلت في اقتحام الممر ويئست من جدوى أية محاولة جديدة . كذلك تعرض موقع أبي عجيلة لهجوم إسرائيلي عنيف شنه لواء المشاة الرابع والعاشر واللواءان المدرعان السابع والسابع والثلاثون . غير أن هذه القوات لم تتمكن من القضاء على القوة المصرية المدافعة ، بالرغم من أنها قامت بأربع هجمات عليها ، مما دعا القيادة الإسرائيلية إلى عزل قائد العملية .

وعلى امتداد ليلة ٣١ تشرين الأول راحت مدفعية الأسطول الفرنسي تقصف دفاعات رفح توطئة لمهاجمتها فجر اليوم الأول من تشرين الثاني بلواء المشاة الأول واللواء المدرع السابع والعشرين . وخلال ذلك كانت الاحتياطيات التعبوية المصرية وقوات أبي عجيلة ورفح والعريش تتخلص من المعركة في سريّة وإخفاء تامّين وتنتقل لتأخذ أماكنها داخل المثلث الحيوي الجديد غربي القناة تنفيذاً للقرار السياسي الاستراتيجي . أما قطاع غزة فكان قد تأثر بسقوط رفح . وبالرغم من ذلك فقد استماتت مواقعه الدفاعية في الصمود حينما هاجمها لواء المشاة الإسرائيلي الحادي عشر صباح ٢ تشرين الثاني . غير أن تفوق العدو بكمية قواته وأسلحته أدى إلى دخول القوات الإسرائيلية إليه في ضحى يوم ٣ تشرين الثاني .

لم تشعر القوات الإسرائيلية بإخلاء القوات المصرية لدفاعات أبي عجيلة . فاندفع اللواءان الإسرائيليان المدرعان السابع من الغرب ، والسابع والثلاثون من الشرق لاحتلال الموقع ، فاصطدما ظهر ٢ تشرين الثاني داخل الموقع الخالي ، واشتبكا معا في معركة لم تتوقف حتى نبهتها الطائرات الإسرائيلية إلى خطئها ، وكانا قد فقدا عندئذ نحو ٨ دبابات .

وقف الرئيس جمال عبد الناصر يوم الجمعة ٢ تشرين الثاني يؤكد من فوق منبر الجامع الأزهر في القاهرة أنه سوف يقاتل أي غزو ولآخر طلقة وآخر نقطة دم ، ليبقى بلدا وتاريخا ، ومستقبلا ، وأنه سوف يبذل كل جهده حتى ينتصر العرب بعون الله .

وفي هذه المرحلة ، قطعت معظم الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية بفرنسا وإنكلترا ، وتدفق المتطوعون العرب للمشاركة في معركة المصير ، وأضرب العرب عن التعامل مع الامبريالية . كما تحركت ضمائر الأحرار في العالم فتقدّم الأمين العام للأمم المتحدة استقالته استنكارا للعدوان ، واعترض أقطاب الحياد الإيجابي ، ثم صدر الإنذار السوفيتي ، كما ارتفعت أصوات المعارضة البرلمانية والشعبية في إنكلترا وفرنسا ضد حكومتيهما ، واهتزت الروابط بين دول حلف الأطلسي .

وفي اللحظات الأخيرة من هذه المرحلة وقعت معركة البرلس البحرية فجر ٤ تشرين الثاني عندما خرجت ٣ زوارق طوربيد مصرية لتبحث عن الحاملة التي تقلع منها الطائرات الإنكليزية والفرنسية لتغير على مصر . وإلى الشمال من فنار البرلس دارت المعركة السريعة الحاسمة التي فقد فيها الأسطول البريطاني إحدى مدمراته .

٣) المرحلة الثالثة : الصراع في اتجاه المجهود الرئيس للحرب : دار الصراع المسلح خلال هذه المرحلة بين القوات الإنكليزية والفرنسية ، من جهة ، والقوات المسلحة المصرية تدعمها قوى النضال الشعبي من جهة أخرى . وتركز على المحور التعبوي " قناة السويس " وفي منطقة بور سعيد . واستغرقت هذه المرحلة مدة ٦٨ ساعة ، بدءاً من الساعة ٦,٠٠ من صباح يوم ٤ تشرين الثاني حتى الساعة ٢,٠٠ من صباح ٧ تشرين الثاني .

بدأت المرحلة بالتمهيد الجوي الابتدائي للغزو البحري الإنكليزي - الفرنسي ، ثم بتنفيذ الاقتحام الجوي فالبحري لإنشاء رأس جسر في بور سعيد . وفي الوقت ذاته كانت المعركة السياسية والإعلامية قد بلغت أقصى درجات الحدة على الصعيدين الإقليمي والدولي ، وفي أروقة الأمم المتحدة .

وفي جنوبي سيناء كان اللواء الميكانيكي الإسرائيلي التاسع يتقدم نحو شرم الشيخ بمحاذاة الشاطئ الغربي لخليج العقبة * . وفي صباح يوم ٥ تشرين الثاني قام هذا اللواء باقتحام المنطقة من الشمال بالتعاون مع وحدات إسرائيلية أخرى انطلقت من الغرب قادمة من منطقة الطور حيث تم نقلها جوا ظهر يوم ٢ تشرين الثاني .

نجحت مصر في حصر الغزو الإنكليزي - الفرنسي عند رأس الجسر في بور سعيد . ثم صدر قرار وقف إطلاق النار من الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وانصاعت حكومات العدوان الثلاثي له .

وكان أبرز ما تمّ في هذه المرحلة من الناحية القتالية تركيز الطائرات المعادية على قصف شاطئ الغزو في بور سعيد اعتبارا من

أمراً بتعديل مهام الجيوش العربية ومحاور عملياتها ، فأصبح اتجاه عمل الجيش السوري إلى جنوبي بحيرة طبرية * نحو سمخ * ، بعد أن كان عليه أن يعمل من منطقة بنت جبيل إلى جوار الجيش اللبناني باتجاه صفد والناصرة . وتحوّل قسم من الجيش اللبناني من رأس الناقورة إلى المالكية * للعمل باتجاه مرج ابن عامر * . وألغيت مهمة الجيش الأردني باتجاه جنين * والعفولة . وترتّب على هذا التعديل حدوث ثغرات واسعة بين الجيوش عانى منها بصفة خاصة جيش لبنان الصغير الذي ترك بمفرده في الشمال . كما تركت منطقة بيسان بلا تأمين . وترتب على هذا التعديل أيضاً أن أصبح الهجوم هجوم مواجهة مباشرة بعد أن كان هجوم مناورة بالالتفاف يكون في مرحلته الأخيرة على شكل كماشة . يضاف إلى ذلك أن هذا التعديل أوجد ثغرة واسعة بين الجيشين السوري والعراقي .

وعندما اعترضت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية على هذا التعديل وفاتحت الملك عبد الله بذلك ليلة ١٤/٥/١٩٤٨ وافق القائد العام على إلغاء التعديل ، ولكن الجنرال غلوب لم يول هذا الأمر الجديد اهتماماً واستمر في العمل وفقاً للخطة المعدّلة .

وهكذا لم يقتصر الأمر على غموض المهام وضعف التنسيق والتعاون بين الجيوش العربية ، بل زاده سوءاً تبديل المهام في الساعات الأخيرة قبل بدء الحرب ، مما كان له أثر سلبي على سير الأعمال الحربية ، خاصة أنه لم تكن هناك أية خطة عمليات موحّدة للجيوش العربية ، وان كل جيش كان يعمل بأوامر دولته ، وان تلك الأوامر كانت تحكمها السياسات القطرية لا خطة عمليات موحّدة ذات أهداف مشتركة .

جـ - الخطط الإسرائيلية : لما كان هدف الصهيونيين الاستيلاء على كل ما يمكن الاستيلاء عليه من أرض فلسطين فقد أصبح لزاماً على قيادتهم العليا إعداد جيش هجومي قادر على تحقيق مهامه ، جاهز للتصدّي للجيوش النظامية العربية . لذا ركّزت هذه القيادة على وضع خطة استعداد قتالية على درجة عالية من التنظيم ، مع إشراك جميع السكان اليهود في المجهود الحربي . ونظراً لافتقار الصهيونيين إلى العمق الجغرافي فقد خلقوا عمقاً استراتيجياً عن طريق تنظيم هيكل الدفاع الشامل القائم على أساس الارتكاز على المستعمرات وسكانها ، والمحافظة على زمام المبادرة ، مع السعي الدائم لنقل المعركة إلى أرض الخصم (العرب) . وقامت هيئة الأركان العامة الإسرائيلية بالسيطرة المركزية على جبهات القتال خلال الحرب ، وأشرفت على عمل الوحدات ، مهما كانت صغيرة ، كي توجّه كل عمل نحو الهدف العام للحرب . ولولا تدخل القوات النظامية العربية لاكتسحت القوات الصهيونية فلسطين كلها .

عندما اجتازت القوات العربية الحدود الفلسطينية واجهتها القيادة الإسرائيلية بقفل محاور التحرك معتمدة على المستعمرات الدفاعية التي زرعتها مسبقاً . كما أقامت هيكلاً دفاعياً ، من الجليل * شمالاً حتى النقب * جنوباً ، مؤلفاً من ثلاثة خطوط :

١) الخط الأول : يمر بيبنة * (٥ كم شمال غزة *) - اللطرون - قلقيلية * - طولكرم * - جنين - الناصرة - بحيرة طبرية - بحيرة الحولة * - رأس الناقورة .

٢) الخط الثاني : يمر من بينة * - رحبوت * - ريشون لتسيون* - بيت دجن - والملمة - رأس العين - العقولة - حيفا * .

٣) الخط الثالث : يمر بيافا - رامات غان * - هرتسليا * - الخضيرة * - عتليت * - حيفا . واستند الدفاع الإسرائيلي إلى نحو ٢٩٧ مستعمرة تمّ انتخاب مواقعها بعناية لتؤدي المهام التالية :

١) فصل المناطق العربية عن البحر المتوسط .

٢) صد وامتصاص أي هجوم عربي على مختلف الجبهات ، واستنزاف قدراته بعمليات حصار عديمة الجدوى تمهيداً لانتزاع المبادرة والتحول إلى الهجوم .

٣) الاحتفاظ بالطرق صالحة للحركة لتسهيل المناورة بالقوات

٤) العمل كقاعدة انطلاق للهجوم الذي تشنّه القوات الميدانية الإسرائيلية .

انتقلت القوات الصهيونية فعلاً إلى الهجوم بدءاً من مطلع نيسان ١٩٤٨ ، أي قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين ، وسيطرت على معظم النقاط الإستراتيجية الهامة . وأجبرت ، عبر المذابح الوحشية ، عدداً كبيراً من سكان فلسطين على مغادرة بيوتهم وأراضيهم إلى البلدان المجاورة (ر : إخراج الفلسطينيين من ديارهم ١٩٤٨) . وعندما دخلت الجيوش العربية فلسطين كانت معظم المدن الفلسطينية الكبرى قد أصبحت تحت سيطرة الصهيونيين ، الأمر الذي مكّن القيادة العسكرية الإسرائيلية من توزيع قواتها على مختلف الجبهات للتصدي للهجوم العربي المعلن عنه يوم ١٥/٥/١٩٤٨ على النحو التالي :

١) في الشمال ثلاثة ألوية بالاضافة إلى قوة المستعمرات الموجودة في المنطقة .

٢) في الوسط لواءان يسيطران على تل أبيب ومنطقتها .

٣) في الجنوب لواءان آخران .

٤) في منطقة القدس ثلاثة ألوية .

في منتصف ليلة ١٥/٥/١٩٤٨ دخلت الجيوش العربية أرض فلسطين . وعلى الرغم من المعوّقات والنواقص حققت هذه الجيوش في الأيام الأولى من عملياتها العسكرية نجاحاً دفع الولايات المتحدة

الأمريكية إلى أن تطلب من مجلس الأمن التدخل لوقف إطلاق النار .

د ـ المرحلة الأولى (١٥/٥ ـ ١٩٤٨/٦/١١) :

١) الجبهة المصرية : بدأت العمليات على الجبهة المصرية بالهجوم على مستعمرة الدنجور الواقعة على مسافة ٦ كم جنوبي غرب رفح ، وعلى مستعمرة كفر داروم ، وهما تسيطران على محور المواصلات الرئيس إلى غزة . وقد دفع اللواء أحمد المواوي الكتيبتين الأولى والسادسة (مشاة) في الساعة السادسة من صباح ١٩٤٨/٥/١٥ للهجوم على المستعمرتين . وكان الهدف من احتلالهما حماية محور القوات المصرية وتقدمها . وتمّ قصف الدنجور بنيران المدفعية ثم طوّقتها قوة خفيفة ، في حين كانت القوات الرئيسة ، من مشاة ومدفعية ومدرعات ، تتقدم باتّجاه غزة . وأخذت الطائرات المصرية منذ فجر اليوم ذاته تقصف تل أبيب * . وفي مساء ذلك اليوم دخلت القوات المصرية مدينة غزة .

تابعت القوات المصرية تقدمها شمالاً يوم ٥/١٩ ، وهاجمت مستعمرة يد مردخاي (دير سنيد اليهودية) ، ودارت هناك معركة عنيفة كانت الأولى بين القوتين النظاميتين المصرية والإسرائيلية . وترجع أهمية هذه المستعمرة إلى أنها كانت المركز الرئيس لتموين مستعمرات النقب ، وأنها وقفت سدّاً في طريق أية قوة تحاول التقدم شمالاً أو جنوباً على امتداد السهل الساحلي * ، كما تحكّمت من موقعها المرتفع بالأرض المجاورة وبطريق غزة ـ حيفا المعبّدة الرئيسة . وكان يحيط بالمستعمرة حاجز من الأسلاك الشائكة والألغام ، وفيها حوالي عشرة مواقع محصّنة .

بدأت الكتيبة الأولى المصرية هجومها ، ونجحت في احتلال موقع جنوبي للمستعمرة يهيمن عليها . ولكن عندما حاول جنود المشاة اختراق حصون المستعمرة نفسها صُدّوا بنيران غزيرة ، وتكبّدوا خسائر فادحة ، فأعادت القيادة المصرية تنظيم قواتها ، وزجّت في المعركة بكتيبتين تدعمهما سرية مدرعة وكتيبة مدفعية ميدان . وبعد محاولة أولى فاشلة نجحت القوات المصرية إثر معركة ليلية في السيطرة على المستعمرة ورفعت عليها العلم المصري يوم ١٩٤٨/٥/٢٤ . وبتاريخ ٥/٢٢ ، وفي أثناء معركة بدمردخاي ، تقدمت كتيبة مصرية أخرى نحو المجدل واستطاعت أن تحتلها بدون مقاومة . كما تمّ يوم ٥/٢٤ احتلال عراق سويدان * ، وبذلك سيطرت القوات المصرية على الطريق المؤدية إلى المستعمرات اليهودية الجنوبية

كانت الخطوة الثانية للقوات المصرية احتلال أسدود * لتخفيف الضغط عن الجيش الأردني الذي كان يجابه هجمات قوية على محور باب الواد ـ اللطرون . وفي يوم ٥/٢٩ تحرك اللواء المصري الثاني نحو أسدود واحتل ببعض وحداته مواقع دفاعية شمالي البلدة ، ثم تابعت القوة الرئيسة تقدمها واحتلت أسدود . وعندما حاولت طائرتان إسرائيليتان مهاجمة القوات المصرية تصدّت لها وسائل الدفاع الجوي وأسقطت إحداهما . وفي اليوم التالي ، أي ٥/٣٠ ، بدأت المدفعية المصرية تقصف مستعمرتي نجبا وبئيروت إسحق ، وهاجمت الطائرات المصرية مستعمرتي رحبوت و« دوروت » بالإضافة إلى ميناء تل أبيب .

وفي تلك الأثناء كان الرتل المصري الذي اتّبع الطريق الداخلية يتحرك بسرعة ، ووصلت طلائعه إلى بير السبع يوم ١٩٤٨/٥/١٧ دون أن تلقى أية مقاومة . أما القوة الرئيسة منه فقد وصلت إلى بير السبع يوم ٥/٢٠ . وفي اليوم ذاته تم الاتصال بين هذا الرتل والوحدات الأردنية في بيت لحم * ، وتولى المصريون مسؤولية الإشراف على المدينة .

تابعت القوات المصرية العاملة على الاتجاه الساحلي تقدمها شمالاً حتى جسر أسدود الواقع على مسافة ٣ كم شمالي مدينة أسدود ، وبذلك أصبحت على مسافة ٣٢ كم من مدينة تل أبيب التي بدأت تتعرض لقصف جوي مصري .

وعند الجسر اصطدم المصريون بقوات إسرائيلية كبيرة كانت قد وصلت من رحبوت ونسفت الجسر وتمركزت دفاعياً شمالي أسدود في قطاع حديرا ـ بوشيت . وقد دفعت ثوقع متقدم إلى مكان يقع جنوبي شرق أسدود مهدداً خطوط المواصلات المصرية ، ونشطت دوريات الطرفين حول المدينة . وتعرضت القوات المصرية لقصف جوي معادٍ قامت به أربع طائرات « مسرشميت » وصلت حديثاً من أوروبا ، فتصدت لها المقاومات الأرضية وأسقطت إحداها . كما بدأت تتساقط على القوات المصرية قنابل من عيار ٦٥ مم التي تلقتها القوات الإسرائيلية . فأصدر اللواء المواوي أوامره بحفر الخنادق وبناء التحصينات ، وأبلغ القيادة ان اي تقدم أبعد من ذلك اصبح مستحيلاً ما لم يتلقّ تعزيزات جديدة .

قررت القيادة الإسرائيلية شن هجوم معاكس لتدمير القوات المصرية الموجودة في منطقة أسدود ، وكلفت بذلك ثلاث كتائب ، بالإضافة إلى سريتي مشاة محمولتين على عربات جيب . وقد بدأ الهجوم المعاكس عند منتصف ليلة ١٩٤٨/٦/٣ ، وتحرك القسم الأكبر من هذه القوات محاولاً تطويق أسدود من الجنوب ، ولكنه اصطدم بمقاومة مصرية عنيفة . وبسبب سوء تنظيم التعاون بين هذه القوة والوحدات المتبقية التي هاجمت من الشمال، تكبد الإسرائيليون خسائر كبيرة بلغت نحو ٤٠٠ قتيل وجريح ، وفشل الهجوم المعاكس ، وانسحبت القوة الإسرائيلية

طلبت القيادة المصرية من قواتها في فلسطين احتلال خط

المجدل ـ الفالوجة ـ بيت جبرين * ـ الخليل * ، وخط أسدود ـ قسطينة ، بهدف فصل المستعمرات الجنوبية في النقب عن شمالي فلسطين وإرغام هذه المستعمرات على الاستسلام . فصدرت الأوامر إلى الكتيبة الأولى بالتقدم شرقاً لاحتلال الفالوجة * وبيت جبرين ، فتحركت بسرعة ونجحت في السيطرة على المواقع المحددة قبل أن تتمكن القوات الإسرائيلية من الوصول إليها . كما تقدمت بعض الوحدات بعد ذلك لاحتلال دير نخاس * وترقوميا * ، وطردت العدو منها ، ثم تابعت تقدمها باتجاه الخليل لتأمين الاتصال بينها وبين المجدل .

ركّزت القوات المصرية جهودها الرئيسة نحو الشرق على محاور المجدل ـ عراق سويدان ـ الفالوجة ـ بيت جبرين عوضاً عن التوجه شمالاً نحو تل أبيب ، وذلك لرغبتها في تحقيق الاتصال بين القوات المصرية النظامية وقوة الفدائيين بقيادة أحمد عبد العزيز التي وصلت إلى بُعد ٧ كم جنوبي القدس ، ودخلت بيت لحم ، واتصلت في ٢٤/٥ بالقوات الأردنية . وكانت قوة الفدائيين تتلقى تموينها عبر محور طويل يمتد من العوجة حتى بيت لحم مروراً ببير السبع . ثم إن القيادة المصرية أيضاً رغبت في تعزيز عراق سويدان حيث تلتقي الطرق التي تربط النقب بشمالي فلسطين . هذا بالإضافة الى خضوع القيادة المصرية لعوامل شتّى ، منها الضغوط الدولية لإيقاف القتال ، مما دفعها الى محاولة اكتساب عدد من المواقع . ونجح المصريون في إرغام العدو على الخروج من جنوب فلسطين . وكانت العمليات الأخيرة لهذه المرحلة عمليات نيتسانيم ونجبا .

تقع مستعمرة نيتسانيم في واد عميق ، وكانت من أقوى المواقع التي اعترضت القوات المصرية في تلك المنطقة . وقد وضع المصريون لاحتلالها خطة مدروسة بدقة مستفيدين من خبرتهم السابقة بأسلوب التعامل مع العدو ، ومن دروس الفشل والنجاح في المعارك التي خاضوها . وقد اعتمدت الخطة على هجوم متعاون بين كتيبة مشاة وفصيلة دبابات وسرية مصفحات وفوج مدفعية ميدان . وخصص سرب جوي لدعم العملية .

بدأ التمهيد المدفعي على نيتسانيم في منتصف ليلة ٦ ـ ١٩٤٨/٦/٧ ، وانطلقت الموجة الأولى من الهجوم البري في الساعة السادسة من صباح ٦/٧ . وعندما تعثرت محاولة الخرق الأولى تدخّل الطيران المصري ، وتمكنت المدرعات في ظل القصف الجوي من الخرق ، ودخلت المستعمرة والمشاة على أثرها . وعندما أيقن المدافعون استحالة الصمود حاولوا الانسحاب فوجدوا أنفسهم مطوّقين . وفي الساعة الرابعة من بعد الظهر ، وبعد عدة محاولات فاشلة لخرق الحصار المصري ، استسلمت نيتسانيم بعد أن فقدت عدداً كبيراً من القوات المدافعة عنها ، وتمّ أسر ١٢٠ مقاتلاً منها .

وبالاستيلاء على نيتسانيم أمكن حماية القوات المصرية الموجودة في أسدود من العزل . وقد قام العدو بعد ذلك بثلاث محاولات لاسترجاع نيتسانيم يومي ٩ و ٦/١٠ ، ولكنها باءت كلها بالفشل ، وتكبّد الإسرائيليون خسائر فادحة .

أما مستعمرة نجبا القريبة من المجدل ، والواقعة على طريق المجدل ـ بيت جبرين ـ القدس * ، فكانت تهدد التحركات المصرية على هذه الطريق الهامة التي تؤمن الاتصال بالجيش الأردني ، وكان لا بد من احتلالها .

في يوم ١٩٤٨/٦/١ صدرت الأوامر بالهجوم على المستعمرة الى كتيبة مشاة وكتيبة دبابات خفيفة معززتين ببطاريتي مدفعية ميدان وبطارية مدفعية مضادة للطائرات وفصيلة من المناضلين العرب . بدأت المدفعية المصرية الرابضة في منطقة المجدل تقصف المستعمرة ، وتكرر القصف العنيف يوم ٢ حزيران ، ثم تقدمت الموجة الأولى للهجوم ونجحت في فتح ثغرة في الأسلاك الشائكة ، ولكنها لم تكن كافية ، فقامت إحدى الدبابات بفتح ثغرة أخرى ودخلت منها إلى داخل المستعمرة تتبعها بقية الدبابات والمشاة في أثرها ودمرت المعاقل الحصينة التي صادفتها . ولكنها لم تحقق نجاحاً كبيراً لغزارة النيران . وفي فجر يوم ٣ حزيران تحركت الموجة الثانية للهجوم لاستثمار نجاح الموجة الأولى واحتلال القسم الأيمن من المستعمرة . ولكنها لم تتمكن من التقدم بسبب غزارة النيران المعادية فصدرت الأوامر في الساعة العاشرة صباحاً بالانسحاب . وقد تمّ انسحاب المشاة تحت ستار نيران الدبابات التي انسحبت بدورها تحت ستارة دخانية ، وعادت القوة إلى المجدل في الساعة الرابعة عشرة .

٢) الجبهة الأردنية : بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٣ ، أي قبل اليوم المحدد لدخول الجيوش العربية الى فلسطين ، وبناء على أوامر الجنرال غلوب ، أتمت معظم القوات الأردنية ـ وكانت قليلة وصغيرة الحجم ـ انسحابها من الضفة الغربية لنهر الأردن . وفي صباح يوم ٥/١٤ انسحبت الوحدة المشتبكة مع الصهيونيين في مستعمرات كفار عصيون .

وفي صباح ١٩٤٨/٥/١٥ ، ومع انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ، أصدر الجنرال غلوب أوامره ، كرئيس هيئة أركان الجيش الأردني ، بعبور القوات الأردنية نهر الأردن من جديد إلى داخل فلسطين عن طريق جسر النبي لاحتلال مواقع داخل المنطقة المحددة لعمل الجيش الأردني على تخوم القطاع العربي وفق قرار التقسيم . وتحركت الآليات الأردنية بسرعة نحو القدس . وخلال الليل قامت وحدة أردنية بمهاجمة مستعمرة عطاروت التي كان سكانها قد أخلوها متجهين نحو مستعمرة نبي يعقوب .

كانت حدة النيران المتبادلة بين العرب واليهود في مدينة القدس

وضواحيها على أشدها بعد أن جلا عنها البريطانيون . وفي حين ركزت الهاغاناه قواتها الرئيسة على المنطقة الواقعة جنوبي شرق القدس في فندق الملك داود ومنطقة السكة الحديدية ، قامت قوات الإرغون باحتلال الشيخ جرّاح وأعادت الاتصال بمستعمرات جبل المشارف (سكوبس) .

وفي الساعات الأولى من صباح ٥/١٥ وصلت طلائع القوات الأردنية إلى شرقي القدس وبدأت تقصف القدس الجديدة المحتلة بالمدفعية والهاونات . كما انطلقت وحدة أردنية من جبل الزيتون نحو الشيخ جراح فأعادت قطع الاتصال بين يهود القدس ومستعمرات جبل المشارف (سكوبس) .

قررت القيادة الأردنية مهاجمة القدس الجديدة من الاتجاهين الشمالي الشرقي والجنوبي الشرقي معاً في الوقت الذي تبقى فيه القدس تحت نيران المواقع العربية المتمركزة في الشيخ جراح . وقد اصطدمت القوة الأردنية بمقاومة إسرائيلية شديدة شمالي بوّابة مندلبوم . وبعد بضع محاولات صدرت الأوامر بإيقاف الهجوم على القدس الجديدة .

في تلك الأثناء حاولت وحدة أردنية ، بعد احتلالها لقرية عطاروت ، متابعة التقدم ومهاجمة مستعمرة نبي يعقوب . وعلى الرغم من فشل الهجوم الأول انسحب سكان المستعمرة خلال الليل نحو مستشفى هداسا على جبل المشارف .

من جهة ثانية ، قام لواء أردني ثان في ١٩٤٨/٥/١٧ باحتلال مواقع على الذرى المشرفة على طريق تل أبيب ـ القدس بين النطرون ودير أيوب * ، وبذلك أصبحت القوات الأردنية على مسافة أقل من ٣٠ كم من تل أبيب ، في حين دخلت وحدة من الجيش الأردني مدينة بيت لحم وسيطرت عليها .

أما إلى الجنوب ، فكانت مناجم البوتاس الإسرائيلية الواقعة عند النهاية الشمالية للبحر الميت * قد عزلت تماماً بعد أن استولت القوات الأردنية على مستعمرة بيت عربة وتمركزت فيها . وجرى إجلاء يهود المنطقة ليلة ١٩٤٨/٥/٢٠ بالزوارق إلى سدوم على الشاطىء الجنوبي للبحر الميت .

وبتاريخ ٥/١٩ احتلت القوات الأردنية محطة ضخ المياه قرب باب نكفا * ، وصدّت في اليوم التالي هجوماً إسرائيلياً معاكساً ، وأصبح الوضع يشكل تهديداً قاتلاً لقلب (الدولة الإسرائيلية الجديدة) .

٣) الجبهة العراقية : تألفت القوة العراقية من لواء مشاة وكتيبة دبابات احتشدت قرب المفرق في شرقي الأردن منذ شهر نيسان ١٩٤٨ . وفي مطلع شهر أيار تحركت القوات العراقية غرباً بين إربد ونهر الأردن استعداداً لدخول المعركة في القطاع المحدد لها ، وهو القطاع الشمالي والأوسط من وادي الأردن وشمالي المثلث (جنين ـ طولكرم ـ نابلس) .

وفي الساعات الأولى من يوم ١٩٤٨/٥/١٥ عبرت القوات العراقية نهر الأردن قرب خط أنابيب النفط جنوبي معاد واستولت على المنطقة العالية المشرفة على مستعمرة غيشر . وقد اعترضت عملية العبور صعوبة نتيجة الارتفاع المفاجىء لمنسوب المياه . وقيل إن سبب ذلك هو عمل تخريبي في سدّ نهر اليرموك نفّذته وحدة إسرائيلية خلال الليل .

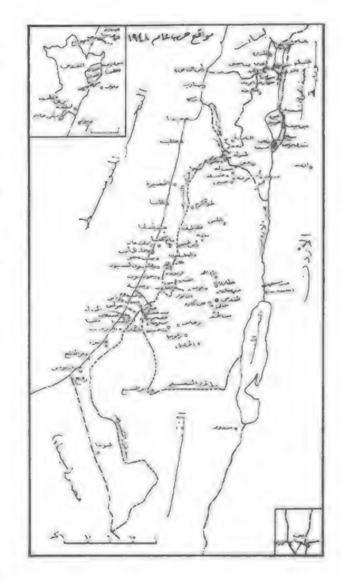
شنّ العراقيون هجوماً على مستعمرة غيشر بعد ظهر اليوم نفسه ، ولكن الهجوم فشل . فقاموا في اليوم التالي بمحاولة ثانية من اتجاهين مختلفين فتقدمت المشاة من الشمال والمدرعات من الجنوب . ولكن هذا الهجوم فشل أيضاً لفقدان التنسيق والتعاون بين القوتين .

عند ذلك قطعت القوات العراقية الطريق المؤدية إلى غيشر ، وتوجهت جنوباً عبر جسري دامية واللنبي ، ونقلت كامل عتادها وأفرادها إلى نابلس حيث مقر قيادة فوزي القاوقجي قائد جيش الإنقاذ ، وهناك انتظرت وصول الإمدادات من العراق . وقد وصلت هذه الإمدادات في القسم الأخير من شهر أيار وكانت مؤلفة من لواء مشاة آخر معزز بكتيبة دبابات .

وفي ١٩٤٨/٥/٢٥ تحركت القوات العراقية غرباً ، انطلاقاً من نابلس ومروراً بطولكرم العربية ، ووصلت الطلائع المدرعة للقوات العراقية إلى خط كفار يونان ـ عين فارط (بين طولكرم وناتانيا) . وبذلك أصبحت على مسافة ١٠ كم مسافة من ناتانيا حيث تصدّت لها القوات الإسرائيلية يوم ١٩٤٨/٥/٣٠ .

وكانت القيادة الإسرائيلية ، تحسّباً لهجوم عراقي عام ، قد أوعزت للواءي « جولاني وكارميلي » بتنسيق عملهما مع اللواء « الكسندروني » المُدافع عن المنطقة . وقرر الإسرائيليون شنّ هجوم من وسط منطقة السامرة نحو جنين . بدأ اللواء جولاني يوم ٥/٢٨ العمليات بمهاجمة مواقع المناضلين العرب غير النظاميين شمالي شرق جنين ، واحتل قرية زرعين ، ونجح في اليوم التالي في طرد المناضلين ، واحتل قريتي مجدو واللجون يوم ٣١ أيار . وبذلك أصبح الموقف الإسرائيلي ملائماً لشن هجوم واسع النطاق على جنين ، فكلّفت القيادة اللواء كارميلي هذه المهمة بعد أن عززته بكتيبة من اللواء جولاني وطلبت من القوى الجوية الاستعداد لدعم هذا الهجوم .

انطلق الهجوم على جنين عند غروب يوم ١٩٤٨/٥/٣١ فتقدمت كتيبة اللواء جولاني في الطليعة ، وسار وراءها اللواء كارميلي . وتمكنت هذه الكتيبة خلال اليومين التاليين من احتلال قرى صندلة وعرانا وجلمة والمقيبلة شمالي جنين ممهدة الطريق لهجوم



اللواء كارميلي الذي بدأ ليلة ١٩٤٨/٦/٣ باحتلال مرتفعين مشرفين على الطريق الرئيسة المؤدية إلى جنين من الجنوب . وفي صباح ٦/٤ قامت الوحدة العراقية الموجودة جنوبي غرب جنين بشن هجوم معاكس على مواقع اللواء كارميلي قبل أن يتمكن من التحصين وكبدته خسائر فادحة . ولكنه ، على الرغم من ذلك ، بقي متمسكاً بمواقعه وصدّ الهجوم العراقي . ونجحت كتيبة جولاني باحتلال جنين .

عند ظهر اليوم نفسه وصلت كتيبة عراقية أخرى من نابلس وعززت قوى الهجوم المعاكس ، وساهم الطيران العراقي في المعركة ، وخسر الإسرائيليون بعض المواقع التي احتلوها . ووجد قائد اللواء الإسرائيلي أن موقف قواته قد أصبح في خطر فأصدر أوامره بالانسحاب ليلاً ، وعادت جنين إلى أيدي العرب .

٤) الجبهة السورية : بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٤ كان لواء المشاة الأول السوري بقيادة العقيد عبد الوهاب الحكيم موجوداً في جنوبي لبنان ـ حسب الخطة المقررة ـ مستعداً لمهاجمة المالكية . وفي اليوم نفسه تلقى قائده أمراً بالعودة مع قواته إلى سورية ، والتحرك من ثمّ جنوباً عبر هضبة الجولان * ، والدخول إلى فلسطين من جنوبي بحيرة طبرية باتجاه سمخ العربية التي طُرد سكانها بقوة السلاح . وتنفيذاً لهذا الأمر تحرك اللواء السوري نحو موقعه الجديد ، وقامت كتيبتان منه بشن هجوم على القوات الإسرائيلية في الساعة التاسعة من صباح ١٥ أيار . ولكن الهجوم تعثّر إذ قوبل بنيران غزيرة من القوات الإسرائيلية التي استعدت لمجابهته فأقامت موقعاً دفاعياً حصيناً قرب سمخ . وتوقفت القوات السورية التي أتعبها التحرك المفاجىء من جنوبي لبنان ، واكتفت بالردّ على النيران المعادية ، مع قصف مدفعي للموقع المحصن لمستعمرة عين غيف الواقعة على الشاطىء الشرقي لبحيرة طبرية .

وفي صباح ١٦ أيار قصفت الطائرات السورية سمخ ومستعمرات الحولة بالإضافة الى القصف المدفعي . كما تصدّت قوة سورية لوحدات إسرائيلية قادمة لنجدة موقع سمخ ، في حين قامت سرية سورية معززة بالعربات المدرعة بالتقدم نحو مستعمرتي مسعدة وشعار هاجولان وتوقفت على مشارفها بسبب غزارة نيران المدافعين عنها .

وفي صبيحة يوم ١٨ أيار شن اللواء الأول السوري (الذي أصبح بقيادة الزعيم حسني الزعيم) هجوماً جديداً على الموقع الإسرائيلي المحصّن قرب سمخ فانسحب المدافعون عنه نحو مستعمرة دغانيا ، ودخله السوريون في صباح اليوم نفسه .

اعتقدت القيادة الإسرائيلية أن هذا هو اتجاه الهجوم السوري الرئيس فدفعت إلى المنطقة تعزيزات جديدة وحشدت مختلف القوات المتوافرة عندها ، حتى الحرس المحلّي للمستعمرات .

طلبت القوات العراقية من القوات السورية القيام بهجوم خداعي باتجاه مستعمرة دغانيا لحماية الجانب العراقي الأيمن عند تنفيذ القوات العراقية هجومها غرباً نحو طولكرم . وتلبية للطلب العراقي شن اللواء الأول السوري في الساعة ٤،٣٠ صباح ٢٠ أيار هجوماً على مستعمرتي دغانيا آ و ب . وحدد اللواء مهمة احتلال الجسر الكائن على نهر الأردن شمالي دغانيا ـ آ لإحباط أي هجوم إسرائيلي من طبرية على خطوط المواصلات العراقية .

انطلقت القوات السورية نحو هدفها تتقدمها الدبابات والعربات المدرعة . وسرعان ما اخترقت دفاعات دغانيا ـ آ . ولكن قوات المشاة السورية لم تتمكن من مجاراة الدبابات في سرعة التقدم ، مما أتاح الفرصة للمدافعين لاستخدام قنابل المولوتوف والمدافع

المضادة للدبابات والنجاح في صدّ الهجوم المدرع السوري وتدمير عدة آليات في الوقت الذي تعرضت فيه المشاة لنيران الأسلحة الخفيفة تتوقفت في بيّارة ليمون على مسافة بضع مئات من الأمتار عن المستعمرة ، وانسحبت الدبابات وفشل الهجوم

عند ذلك وجّه السوريون اهتمامهم إلى دغانيا ـ ب ، وتقدمت نحوها ثماني دبابات تحت حماية نيران الهاونات ، ووصلت حتى مسافة ١٤٠م من دفاعات المستعمرة حيث توقفت لتغطي بنيرانها تقدم المشاة . ولكن هذه لم تكن كافية أو مجهزة للتغلب على نيران المدافعين . وبعد محاولتين فاشلتين لخرق الدفاع انسحبت إلى الوراء . وبعد ظهر اليوم نفسه وصلت إلى المستعمرة تعزيزات جديدة من صنوف الأسلحة المختلفة ، ولا سيما المدفعية التي فتحت نيرانها بغزارة على القوات السورية وأجبرتها على التراجع .

حاولت القوات الإسرائيلية أخذ زمام المبادرة فشنّت هجوماً لملأ على المواقع السورية في منطقة جسر بنات يعقوب ، ولكنها صُدّت بنيران غزيرة ثم ساد الهدوء المنطقة . وفي صباح ٦/٦ قام اللواء الثاني السوري بقيادة العقيد علم الدين قواص بهجوم مفاجىء عابراً النهر بهدف احتلال مستعمرة مشمار هايردن وإقامة رأس جسر على الضفة الغربية لجسر بنات يعقوب ، ومن ثم تأمين الاتصال بالقوات اللبنانية وقوات جيش الإنقاذ في منطقة المالكية . ولكن الرمايات الإسرائيلية أحبطت عملية العبور وتوقف الهجوم . وفي الوقت ذاته تحركت كتيبة سورية معززة ، بقيادة المقدم سامي الحناوي ، من بانياس باتجاه مستعمرة دان ، لكنها توقفت بسبب غزارة نيران المدافعين وتحصّنت حيث وصلت .

على أثر الهجمات السورية قام الإسرائيليون بحشد مزيد من قواتهم على مقربة من مشمار هايردن ودفعوا في ٦/٨ بإحدى كتائبهم لتعزيز الدفاع عن المستعمرة .

في ١٩٤٨/٦/١٠ شنّ السوريون أول هجوم منسّق ، ونجح لواء المشاة الثاني في خرق الدفاع الإسرائيلي ، واحتلّ ثلاث نقاط محصّنة محيطة بمشمار هايردن ، وتابع ضغطه على القوات الإسرائيلية ، ثم نجحت المدرعات السورية في عبور النهر ، وتمكنت بالتعاون الوثيق مع المشاة من التغلب على المواقع المعادية المتقدمة ، ودارت رحى معركة عنيفة انتهت بسقوط مشمار هايردن بُعيد ظهر اليوم نفسه في يد السوريين . وكان اللواء الأول السوري قد قام في الوقت نفسه بشن هجوم خداعي على مستعمرة عين غيف .

٥) الجبهة اللبنانية : دخلت القوات اللبنانية فلسطين باتجاه ما يسمى بإصبع الجليل الممتد شمالاً من نهر الأردن ووادي الحولة نحو دان . وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي سارت فيها العمليات الحربية العربية وفق ما يمكن اعتباره تجاوزاً خطة عامة . فقد وضعت القوات الإسرائيلية تحت ضغط جبهتين عربيتين في آن واحد ، إذ عبر السوريون نهر الأردن نحو شرق إصبع الجليل ، في حين اتجهت القوات اللبنانية نحو غربه .

كان مقرراً ان يمرّ المحور الذي سلكه الجيش اللبناني في تحركه عبر قرية المالكية . ولكن القوات الإسرائيلية ردّت على هذا التحرك لهاجمت إحدى كتائبها ليلة ١٩٤٨/٥/١٥ كلاًّ من المالكية وقَدَس * انطلاقاً من رامات نفتالي ، وتمكنت من احتلالهما صباح يوم ٥/١٥ قبل وصول الجيش اللبناني . وبُعيد الفجر شن اللبنانيون هجوماً معاكساً على المالكية وأجبروا الإسرائيليين على إخلاء القرية والانسحاب منها . وقد تقدم اللبنانيون فدخلوا القرية ، ثم دخلوا قرية قدس . واكتفى الجيش اللبناني بهذين الانتصارين وتحول إلى تحصين مواقعه الجديدة .

لم يشعر الإسرائيليون بتوقف الجيش اللبناني وتوقعوا منه متابعة التقدم ، ولذلك أسرعوا ليلة ٥/١٨ إلى احتلال مركز شرطة قرية النبي يوشع * ، وبدأوا يعدّون التحصينات في تلك المنطقة لقطع الطريق بين قدس وسهل الحولة * .

وبعد أن مرّ اسبوع كامل والجيش اللبناني قابع في مواقعه لا يتحرك قرر الإسرائيليون الهجوم . وقامت خطتهم على أساس شنّ هجوم خداعي على النبي يوشع وقدس من الجنوب ، في حين يُشن الهجوم الرئيس على المالكية عبر الأراضي اللبنانية . وفي ليلة ٥/٢٩ أرسل الإسرائيليون قوة من العربات المدرعة والمشاة المحمولة على عربات نقل عبر الحدود انطلاقاً من المنارة * ، وسارت القافلة بدون أنوار حتى بلغت طريقاً موازية للحدود غربي المالكية . وقد التقت هذه القوة الإسرائيلية شمالي المالكية بوحدة لبنانية صغيرة تصدت لها بالنيران ولكنها انسحبت بسرعة لعدم قدرتها على الصمود في وجه القوة الإسرائيلية المتفوقة . وقد أدى هذا الاشتباك القصير إلى إنذار القوات اللبنانية في المالكية . ولكن الإسرائيليين هاجموها من الخلف قبل أن تتمكن من اتخاذ الاستعدادات اللازمة ، فسقطت القرية بعد معركة قصيرة ، ثم تبعتها قدس التي أخلاها اللبنانيون وانسحبوا إلى ما وراء الحدود .

وفي يوم ٦/٦ شنت وحدات من الجيش اللبناني وجيش الإنقاذ والجيش السوري هجوماً مشتركاً مفاجئاً على المالكية فاستردّوها رغم كثرة الحواجز والألغام التي أقامها العدو حول القرية . وفي اليوم التالي استولت القوات العربية على رامات نفتالي وقدس . وهكذا فُتحت الطريق نحو سهل الحولة ونحو الجنوب .

من هذا العرض السريع للأوضاع على مختلف الجبهات الرئيسة يلاحظ أن الجيوش العربية ، رغم قلة استعدادها وتسليحها ، نجحت خلال الأيام الأولى للحرب في السيطرة على أقسام كبيرة من

أرض فلسطين ، إذ وصلت الخطوط الأمامية المصرية شمالاً حتى بيت لحم ومستعمرة تلبيوت في ضواحي القدس الجنوبية ، وغرباً حتى حدود منطقة يافا الجنوبية . كما سيطر الجيش المصري على منطقة النقب الجنوبي وخليج العقبة * باكمله . وسيطر الجيش السوري وجيش الإنقاذ على الجليل كله حتى جنوب بحيرة طبرية ما عدا بعض المستعمرات في الجليل الشرقي . ووقف الجيش اللبناني غير بعيد عن عكا . وامتدت خطوط جيش الإنقاذ الأمامية إلى جنوب قرى مدينة الناصرة . وسيطر الجيش العراقي على قلب فلسطين ، وأحدق بتل أبيب ، وامتدت خطوطه الأمامية في الشمال إلى ما وراء مدينة جنين ، وفي الغرب إلى بيّارات طولكرم وقلقيلية على بعد أقل من ثلاثة عشر كيلومتراً من ساحل البحر المتوسط . وسيطر الجيش الأردني على غور الأردن الجنوبي ومنطقة القدس والقدس القديمة ومنطقة رام الله والرملة ، حتى التقى بالجيش العراقي وبالجيش المصري . ولكن سرعان ما توقف اندفاع الجيوش العربية ، وجاءت الهدنة الأولى (١٩٤٨/٦/١١) لتتغير الأوضاع بعدها وتنقلب موازين القوى .

هـ - الهدنة الأولى ٦/١١ - ١٩٤٨/٧/٩ : حاولت الأمم المتحدة منذ الأيام الأولى لدخول الجيوش العربية إلى فلسطين الوصول إلى اتفاق بين الطرفين لوقف إطلاق النار . فاختار مجلس الأمن بتاريخ ١٩٤٨/٥/٢٠ الكونت فولك برنادوت السويدي وسيطاً دولياً بين العرب (والإسرائيليين) في فلسطين يساعده في هذه المهمة فريق من المراقبين الدوليين . ووجّه المجلس في ١٩٤٨/٥/٢٢ نداء لوقف القتال في فلسطين خلال ٣٦ ساعة . ولكن العرب من جهتهم رفضوا هذا النداء ، ووقفت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في وجه وقف إطلاق النار أملاً في أن تنجح القوات الإسرائيلية في تحطيم الهجوم العربي . ثم تبيّن للقيادة الإسرائيلية أنها أصبحت في وضع خطر جداً ، فمستعمرات النقب معزولة ، والقدس كذلك ، والجليل بكامله تحت سيطرة القوات السورية واللبنانية وقوات جيش الإنقاذ ، فاستنجدت بالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا اللتين أعلنتا أن الحالة في فلسطين تهدد السلم وتنذر بالخطر ، وأسرعتا إلى مجلس الأمن تطالبان بالتدخل السريع الحاسم لإيقاف القتال ولو بالقوة . وأخذتا تضغطان على الدول العربية وتبذلان لها الوعود كي توافق على وقف إطلاق النار . وبنتيجة ذلك قبلت جامعة الدول العربية قرار مجلس الأمن رقم ٥٠ تاريخ ١٩٤٨/٥/٢٩ القاضي بوقف إطلاق النار لمدة أربعة أسابيع ، وأبلغت المجلس في ١٩٤٨/٦/٢ قرارها بالقبول ، مع أملها في أن يتمكن الوسيط الدولي من إيجاد حل عادل لقضية فلسطين (ر : الهدنة الأولى والهدنة الثانية بين الدول العربية وإسرائيل ، اتفاقيتا -).

وفي صباح ١٩٤٨/٦/١١ توقف القتال في فلسطين لمدة أربعة أسابيع . وقد نصّ قرار مجلس الأمن على أنه ، بالإضافة إلى وقف إطلاق النار ، يمنع كل طرف من تحسين مواقعه الراهنة ، ويتعهد بألّا يحرك قوات أو معدات حربية ، وألّا يعزز قواته المقاتلة بوحدات أخرى . كما لا يسمح للمهاجرين اليهود البالغين سن الخدمة العسكرية بالدخول إلى فلسطين إلا بموافقة خاصة من الوسيط الدولي . ونص القرار أخيراً على أن يجرى تموين مدينة القدس بقوافل يشرف عليها الصليب الأحمر الدولي .

تقيّد العرب ببنود قرار مجلس الأمن . ولكن (إسرائيل) استغلت هذه الأسابيع الأربعة أفضل استغلال ضاربة عرض الحائط بالالتزامات التي أخذتها على نفسها ، وبقرارات مجلس الأمن ، وساعدتها في ذلك بعض الدول التي سعت لوقف إطلاق النار . فقد أتاحت الهدنة الفرصة (لإسرائيل) بإعادة تنظيم قواها المسلحة وتدريبها واستيعاب الأعتدة الحربية التي بدأت تتدفق عليها من أوربا . كما أتاحت لها فرصة إعادة النظر في جميع مؤسساتها ، وتنظيم الخدمة المدنية وتوسيع سلطة الحكومة المركزية . وفي إطار هذا التنظيم عينت القيادة العامة للقوات المسلحة أربع قيادات ميدانية عسكرية تشرف على تخطيط وتنفيذ العمليات المقبلة ، كل ضمن قطاعها . واستغلّ بن غوريون حادثة الباخرة التالينا * ليفرض سلطته على منظمة الإرغون ويوحّد الجهود كلها للاستعداد لمتابعة الحرب .

وخلال الهدنة وصلت إلى (إسرائيل) كميات كبيرة من الأسلحة والمعدات الحربية والطائرات الحديثة . وأصبح بإمكان القيادة العامة الانتقال من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم . وخلافاً لقرار مجلس الأمن قامت القوات الإسرائيلية بتحسين مواقعها وتموين مستعمراتها ومدّها بالأسلحة والذخائر مستغلة أحياناً موافقة الوسيط الدولي على إرسال قوافل تموين بريئة المظهر .

ووصلت إلى فلسطين المحتلة أفواج كبيرة من المتطوعين المدرّبين . وفي حين تجاهلت الدول الكبرى هذه الانتهاكات لنصوص قرار مجلس الأمن ، وقفت جميعها في وجه كل محاولة عربية للحصول على السلاح . وطبق معظمها بدقة بتأثير من بريطانيا وأمريكا قرار حظر إرسال الأسلحة إلى البلدان العربية .

و - المرحلة الثانية (٧/٩ - ١٩٤٨/٧/١٨) :

١) الجبهة المصرية : خلال الهدنة خطط الإسرائيليون لفتح الطريق المؤدية إلى منطقة النقب وقطع خطوط الإمداد والتموين المصرية وإخراج المصريين من أسدود . وكان على قسم من قواتهم أن تجذب انتباه المصريين في الليلة الأولى (ليلة ١٩٤٨/٧/١٠) نحو منطقة أسدود - جبرين ، في حين يقوم القسم الباقي بالهجوم على ضواحي كفار - داروم واحتلال مركز شرطة عراق سويدان .

لاحظ المصريون هذه الاستعدادات الإسرائيلية فقرروا مفاجأة القوات الإسرائيلية بسبقها إلى الهجوم قبيل انتهاء الهدنة ، لأن الانتهاكات الإسرائيلية لشروط الهدنة تكررت . وقد بدأت القوات المصرية صباح ٧/٨ هجوماً مفاجئاً ، فاحتلت موقع كوكبا * المتقدم الذي كان يشغله الإسرائيليون ، فانسحب هؤلاء إلى الحليقات، ولكنهم طردوا منها أيضاً تحت ضغط القوات المدرعة المصرية . وفي الوقت نفسه استولت القوات المصرية على المرتفع ١١٣ ، وهو تل مسيطر على عقدة طرق هامة ، ومنه هاجمت بيت داراس . وعلى الرغم من نجاح العدو في صد أربع هجمات متتالية عليها فإن القوات المصرية حصّنت المرتفع ١١٣ وهاجمت مستعمرة نقبا القريبة .

عندئذ قررت القيادة الإسرائيلية البدء بتنفيذ ما رسمت ، فتحركت قواتها بُعيد حلول الظلام يوم ٧/٨ نحو الأهداف المحددة لها ، ونجحت في احتلال بيت عفة و عبديس وجزء من عراق سويدان . ولكنها ما لبثت أن انسحبت تحت ضغط النيران المصرية .

شنّ المصريون هجوماً معاكساً مساء يوم ٧/٩ على مستعمرة نقبا ، ولكنهم لم يلقوا إلا نجاحاً محدوداً . وبعد قتال استمر طوال الليل والنهار التالي لجأ الطرفان إلى الراحة وإعادة تنظيم قواتهما . وعند فجر يوم ٧/١٢ عاود المصريون هجومهم على نقبا بعد تمهيد ناري بالمدفعية والطائرات ، في حين نفّذت بعض الوحدات المصرية هجمات خداعية على مستعمرتي عبديس وجولس . وقد اشتركت في هذا الهجوم كتيبة مشاة وكتيبة مدرعات وفوج مدفعية . ولكن هذا الهجوم فشل أيضاً ، إذ كانت القوات الإسرائيلية قد عززت مواقعها وتلقّت دعماً من وحدات جديدة . عند ذلك أولى المصريون اهتمامهم لمستعمرة « بئيروت إسحق » قرب غزة ، وكانت تهدد خطوط مواصلاتهم ، وهاجموها من ثلاثة اتجاهات بعد تمهيد مدفعي وجوي فكادت تسقط . غير أن القوات المصرية توقفت لإعادة التنظيم وتلقي الدعم ، فاستغلت القوات الإسرائيلية هذا التوقف ، واستطاعت ، بعد أن وصلتها النجدات ، أن تصدّ المصريين وتجبرهم على الانسحاب . وقد أثّر هذا الإخفاق المزدوج في نقبا وبئيروت إسحاق على معنويات القوات المصرية ، ولكنها نجحت على الرغم من ذلك في التصدي لمختلف الهجمات الإسرائيلية على المواقع المصرية وردّتها على أعقابها .

٢) الجبهة الأردنية : كانت القوات الأردنية تسيطر على اللد والرملة ومطار اللد على بعد نحو ١٠ كم فقط من تل أبيب . وقد احتشدت كتيبتان أردنيتان من المشاة معززتان بالمدفعية والدبابات شمال وشرق اللطرون ، في حين كانت القوات الإسرائيلية تسيطر على قرى البادية والكباب ، بالإضافة إلى مستعمرة بن شيمن المحصنة جيداً والواقعة على مسافة كيلومترين شرقي اللطرون والمعزولة عن باقي القوات الإسرائيلية .

وضعت القيادة الإسرائيلية خلال فترة الهدنة خطة تهدف إلى رفع الضغط العربي عن القدس والطريق المؤدية إليها بالاستيلاء على منطقة اللد والرملة واللطرون ورام الله ، إذ بسقوط هذه المواقع يزول التهديد العربي لمدينة تل أبيب . وقد دعيت هذه الخطة باسم « داني » . وخطط تنفيذها على مرحلتين يجري في الأولى احتلال اللد والرملة والمطار ، ويجري في الثانية فتح طريق القدس باحتلال اللطرون ورام الله .

وقد خصصت لتنفيذ المرحلة الأولى ثلاثة ألوية وكتيبة مغاوير محمولة، بالإضافة الى كتيبتي مشاة . وتدعم هذه القوات كلها الطائرات والمدفعية الميدانية التي وصلت حديثاً من أوربا .

بدأت القوات الإسرائيلية هجومها عند غروب شمس يوم ٧/٩ فاستولت على ثلاث قرى عربية شمالي ممرّ القدس . وقامت الطائرات الإسرائيلية بقصف اللد والرملة ، في حين التفّت كتيبة إسرائيلية من شمال مطار اللد . ولما هبط الظلام وصلت القوات الإسرائيلية إلى مستعمرة بن شيمن المعزولة واستولت على مطار اللد ، ولكنها أخفقت في احتلال دير طريف * لضراوة المقاومة التي قوبلت بها . عند ذلك اندفعت الكتيبة الإسرائيلية الآلية باتجاه اللد وتغلبت على المقاومات المتقدمة ودخلت البلدة مطلقة النار في كل اتجاه ، ثم خرجت منها ، وعادت إليها من جديد . ولم تكد القوات العربية الموجودة فيها تتخلص من تأثير المفاجأة وتعيد تنظيم نفسها حتى وصلت بقية القوات الإسرائيلية المهاجمة ، ودارت بينها وبين المدافعين عن المدينة معركة ضارية من منزل إلى منزل انتهت في اليوم التالي لصالح العدو الإسرائيلي المتفوق في العدد والسلاح . وسقطت بنتيجتها مدينة اللد . ثم استولى الإسرائيليون في ٧/١٢ على مدينة الرملة المجاورة . وهكذا تمّ تنفيذ المرحلة الأولى من الخطة الإسرائيلية . وعندما حاولت القوات الإسرائيلية احتلال اللطرون فجر يوم ٧/١٥ تنفيذاً للمرحلة الثانية من هذه الخطة أخفقت . وكررت الهجوم عدة مرات خلال اليومين التاليين ، واضطرت في النهاية إلى الانسحاب بعد أن تكبدت خسائر فادحة .

وفي الوقت الذي كانت تدور فيه هذه المعارك جرت عدة معارك داخل مدينة القدس وحولها . وكان هدف الاسرائيليين منها احتلال قريتي المالحة * وعين كارم جنوبي القدس القديمة واحتلال حي الشيخ جرّاح . وفي ليلة ١٩٤٨/٧/١٤ احتلت كتيبة إسرائيلية جزءاً من قرية المالحة ، ولكنها طردت منه في اليوم التالي بعد أن خسرت عدداً كبيراً من رجالها . وخلال الليل عززت القيادة الإسرائيلية قوة الهجوم واحتلت القرية .

حاول الإسرائيليون احتلال القدس القديمة ، ومهّدوا لذلك بقصف المدفعية ، ثم هاجمت كتيبة إسرائيلية المدينة من باب صهيون في الجنوب ، وأخرى من الباب الجديد في الشمال . وقد رُدّت الكتيبة الثانية بعد أن تقدمت مسافة قصيرة داخل المدينة ، في حين فشلت الكتيبة الأولى في الوصول إلى باب صهيون .

٣) الجبهة السورية : وضعت القيادة الإسرائيلية استعادة السيطرة على رأس الجسر الذي احتلته القوات السورية في منطقة مشمار هايردن هدفاً أساسياً لقواتها بعد انتهاء الهدنة . وكانت القوات السورية المدافعة عن رأس الجسر لواء مشاة تعززه الدبابات والمدفعية وتدعمه نيران مدفعية لواء آخر منتشر على المرتفعات المشرفة على الضفة الشرقية لنهر الأردن

عزّز الإسرائيليون قواتهم في المنطقة ، ورسموا لتحقيق هدفهم خطة تبدأ بتطويق القوات السورية في رأس الجسر وتدميرها بأن تهاجم بعض قواتهم رأس الجسر من الغرب لجذب انتباه القوات السورية إلى هذا الاتجاه ، في الوقت الذي تقوم قواتهم الرئيسة بتطويق رأس الجسر من الشمال ، وتتولى إحدى كتائبهم عبور نهر الأردن شرقي مستعمرة حولاتاه لتجميد القوات السورية الموجودة في الضفة الشرقية للنهر ، ثم لمهاجمة مشمار هايردن من ذلك الاتجاه وقطع خطوط إمداد القوات السورية الموجودة هناك .

بدأ تنفيذ الخطة الإسرائيلية مساء ١٩٤٨/٧/٩ ، ونجحت الكتيبة في عبور النهر ، ولكنها تراجعت إلى مواقعها الأصلية بعد أن صبّت عليها المدفعية السورية نيرانها من الشرق والغرب . وفي تلك الأثناء تحرّكت القوات الإسرائيلية في هجوم ليلي على مشمار هايردن من ثلاثة اتجاهات . وأخفق الهجوم أمام المقاومة الصلبة وتراجعت القوات الإسرائيلية قبل أن يطلع النهار وتنكشف أمام نيران المدافع السورية .

كرر الإسرائيليون محاولتهم لتطويق مشمار هايردن بعد ثلاثة أيام كثّفوا خلالها عمليات الاستطلاع والاستعداد ، ولكنهم وجدوا عند الهجوم القوات السورية على أتم استعداد لهم ، وبذلك فشلوا فشلاً نهائياً ، وتعزز موقف القوات السورية في مشمار هايردن

ر ـ الهدنة الثانية (١٩٤٨/٧/١٨) : أصدر مجلس الأمن القرار رقم ٥٤ يوم ١٩٤٨/٧/١٥ بفرض هدنة في فلسطين للمرة الثانية . وقد بُدىء بتطبيقها من الساعة ١٧,٠٠ يوم ١٩٤٨/٧/١٨ ، بعد أن تمكنت (إسرائيل) خلال عشرة أيام من القتال من احتلال مساحات أخرى من الأرض ، ومن تحسين مواقعها وأخذ المبادأة من أيدي العرب . ولم يجعل مجلس الأمن لهذه الهدنة زمناً محدداً ، على أمل أن تتحول بمرور الوقت إلى هدنة دائمة يحلّ فيها النزاع بالطرق السلمية بمعاونة الكونت برنادوت وسيط الأمم المتحدة الذي انهمك بوضع خريطة جديدة لفلسطين . وقد عقد هذا عزمه على تعديل قرار التقسيم بشكل يحقق في رأيه بعض العدل ، فأعدّ مشروعاً عرف باسم مشروع الكونت برنادوت * ، وقدمه إلى الأمين العام للأمم المتحدة . غير أن الإسرائيليين لم يرضوا عن المشروع فاغتالوا الكونت برنادوت في القدس يوم ١٩٤٨/٩/١٧ .

تابعت القيادة الإسرائيلية ، رغم قبولها الهدنة ، عدوانها وتنفيذ مخططاتها التوسعية المرحلية خارقة بنود الهدنة . فقد نظّمت هجوماً على الفالوجة ضد القوات المصرية في ٢٧ ـ ١٩٤٨/٧/٢٨ ، ولكنه أُحبط . كما هاجمت في الوقت ذاته عراق المنشية * وأخفقت في هجومها . وعند ذلك قررت فتح الطريق نحو الجنوب للاتصال بمستعمرات النقب وإخراج الجيش المصري من المنطقة . وقد نفذت عدة عمليات على الجبهة المصرية أدّت إلى احتلال النقب والوصول الى مرفأ أم الرشرش العربي (سمّاه الصهيونيون فيما بعد إيلات *) على خليج العقبة .

وبتاريخ ١٩٤٨/١٠/١٥ قامت القوات الجوية الإسرائيلية بقصف مطار العريش وغزة وبيت حانون والمجدل والفالوجة لإخراج القوات المصرية من المعركة . وفي الوقت نفسه انطلقت قوة إسرائيلية للسيطرة على التلال التي لم يحتلّها المصريون في منطقة بيت حبرين . وفي ١٩٤٨/١٠/١٦ أصبحت خطوط المواصلات المصرية مقطوعة من الشمال ومهددة من الغرب . ثم انطلقت القوات المدرعة والآلية الإسرائيلية نحو عراق المنشية ، ودارت رحى معركة عنيفة تمكنت خلالها المدفعية المصرية من صدّ الهجوم وتدمير عدد من الدبابات الإسرائيلية . وفي يوم ١٠/١٧ قام المصريون بهجوم مضاد قوي لإعادة الاتصال بين المجدل ومنطقة الفالوجة ، ولكنه صُدّ من قبل الإسرائيليين . وبينما كانت القوات المصرية تحصّن مواقعها في منطقة الفالوجة نجحت القوات الإسرائيلية باحتلال الحليقات * (١٩ ـ ١٠/٢٠) وأصبح بإمكانها التقدم نحو الجنوب . وخوفاً من التطويق أخلت القوات المصرية منطقة المجدل .

لم تجد القوات المصرية أمامها ، بعد تدهور الموقف ، سوى التحول إلى الدفاع والتمسّك بالمواقع التي تحتلها ، على أن يستند جناحها الأيسر على الطريق الساحلي ، والأيمن على طريق العوجة ـ الخليل حتى بئر العسلوج غربي بير السبع . وقد وضعت القيادة الإسرائيلية خطتها على أساس دفع القوات المصرية من الجنوب والضغط عليها مع توجيه ضربة قوية لها من الشمال ، وفي الوقت نفسه تجميد أكبر قوة مصرية في القطاع الغربي ثم العمل على تدمير الجناح الأيمن المصري أو إرغامه على الانسحاب .

وفي يوم ١٩٤٨/١١/٢٢ شنّت القوات الجوية الإسرائيلية

غارات مركّزة على المواقع المصرية في رفح وغزة وخان يونس * ، وركزت نيران المدفعية على مرابض المدفعية المصرية على امتداد الجبهة . وفي الليلة نفسها احتلت القوات الإسرائيلية المرتفعات الواقعة على مسافة نحو ١٢ كم جنوبي غزة مهددة بقطع محور رفح ـ غزة ، فقامت القوات المصرية بهجوم معاكس نجح في طرد العدو من المرتفع ٨٦ بعد معركة ضارية . وجذبت هذه المعركة انتباه القيادة المصرية إلى ذلك القطاع في حين كان الهجوم الإسرائيلي الرئيس في القطاع الشرقي يحقق المفاجأة ويجبر القوات المصرية على الانسحاب عن طريق بير السبع ـ العوجة مع إخلاء العوجة نفسها . وقد استخدمت القوات الإسرائيلية طريقاً رومانية أوصلتها إلى ما وراء العوجة .

نتيجة لاندلاع القتال في فلسطين مجدداً على نطاق واسع أصدر مجلس الأمن في ١٩٤٨/١٢/٢٩ قراراً بوقف إطلاق النار . وبتاريخ ١٢/٣٠ أعلنت الحكومة البريطانية أنها تجد نفسها مضطرة لمساعدة مصر ما لم تتقيّد (إسرائيل) بقرار مجلس الأمن . ووقعت بعد هذا التاريخ بضعة اشتباكات ، ثم توقف القتال ، في حين استمرّ الصراع السياسي حتى انتهى الأمر بعقد اتفاقيات هدنة دائمة فردية في رودس وانتهت بذلك الجولة العسكرية الأولى بين العرب و (إسرائيل) .

ح ـ الخلاصة : وقعت الحرب العربية ـ الإسرائيلية الأولى في ظروف دولية وإقليمية خاصة . لقد كانت جامعة الدول العربية في مرحلة التكوين حين أخذت قضية فلسطين بالبروز والتأزم . وكانت بعض الدول العربية حديثة العهد بالاستقلال ، ولم تكن الدول الأعضاء في الجامعة قد توسعت في علاقاتها الدولية وأرستها على أسس متينة قائمة على تبادل المصالح

وفي مقابل ذلك ، كانت الصهيونية تعمل ، منذ مؤتمر بال * (١٨٩٧) ، على إنشاء دولة يهودية ، وتنشط في مختلف المجالات الدولية ، وتقيم العلاقات وتستخدم الوسائل المتعددة من أجل بلوغ هذا الهدف . وقد استغلت الصهيونية ما تعرّض له يهود أوربا على أيدي النازيين من اضطهاد لتستدرّ عطف بعض الدول ، ورهنت جهودها وقدمت خدماتها لبعض الدول الأخرى في إطار إقامة كيان استعماري استيطاني في قلب الوطن العربي تستخدمه تلك الدول لتحقيق أغراضها في المنطقة العربية .

وهكذا توافرت مجموعة عوامل مساعدة ومؤيدة للصهيونية في حين لم تتوافر مثل هذه العوامل للدول العربية . بل يمكن القول إن الدول العربية سعت إلى شراء السلاح من بعض الدول الصانعة له فلم يقبل طلبها ، في حين استطاعت الصهيونية أن توفر لرجالها في فلسطين ، ثم (لإسرائيل) ، السلاح الحديث الكافي للغلبة على العرب .

كان من نتائج هذه الحرب أن أُخرج قسم كبير من الشعب العربي الفلسطيني من وطنه ، وأن أتمّت (إسرائيل) سيطرتها على المنطقة المخصصة لها في قرار التقسيم ، وعلى مناطق أخرى مخصصة للدولة العربية بموجب القرار ذاته . ومن أهم أسباب فشل العرب في هذه الحرب :

١) عدم إشراك السياسيين القادة العسكريين في أي نقاش حول الحرب ، مما جعل هؤلاء الأخيرين في وضع غريب ؛ فهم لم يطّلعوا على قرار دخول الحرب إلا قبل وقت جد قصير من اندلاعها ، ولم يتح لهم الوقت الكافي لاتخاذ الاستعدادات اللازمة لتهيئة القوات .

٢) ضحالة المعلومات المتوافرة في أجهزة قيادات الجيوش العربية عن القوات المعادية ، في الوقت الذي كان الصهيونيون يعرفون أموراً وأشياء كثيرة عن العرب .

٣) رجحان ميزان القوى لصالح (إسرائيل) رغم الكثرة السكانية العربية ، وذلك بسبب تفهم الصهيونيين الأعمق لمعنى الحرب ومتطلباتها ، وإشراكهم كل القوى المتوافرة ، وإعلانهم التعبئة العامة ، في حين اقتصرت الدول العربية على زج جزء من قواتها ونسبة لا تذكر من سكانها .

٤) ضعف القدرة والخبرة العسكريتين لدى القوات العربية ، فبعضها كان حديث التشكيل ، وبعضها كان بقيادة أجنبية ، وكلها لم يسبق لها الاشتراك الفعلي في القتال ، في حين توافرت للقوات الإسرائيلية خبرات قتالية اكتسبها بعض قوادها وأفرادها من الحرب العالمية الثانية .

٥) افتقار العرب إلى قيادة عسكرية موحّدة جادّة قادرة على التخطيط والتنسيق بين الجيوش والإشراف على سير العمليات ، مما أدى إلى إصدارها لأوامر تفتقر إلى الدقة في تحديد الأهداف والمهام . بل لقد أدى تعدد القيادات وتضارب المصالح القطرية إلى تبديل القيادة لقراراتها فجأة خالقة فوضى وبلبلة بين القوات ، في حين كانت القوات الإسرائيلية كلها ، من نظامية وغير نظامية ، ذات قيادة واحدة أحكمت سيطرتها على العمليات الحربية ووجّهتها وفق الخطة العامة .

٦) عجز الدول العربية عن استغلال فترات توقف القتال لتحسين أوضاع قواتها المسلحة وتأمين السلاح والعتاد اللازمين كما فعلت (إسرائيل) .

٧) قصور الدول العربية عن فهم إستراتيجيات الدول العظمى المتحكمة في السياسة العالمية ، واطمئنانها للوعود ، وتقبلها للمماطلات ، مما أدى إلى عجزها عن الارتفاع إلى مستوى مجابهة الأخطار التي تهددها ، في الوقت الذي كانت فيه الصهيونية العالمية

فجر يوم ٤ تشرين الثاني دون تفريق بين الأهداف العسكرية والمدنية . وفي منتصف الثامنة من صباح ٥ تشرين الثاني نزلت قوات المظلات الإنكليزية والفرنسية حول المحيط الخارجي لبور سعيد في مطار الجميل ومنطقة الرسوة وبور فؤاد في أعقاب أول عملية اقتحام جوي رأسي ، إذ أنزل أفراد القوات الخاصة خلال الليلة السابقة على أسطح المنازل في بعض المواقع ذات الأهمية الحيوية من مدينتي بور سعيد وبور فؤاد تحت حماية نيران مدافع الأسطولين وقنابل الطائرات . ثم تتابعت موجات الاقتحام البرمائي من أساطيل الغزو ، وتلا ذلك وصول قائد القوات البرية الإنكليزية والفرنسية المشتركة .

أخذت المعدات والأسلحة الثقيلة تتدفق لدعم القوات استعدادا لانطلاقها من رأس الجسر الضيق الذي أقامته . ونزلت القوات اللاحقة على أرصفة الميناء مباشرة ، إلا أنها لم تتمكن من التغلب على المقاومة العنيفة التي تعرضت لها في رأس الجسر .

وفي الساعة ٢,٠٠ من صباح ٧ تشرين الثاني جرت محاولة يائسة وأخيرة للوصول إلى الإسماعيلية قبل أن يحل موعد إيقاف النار ، فاندفعت القوات الإنكليزية جنوبا ، ولكنها اصطدمت بمقاومة عند الكاب أجبرتها على التوقف والتحول إلى الدفاع .

وانحدرت الحرب النفسية الإنكليزية والفرنسية إلى مستوى تهديد الشعب المصري بالإبادة في مدنه وقراه ، متناسية الغرض الأصلي من العدوان ، كما أعلنت عنه ، وهو التدخل للفصل بين المتحاربين وصيانة المجرى المائي العالمي قناة السويس من التعرض للتدمير .

٤) المرحلة الرابعة : الضغوط السياسية والعسكرية وانسحاب قوات العدوان : استغرقت هذه المرحلة ١٢٠ يوما بدأت بوقف إطلاق النيران الساعة ٢,٠٠ من صباح ٧ تشرين الثاني وانتهت بانسحاب القوات الإنكليزية والفرنسية عبر شاطىء الغزو يوم ١٩٥٦/١٢/٢٢ ، وجلاء (إسرائيل) عن سيناء وقطاع غزة يوم ١٩٥٧/٣/٦ .

ويمكن تلخيص السمات البارزة لهذه المرحلة الختامية في ما يلي :

(١) نشاط دولي واسع حفل بالمناورات السياسية والدبلوماسية والاتصالات الدولية ، سواء داخل أروقة الأمم المتحدة أو خارجها ، بهدف إجبار القوات المعتدية على الجلاء ، بينما راحت حكومات التواطؤ تراوغ وتماطل في محاولة يائسة للحصول على أية مكاسب .

(٢) تدفق التعزيزات على منطقة رأس الجسر . وعكوف هيئات أركان العدوان على دراسة خطط جديدة لاستئناف العدوان والانطلاق به جنوبا بمجرد أن تلوح أمامها بارقة أمل .

(٣) نشاط القوات المسلحة المصرية في تدعيم تنظيماتها الدفاعية ، في الجبهة وفي العمق ، بما يكفل إحباط أي مغامرة جديدة .

(٤) دفع عناصر صاعقة وفدائيين داخل رأس جسر بور سعيد لتصعيد المقاومة الشعبية فيه .

وفي ختام هذه المرحلة أمكن اجبار الدول المعتدية على الانسحاب بفضل الجهود المضنية التي بذلتها الدول العربية ودول عدم الانحياز وكل الدول المحبة للسلام . وكانت قوات الطوارىء التي صدر قرار الأمم المتحدة بتشكيلها وتكليفها الإشراف على هذا الانسحاب قد توالى وصولها إلى منطقة الصراع منذ يوم ١٩٥٦/١١/١٥ تحت قيادة الجنرال ايدسون بيرنز ، وقد بلغ حجمها نحو ٤,٠٠٠ ضابط وجندي من كندا وكولومبيا والدانمارك والنرويج والسويد وفنلندا ويوغسلافيا والهند وأندونيسيا . وتحت إشراف هذه القوة تم انسحاب قوات العدوان وعودة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل العدوان ، ما عدا منطقة خليج العقبة التي رابطت فيها قوات الطوارىء لتضمن (لإسرائيل) حق المرور البحري والجوي الذي كان أهم ما خرجت به من مكاسب في حرب العدوان الثلاثي .

أما إنكلترا وفرنسا فكان العدوان بالنسبة إليهما بداية النهاية لوجودهما كقوة استعمارية في الوطن العربي ، وإيذانا بنزول الستار على امبراطوريتيهما الاستعماريتين .

المراجع :

ـ حسن البدري وآخرون : حرب العدوان الثلاثي على مصر في خريف ١٩٥٦ ، القاهرة ١٩٦٥ .

— Andre Beawfre: The Suez Expedition 1956, New York 1969.

— Antony Eden: The Crisis of 1956, Boston 1960.

— Selwyn Lloyd. Suez 1956, London 1978.

حرب ١٩٦٧ :

هي الحرب العربية ـ الإسرائيلية الثالثة ، ويطلق عليها أيضا اسم « عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ » . وقد قامت فيها قوات العدو الإسرائيلي بالهجوم على القوات العربية المصرية والسورية والأردنية . وترتيب الحرب باسم « الحرب العربية ـ الإسرائيلية الثالثة » يشير إلى أن كل حرب من الحروب ترتبط بالحرب التي سبقتها ، لا في مجال السياسة الإستراتيجية أو في حجم القوى المشتركة في الحروب فحسب ، وإنما أيضا في مقدمات الحروب ونتائجها ، وفي أساليب خوضها على مستوى العمليات ، وعلى مستوى الطرائق التكتيكية المستخدمة فيها .

أ ـ الإستراتيجية الإسرائيلية : استعدت (إسرائيل) لعدوان حزيران ١٩٦٧ وفق الخطوط والمبادىء الإستراتيجية التالية :

١) الانطلاق من قاعدة قوية مأمونة : ومعنى ذلك قيام القوات الإسرائيلية بالعدوان ، وعدم السماح للقوات العربية بتهديد القاعدة الإمبريالية ـ الصهيونية ، لأن الكيان الصهيوني لا يستطيع احتمال هزيمة كبيرة تكون فيها نهايته ، علاوة على أن الحجم الجغرافي المحدود والقلة في القدرة البشرية يشكّلان نقطتي ضعف خطيرتين تتطلبان الحماية والاستعداد الدائم للقتال .

٢) تطوير القدرة الحركية واستخدام القدرة القتالية للهجوم : وتأتي هذه الإستراتيجية استجابة لهدفين . أولهما تغطية نقاط الضعف التي سبقت الإشارة إليها ، وثانيهما تحقيق هدف الصهيونية في توسيع حدود الأراضي المحتلة ، على طريق تحقيق الحلم الصهيوني : ـ من النيل إلى الفرات ـ ومساعدة الكيان الصهيوني على الاضطلاع بدوره الوظيفي ضد المنطقة العربية ، بما في ذلك عزل الأقاليم العربية بعضها عن بعض ، واستنزاف قدراتها الاقتصادية ، وتدمير قدراتها العسكرية ، ووضع المنطقة في حالة ضعف مستمر لا تسمح بتعاظم القدرات العربية وتكاملها إلى درجة تمكّنها من التصدّي للمطامع الصهيونية والإمبريالية في الوطن العربي .

٣) وضوح الهدف : بحيث تحدد القيادة الإسرائيلية هدف المرحلة التالية للحرب ، وتحشد القوى والوسائط الضرورية التي تناسب حجم هذا الهدف ، ثم تضع خطة للعمل السياسي لتغطية الهدف دولياً ، كل ذلك بالتعاون مع الدوائر الاستعمارية والإمبريالية . وتأتي خطة العمليات متوافقة مع ظروف المعركة واحتمالات تطوراتها . ويرتبط وضوح الهدف لدى القيادة الإسرائيلية بثلاثة عوامل :

(١) المعرفة الدقيقة بالظروف الدولية .

(٢) المعرفة الكاملة بالموقف على الجبهات العربية (وعلى مسرح العمليات بصورة خاصة) .

(٣) المعرفة الصحيحة للقوى والوسائط المطلوبة لضمان النجاح سياسيا وعسكرياً .

٤) إستراتيجية الحروب الخاطفة : وذلك بتطبيق مبادىء الحرب على الخطوط الداخلية بكفاية (المبادأة ، والمباغتة ، والاحتفاظ بالقوى ، وأمن العمل) ، بالإضافة إلى الالتزام بمبدأ الضربات الإجهاضية المسبقة . كل ذلك بهدف الإفادة من حرية العمل المطلقة والوصول بالحرب إلى ناحليتها القصوى . ومن الملاحظ أن هذه الاستراتيجيات المتكاملة هي التي تشكل أسس العقيدة القتالية للكيان الصهيوني .

ب ـ الاستراتيجية العربية : مقابل ذلك اتّصفت الإستراتيجية العسكرية العربية بمجموعة من الصفات كان من أبرزها :

١) الالتزام الموقّت بالعقيدة الدفاعية : نتيجة لاستمرار العدوانية الإسرائيلية من جهة ، وللظروف المحيطة بالوطن العربي آنذاك من جهة أخرى . وقد تم التعبير عن هذه العقيدة بإقامة التنظيمات الدفاعية على امتداد الحدود العربية المتاخمة للأرض المحتلة على شكل خنادق قتالية ، ومواقع للأسلحة وملاجىء ، وقيادات ميدانية تحت الأرض ، ومراكز مسلحة ، ومستودعات ، ومخازن ، وملاجىء مضادة للقصف الذري .

٢) انعدام التنسيق بين القيادات العربية : بسبب غياب وحدة القيادة السياسية والقيادة العسكرية ، والاكتفاء بإطار اتفاق عام على موعد بدء الحرب ، أو تنسيق التعاون أثناء مسيرة الأعمال القتالية إذا بدأ العدو الحرب . ونتج عن ذلك خوض المعارك على كل جبهة بمعزل عن الجبهات العربية الأخرى .

٣) عدم وضوح الهدف لدى القيادات العربية : مما أدّى إلى فقدان التوازن بين عوامل الصراع السياسي من جهة ، وعوامل الصراع المسلح من جهة أخرى ، وعدم الأخذ بهما كعاملين

متكاملين ، وإنما التعامل معهما كعاملين منفصلين . وكان من نتيجة ذلك زيادة الاعتماد على عوامل الصراع السياسي وإهمال بعض مبادىء الحرب الأساسية . وقد ساعدت الظروف السابقة ، ومنها على سبيل المثال نجاح الجهد السياسي في حرب ١٩٥٦ في إحباط النتائج العسكرية للعدوان على دعم هذا الاتجاه ، الأمر الذي زاد من اعتماد القيادات السياسية العربية على وعود الدولتين العظميين (الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي) ، فكان من نتيجة ذلك كله فقد المبادأة العسكرية .

هذه ابرز أسس الاستراتيجيتين العربية والإسرائيلية . والأمر الواضح هو أن الأسس الإستراتيجية الإسرائيلية كانت مناقضة تماما للأسس العربية ، وأن الأسس الإستراتيجية التي سبقت الإشارة إليها قد تركت أثرها العميق في إدارة الحرب وطرائق العمليات والأساليب التكتيكية .



الجنود الاسرائيليون في مسجد عمر بعد احتلال القدس

جـ - العوامل غير المباشرة للحرب : تتألف العوامل غير المباشرة للحرب من مجموعة الظروف التي أحاطت بالمنطقة العربية ، ومن أهمها تعاظم القدرة العسكرية العربية ، ولا سيما على جبهتي مصر وسورية . وتعاظم المدّ الوطني والقومي الذي وجد تعبيراً عنه في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، وفي انتصار ثورة الجزائر (١٩٦٢) ، ثم في قيام منظمة التحرير الفلسطينية * (أيار ١٩٦٤) وبدئها الأعمال النضالية داخل الأرض المحتلة ، وتعاظم قوة الثورة الفلسطينية .

ولعل أبرز هذه العوامل وأخطرها قيام منظمة التحرير الفلسطينية وانطلاق العمل الفدائي الفلسطيني . فقد برزت إلى الوجود ، في مرحلة ما قبل عدوان ١٩٦٧ ، التنظيمات الفلسطينية المسلحة ، وبدأت تقوم بغارات وعمليات فدائية جريئة داخل الأرض المحتلة ، فقامت بـ ٣٥ عملية عام ١٩٦٥ ، ارتفعت إلى ٤١ عملية عام ١٩٦٦ . وفي الشهور الخمسة الأولى التي سبقت عدوان حزيران شهدت (إسرائيل) ٣٧ عملية فدائية . ولم يكن حجم العمل العسكري الفدائي في البداية كبيرا ، بل كان على شكل عمليات صغيرة تشنّها طلائع مسلحة تستخدم أساليب قتالية محدودة . وإذا كانت النتائج العسكرية والمادية لهذه العمليات لا تشكّل تهديداً لوجود الاحتلال الصهيوني لفلسطين ، فإنها كانت ذات دلالات سياسية - عسكرية هامة ، لأنها جسّدت رفض شعب فلسطين الأمر الواقع ، والإبقاء عليه كمجموعة من اللاجئين ، وعبّرت عن استقلال خطّه السياسي ، واستعداد تنظيماته الطليعية لاستخدام الكفاح المسلح وسيلة رئيسة من وسائل الصراع ضد الاحتلال الصهيوني ، ورغبة هذه التنظيمات في تطوير أساليب الكفاح المسلح لتحقيق عدة أغراض ، منها :

١) إبقاء شعلة النضال الفلسطيني متقدة رغم انخفاض حدة الصراع العسكري العربي - الإسرائيلي بعد حرب ١٩٥٦

٢) الانتقال من العمل العسكري المحدود إلى حرب العصابات على نطاق واسع .

٣) استقطاب أكبر عدد من القوى المناضلة العربية للمشاركة في الكفاح المسلح .

٤) المشاركة في حركة التحرير الوطني العربي وفي تهيئة الجماهير للكفاح المسلح وتعبئة قواها للمعركة .

لقد أدركت (إسرائيل) مرامي هذه التنظيمات الطليعية الفلسطينية المسلحة ، ووعت ما سيؤدي إليه استمرارها واتساع إطارها ، وعزمت على مواجهتها والقضاء عليها قبل أن يستفحل أمرها وتبلغ مدى وعمقاً كبيرين فلا تستطيع (إسرائيل) بعد ذلك مواجهتها .

يضاف إلى ذلك عامل هام آخر ناتج عن الارتباط العضوي بين الصهيونية و(إسرائيل) من جهة ، ومطامع الإمبريالية في الوطن العربي من جهة أخرى ، ولا سيما أن للطرفين مصالح مشتركة يريدان تحقيقها والحفاظ عليها في المنطقة . ويأتي في مقدمة تلك المطامع فرض وجود الكيان الصهيوني على العرب ، والاعتراف به ، ودمجه في المنطقة ، وتأمين سلامة ذلك الكيان وأمنه عن طريق توسيع حدوده باحتلال أراض عربية جديدة ، ومواجهة ما تسميه الصهيونية والإمبريالية النفوذ السوفييتي في المنطقة ، والسعي إلى تقليصه ولهذا قامت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بدراسة خطة العدوان الإسرائيلي ، واختبرتها بالعقل الإلكتروني (الكومبيوتر) ، وأجرت عليها بعض التعديلات في كانون الثاني ١٩٦٧ ، وقامت الولايات المتحدة بتزويد (إسرائيل) بما تحتاج اليه من أسلحة ومعدات لتنفيذ خطة الهجوم .

د ـ العوامل المباشرة للحرب : برزت خلال سنوات ما قبل عدوان حزيران مطامع (إسرائيل) في ضم الأراضي المجردة من السلاح إليها ، وهي الأراضي الواقعة في شمالي فلسطين . كما أن (إسرائيل) بدأت تحوّل مياه روافد نهر الأردن . وقد ردّت الدول العربية على ذلك بأن أنشأت هيئة خاصة لاستثمار مياه تلك الروافد ، فما كان من (إسرائيل) إلاّ أن أمعنت في تنفيذ ضم الأراضي المنزوعة السلاح وتحويل الروافد بقوة السلاح والاعتداءات المتتالية . وفي الوقت ذاته راحت تصعّد عملياتها الاستفزازية بضرب الوسائط والمعدات التي كانت تعمل في المشروع العربي لتحويل روافد الأردن ، والتحرش بالمزارعين السوريين ، وزيادة حجم التحديات ضد القوات السورية ، مما أدى إلى زيادة حدّة الاشتباكات التي بلغت ذروتها في الاشتباك الجوي يوم ٧/ ٤/ ١٩٦٧ .

تواترت الأخبار عن التدابير العسكرية التي اتخذتها (إسرائيل) ، وبخاصة ما يتعلق بحشدها لقوة ١١ ـ ١٣ لواء على الحدود السورية ، مما دفع مصر إلى الوفاء بالتزاماتها وفقاً لمعاهدة الدفاع المشترك السورية ـ المصرية التي تم التوقيع عليها في ٤/ ١١/ ١٩٦٦ ، فأوفدت رئيس أركان قواتها المسلحة ـ اللواء محمد فوزي ـ إلى دمشق لتقدير الموقف على الطبيعة وتنسيق التعاون . وعندما عاد إلى القاهرة أعلنت مصر حالة التعبئة القصوى ، وأخذت القوات المصرية تتحرك على شكل تظاهرة عسكرية اخترقت شوارع القاهرة يوم ١٥/٥/ ١٩٦٧ متوجّهة نحو سيناء . ثم طلبت القيادة المصرية في يوم ١٦ أيار من قائد قوات الطوارىء الدولية في سيناء سحب قوات الأمم المتحدة . وقام الأمين العام للأمم المتحدة ـ يوثانت ـ بمجموعة من الاستشارات السريعة قرر على أثرها تلبية طلب مصر سحب تلك القوات في يوم ١٩ أيار . ثم أعلن الرئيس جمال عبد الناصر* يوم ٢٣ أيار إغلاق مضائق تيران في وجه الملاحة الإسرائيلية ، وهكذا أزالت مصر آخر أثرين تبقّيا من العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ . وقد اعتبرت (إسرائيل) إغلاق المضائق بمنزلة إعلان حرب . وهكذا أخذت تسرع في اتخاذ التدابير للبدء بالعدوان مطمئنّة إلى تأييد الولايات المتحدة لخطتها . وقد بذل الأمين العام للأمم المتحدة جهودا في القاهرة وتل أبيب بغية الحدّ من تدهور الموقف . وظلت اتصالات الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي بمصر مستمرة ، فقد طلب رئيسا الدولتين العظميين من الرئيس عبد الناصر ألاّ يكون البادىء بالقتال لإتاحة الفرصة أمام الجهود الدبلوماسية لحل النزاع بالطرق السلمية .

أخذ احتمال الحرب يسيطر . وشرعت القوات السورية والمصرية تتوجّه نحو جبهات القتال، ووصلت فصائل من القوات الكويتية والسودانية والجزائرية إلى مواقع متقدمة على الجبهة المصرية يوم ٢٤/ ٥/ ١٩٦٧ . وظهر بوضوح أن (إسرائيل) ستقوم بالعدوان ، مما دفع الملك حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية الى التوجه إلى مصر يوم ٣٠ أيار ، وإلى عقد معاهدة دفاع مشترك ، تمّ بموجبها وضع القوات المسلحة الأردنية تحت تصرف القيادة المشتركة ، وأسندت قيادة القوات على الجبهة الأردنية للفريق عبد المنعم رياض (رئيس أركان القيادة المشتركة) الذي وصل إلى الأردن في اليوم الأول من حزيران ١٩٦٧ .

أما على الطرف الآخر فقد قامت (إسرائيل) بمجموعة من الإجراءات أظهرت نيّات قادة الكيان الصهيوني في العدوان ، مثل التعديل الوزاري واتخاذ بعض التدابير الاستثنائية . فعقد الرئيس جمال عبد الناصر إجتماعاً مع قادته يوم ٢ حزيران طرحت فيه احتمالات قيام القوات الإسرائيلية بتوجيه ضربة استباقية مباغتة إلى القوات المصرية . لكن بعض القادة لم يدركوا خطورة الموقف ، ولا سيما بعد أن قامت (إسرائيل) بمجموعة من الأعمال الخداعية المضلّلة ، فلم تتخذ القيادة المصرية الاستعدادات المناسبة الكفيلة بإحباط العدوان الإسرائيلي . وفي ليلة العدوان (ليلة ٤ ـ ٥ حزيران) قابل السفيران الأمريكي والسوفييتي الرئيس عبد الناصر والتمسا منه عدم قيام مصر ببدء الحرب . ولكن لم تمض سوى ساعات قليلة على ذلك حتى بدأت القوات الإسرائيلية الحرب .

هـ ـ الحرب على الجبهة المصرية : بدأ عدوان حزيران بضربة جوية كثيفة نفذتها القوات الجوية الإسرائيلية في الساعة ٨,٤٥ بتوقيت القاهرة من صباح يوم الإثنين ٥/ ٦/ ١٩٦٧ على القواعد الجوية المصرية ، وهي العريش وجبل لبنى وبير جفجافة وبير تمادة شرقي القناة في سيناء ، وأبو صوير وكبريت وفايد وغرب القاهرة وبني سويف في غربي القناة . واستمرت موجات الطائرات المغيرة حتى الساعة ١١,٤٥ ، وتمكنت من إخراج الطيران المصري من القتال . واستخدمت الطائرات في عملياتها نوعاً جديداً من القنابل ذات الرؤوس الباحثة من أجل تدمير المهابط وأرض المطارات وتخريبها لمدة طويلة . وتابعت القوات الجوية الإسرائيلية بعد ذلك غاراتها على المطارات في عمق الأراضي المصرية فهاجمت مطارات أنشاص وبلبيس في الساعة ١١,٤٥ ومطار الغردقة على البحر الأحمر في الساعة ١٢,١٥ ، ومطار الأقصر في صعيد مصر الساعة ١٢,٣٠ ، وهاجمت بعد الظهر مطار القاهرة الدولي . وأصبح باستطاعة القوات الإسرائيلية ، بعد ذلك ، تطبيق مخطط عملياتها (الذي حمل الاسم الرمزي : حركة الحمامة) ، والبدء بالهجوم في ثلاث مجموعات قتالية هي : مجموعة تال ، ومجموعة شارون ، ومجموعة يوفه .

١) مجموعة تال : تكوّنت هذه المجموعة من اللواءين المدرعين



السابع والثالث ولواء مظليين آلي ولواء مشاة آلي وخمس كتائب مدفعية وكتيبة مهندسين ، بالإضافة إلى كتيبة دبابات مستقلة لدعم المظليين ، وكتيبة دبابات لدعم لواء المشاة الذي سيهاجم قطاع غزة . وضمت هذه القوة نحو ٣٠٠ دبابة و ١٠٠ عربة مدرعة نصف مجنزرة ونحو ٦٠ مدفعا . وكانت مهمة هذه المجموعة العمل أثناء المرحلة الأولى على اختراق نطاق الدفاع الأول عند الحدود ، ومواجهة الفرقة الفلسطينية العشرين في خان يونس * ، ثم الانتقال إلى المرحلة الثانية واختراق مواقع الشيخ زويد وممر خروبة والوصول إلى العريش . ثم تنقسم إلى قسمين يتحرك القسم الثانوي منهما على المحور الشمالي في اتجاه رمانة والقنطرة ، ويتحرك القسم الرئيس جنوباً في اتجاه بير الحفن فجبل لبني ليشارك مجموعة يوفه في تدمير الفرقة المصرية الثالثة ، ثم يزحف على المحور الأوسط في اتجاه بير جفجافة ليدمّر الفرقة المدرعة الرابعة ، ويواصل بعد ذلك تقدمه نحو القناة في مواجهة الإسماعيلية .

٢) مجموعة شارون : وقد تألّفت من لواء مدرّع ولواء مشاة وكتيبة مظليين ومجموعة مكوّنة من كتيبة دبابات ووحدة استطلاع ووحدة مشاة آلية وست كتائب مدفعية ووحدة مهندسي اقتحام ضمت هذه المجموعة ٢٠٠ دبابة و ١٠٠ عربة مدرعة نصف مجنزرة ، و ١٠٠ مدفع . وحددت مهمتها باختراق دفاعات أم قطف - أبو عجيلة التي كان يدافع عنها نصف فرقة المشاة الثانية المصرية ، وفي الوقت نفسه يتم تثبيت النصف الآخر من الفرقة المتمركزة للدفاع عن قطاع القسيمة بلواء إسرائيلي مدرع مستقل ، الى أن تنهي مجموعة شارون مهمة المرحلة الأولى فتقوم بعد ذلك - في المرحلة الثانية - بمهاجمة دفاعات القسيمة من الشمال الغربي . وبعد تدمير هذه المواقع الدفاعية تتقدم الوحدات المدرعة والآلية من هذه القوة بسرعة في اتجاه نخل على المحور الجنوبي حيث تنصب كمينا لقوات مجموعة الشاذلي المدرعة وفرقة المشاة السادسة المصرية أثناء انسحابها المتوقع نحو ممر متلا . وبهذا تتم هذه المجموعة مهمتها ، ثم تشترك في عمليات التقدم الأخيرة نحو قناة السويس عبر ممري متلا والجدي مع قوات يوفه .

٣) مجموعة يوفه : تكوّنت من لواءين مدرّعين يضمّ كل منهما كتيبة مشاة آلية ومدفعية ذاتية الحركة . وقد ضمّت ٢٠٠ دبابة و ١٠٠ عربة مدرعة نصف مجنزرة . وكان واجب اللواء الأول من هذه المجموعة التحشّد في المنطقة ما بين رفح * وأبو عجيلة على بعد ٣٠ كم إلى الجنوب من مواقع رفح الدفاعية ، والتقدم عبر وادي الحريضين ، وهو مجرى ماء جاف يخترق كثبان الرمل التي لا تصلح لسير الآليات ، ثم القيام بالهجوم على المواقع الدفاعية المصرية في بير الحفن ، وصد الهجمات المضادة التي قد تقوم بها فرقة المشاة المصرية الثالثة من منطقة جبل لبني في اتجاه قوات تال أو قوات شارون . وأما اللواء المدرع الثاني لمجموعة يوفه فقد حشد في مؤخرة مجموعة شارون ، وكانت مهمته تطوير الهجوم بعد اختراق مواقع أم قطف - أبو عجيلة ، والاندفاع عبر الثغرة للالتقاء باللواء الأول الزاحف من اتجاه بير الحفن عند جبل لبني ، والإسهام في تدمير الفرقة الثالثة المصرية ، ثم التقدم في اتجاه بير حسنة وبير تمادا وممر متلا للاشتراك في عملية تدمير الفرقة المدرعة المصرية الرابعة والقوات المنسحبة عبر ممر متلا .

وبالإضافة إلى هذه المجموعات الرئيسة الثلاث التي رسم لها أن تركّز ضرباتها الأولى على المحورين الشمالي والأوسط ، ثم تطوّق المحور الجنوبي بمناورة اقتراب غير مباشر للقضاء على القوة الرئيسة المصرية هناك عن طريق قطع خطوط مواصلاتها والإمساك بطرق انسحابها ، كان هناك لواء مدرع مستقل حشد أمام القسيمة مهمته شغل القوة المصرية من دون التورط في قتال فعلي ، وذلك لتثبيت قوات النصف الثاني من فرقة المشاة الثانية أثناء الهجوم على النصف الأول من الفرقة في أبو عجيلة . وكان هناك أيضاً لواء مستقل مدعم

حشد أمام الكونتلا لمشاغلة قوة الشاذلي المدرعة وفرقة المشاة السادسة المصرية الموجودة هناك إلى أن تصل قوات شارون الى مؤخرتها عند نخل فيقوم بمطاردة هذه القوات أثناء انسحابها عبر طريق الكونتلا ـ التمد ـ نخل . وحشدت كتيبة مشاة مدعومة ببعض الوحدات الصغرى في إيلات * لحماية إيلات أثناء العمليات التي تجري بعيداً عنها . وحشدت القيادة الإسرائيلية أيضاً لواء مشاة وكتيبة مظليين وكتيبة دبابات ووحدات مدفعية في مواجهة قطاع غزة ، بالإضافة إلى قوات الدفاع المحلي الموجودة داخل المستعمرات الاثني عشرة القائمة قرب القطاع ، بهدف مهاجمة القطاع أثناء تنفيذ المرحلة الثانية من العمليات عقب اختراق دفاعات خان يونس من قبل قوات تال ، مما يسمح لهذه القوات بتطوير عملياتها نحو عمق سيناء .

مقابل ذلك كانت القوات المصرية في سيناء تضم ٩٠ ألف جندي مزودين بـ ٩٥٠ دبابة ومدفعاً ذاتيّ الحركة وقانص دبابات ، ونحو ألف مدفع ، بالإضافة إلى ألف ناقلة جنود مدرعة . وكانت هذه القوات موزّعة على امتداد جبهة سيناء ضمن التنظيم والواجبات التالية :

١) الفرقة ٢٠ الفلسطينية من جيش التحرير الفلسطيني * للدفاع عن قطاع غزة ، تدعمها كتيبة دبابات وبعض بطاريات المدفعية .

٢) فرقة المشاة السابعة في قطاع رفح ـ العريش . وتتألف من ٤ ألوية مشاة ؛ لواءين في رفح ، ولواء في ممر خروبة ، ولواء في بير الحفن .

٣) فرقة المشاة الثانية في قطاع أبو عجيلة ـ القسيمة . وتتألف من لوائي مشاة ، أحدهما في أبو عجيلة والثاني في القسيمة ، وفوجين مدرعين لدعم لوائي المشاة .

٤) فرقة المشاة الثالثة في قطاع جبل لبني ـ بير حسنة على المحور الأوسط في مؤخرة الفرقة الثانية . وتتألف من ثلاثة ألوية مشاة محمولة وفوج مدرع ولوائي مدفعية (تحتل النطاق الدفاعي الثاني على المحور الأوسط) .

٥) فرقة المشاة السادسة في قطاع الكنتلا ـ التمد ـ النخل على المحور الجنوبي ، وتتألف من ٤ ألوية مشاة محمولة ، وفوج مدرع ، ولواء مدفعية . وكانت مهمتها حماية طرق الاقتراب المؤدية إلى جنوب صحراء النقب * وميناء إيلات ، وحماية طريق الاقتراب من السويس عبر ممر متلا .

٦) مجموعة الشاذلي المكوّنة من لواء مدرع ، ولواء مغاوير آلي ، ولواء مدفعية . وقد تمركزت إلى الشمال الغربي من الفرقة السادسة بمهمة التعاون مع وحدات الفرقة السادسة لحماية طريق بير السبع ـ إيلات .

٧) الفرقة المدرعة الرابعة في قطاع بير جفجافة ـ بير تمادة . وتتألف من لواءين مدرعين ولواء مشاة محمول ولواء مدفعية . وكانت مهمتها العمل كقوة احتياط استراتيجي للجبهة ، وقد تمركزت قرب ممري جفجافة والجدي .

وكان يوجد لواء مغاوير في رمانة وبالوظة على المحور الشمالي الساحلي ، ولواء مشاة آخر في جبل الطور على الساحل الشرقي لخليج السويس . بالإضافة إلى قوة كتيبتي مشاة في شرم الشيخ .

أفادت القوات الإسرائيلية من موقف القوات المصرية المنتشرة على مساحات واسعة ، فوضعت خطتها على أساس تدميرها بضربات متتالية ، وأفادت أيضاً من الموقف السياسي الذي وضع القوات العربية في مواقع الدفاع فرسمت خطتها على أساس هجومي يعتمد على تركيز القوات للحصول على التفوّق وللإمساك بالمبادأة . وقد استطاعت القوات الإسرائيلية تنفيذ مخططها مع بعض التعديلات الثانوية . وتمكنت ، بعد اختراق النطاق الدفاعي الاول ، من التحول إلى المطاردة ، فوصلت قوات مجموعة تال إلى القنطرة شرق في الساعة العاشرة من صباح اليوم الخامس للحرب (٩/ ٦/ ١٩٦٧) ، في حين كانت دبابات مجموعة يوفه قد وصلت إلى القناة بعد منتصف ليل ٩/٦/ ١٩٦٧ . وكانت مجموعة شارون قد وجهت بعض قواتها للوصول إلى القناة ، فعملت المجموعات الثلاث على تنظيم قواتها على ضفاف القناة .

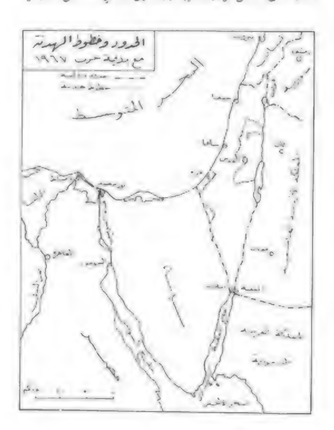
لم يكن تنفيذ المخطط العدواني ـ بالرغم من الظروف المناسبة ـ خالياً من العقبات . فقد خاضت القوات الفلسطينية في غزة * معارك ضارية استشهد فيها القسم الأكبر من عناصرها من أجل صد الهجوم وإعاقة تقدم قوات العدو . كذلك خاضت القوات المصرية معارك دفاعية وقاتلت بعناد في رفح والمفرق وخروبة وأبو عجيلة والعريش ومضيق متلا وفي كل مكان من أرض سيناء .

قامت القوات البحرية الإسرائيلية بإغارات على الموانىء المصرية في إطار العدوان الشامل ، فتقدمت المدمرة « يافو » ومعها ثلاثة زوارق طوربيد في ليلة ٦ حزيران ، ووصلت حتى مسافة ١٠ أميال من بور سعيد ، ودفعت رجال الضفادع البشرية إلى العمل ، ولكن الأسطول المصري كان قد سحب قطعه البحرية من بور سعيد ، فلم يصادف رجال البحرية الإسرائيليون أية قطعة حربية مصرية وفشلوا في تنفيذ مهمتهم . وجاءت غواصة إسرائيلية تحمل مجموعة أخرى من الضفادع البشرية أنزلتها على بعد ٤ كم من الإسكندرية لتدمير القطع البحرية المصرية ، إلاّ أن رجال البحرية المصرية ألقوا القبض على قوة الإغارة الإسرائيلية وأسروا أفرادها .

كانت خسائر القوات المسلحة المصرية في حرب ١٩٦٧ فادحة نُدّرت بنحو ١٠ آلاف شهيد ومفقود ، ونحو ٨٠٪ من أعتدة الجيش

المصري ، بينها ٨٠٠ دبابة وقانص ، وحوالي ٤٥٠ مدفعاً ، ونحو ١٠ آلاف مركبة من مختلف الأنواع . وأما المصادر الإسرائيلية فتزعم أن خسائرها في سيناء بلغت ٢٧٥ قتيلاً و ٨٠٠ جريح و ٣ طيارين بالإضافة إلى تدمير ٦١ دبابة .

و ـ الحرب على جبهة الأردن : ادعت (إسرائيل) أن اشتراك الأردن مع مصر هو سبب ما تعرض له الأردن من عدوان . إلاّ أن الوثائق تدحض هذه المزاعم وتؤكد أن مخططات الهجوم الصهيوني على الضفة الغربية من فلسطين قد أُعدت مسبقاً . وكانت هذه المخططات تعتمد على احتلال الضفة الغربية ومدينة القدس * القديمة على أساس توجيه ضربة رئيسة إلى شمالي القدس للسيطرة



على مجموعة التلال الحيوية التي تسهل عملية تطويق المدينة والإشراف على طريق التقدم نحو نهر الأردن * ، وتفتح طريق التقدم شمالاً نحو نابلس * عبر رام الله * . واتخذت هذه الضربة شكل تقدم على ثلاثة محاور : الأول من منطقة الشيخ عبد العزيز نحو النبي صموئيل ، والثاني من تل الرادار نحو النبي صموئيل حيث تلتقي القوتان وتتوجهان شرقاً إلى بيت حنينا لقطع طريق القدس ـ رام الله ، ثم تفترق القوتان لتتوجه إحداهما جنوباً نحو شمال القدس ، والأخرى تتجه شمالاً نحو رام الله . وأما المحور الثالث للتقدم فينطلق من اللطرون ثم يتجه شرقاً نحو رام الله حيث يتم اللقاء مع القوة القادمة من بيت حنينا ومن رام الله ، لتتوجه قوة نحو نابلس شمالاً ، وتتوجه قوة أخرى إلى الجنوب الشرقي نحو أريحا * الواقعة بين القدس ونهر الأردن . في الوقت نفسه كان على قوة إسرائيلية أن تطوّق القدس من الجنوب بعد الاستيلاء على قرية صورباهر ثم تقتحم المدينة من جهة الشرق . وقد أسندت هذه المهام القتالية إلى قيادة الجبهة الوسطى الإسرائيلية التي شكلت مجموعة قتالية ضمت لواء مدرعا ولواء مظلياً و ٣ ألوية مشاة . أما مواجهة الجيش الأردني واحتلال الضفة الغربية فقد أُلقيا على عاتق قوة من لواءين مدرعين ولواءي مشاة وكتيبة دبابات مستقلة ووحدات مساندة أخرى تضمّ كتيبة استطلاع مدرعة و ٣ كتائب مدفعية وكتيبة هندسة و ٨ كتائب ناحال و ٣ حاميات دفاع إقليمي .

مقابل ذلك كان التنظيم الدفاعي للأردن يضم ٦ ألوية مشاة ولواءين مدرعين ، وكان توزيعها صباح يوم العدوان على النحو التالي :

١) لواء المشاة ٢٥ مع كتيبة دبابات في منطقة جنين * .
٢) لواء المشاة الأميرة عالية في منطقة نابلس وطولكرم * وقلقيلية *
٣) لواء المشاة الهاشمي في منطقة رام الله .
٤) لواء المشاة علي بن أبي طالب في منطقة القدس
٥) لواء المشاة حطين في منطقة الخليل *
٦) لواء المشاة ٢٧ بين أريحا والقدس .
٧) اللواء المدرع ٦٠ في منطقة الخان الأحمر غرب أريحا .
٨) اللواء المدرع ٤٠ في منطقة جسر دامية .

وكان هناك لواء مشاة آخر موزع بين عمان والعقبة في الضفة الشرقية ، ثم لواء الحرس الملكي في عمان . وكان على الجبهة الشرقية ، بالإضافة إلى القوات الأردنية ، قوات عربية تتكوّن من لواء مشاة عراقي آلي كان يتمركز في المفرق وانتقل إلى جسر دامية بعد ظهر يوم ٥ حزيران ، ومن كتيبتي صاعقة مصريتين (مغاوير) وصلتا إلى مطار عمّان يوم ٣ حزيران فأُلحقت إحداهما بلواء المشاة ٢٥ في جنين ، وأُلحقت الثانية باللواء الهاشمي في منطقة رام الله . هذا بالإضافة إلى لواء سعودي غير كامل ـ من قوة المشاة ـ وصلت طلائعه يوم ٦ حزيران إلى المدورة وبقي هناك دون أن يشترك في الحرب . وكذلك اللواء المدرع السوري ١٧ الذي وصل إلى الأراضي الأردنية مساء يوم ٧ حزيران ولم يشترك في القتال الذي دار على الجبهة الأردنية . وكانت القوة الأردنية بمجموعها مكونة من ٢٥٠ دبابة و ٢٥٠ ناقلة مدرعة و ٢٠٠ مدفع ميدان .

بدأت قوات العدوان الإسرائيلي عملياتها على الجبهة الأردنية بعد أن وجّهت ضرباتها إلى سلاح الجو الملكي الأردني فدمرت ٣٢ طائرة « هوكر هنتر » في مطاري عمان والمفرق . وقد استفاد مخطط

العمليات الإسرائيلي من نقاط الضعف المماثلة لنظرتها على الجبهة المصرية ، وأبرزها انتشار القوات على مساحة جغرافية واسعة تمتد مسافة ٦٥٠ كم تقريباً . واستفاد أيضاً من المباغتة للقضاء على القوات الجوية والانفراد بحرية العمل العسكري في جو من التشتيت الكامل . وقد حدثت معارك دامية في القدس بين المدافعين عن المدينة ولواءى المظليين ومجندي القدس الإسرائيليين يومي ٥ و ٦ حزيران . وبينما كانت المعارك محتدمة في القدس كان لواء مشاة إسرائيلي تدعمه وحدة دبابات شيرمان يهاجم ممر باب الواد الضيق ومركز شرطة اللطرون المحصّن ، ويستولي عليهما في صباح يوم ٦ حزيران . وتقدمت وحدة استطلاع بعد ظهر اليوم ذاته في اتجاه الجنوب على طريق رام الله . واستولت على مطار القدس (مطار قلندية) ، على حين اشتركت في مساء اليوم نفسه وحدات اللواء مع كتيبتي دبابات في معركة القدس . في تلك الفترة كانت وحدات لواء المشاة ٢٥ الأردني تقاوم هجمات القوات الإسرائيلية على محاور التقدم الثلاثة ؛ محور حيفا * - جنين ، ومحور عين السهلة - يعبد * ، ومحور زرعين - جنين . ودارت أقسى المعارك في الساعة الثالثة من صباح ٦ حزيران عندما تقدمت القوات الإسرائيلية من سهل عرابة في اتجاه جنين . إذ استطاعت القوات الأردنية المتمركزة بصورة جيدة والمدعومة بقوة ١٥ دبابة تقريباً إحباط الهجوم وتدمير ٨ دبابات إسرائيلية . ولكن القوات الإسرائيلية كررت هجماتها واستطاعت اختراق المواقع الأردنية في الساعة السابعة من صباح ٦ حزيران ، فانتقل الصراع إلى شوارع جنين التي تعرضت لهجوم من كل الجهات ، مما أرغم المقاومة على الانسحاب . وفي قطاع اللواء المدرع الأردني الأربعين دارت معارك عنيفة في قباطية بدأت في الساعة ٤,٣٠ من يوم ٦/٦/ ١٩٦٧ ، واستمرت المعارك حتى بعد الظهر ، وتكبدت القوات الإسرائيلية خسائر فادحة ، واضطرت إلى التوقف وإعادة الهجوم مرات عديدة إلى أن ضعفت القوة المدرعة الأردنية ووجدت نفسها مهددة بالتطويق ، فانسحبت إلى الضفة الشرقية للأردن . ودارت معارك مماثلة في عرابة ، إلا أن التفوق الإسرائيلي أدى إلى إضعاف المقاومة ، واضطرها إلى الانسحاب في مساء ٦/ ٦/ ١٩٦٧ . وقد قام الفلسطينيون من أبناء الضفة الغربية ببذل الجهد في مقاومة العدوان ، والاشتراك في القتال إلى جانب القوات الأردنية ، مما كان له أكبر الأثر فيما نزل بالقوات الإسرائيلية من خسائر . وقد قدرت خسائر الأردنيين بنحو ٦,٠٩٤ شهيدا و٧٩٢ جريحاً ، وخسارة ١٥٠ دبابة . وفقدت كتيبتا المغاوير المصريتان في عملياتها بالقرب من مطار اللد ومن مدينة الرملة * نحو ٤٠ شهيداً و ٤٠ أسيرا من مجموع قوتها البالغة ٢٤٠ جنديا . مقابل ذلك زعم الإسرائيليون أنهم خسروا على الجبهة الأردنية نحو ثلاثمائة وقتيلين ، و ١,٤٥٣ جريحاً فقط .

ز - الحرب على الجبهة السورية : وضعت القيادة الإسرائيلية خططها على أساس أن تبدأ العمليات على الجبهة السورية بعد الانتهاء من تدمير جيشي مصر والأردن . ولم يكن لدى قيادة المنطقة الشمالية الإسرائيلية سوى لواء مشاة واحد ولواء مدرع واحد . وعقب انتهاء العمليات الحربية في الجبهة الأردنية دفعت الألوية المدرعة الثلاثة التي كانت مشتركة في القتال هناك إلى الجبهة السورية ونقلت إليها لواء المظليين الذي اشترك في معركة القدس ولواء مشاة آخر وعدداً من الوحدات الأخرى ، بحيث أصبح لدى القيادة الشمالية ، عشية بدء الهجوم على الجولان * يوم ٩/ ٦/ ١٩٦٧ ، قوة ٤ ألوية مدرعة وكتيبة دبابات مستقلة ولواء مظليين وكتيبة مظليين مستقلة و ٣ ألوية مشاة (أحدها آلي وهو لواء غولاني) وكتائب مدفعية ونقل تضم بمجموعها ٣٠ ألف جندي و ٢٥٠ دبابة تقريبا .

مقابل ذلك كان عند السوريين خمسة ألوية مشاة ولواءا مشاة آليان ولواءان مدرعان . وكانت هذه القوة موزعة ، منها لواء المشاة الحادي عشر في القطاع الشمالي (محور بانياس - القنيطرة) ، ولواء المشاة الثمانون في القطاع الأوسط (جسر بنات يعقوب - واسط - القنيطرة) ، ولواء المشاة التاسع عشر في القطاع الجنوبي (محور فيق - العال - القنيطرة) ، ولواء المشاة ١٢٣ في منطقة مسعدة (في عمق القطاع الشمالي) ولواء المشاة ٩٠ شمالي القنيطرة ، ولواء المشاة ٣٢ في منطقة البطيحة جنوبي القنيطرة ، واللواء المدرع ٧٠ غربي القنيطرة على المحور الأوسط . وكان اللواء المدرع ١٧ ولواء المشاة الآلي ٢٥ في الاحتياطي العام شرقي القنيطرة . وكان لدى كل لواء مشاة كتيبة دبابات ت - ٣٤ ، وقانصات الدبابات س . بو : ١٠٠ . وكانت هناك نحو ٣٠ دبابة بانزر ألمانية قديمة موزعة في مواقع ثابتة كمدافع مضادة للدبابات (معظمها في القطاع الشمالي) . وبلغ مجموع القوة السورية في الجولان نحو ٢٦٠ دبابة وقانصا ، ونحو ٢٦٥ مدفعاً ثقيلاً (من عيار ١٢٢ سم وحتى ١٥٢ مم) ونحو ١٠٠ مدفع مضاد للطائرات . وكانت هذه القوات ، وخاصة الموجودة منها في الخطوط الدفاعية المتقدمة ، متمركزة داخل مواقع دفاعية محصّنة ، تضمّ شبكة من الخنادق ومراكز للرصد والرمي وملاجىء تحت الأرض مشيّدة بالإسمنت المسلّح ، ومراكز قيادة محمية ضد قصف الطائرات والمدفعية ، وتحيط بالمواقع شبكات كثيفة من السياج الشائك وحقول الألغام والموانع الإسمنتية المضادة للدبابات . وكانت المناطق التي تدافع عنها ألوية النسق الأول واسعة (طول جبهة اللواء الواحد نحو ٢٠ كم) .

وضعت القيادة الإسرائيلية خطّط عملياتها على أساس :

١) قيام الكتلة الرئيسة من اللواء المدرع بخرق الدفاعات السورية عند موقع بحيرة طبرية ، والتقدم بسرعة نحو زعورة لمهاجمة

موقع القلع من الشمال مع مشاغلته جبهياً بقوة أخرى من اللواء ذاته من اتجاه موقع سراديب إلى الشمال الغربي منه . وبعد الاستيلاء على القلع يتقدم اللواء المدرع جنوباً إلى واسط ، ومن هناك يزحف غرباً للاستيلاء على القنيطرة .

٢) وفي الوقت ذاته يقوم لواء غولاني بتأمين الجناح الشمالي لهجوم اللواء المدرع باحتلال موقعي تل الفخار والعزيزيات وتطهير منطقة بانياس ، تدعمه في عملياته هذه سريتا دبابات شيرمان من اللواء المدرع المذكور . وقررت القيادة الإسرائيلية توجيه بعض الضربات الثانوية على المحور الأوسط تجاه مواقع راوية وتل هلال وعشمورة والدرباشية وجليبينه بوحدات مختلطة من لواء مشاة وفوج مظليين ولواء مدرع ، وذلك بهدف تثبيت القوات الرئيسة وتحويل انتباهها عن اتجاه الهجوم الرئيس . وأما في الجنوب فقد خطّط الإسرائيليون لتوجيه ضربة رئيسة أخرى يتم تنفيذها بعد بدء الهجوم في القطاع الشمالي ، وتقوم بها قوة تضم لواء مدرعا ولواء مشاة محمولا وفوج مظليين منقولا بطائرات عمودية (هيليوكوبتر) يتم إنزاله في العمق على المحور الجنوبي في كل من فيق والعال والبطيحة . وتعاون قوات هذه المجموعة قوة مدرعة من قوات المحور الأوسط تتقدم من الدرباشية جنوبا نحو البطيحة . وتتقدم قوة مدرعة أخرى من قوات المحور الأوسط من راوية إلى واسط ، ثم تتجه نحو القنيطرة مروراً بكفر نفاخ لدعم عمليات القوات المدرعة الزاحفة نحو القنيطرة من القلع .

بقيت الجبهة السورية حتى يوم ٩ حزيران شبه متوقّفة ، باستثناء بعض الهجمات الجوية التي قامت بها الطائرات السورية في الساعة ١١,٤٥ من يوم ٥ حزيران على مصافي البترول في حيفا ومطار مجدّو . وقد ردّت الطائرات الإسرائيلية في الساعة ١٢,١٥ من اليوم ذاته بهجوم أسفر عن تدمير ٦٠ طائرة سورية من مختلف الأنواع في مطارات دمشق والمناطق المحيطة بها . وانسحبت بقية الطائرات السورية إلى الشمال . كذلك قامت وحدات سورية احتياطية بعدد من الهجمات الثانوية على بعض المستعمرات القريبة من الحدود .

بدأت القوات الإسرائيلية هجومها البري في الجبهة السورية فجر يوم ٩ حزيران بقصف جوي مركز على المواقع الدفاعية الأمامية ، وذلك بعد أن تمّ حسم الموقف العسكري نهائياً على الجبهتين المصرية والأردنية . وقد اصطدمت القوات الإسرائيلية عند تنفيذها لمخططها العدواني بمقاومة شديدة ، ولا سيما أمام المواقع الدفاعية ، وفي القلع حيث تمّ تدمير ٤٠ دبابة إسرائيلية ، وأصيب قائد اللواء المدرّع بجراح ودمرت دبابته وقتل معاونه وعدد من قادة السرايا . وتكرر الصراع العنيف في زعورة وتل الفخار ، وانقضى اليوم الأول للعدوان دون أن يحقق العدو أي تقدم يذكر ، باستثناء اختراق بعض المواقع الأمامية .

وفي يوم ١٩٦٧/٦/١٠ تابع جيش العدو هجومه ثم توقف القتال في الساعة ١٨.٣٠ من اليوم نفسه بعد الاستيلاء على القمم الجنوبية لجبل الشيخ وشمالي الجولان كله حتى النخيلة عند الحدود اللبنانية . وخسرت سورية نحو ألف شهيد و ٥٦٠ أسيراً مقابل مقتل ١٥٢ إسرائيلياً وإصابة ٣٠٦ جنود بجراح . وخسرت سورية ٧٠ دبابة واستولى الإسرائيليون على ١٥٠ دبابة . وخسرت (إسرائيل) أكثر من ١٠٠ دبابة وناقلة .

ح ـ نتائج الحرب في الجانب الاسرائيلي :

١) سياسيا : برهنت (إسرائيل) للدول الغربية وللإمبريالية الأمريكية على قدرتها المتفوقة التي يمكن استخدامها للمحافظة على المصالح الغربية في المنطقة العربية ، ومنها المصالح النفطية والعمل ضد النفوذ السوفييتي .

٢) عسكريا : حققت (إسرائيل) أهدافها في الحرب ، ولم تلتزم بوقف إطلاق النار حتى تمّ لها تحقيق تلك الأهداف ، وكان من أبرز ما حققته السيطرة على مساحات كبيرة من الأرض العربية تزيد كثيراً على ما سبق لها احتلاله في حرب ١٩٤٨ ، اذ كانت مساحة الأرض المحتلة من فلسطين في حدود ٢٠,٧٠٠ كم^{٢} ، فضمّت إليها سيناء ٦١,١٩٨ كم^{٢} ، وقطاع غزة ٣٦٣ كم^{٢} ، والضفة الغربية ٥,٨٧٨ كم^{٢} ، والجولان ١,١٥٠ كم^{٢} . وبذلك أصبح مجموع الأراضي التي احتلها الكيان الصهيوني ٨٩,٣٥٩ كم^{٢} ، أي بزيادة أربعة أضعاف ما كانت تحتله عند إقامة هذا الكيان . وفتحت (إسرائيل) مضائق تيران ، وسيطرت على شرم الشيخ ، وضمنت لنفسها حماية الملاحة في خليج العقبة .

٣) اقتصاديا : سيطرت (إسرائيل) على المصادر النفطية في سيناء (حتى ربيع عام ١٩٨٢) وعلى موارد المياه في المرتفعات السورية والضفة الغربية ، وأصبح باستطاعتها تطوير عملية الهجرة والاستيطان في الأراضي العربية المحتلة . وعلاوة على ذلك أصبح باستطاعتها استغلال اليد العاملة العربية ـ الرخيصة نسبياً ـ لمشاريعها العمرانية والزراعية .

٤) جيواستراتيجيا : تحسّن الوضع الجيواستراتيجي (لإسرائيل) باقترابها من العواصم العربية (عمّان ودمشق والقاهرة) ، وتقلّصت الحدود مع الأردن من ٦٥٠ كم إلى ٤٨٠ كم (من بينها ٨٣,٥ كم طول البحر الميت) ، وازداد بذلك العمق الاستراتيجي (لإسرائيل) . وكسبت أوراقا للمساومة لسيطرتها على الأرض العربية ، وأقامت حدودها الجديدة عند موانع أرضية حاكمة (قناة السويس ـ نهر الأردن ـ مرتفعات الجولان) . وأثر ذلك في الروح المعنوية للمقاتلين الإسرائيليين وقياداتهم حتى بات في

تصورهم أنهم يستطيعون فرض إرادتهم وتحقيق مطامع (إسرائيل) في الوطن العربي .

ط) نتائج الحرب في الجانب العربي :

١) سياسياً : أيقظت النكسة الأليمة الوجدان العربي ، وهزته ، ونبهت الشعور القومي إلى الخطر الذي بات يتهدد كل العرب . وانعكس ذلك على التحرك العربي الذي أخذ اتجاهات عملية لإزالة آثار النكسة ، ودعم مواقع الصمود ، والاعتماد على الأصالة الذاتية للأمة العربية ، وتمت ترجمة ذلك في اجتماعات القمة العربية المتتالية التي أتاحت الإعداد للجولة التالية(الحرب العربية ـ الإسرائيلية ١٩٧٣) . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كشف شكل العدوان وطريقته وهدفه أمام العالم كله للمزاعم الصهيونية ـ والإمبريالية ـ التي كانت تستجدي العطف الدولي ، وتحصل على دعمه بحجة (إسرائيل) الضعيفة أمام العرب الذين يتهددونها ، مما أكسب العرب عطفا دوليا ساعدهم فيما بعد على عزل (إسرائيل) عالمياً ، وكان لذلك دوره الكبير في تغيير أسس الاستراتيجية لطرفي الصراع العربي ـ الإسرائيلي .

٢) عسكرياً : تعرّضت القوات العربية لخسائر كبيرة في عدوان حزيران (بالقوى والوسائط) ، غير أن هذه القوات تحركت بسرعة لإعادة تنظيم قدراتها وإمكاناتها ، واستطاعت خلال فترة وجيزة أن تعود أقوى مما كانت عليه ، وذلك بفضل الدعم العربي المادي ، وبفضل دعم الاتحاد السوفييتي بوسائط القتال . وعلاوة على ذلك دفعت مرارة النكسة الجماهير العربية وحكوماتها وقواتها المسلحة للعمل الدؤوب من أجل إعادة بناء القدرة القتالية والاستعداد للثأر . وأظهر عدوان حزيران عجز الإدارة العسكرية الإسرائيلية عن إخضاع العرب ، فعلى الرغم من حجم الانتصار العسكري الكبير ، زاد التصلّب العربي في مقاومة التحدي المفروض ، وخرج العرب من هذه الحرب وهم أكثر تصميماً على متابعتها بدلالة قرارات مؤتمر القمة في الخرطوم (ر : القمة العربية ، مؤتمرات) ، وحرب الاستنزاف على جبهة السويس ، وبدلالة متابعة الاستعداد للجولة التالية . وبذلك لم تتمكن (إسرائيل) ، رغم انتصارها العسكري ، من فرض هدفها السياسي وهو حمل العرب على الاعتراف بها والإقرار بوجودها . وكانت هذه النتائج بمجموعها بعض العوامل التي أدّت إلى الحرب العربية ـ الإسرائيلية الرابعة ، حرب تشرين الأول ١٩٧٣* .

المراجع :

ـ حسن مصطفى : حرب حزيران ١٩٦٧ ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ أمين النفوري : توازن القوى بين العرب وإسرائيل ، دمشق ١٩٦٨ .
ـ هيثم كيلاني : المذهب العسكري الإسرائيلي ، بيروت ١٩٦٩ .
— David Kimche : **The Sandstorm**, London 1968.
— Eric Rouleau, Jean- Francis Held, Jean et Simon Lacouture **Israel et les Arabes, Le 3e Combat**, Paris 1967.
— Institute For Strategic Studies: **Israel and The Arab World (The Crisis of 1967)**, London 1967.
— Michael Bar Zohar: **Histoire secrete de la Guerre D'Israël**, Paris 1968.
— Shmuel Seguev: **La guerre le six Jours**, Paris 1967.
— Walter Laquer: **The Road to Jerusalem**, New York 1968.

حرب ١٩٦٧ في منظمة الأمم المتحدة :

يعتبر العدوان الإسرائيلي على مصر وسورية والأردن في ١٩٦٧/٦/٥ بمثابة تحوّل خطير في مجرى الصراع العربي ـ الإسرائيلي ، إذ نتج عنه خلل في توازن القوى في المشرق العربي (أو ما يعرف بمنطقة الشرق الأوسط) ، وتبعته وتولّدت منه تطورات مختلفة ، حتى انتهى الأمر إلى نشوب حرب ١٩٧٣/١٠/٦ . وقد كُتب على قضية فلسطين ، بسبب حرب ١٩٦٧* ، أن تعود مرة أخرى إلى الأمم المتحدة بشكل مفاجىء وجديد وضاغط ، لتحوّل ، في إطار المنظمة الدولية ، إلى مناقشات وصراع قوى وتكتلات ، وإلى مشاريع قرارات ومشاريع مضادة وقرارات لا تنفّذ . وكانت تلك الفترة هامة ومؤثرة في تاريخ القضية على المستوى الدولي انتهت بإصدار مجلس الأمن قراره رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) في ١٩٦٧/١١/٢٢ الذي تضمّن مبادىء الحل السلمي للقضية حسب وجهة نظر مجلس الأمن . ومن أجل متابعة تطورات مناقشة العدوان في منظمة الأمم المتحدة لا بد من تقسيم البحث إلى أربع مراحل نستطيع من خلالها أن نرصد المواقف والمناقشات والتطورات ، وما انتهت إليه المنظمة من قرارات .

أ ـ المرحلة التمهيدية : كانت (إسرائيل) تبيّت خطة لغزو سورية في أيار ١٩٦٧ . وقد مهدت لهذه الخطة ، بغية تصعيد التوتر في المنطقة ، بمجموعة من العمليات العسكرية العدوانية الصغيرة المتتالية أرفقتها بتصريحات استفزازية متتابعة أطلقها حكّامها وساستها . وحينما تواترت المعلومات الموثوقة من مصادر عدة حول تصميم (إسرائيل) على تنفيذ خطتها ، وتكاثرت إعلانات حكامها من نياتهم وأهدافهم العدوانية ، أخذت سورية أهبتها للدفاع عن نفسها ، وهرعت مصر إلى إعلان تضامنها مع سورية ، وقررت أن تحرك قواتها المسلحة إلى الحدود . وقد أوجز الرئيس المصري جمال عبد الناصر* في خطابه يوم ١٩٦٧/٦/٩ أسباب ذلك القرار فقال : " لقد وجدنا واجباً علينا أن لا نقبل ذلك ساكتين . ففضلاً

عن أن ذلك واجب الأخوة العربية ، فهو أيضاً واجب الأمن الوطني ، فإن البادىء بسورية سوف يثني بمصر . وقد تحركت قواتنا المسلحة إلى حدودنا " . وكانت تقف على الحدود بين مصر (وإسرائيل) في سيناء قوات الطوارىء الدولية التي تم إنشاؤها ووضعها في قطاع غزة وعلى الأراضي المصرية المتاخمة (لإسرائيل) إثر العدوان الثلاثي على مصر (حرب ١٩٥٦) * . ولهذا طلبت مصر يوم ١٩٦٧/٥/١٦ من الأمين العام للأمم المتحدة بوثانت سحب هذه القوات . وجاء هذا الطلب ضمن إطار سيادة مصر على أراضيها ، إذ إن وجود قوات الطوارىء الدولية على الأراضي المصرية كان بموافقة الحكومة المصرية . ولذا فإن سحب هذه الموافقة كان لا بد من أن يتبعه انسحاب القوات الدولية .

استجاب الأمين العام لطلب مصر يوم ١٨ أيار ، وقدّم تقريراً إلى مجلس الأمن والجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة بشأن



مجلس الأمن الدولي يناقش القرار ٢٤٢

التطورات الأخيرة في الشرق الأوسط وخطورتها . ثم غادر نيويورك إلى القاهرة يوم ٢٢ أيار ، وعاد إلى مقر عمله بعد أربعة أيام . وخلال غيابه انعقد مجلس الأمن يوم ٢٤ أيار بدعوة من دولتين عضوين فيه ، هما كندا والدنمارك ، وذلك إثر ممارسة مصر حقها على مياهها الإقليمية ، إذ أعلنت يوم ٢٣ أيار عن إغلاق مضائق تيران في وجه الملاحة الإسرائيلية على اعتبار انها في حالة حرب مع (إسرائيل) . وكانت الدعوة إلى انعقاد المجلس ردة فعل من دول حلف الأطلسي على ممارسة مصر حقها الطبيعي هذا . وقد استمر المجلس في عقد اجتماعاته حتى آخر شهر أيار فتناول بالدراسة خلالها تقرير الأمين العام وموضوع إغلاق المضائق ومشاريع قرارات حول الوضع في الشرق الأوسط

قال الأمين العام في تقريره الذي قدمه إلى المجلس بعد عودته من القاهرة إن المسؤولين المصريين أكدوا له أن مصر لن تبدأ هجوما على (إسرائيل) ، وأن الهدف من التدابير التي اتخذوها هو العودة إلى الوضع الذي كان قائماً قبل عدوان ١٩٥٦ . وقال الأمين العام أيضا إن النزاع على مضائق تيران قد يؤدي إلى نشوب صدام شامل في الشرق الأوسط ، إذ إن (إسرائيل) تعتبر إغلاق المضائق بمثابة مبرر للحرب .

ناقش المجلس ثلاثة مشاريع قرارات ، أولها كندي - دنمركي مشترك يدعو دول المنطقة إلى الامتناع عن اتخاذ أية خطوة قد تؤدي إلى زيادة تدهور الوضع ، وثانيها أمريكي يدعو إلى الاستمرار في المساعي الدولية لتهدئة الموقف ، وثالثها مصري يدعو المجلسُ فيه (إسرائيل) إلى العودة إلى لجنة الهدنة المشتركة والتعامل بموجب اتفاقية الهدنة المشتركة التي ما تزال نافذة . ولم يصوِّت المجلس على أي مشروع بل أجّل انعقاده إلى ٣ حزيران ليعطي أعضاءه فرصة للتشاور مع حكوماتهم .

وحينما استأنف المجلس اجتماعاته في الموعد المذكور اتجهت المناقشة من قبل معظم الدول الأعضاء والدول التي شاركت في المناقشة نحو الطلب من (إسرائيل) أن تعلن أنها لن تبدأ هجوماً على الدول العربية ، أسوة بالعهد الذي قطعته مصر على نفسها للأمين العام . وقد تحدّت بعض الدول المشتركة في المناقشة الدول الكبرى ، وبخاصة الولايات المتحدة ، أن تنتزع مثل هذا التصريح من (إسرائيل) . ولكن هذه التحديات لم تسفر عن أية نتيجة ، ولم ينته المجلس في مناقشته إلى موقف موحد فأجل اجتماعاته إلى موعد غير محدد .

ب - العدوان في مجلس الأمن : لم تمض ساعات قليلة على بدء (إسرائيل) عدوانها صباح يوم ٥ حزيران حتى اجتمع مجلس الأمن بطلب قدمه مندوب مصر وبيّن فيه أن (إسرائيل) بدأت عدوانا غادرا على مصر فهاجمت قطاع غزة وسيناء وقناة السويس وبعض المطارات المصرية ، وأوضح أن مصر قررت الدفاع عن نفسها بجميع الوسائل وفقاً لمبدأ حق الدفاع المشروع الذي تنصّ عليه المادة الحادية والخمسون من ميثاق الأمم المتحدة

عرض الأمين العام أمام المجلس ما لديه من معلومات عن الوضع ، وقال إن القتال آخذ في الاتساع ، وإن قوات الطوارىء الدولية لم تعد على الحدود . وسرد ما جاء في تقارير كبير المراقبين الدوليين للهدنة الجنرال أود بول عما حدث على جبهة أخرى ، هي القدس ، إذ أطلقت (إسرائيل) النار صباح ذلك اليوم ، وهاجمت طائراتها سيارات الأمم المتحدة وقواتها ، وقتلت بعض جنودها . وقال إنه أرسل احتجاجاً شديداً إلى (إسرائيل) . وأنهى تقريره بالدعوة إلى إعلان القدس مدينة مفتوحة لحماية الأماكن الدينية فيها .

وبعد أن استمع المجلس إلى مندوبي (إسرائيل) والهند رفعت الجلسة بغية إتاحة الفرصة أمام الأعضاء للتشاور . وقد ظهرت من المشاورات ثلاثة اتجاهات : أولها أمريكي - بريطاني يدعو إلى إصدار نداء عاجل إلى الجانبين لوقف القتال فوراً ، على أن تترك القضايا الأخرى للبحث فيها فيما بعد . والاتجاه الثاني يقوده الاتحاد السوفييتي ويدعو إلى إدانة العدوان الإسرائيلي ووقف القتال وانسحاب قوات الجانبين إلى المواقع التي كانت فيها قبل اندلاع القتال . وأما الاتجاه الثالث فقد كان حلاً وسطاً بين الاتجاهين تقول به الهند والدول الإفريقية والأسيوية الأعضاء في المجلس ، ويدعو هذا الاتجاه إلى وقف القتال والانسحاب إلى مواقع ما قبل ٥ حزيران دون تعيين المعتدي أو إدانته . وكان أصحاب هذا الاتجاه يأملون في موافقة الولايات المتحدة عليه . ولكن الولايات المتحدة كانت متصلّبة في موقفها ، مما أدى إلى إطالة المشاورات ، بينما كانت (إسرائيل) تمعن في الاحتلال والتوسع . وانتهى الأمر بالمجلس إلى الموافقة بالإجماع على مشروع قرار قدّمه رئيسه ، وصدر القرار برقم ٢٣٣ (١٩٦٧) وتاريخ ٦ حزيران وفيه يطلب المجلس " من الحكومات المعنية أن تتخذ فوراً جميع الإجراءات لوقف إطلاق النار حالا ، ووقف كل نشاط عسكري في المنطقة "

جاء هذا القرار إذعاناً لإرادة الولايات المتحدة و(إسرائيل)، ولم يكن باستطاعة المجلس أن يفعل أكثر من ذلك ما دامت الولايات المتحدة ترفض أي اقتراح يدعو إلى عودة القوات إلى مواقعها قبل اندلاع القتال ، وتهدد باستعمال حق النقض لإسقاط أي مشروع قرار يتضمّن مثل ذلك الاقتراح . وهكذا خلقت الولايات المتحدة بموقفها يومذاك وضعاً جديداً خطيراً في الشرق الأوسط يحمل في طياته عوامل الانفجار وبذور صراع طويل الأمد . وقد جاء موقف الولايات المتحدة هذا استمراراً لخطتها الداعمة للصهيونية وأهدافها على حساب الوطن العربي والأمة العربية ، وعلى أساس انتهاك مبادىء القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة ، إذ شكّل هذا القرار سابقة خطيرة في العلاقات الدولية ، لأنه يقرّ ضمناً بمبدأ جواز اكتساب أراضي الغير عن طريق القوة . وهو مبدأ يرفضه القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة وإعلاناتها وقراراتها بدون استثناء (ر : الولايات المتحدة الأمريكية) .

تجاهلت (إسرائيل) قرار مجلس الأمن ، بالرغم من ترحيب وزير خارجيتها به ، وسدرت في عدوانها ، فعاد المجلس إلى الاجتماع في يوم ٧ حزيران واستمع إلى تقرير من الأمين العام جاء فيه أن الأردن أبلغه قبوله قرار وقف إطلاق النار ، غير ان القوات الإسرائيلية ما تزال مستمرة في عملياتها العسكرية . حينذاك قدم الاتحاد السوفييتي مشروع قرار أيّده المجلس بالإجماع وصدر برقم ٢٣٤ (١٩٦٧) طالب فيه " الحكومات المعنيّة بوقف إطلاق النار ، والامتناع عن القيام بأي نشاط حربي كخطوة أولى ، وذلك في تمام الساعة ٢٠,٠٠ (توقيت غرينتش) من يوم ١٩٦٧/٦/٧ " .

لم تنفّذ (إسرائيل) قراري المجلس المذكورين ، فعاد المجلس إلى الانعقاد يوم ٨ حزيران واستمع إلى تقرير الأمين العام عن استمرار القتال . وأبلغ الأمين العام المجلس أن مصر أعلنت موافقتها على قرار وقف إطلاق النار . ثم قدمت الولايات المتحدة مشروع قرار يطالب فيه المجلس جميع الأطراف بالتزام وقف إطلاق النار والدخول في مباحثات عاجلة لسحب القوات بمساعدة منظمة الأمم المتحدة ولم يحدد المشروع الأمريكي الخطوط التي يجب أن يتم الانسحاب إليها . ولهذا جاء المشروع الذي قدمه الاتحاد السوفييتي في الاجتماع ذاته موضحاً هذا الأمر ، إذ تضمن شجب المجلس النشاطات العدوانية الإسرائيلية ، ومطالبته (إسرائيل) بوقف عملياتها العسكرية وسحب جميع قواتها إلى ما وراء خطوط الهدنة . ولم ينجل الاجتماع عن اتخاذ قرار بشأن المشروعين المقدمين إلى المجلس .

وعاد المجلس إلى الاجتماع يوم ٩ حزيران بناء على طلب سورية . وفي مطلعه أعلن الأمين العام قبول سورية قرار وقف إطلاق النار ، وقال إن الهجوم الإسرائيلي براً وجواً ما زال مستمراً على سورية ، بالرغم من مرور أكثر من اثنتي عشرة ساعة على قبول سورية قرار وقف إطلاق النار . وقد أسفر اجتماع المجلس عن موافقته بالإجماع على مشروع قرار قدمه رئيسه ، وصدر برقم ٢٣٥ (١٩٦٧) وتاريخ ٩ حزيران ، جاء فيه أن المجلس " إذ يلاحظ أن حكومتي إسرائيل وسورية قد أعلنتا قبولهما المتبادل لطلب المجلس وقف إطلاق النار ، وإذ يلاحظ بيانات مندوبي سورية وإسرائيل ، ١ - يؤكد قراراته السابقة بشأن وقف إطلاق النار ووقف العمليات العسكرية ، ٢ - يطلب وقف الأعمال العدائية فوراً ، ٣ - يطلب من الأمين العام أن يقوم باتصالات فورية بحكومتي إسرائيل وسورية لتدبير استجابتهما الفورية للقرارات السابقة الذكر ، وأن يقدم تقريراً إلى مجلس الأمن في وقت لا يزيد على ساعتين منذ الآن " .

لم تنفّذ (إسرائيل) هذا القرار أيضاً ، مما دعا المجلس إلى عقد اجتماع يوم ١٠ حزيران بطلب من سورية والاتحاد السوفييتي للنظر في استمرار (إسرائيل) في عملياتها العسكرية العدوانية على سورية ، وأصدر قراراً بالإجماع برقم ٢٣٦ (١٩٦٧) وتاريخ ١٠ حزيران يدين فيه كل خرق لوقف إطلاق النار ، ويطلب من الأمين العام أن يستمر في تحقيقاته ويقدم بها تقريراً إلى المجلس ، ويدعو إلى إعادة أية قوات تكون قد تقدمت إلى الأمام بعد الساعة ١٦,٣٠ (توقيت غرينتش) من يوم ١٠ حزيران إلى مراكز وقف إطلاق النار فوراً .

لم تصعْ (إسرائيل) لهذا القرار الواضح المحدد بل مضت في هجومها فاحتلت مدينة القنيطرة السورية متحدية إجماع مجلس الأمن ، مما دعا سورية إلى طلب انعقاد المجلس الذي التأم يوم ١١ حزيران . فقدم المندوب الأمريكي مشروع قرار يطلب المجلس فيه من الأمين العام أن يجري تحقيقاً شاملاً في جميع تقارير وقف إطلاق النار ، ويطلع المجلس على النتائج بأسرع وقت ممكن ، ويدعو الحكومات المعنية إلى إصدار تعليمات مشددة إلى قواتها بوقف إطلاق النار وسائر العمليات العسكرية . كما قدمت ثلاث دول هي الأرجنتين والبرازيل والحبشة مشروع قرار ينص على أن المجلس " ١ - يدعو حكومة إسرائيل إلى تأمين سلامة وخير وأمن سكان المناطق التي جرت فيها عمليات عسكرية ، وتسهيل عودة أولئك الذين فرّوا من هذه المناطق منذ نشوب القتال ، ٢ - يوصي الحكومات المعنية بأن تحترم بدقة المبادئ الإنسانية الخاصة بمعاملة أسرى الحرب وحماية الأشخاص المدنيين في زمن الحرب التي تتضمنها اتفاقيات جنيف الصادرة في ١٢ آب ١٩٤٩ " .

وفي اجتماع المجلس يوم ١٣ حزيران قدم الاتحاد السوفييتي مشروع قرار يهدف إلى تصفية آثار العدوان . وجاء فيه أن المجلس يشجب بشدة العدوان الإسرائيلي واستمرار (إسرائيل) في احتلال قسم من أراضي مصر والأردن وسورية ، ويطلب من (إسرائيل) أن تسحب قواتها إلى ما وراء خطوط الهدنة فوراً ودون أي شرط .

وهكذا وجد المجلس أمامه حينما اجتمع يوم ١٤ حزيران عدة مشاريع قرارات تراكمت في اجتماعات سابقة ، وقد سحب أصحابها بعضها ولم يطلب آخرون التصويت على بعضها الآخر . وحينما جرى التصويت على مشروع القرار السوفييتي لم ينجح ، ولكن نجح مشروع القرار الذي قدّمته الأرجنتين والبرازيل والحبشة ففاز بالإجماع ، وصدر برقم ٢٣٧ (١٩٦٧) وتاريخ ١٤ حزيران .

وهكذا وجد مجلس الأمن نفسه أمام طريق مسدودة ، بعد أن قاومت الولايات المتحدة مشروع القرار السوفييتي . وأظهرت جلسات المجلس ومناقشاته مقدار عجز المجلس عن ردع المعتدي وإيقاف استمراره في العدوان ، كما أظهرت فشله في إجبار المعتدي على الانسحاب ، وما ذلك إلا بسبب انحياز الولايات المتحدة وبريطانيا انحيازاً تاماً إلى جانب (إسرائيل) وعدوانها وتوسعها . وقد كان المندوب البريطاني اللورد كاردون ، في أشدّ ساعات الأزمة وفي أوج وضوح خرق (إسرائيل) لقرارات المجلس الداعية إلى وقف القتال ، يتذرع بحجة عدم ورود معلومات موثوقة عما يجري في جبهات القتال ليثبط همة المجلس في اتخاذ أي قرار فعّال . وكان رئيس المجلس في ذلك الشهر ، وهو مندوب الدنمرك ، يبدو ضالعاً في هذا التسويف والتلاعب ، وكأن مؤامرة الاحتلال كان متفقاً على أدوارها سلفاً .

وكان أخطر ما في هذا الضعف الذي أبداه مجلس الأمن ، وهو السلطة التنفيذية المختصة في منظمة الأمم المتحدة ، أن يكتفي بمعالجة العدوان ضمن إطار وقف إطلاق النار فقط ، دون أن يتصدّى بشكل حاسم للاحتلال ، حتى ولا لانتهاك المعتدي لقرارات متتالية أصدرها المجلس نفسه . ولم يستعمل المجلس الصلاحيات والحقوق التي منحه إياها ميثاق الأمم المتحدة لمواجهة مثل هذه الحالات . وقد ثبت من المناقشات والمداولات التي جرت في المجلس وخلاله منذ اليوم الخامس حتى الرابع عشر من شهر حزيران أن سياسات ومواقف الولايات المتحدة ، تدعمها بريطانيا في ذلك ، هي السبب الحاسم الذي شلّ المجلس عن استخدام صلاحياته وحقوقه ، وعطل إعمال مبادىء الميثاق ، وجعل كلمة الأمر الواقع المفروض بالقوة تعلو على كل القيم والمبادىء التي ضحت الإنسانية من أجلها بالملايين من أبنائها وجسّدتها في أهداف ومبادىء ميثاق منظمة الأمم المتحدة .

جـ - العدوان في الجمعية العامة : إثر فشل مجلس الأمن في اتخاذ قرار يواجه فيه عدوان (إسرائيل) ويصفّي آثاره دعا الاتحاد السوفييتي إلى عقد دورة استثنائية طارئة للجمعية العامة للنظر في الوضع الناشىء عن احتلال (إسرائيل) أراضي تخص دولاً عربية ثلاثاً ، واتخاذ التدابير التي تؤدي إلى تصفية آثار العدوان وانسحاب القوات الإسرائيلية فوراً إلى ما وراء خطوط الهدنة . وقد حظي طلب الاتحاد السوفييتي بتأييد أكثرية الدول ، فبدأت الجمعية العامة دورتها الاستثنائية الطارئة الخامسة في ١٧ حزيران واستمرت حتى ١٩٦٧/٧/٢١ فقررت فيها وقف أعمالها مؤقتاً (القرار رقم ٢٢٥٦ بتاريخ ٢١ تموز) وتخويل رئيسها عقدها مجدداً عند اللزوم . وحينما دعا الرئيس الجمعية العامة إلى الانعقاد يوم ١٩٦٧/٩/١٨ قررت إنهاء الدورة الاستثنائية الطارئة (القرار رقم ٢٢٥٧ بتاريخ ١٨ أيلول) ، وإحالة محاضر جلساتها ووثائقها إلى دورتها العادية الثانية والعشرين ، (أيلول - كانون الأول ١٩٦٧) ، وإدراج بند في جدول أعمال الدورة المذكورة بعنوان " الحالة الخطيرة في الشرق الأوسط "

ناقشت الجمعية العامة الطارئة موضوع العدوان الإسرائيلي ، وتمثّلت الاتجاهات التي برزت أثناء المناقشة بسبعة مشاريع قرارات طرحت على التصويت . وكان نجاح أي مشروع قرار يتطلب تأييد أكثرية ثلثي الأصوات . وكانت مشاريع القرارات الخمسة الأولى تتعلق بالعدوان وتصفية آثاره ، وقد سقطت جميعها لدى التصويت عليها لأنها لم تنل النصاب المحدد . أما مشروعا القرارين الآخرين فقد أصبحا قرارين بعد موافقة الجمعية عليهما ، وكان أحدهما يتعلق بالنواحي الإنسانية والإغاثة والمساعدة ، وثانيهما بالوضع في مدينة

القدس . وفيما يلي الخطوط العريضة لمشاريع القرارات هذه وللقرارين المذكورين :

١) مشروع قرار الاتحاد السوفييتي : تشجب الجمعية العامة فيه بشدة العدوان الإسرائيلي ، وتطلب من (إسرائيل) أن تسحب قواتها إلى ما وراء خطوط الهدنة ، وأن تعوض على الدول العربية الثلاث التي احتلت (إسرائيل) بعضاً من أراضيها تعويضاً كاملاً عن جميع الأضرار التي لحقت بهذه الدول . وتناشد الجمعية مجلس الأمن أن يتخذ الإجراءات الفورية الفعالة لتصفية جميع نتائج العدوان الإسرائيلي

٢) مشروع قرار الولايات المتحدة : تقرر الجمعية فيه أن غايتها يجب أن تكون إقامة سلام مستقر ودائم في الشرق الأوسط عن طريق ترتيبات يتمّ التفاوض عليها بمساعدة طرف ثالث ومناسب ، وتكون على أساس خمسة مبادىء هي : " (١) إعتراف متبادل بالاستقلال والسيادة الإقليمية لجميع بلدان المنطقة ، بما في ذلك اعتراف بالحدود وترتيبات أخرى بينها التباعد وسحب القوات مما يضمن سلامة هذه البلدان من الإرهاب والتدمير والحرب ، (٢) حرية الملاحة ، (٣) حل عادل لمشكلة اللاجئين ، (٤) تسجيل شحنات الأسلحة إلى المنطقة وتحديدها ، (٥) الاعتراف بحقوق جميع الدول ذات السيادة في العيش في سلام وأمن " . (سحبت الولايات المتحدة مشروعها هذا فلم تصوت الجمعية العامة عليه)

٣) مشروع قرار ألبانيا : تدين الجمعية فيه (إسرائيل) لعدوانها ، والولايات المتحدة وبريطانيا لمساندتها العدوان واشتراكهما فيه ، وتطلب من (إسرائيل) سحب قواتها فوراً ودون أي قيد أو شرط ، والتعويض على الدول العربية الثلاث عن الأضرار التي حلت بها ، وتعلن احترامها لسيادة مصر بالنسبة للملاحة في قناة السويس ومضائق تيران

٤) مشروع القرار الأسيوي - الافريقي : قدمته ١٦ دولة ، بالإضافة إلى يوغسلافيا ، وهذه الدول هي : أفغانستان ، بوروندي ، كمبوديا ، سريلانكا ، كونغو برازافيل ، قبرص ، غينيا ، الهند ، اندونيسيا ، ماليزيا ، مالي ، باكستان ، السنغال ، الصومال ، تنزانيا ، زامبيا . وتدعو الجمعية فيه (إسرائيل) إلى سحب جميع قواتها فوراً إلى المواقع التي كانت فيها قبل الخامس من حزيران ، وتطلب من الأمين العام أن يسمي ممثلاً شخصياً له يساعده على تأمين الامتثال لهذا القرار ، وأن يرفع تقريراً إلى الجمعية العامة ومجلس الأمن حول امتثال (إسرائيل) للقرار . وتطلب الجمعية من مجلس الأمن بعد إكمال الانسحاب التام أن يدرس جميع القضايا المتعلقة بالوضع في المنطقة من جميع جوانبها القانونية والسياسية والإنسانية .

٥) مشروع قرار دول أمريكا اللاتينية : قدمت عشرون دولة من أمريكا اللاتينية مشروع قرار تدعو فيه الجمعية (إسرائيل) إلى سحب قواتها من الأراضي المحتلة ، على أن يرافق ذلك انتهاء حالة الحرب لدى الجانبين . وتطلب الجمعية من مجلس الأمن إيجاد حل لمشكلة اللاجئين ، وتأمين حرية الملاحة ، وضمان سلامة الاستقلال السياسي لدول المنطقة . وينص مشروع القرار كذلك على أن تدرس الجمعية في دورتها العادية الثانية والعشرين (أيلول ١٩٦٧) موضوع إقامة حكم دولي في القدس .

٦) القرار الإنساني : قدمت مشروعه ٢٦ دولة من مختلف مناطق العالم . ونال تأييد ١١٦ دولة ، ولم يعترض عليه أحد ، وامتنعت دولتان عن التصويت . وصدر القرار برقم ٢٢٥٢ (الدورة الاستثنائية الطارئة - ٥) وتاريخ ١٩٦٧/٧/٤ . وجاء فيه أن الجمعية ترحب بالقرار الإنساني الذي اتخذه مجلس الأمن برقم ٢٣٧ (١٩٦٧) وتاريخ ١٩٦٧/٦/١٤ ، - وهو الذي سبقت الإشارة اليه - وتعرب الجمعية عن سرورها لنشاطات ومساعدات منظمات الصليب الأحمر والمنظمات الخيرية الأخرى والمنظمات والمؤسسات التابعة للأمم المتحدة . وتدعو جميع الحكومات والأفراد إلى تقديم التبرعات إلى وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى* بغية توفير المساعدة الإنسانية للأشخاص المشردين الذين يحتاجون إلى المساعدة الفورية نتيجة للأعمال العدوانية الأخيرة .

٧) قرار القدس : قدمت مشروعه الباكستان وغينيا وإيران ومالي والنيجر وتركيا . وقد نال تأييد ٩٩ دولة ، مقابل لا أحد ضده ، وامتنعت ٢٠ دولة عن التصويت . وصدر القرار برقم ٢٢٥٣ (الدورة الاستثنائية الطارئة - ٥) وتاريخ ١٩٦٧/٧/٤ ؛ وجاء فيه أن الجمعية العامة تعتبر أن التدابير التي اتخذتها (إسرائيل) لتغيير وضع المدينة باطلة ، وتطلب منها إلغاءها والامتناع عن الإتيان بأي عمل من شأنه إجراء تغيير في وضع المدينة . وطلبت الجمعية من الأمين العام أن يقدم إليها تقريراً في غضون أسبوع بشأن تنفيذ القرار . وحينما استأنفت الجمعية أعمالها يوم ١٢ تموز كان أمامها تقرير الأمين العام بشأن الإجراءات التي قامت (إسرائيل) بها لتغيير وضع القدس . وقد ثبت للجمعية منه أن (إسرائيل) لم تنصع لتنفيذ القرار ٢٢٥٣ ، فأصدرت قراراً آخر برقم ٢٢٥٤ (الدورة الاستثنائية الطارئة - ٥) وتاريخ ١٩٦٧/٧/١٤ أعلنت فيه أسفها لتخلّف (إسرائيل) عن تنفيذ قرار الجمعية ٢٢٥٣ ، وأكدته وطلبت من الأمين العام أن يقدم إلى الجمعية العامة ومجلس الأمن تقريراً عن الحالة وعن تنفيذ القرار . وقبل أن تنهي الدورة الاستثنائية الطارئة أعمالها استمعت الجمعية يوم ١٢ أيلول إلى تقرير الأمين العام عن

تنفيذ (إسرائيل) القرار ٢٢٥٤ . وقد جاء فيه أن (إسرائيل) تقوم فعلاً باتخاذ جميع الخطوات لتستكمل وضع القدس العربية تحت إدارتها ، وأنها اتخذت جميع الإجراءات القانونية والإدارية لتحقيق هذه الغاية . وقال الأمين العام في تقريره إن السلطات الإسرائيلية اعلنت ان ضمّ القدس عمل لا يمكن الرجوع عنه وغير قابل للمفاوضة .

هذه ، بإيجاز ، تطورات قضية العدوان الإسرائيلي في الجمعية العامة ، وقد تمثلت بمناقشات كانت جادة في بعض الأحيان ، وبمشاريع قرارات كثيرة أشير إلى مضامينها . وفيما يلي مقارنة بين مشاريع القرارات الخمسة الأولى :

١) في تسمية المعتدي وإدانته : انفرد المشروعان السوفييتي والألباني من دون المشاريع الأخرى بنسبة (إسرائيل) على أنها المعتدية ، وطالبا بإدانتها .



٢) في سحب القوات الإسرائيلية : تضمنت المشاريع السوفييتية والألبانية والآسيوية - الإفريقية طلباً واضحاً بسحب القوات الإسرائيلية إلى خطوط محددة هي المواقع التي كانت فيها قبل الخامس من حزيران . على حين جاء المشروع الأمريكي خلوا من التحديد ، إذ نص على أن يكون سحب القوات أحد الترتيبات التي تضمن سلامة (إسرائيل) من الإرهاب والتدمير والحرب ، وجعله خاضعا ، مع ترتيبات اخرى ، للتفاوض . ولا يشير المشروع الأمريكي من قريب او بعيد إلى وجوب أن يكون الانسحاب كاملاً ، او ان يكون شرطا أساسياً من شروط إجراء التسوية ، بل يجعله أمراً تابعاً للمفاوضة . أما مشروع دول أمريكا اللاتينية فإنه لم يحدد خطوط الانسحاب الذي ربطه بإعلان انهاء حالة الحرب .

٣) في دور مجلس الأمن : يتضمّن المشروع السوفييتي مناشدة الجمعية العامة مجلس الأمن أن يتخذ إجراءات فعلية لتصفية نتائج العدوان . وفي هذا دعوة صريحة لكي يطبق المجلس عند الضرورة الفصل السابع من ميثاق منظمة الأمم المتحدة إذا فشلت جميع الجهود الأخرى لحمل (إسرائيل) على الانسحاب من الأراضي المحتلة . والفصل السابع هذا يعطي مجلس الأمن الحق في اتخاذ العقوبات والإجراءات اللازمة التي تؤمن انسحاب القوات الإسرائيلية . أما المشروع الأمريكي فقد اكتفى بأن تطلب الجمعية من المجلس أن يستمر في وضع الحالة في الشرق الأوسط قيد الدراسة الدقيقة وجاء المشروع الآسيوي - الإفريقي ليكون وسطاً بين المشروعين السوفييتي والأمريكي ، إذ تطلب فيه الجمعية من المجلس ان ينظر في مدى امتثال (إسرائيل) لنصوص مشروع القرار الذي يتضمن سحب القوات الإسرائيلية إلى المواقع التي كانت فيها قبل ٥ حزيران . ومن حق المجلس إذا ما ثبت له عدم امتثال (إسرائيل) لهذا الطلب أن يتخذ من التدابير ما يكفل امتثالها لقرار الانسحاب . أما مشروع دول أمريكا اللاتينية فقد اكتفى بأن يطلب من المجلس مواصلة دراسته لمشكلة الشرق الأوسط .

٤) في القضايا الأخرى : وهي القضايا الخاصة بإنهاء حالة الحرب ، وعيش الدول بأمان وسلام ، وحرية الملاحة ، ومشكلة اللاجئين ، وغيرها . ففي حين اقتصر المشروعان السوفييتي والألباني على سحب القوات الإسرائيلية أعطى المشروع الآسيوي - الإفريقي الأولوية للموضوع ذاته ، بعد إكمال خطوة الانسحاب وجميع القضايا القانونية والسياسية والإنسانية الأخرى . وفي حين قرن مشروع دول أمريكا اللاتينية مسألة سحب القوات الإسرائيلية بإنهاء حالة الحرب وضع المشروع الأمريكي المسألة ذاتها في موضع ثانوي ، وأعطى الأولوية للقضايا الأخرى

هكذا أنهت الجمعية العامة دورتها الاستثنائية الطارئة الخامسة ، دون أن تتوصل إلى اتخاذ قرار يعالج عدوان (إسرائيل) ويصفّي نتائجه ، ويعكس - على أقل تقدير - رغبة الأغلبية الساحقة التي طالبت بسحب القوات الإسرائيلية .

د - مبادىء الحل السياسي في مجلس الأمن : بالرغم من اتفاق الأطراف المعنية على وقف إطلاق النار فإن الاعتداءات الإسرائيلية لم تتوقف ، بل استمرت ، وعالج مجلس الأمن بعضها ، وعقد اجتماعات في ٨ تموز و ٩ تموز و ٢٤ و ٢٥ تشرين الأول ١٩٦٧ لدراسة اعتداءات (إسرائيل) على مصر . ثم عاد المجلس إلى الاجتماع في ٩ تشرين الثاني بناء على طلب مصر للنظر في الوضع الخطير السائد في الشرق الأوسط والناجم عن استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية بنتيجة عدوان ١٩٦٧/٦/٥ . واستمر المجلس في عقد جلساته حتى انتهى من مناقشة قضية العدوان في

٢٢/١١/١٩٦٧ حين أصدر قراره رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) . وفي أثناء المناقشة كان أمام المجلس أربعة مشاريع قرارات :

١) مشروع القرار الذي تقدمت الهند ومالي ونيجيريا وفيه يطلب المجلس سحب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي المحتلة نتيجة النزاع الأخير ، ويقرر أن لكل دولة الحق في أن تعيش بسلام ضمن حدودها ، وأن تحترم السيادة والسلامة الإقليمية والاستقلال لكل دولة من دول المنطقة . ويدعو المشروع إلى إيجاد تسوية لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، وضمان حرية الملاحة .

٢) مشروع قرار الولايات المتحدة : وينص على أن السلم العادل والدائم يشمل سحب القوات من أرض احتلتها ، وإنهاء حالة الحرب ، واعترافاً واحتراماً متبادلين بحق كل دولة في المنطقة بسلامة أراضيها وسيادتها واستقلالها وبحدود آمنة بعيدة عن التهديد باستعمال القوة . كما ينص المشروع على ضرورة ضمان حرية الملاحة ، والوصول إلى حل عادل لمشكلة اللاجئين ، وإقامة مناطق مجردة ، ووضع حد لسباق التسلح في المنطقة .

٣) مشروع قرار الاتحاد السوفييتي : وقد تضمن سحب القوات المسلحة إلى مواقع ما قبل ٥ حزيران فورا ، وحق كل دولة في المنطقة في العيش مستقلة بأمان ، واحترام كل دولة استقلال الدول الأخرى وسلامتها الإقليمية ، والحل العادل لمشكلة اللاجئين ، وضمان حرية المرور في ممرات المياه الدولية ، وإنهاء حالة الحرب ، وإنهاء سباق التسلح .

٤) مشروع قرار بريطانيا : وهو المشروع الذي وافق عليه مجلس الأمن بالإجماع وصدر برقم ٢٤٢ (١٩٦٧) وتاريخ ٢٢/١١/١٩٦٧ . وفيما يلي نصه الكامل (ترجمة النص الأصلي كما جاء باللغة الإنكليزية) :

" إن مجلس الأمن ،

" - إذ يعرب عن قلقه المستمر بشأن الوضع الخطر في الشرق الأوسط ،

" - وإذ يؤكد عدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالحرب ، والحاجة إلى العمل من أجل سلام دائم وعادل تستطيع كل دولة في المنطقة أن تعيش فيه بأمان ،

" - وإذ يؤكد أيضاً أن جميع الدول الأعضاء ، بقبولها ميثاق الأمم المتحدة ، قد التزمت بالعمل وفقاً للمادة الثانية من الميثاق ،

" - ١ - يؤكد أن تطبيق مبادىء الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ، ويستوجب تطبيق كلا المبدأين التاليين :

أ - انسحاب القوات الإسرائيلية من أراضٍ احتلت في النزاع الأخير ، (نص الفقرة بالفرنسية والإسبانية والروسية والصينية : انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي المحتلة في النزاع الأخير) ،

" ب - إنهاء جميع ادعاءات أو حالات الحرب ، واحترام سيادة ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة والاعتراف بذلك ، وكذلك استقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، حرة من التهديد بالقوة أو استعمالها .

" ٢ - يؤكد أيضاً الحاجة إلى :

أ - ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة .

ب - تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

ج - ضمان حرمة الأراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق إجراءات من بينها إقامة مناطق مجرّدة من السلاح .

" ٣ - يطلب من الأمين العام تعيين ممثل خاص يتوجه إلى الشرق الأوسط كي يجري اتصالات بالدول المعنية ، ويستمر فيها بغية إيجاد اتفاق ومساعدة الجهود لتحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقاً لأحكام هذا القرار ومبادئه .

" ٤ - يطلب من الأمين العام أن يرفع تقريراً إلى مجلس الأمن بشأن تقدم جهود الممثل الخاص في أقرب وقت ممكن " .

كانت المشاورات خلال الفترة الممتدة من ٩ إلى ٢٢ تشرين الثاني تدور بنشاط كثيف بين أعضاء المجلس ومندوبي الدول العربية ، واتجهت الأنظار إلى المشروع البريطاني كحل وسط بين المشاريع الأخرى قد يكون مقبولاً من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ومن بعض الدول العربية . وكانت مصر والأردن يسيران مع هذا الاتجاه من التوافق ، على حين كانت سورية ترى في المشروع تراجعا لأنه لا يعيّن بوضوح الخطوط التي يجب أن تنسحب إليها القوات الإسرائيلية ، ويقر (لإسرائيل) بما حازت من توسع غير قانوني قبل حزيران ١٩٦٧ ، ويجعل الانسحاب رهناً بتحقيق شروط أخرى ، لا شرطاً سابقاً لأي جهد سياسي مثمر .هذا علاوة على أنه لا يتناول جوهر النزاع وهو قضية فلسطين وحقوق الشعب العربي الفلسطيني إلاّ من زاوية إيجاد حل عادل لمشكلة اللاجئين ، متناسياً بذلك جميع قرارات الجمعية العامة التي أصدرتها منذ عام ١٩٤٨ وما زالت تصدرها في كل عام ، وضمنت بها للفلسطينيين حق العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم .

قدّم المندوب البريطاني مشروعه إلى مجلس الأمن على أنه وليد مشاورات طويلة ، وأعلن أنه لا يمكن إدخال أي تغيير عليه ولو كان صغيراً ، فإما أن يقبل برمته كما هو أو يردّ . وكان القصد من هذا الموقف محاولة إحباط أي جهد أو مسعى يهدف إلى إدخال « أل » التعريف على كلمة « أراضٍ » في جملة : " انسحاب القوات الإسرائيلية من أراض احتلت في النزاع الأخير " ، إذ يمكن تأويل هذه الجملة كما وردت في النص الأصلي بالإنكليزية على أن الانسحاب لن يكون بالضرورة شاملاً إذ قد يسمح (لإسرائيل) بأن

تحتفظ بقسم من الأراضي التي احتلتها لتوفر لنفسها حدوداً " يمكن الدفاع عنها " أو الحدود الآمنة * كما بدأت تطلق عليها . ولهذا فقد أسرع مندوبو عدة دول كفرنسا ، والاتحاد السوفييتي ، ومالي ، والهند ونيجيريا وغيرها ، إلى التصريح قبل التصويت على المشروع البريطاني وبعده بأن حكوماتهم تفهم القرار على أنه يعني انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي التي احتلتها بعد ١٩٦٧/٦/٥ .

وبصدور القرار ٢٤٢ بدأت مرحلة جديدة تميزت باتساع إطار الثورة الفلسطينية ، وتزايد ساحات ومعارك المقاومة الفلسطينية المسلحة ، وتزايد تأييد حركات التحرر الوطنية والقوى التقدمية في العالم لها ، على حين كانت (إسرائيل) مستمرة في تطبيق خطتها في ضم الأراضي المحتلة خطوة بعد خطوة ، وفي رفض قرارات منظمة الأمم المتحدة وتحدي ميثاقها وانتهاك مبادئه ، واستمرت الحال على ذلك حتى نشبت حرب ١٩٧٣/١٠/٦ (ر : حرب ١٩٧٣) .

المراجـــع :

- مجموعة قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة لعام ١٩٦٧ .
- تقرير الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة إلى الجمعية العامة عن نشاطات المنظمة من ١٦ حزيران ١٩٦٦ إلى ١٥ حزيران ١٩٦٧ ، وثيقة الأمم المتحدة رقم A/ 670 المقدمة إلى الجمعية في دورتها ٢٢ لعام ١٩٦٧ .
- تقرير مجلس الأمن إلى الجمعية العامة عن المدة الواقعة بين منتصف عام ١٩٦٦ ومنتصف عام ١٩٦٧ ، وثيقة الأمم المتحدة رقم A/ 6702 2 المقدمة إلى الجمعية في دورتها ٢٢ لعام ١٩٦٧ .
- وثائق ومحاضر اجتماعات مجلس الأمن عن المدة الواقعة بين ١٦ أيار و ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ .
- وثائق ومحاضر اجتماعات الدورة الاستثنائية الطارئة الخامسة للجمعية العامة من ١٧ حزيران حتى ١٨ أيلول ١٩٦٧ .
- جورج ديب : العدوان الإسرائيلي في الأمم المتحدة ، بيروت ١٩٦٨ .
- اليوميات الفلسطينية ، المجلدان الرابع والخامس ، ١٩٦٧ ، المجلد السادس ، ١٩٦٨ ، بيروت .

حـــرب ١٩٧٣ :

أ ـ الوضع العام والاستعداد للحرب :

١) الوضع العسكري بعد ١٩٦٧ : كان الوضع العسكري العربي غداة عدوان حزيران ١٩٦٧ * قاسيا ومؤلما . فقد استولت القوات الإسرائيلية على فلسطين بكاملها ، واحتلت في الجنوب سيناء ووصلت إلى قناة السويس ، واحتلت في الشمال مرتفعات الجولان ، على حين فقدت دول المواجهة العربية ، مصر وسورية والأردن ، قسما هاما من إمكاناتها العسكرية وجزءاً من طاقاتها الاقتصادية .

كانت هذه هي النتائج المباشرة لعدوان ١٩٦٧ على ساحة المواجهة . أما في المجال السياسي ، وعلى صعيد الأمم المتحدة ، فقد رفضت (إسرائيل) بعناد وتصميم قبول أي حل يؤدي إلى انسحاب قواتها من الأراضي التي احتلتها بالقوة ، كما رفضت رفضا قاطعا الاعتراف بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني * وبحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم (ر : العودة ، حق) .

في مواجهة هذا الوضع العسكري السياسي تأكد للحكومات العربية بعامة ، والسورية والمصرية بخاصة ، أن القوة هي الوسيلة الوحيدة لاسترداد الحق العربي المغتصب .

٢) الاستعداد للحرب : بدأت سورية ومصر تستعدان للمعركة في مختلف المجالات . وكان من الطبيعي أن يحظى تسليح القوات المسلحة وتدريبها وإعادة تنظيمها بالاهتمام الأول . وقد بدأ تطبيق البرامج الخاصة بذلك ، بالرغم من أن المعارك توالت على الجبهتين السورية والمصرية وبلغت ذروتها في حرب الاستنزاف * التي نشبت على الجبهتين .

وفي هذه الظروف الصعبة ازداد بروز المقاومة الفلسطينية على ساحة النضال المسلح ، بأعمال محدودة في بادىء الأمر ضد العدو المحتل ، وبخاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ثم ما لبثت المقاومة أن طوّرت أعمالها حتى أخذت شكل ضربات موجعة للعدو الذي كان يرد بضربات انتقامية في الأرض ومن الجو تحملت سورية والأردن القسط الأكبر منها بسبب وجود قواعد الفدائيين فوق أراضيهما .

التقت سورية ومصر على إرادة تحرير الأراضي المحتلة والإسهام في توفير الظروف والعوامل لنيل الشعب الفلسطيني حقوقه الوطنية . وتجسدت هذه الإرادة في الاتفاقية العسكرية التي وقع عليها القطران السوري والمصري يوم ١٩٧٠/١١/٢٦ وحددت فيها أهداف الصراع القادم وطرق قيادته وأجهزته التنفيذية . وكانت هذه الاتفاقية الأساس الذي بنيت عليه الخطة الإستراتيجية العسكرية والسياسية لحرب ١٩٧٣ .

أخذت الخطة الإستراتيجية السورية المصرية المشتركة التي تكاملت جوانبها وعناصرها خلال المرحلة الواقعة بين تشرين الثاني ١٩٧٠ وتشرين الأول ١٩٧٣ في حسابها حدود الصراع المسلح وقيوده في الظرف الراهن آنذاك ، فهو صراع يدور في وضع عالمي بالغ التعقيد قائم على أسس التوازن النووي والقدرة المتبادلة على الردع الإستراتيجي ، إلى جانب اتجاه يزداد اتساعا نحو الانفراج

الدولي وتسير في طليعته الدولتان العظميان الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة . وتحكم الصراع المسلح عوامل وعناصر ومعادلات متعددة متشابكة تختلف قوة وضعفا ، وظهورا واختفاء ، حسب المكان الذي ينشب فيه ذلك الصراع والظروف المحيطة به . ويبدو الرأي العام العالمي ، ولا سيما المتمثل بمنظمة الأمم المتحدة ، أحد العوامل الهامة المؤثرة في الصراع

٣) الاستراتيجية الإسرائيلية : إن الإعداد لأي صراع مسلح لا بد من أن يأخذ بعين الاعتبار قوة العدو وإمكاناته وقدرته على تحمل الحرب وآثارها ، وأن يحدد نقاط القوة لديه لضربها أو شلّها ، ونقاط الضعف فيه لاستغلالها والنفاذ منها . وللتعرف إلى الملامح الرئيسة للإستراتيجية العربية في حرب ١٩٧٣ لا بد من التعرض بإيجاز إلى ملامح الإستراتيجية الإسرائيلية .

كانت الخطوط الرئيسة للإستراتيجية الإسرائيلية عند نشوب حرب ١٩٧٣ امتدادا لنتائج عدوان حزيران ١٩٦٧ . فقد خططت (إسرائيل) للاحتفاظ بمكاسب تلك الحرب ، ثم استيعابها حتى تضع نهاية للمطالب العربية وتحقق بعض أهداف الصهيونية في التوسع في المرحلة الراهنة . ويمكن تلخيص تلك الخطوط الرئيسة بما يلي :

(١) الاحتفاظ بالوضع العسكري الناتج عن حرب ١٩٦٧ في الجبهات المحيطة (بإسرائيل) والأراضي المحتلة مستقرا هادئا ، ومجابهة كل تحرك عربي ، سواء كان فلسطينيا أو من إحدى الدول العربية ، بردّة فعل رادعة ضاربة أقسى وأعنف من الفعل ذاته .

(٢) استمرار حالة « اللاسلم واللاحرب » ، والعمل على إجهاض أي عنصر يمكن أن يغيّر معالمها أو يؤثر فيها

(٣) الاحتفاظ بقوة عسكرية متفوقة دائماً .

(٤) ترتيب الأوضاع في الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة ، واستعمارها وتغيير معالمها وبنيتها الجغرافية والسكانية ، تمهيداً لاستيعابها وضمّها .

(٥) الارتباط بقوى دولية كبرى تعتبر حليفاً قوياً ومضموناً تتبادل معه الخدمات وتأمين المصالح . والولايات المتحدة هي الدولة الكبرى الرئيسة التي اتخذتها (إسرائيل) حليفا صدوقا لها في المرحلة الراهنة .

(٦) استثمار الفرص لضرب جيوش الدول العربية المحيطة (بإسرائيل) وتحطيم الجهاز العربي العسكري وإلحاق الهزيمة بالقوات العربية إذا أمكن ذلك .

(٧) إضعاف الطاقات العربية وتهديدها وتفتيتها .

وكانت القيادة العسكرية الإسرائيلية أسّست الجيش ودرّبته وطوّرته وسلّحته بشكل يؤهله للتدخل وفق مبادىء ثلاثة هي العمل الهجومي ، والحرب الخاطفة ، ونقل المعركة إلى أرض العدو . ثم جاءت نتائج حرب ١٩٦٧ لتضيف عنصرا جديدا إلى المذهب العسكري الإسرائيلي هو عنصر الدفاع على خطوط دفاعية محصّنة ومجهّزة بأفضل ما تعرفه ترسانات الأسلحة من عتاد وتجهيزات ووسائل اتصال ، على أن تكون تلك الخطوط مخافر صدامية تراقب وترصد حركات العدو ، وتعيق تقدمه إذا ما بدأ الهجوم ريثما تتمكن قوات النسق الثاني والقوات العاملة والقوات الاحتياطية من التحرك على محاور العمليات وصد الهجوم . وهكذا كانت خطوط الدفاع الإسرائيلية على قناة السويس وهضبة الجولان وضفاف الأردن ، سواء ما كان منها خطاً دفاعياً متصلاً أو شبكة مستعمرات دفاعية ، الحد الامامي الذي يحفظ الأمن الإسرائيلي في مرحلة الترقّب والرصد وإعاقة أي هجوم عربي محتمل .

كوّنت (إسرائيل) من نتائج عدوان ١٩٦٧ ما سمي « نظرية الأمن الإسرائيلي » . وهي نظرية تقوم في جوهرها على أن أمن (إسرائيل) هو الأساس والغاية ، وأن على « أمن الآخرين » أن ينسجم ويتلاءم مع ذلك الأساس وهذه الغاية . لذا فإن كل ما يحقق (لإسرائيل) الأمن يجب أن يعتبر مقبولا ومعقولا ومبرّرا ، ويدخل في إطار ذلك استعمار الأراضي التي احتلتها (إسرائيل) في حزيران ١٩٦٧ ، وإقامة المستعمرات فيها وتغيير معالمها الجغرافية والسكانية والطبيعية ، وفرض الشروط التي تراها هي مناسبة لها ومحققة لأغراضها من أجل إقامة « السلام الإسرائيلي » في المنطقة .

استراحت (إسرائيل) إلى إستراتيجيتها هذه بعد أن توفر لديها الاقتناع بأن الدول العربية تفتقر إلى القوة الكافية والقدرة على التخطيط والتنظيم والتنفيذ ، وبأن الفرقة بينها لا تؤهلها للالتقاء على هدف واحد محدد ، أو لتوحيد صفوفها وتنظيم قواها واستخدام طاقاتها وفق إستراتيجية موحدة شاملة . وإذا ما حدث ذلك فإن القوات الإسرائيلية الضاربة (الجوية والمدرعة) قادرة على تحطيم القوات العربية المهاجمة . يضاف إلى ذلك أن تجربة (إسرائيل) في الحروب والمعارك السابقة علّمتها أن التنسيق بين الجبهات العربية الشمالية والجنوبية والشرقية ، فيما يتعلق بالعمليات الحربية ، مفقود أو يكاد يكون مفقودا . وهذا يساعد (إسرائيل) على تطبيق مبدأ استفراد هذه الجبهات الواحدة تلو الأخرى فتركّز جهدها العسكري الرئيس على الجبهة التي تبدو أكثر خطرا من غيرها ، حتى إذا أزالت الخطر أو أوقفت الهجوم أو ردّته انتقلت بجهدها الرئيس إلى الجبهة الثانية ، وهكذا دواليك .

٤) الإستراتيجية العربية : وضعت سورية ومصر أسس الاستراتيجية العربية وملامحها العامة في الاتفاقية العسكرية التي مرّ ذكرها ، ومن خلال « القيادة العامة للقوات المسلحة الاتحادية » التي أنشأتها تلك الاتفاقية .

خطّطت سورية ومصر للحرب على أنها حرب محلية شاملة طويلة المدى الزمني، تردفها الطاقات العربية المختلفة ، وتستخدم فيها الأسلحة التقليدية ، وتحدد أهدافها الإستراتيجية بوضوح بحيث تكون حاسمة تؤدي إلى تغيير ميزان القوى في المنطقة ، وتجعل الكفّة ترجح لصالح الجانب العربي ، وتهدم نظرية الأمن الإسرائيلي ، وتبطل أسطورة التفوق العسكري للعدو ، وتعيد إلى العرب ثقتهم بنفوسهم وقدرتهم على حماية وطنهم وصيانة حقوقهم ، وذلك بإقناع العدو ، عن طريق استخدام القوة العسكرية ، بأن استمرار احتلاله للأراضي العربية وإنكاره حقوق الشعب الفلسطيني أمران لا يمكن أن يستمرّا .

كان جوهر الخطة الإستراتيجية السورية ـ المصرية المشتركة هو الانتقال من مرحلة الدفاع الإستراتيجي إلى مرحلة الهجوم الإستراتيجي . وقد تطلّب تحقيق هذا الانتقال عدة سنوات من الإعداد والتجهيز والتسليح والتدريب . وكان لا بد لهذه الخطة من أن تُبنى على هيكل أهم عناصره :

(١) عُوامل القوة لدى الجانب السوري ـ المصري ، والمستوى الذي بلغته قواته المسلحة .

(٢) مدى القدرة على تحقيق فكرة شمولية الحرب في الإطار لعربي الواسع بحيث تردف الدول العربية ـ قدر المستطاع، وحسب إمكان كل منها ، وما تسمح به ظروف الحرب وتطور الوضع لدولي ـ ساحة المعركة بمختلف الطاقات العسكرية والاقتصادية والسياسية وغيرها .

(٣) عوامل الضعف لدى العدو ، وأبرزها : القوى البشرية الإسرائيلية المحدودة العدد ، والشعور بالتفوق والغرور اللذان أصبحا يؤثران في صحة تقدير قدرات الخصم ، والشعور بالاسترخاء الإستراتيجي لدى القادتين السياسية والعسكرية في (إسرائيل) . وقد أدّى ذلك إلى نشوء فكرة عدم الحاجة الملحة إلى أخذ المبادرة الهجومية في جميع الظروف ، وإلى الشعور بالاطمئنان إلى قدرة الخطوط الدفاعية على امتصاص الضربة العربية الأولى في حال حدوثها .

وإلى جانب ذلك كله استطاعت القيادة السورية ـ المصرية الاتحادية أن تحقق لنفسها خلال الفترة الواقعة بين عدوان ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣ بعض العناصر والعوامل التي تشكل ركائز للخطة الإستراتيجية الشاملة . ولعل أبرز هذه الركائز :

(١) الاستفادة من دروس عدوان ١٩٦٧ ونتائجه

(٢) بناء القوة الذاتية الاقتصادية والعسكرية ، وتنظيم الجبهة الداخلية تنظيماً يسند جبهات العمليات الحربية ويوفر لها الخدمات والإمداد والتموين .

(٣) توفير القيادة القادرة على تحمل مسؤولية اتخاذ القرار الحاسم وقيادة المعركة .

(٤) تصفية جو العلاقات العربية من الشوائب التي كانت عالقة به والتي كانت تحول دون توفير العوامل اللازمة لوحدة الصف العربي في مواجهة العدو الصهيوني . وقد أدى ذلك كله إلى تجميد الخلافات بين الدول العربية ورفع هدف المواجهة مع العدو فوق جميع الأهداف والخلافات والمشكلات المحلية . وكان هذا هو مضمون شعار « قومية المعركة » وشعار « لا صوت يعلو فوق صوت المعركة » ، اللذين ارتفعا قبل الحرب وأثناءها .

(٥) تهيئة الجو الدولي بشكل يوفر اقتناع الرأي العام العالمي ومنظمة الأمم المتحدة بأن (إسرائيل) ، برفضها المستمر لقرارات الأمم المتحدة وإصرارها على الاحتفاظ بالأراضي التي احتلتها في عدوان ١٩٦٧ وإنكارها حقوق الشعب الفلسطيني ، تدفع المنطقة إلى الحرب ، وتعرّض السلم والأمن الدوليين إلى الخطر ، وقد تدفع العالم كله إلى حافة حرب عالمية مدمرة .

(٦) التخطيط للمعركة بشكل يحرم العدو من مزايا البدء بالضربة المفاجئة الأولى والاستفراد بجبهة دون أخرى .

(٧) التمسك بالسعي لحل القضية حلاً سلمياً يحقق الأهداف العربية .

(٨) بذل أقصى الجهود السياسية عن طريق العلاقات الدبلوماسية والمنظمات والمؤتمرات الدولية من أجل عزل (إسرائيل) في الإطار الدولي .

(٩) توجيه السياسة الإعلامية بشكل مدروس ومنسّق لخدمة أهداف الخطة الإستراتيجية .

ب ـ خطة بدر : عكفت القيادة العامة للقوات المسلحة الاتحادية على وضع خطة للعمليات أطلقت عليها الاسم الرمزي « خطة بدر » . وقد ضمّنتها الأعمال القتالية الرئيسة التالية :

١) الهجوم الصاعق المفاجىء على العدو في كلتا الجبهتين السورية والمصرية في وقت واحد ، واختراق الخطوط الدفاعية المحصّنة ، والاندفاع إلى داخل الترتيب الدفاعي المعادي .

٢) شلّ فعالية العدو الجوية ، أو منعه من التأثير في شدة الاندفاعة العربية ، وذلك بالأسلحة المضادة للطائرات بالتعاون مع القوات الجوية .

٣) شل فعالية القوات المدرعة المعادية ، وذلك باستخدام شبكة واسعة وكثيفة من الأسلحة المضادة للمدرعات بالتعاون مع نيران كثيفة تطلقها المدفعية .

٤) عرقلة خطوط مواصلات العدو وتموينه وإمداده .

٥) تحقيق أكبر تعاون وتنسيق بين مختلف صنوف الأسلحة في المعركة .

ومن أجل التنسيق بين القطرين السوري والمصري ، والإعداد للحرب ، قام الفريق الأول أحمد اسماعيل القائد العام للقوات الاتحادية بزيارة دمشق عدة مرات . وتم الاتفاق بين القيادتين السياسيتين السورية والمصرية يوم ١٩٧٣/٨/٢٧ على أن يبدأ تنفيذ الخطة في الأسبوع الأول من شهر تشرين الاول ١٩٧٣ ، وعلى أن يترك للقائد العام أمر تحديد اليوم والساعة . وقد قرر القائد العام يوم ١٩٧٣/٩/٨ أن يبدأ تنفيذ الخطة في الساعة ١٤,٠٠ من يوم ١٩٧٣/١٠/٦ .

كان أحد أهم العناصر التي بُنيت عليها خطة بدر عنصر المفاجأة . ولهذا كانت جميع التدابير التي اتخذتها سورية ومصر في مرحلة الإعداد والتحضير في مختلف المجالات تجري في إطار الكتمان والتمويه وتضليل العدو . وبالرغم من ذلك لاحت في الأفق أمور كادت تحبط المفاجأة . ومن ذلك زيارة وزير الدفاع الإسرائيلي موشي دايان قصبة الجولان يوم ١٩٧٣/٩/٢٦ ، وتهديده سورية بشن الحرب عليها بعد أن لاحظ مظاهر نشاط عسكري غير عادي على الجبهة السورية ، وتعزيزه القوات الإسرائيلية في الجولان بوحدات إضافية من الدبابات والمدفعية . ومن ذلك أيضا الخطأ الذي وقعت فيه وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية حين نشرت يوم ١٩٧٣/١٠/٢ خبرا يقول " إن الجيشين الثاني والثالث قد وضعا في حالة تأهب " . يضاف إلى ذلك أن التحركات الأخيرة التي كان لا بد للقوات المسلحة من أن تقوم بها بسرعة وكثافة أضعفت إجراءات التكتم والتضليل والتمويه . وقد دفع ذلك الحكومة الإسرائيلية إلى الإسراع في اتخاذ التدابير اللازمة ، فأمرت يوم ١٩٧٣/١٠/٥ باستنفار القوات الجوية ، وأعلنت في الساعات الأولى من يوم ١٠/٦ التعبئة العامة ، وأمرت بتطبيق خطط العمليات الحربية ، ووجهت الوحدات العاملة إلى الجبهتين الشمالية والجنوبية ، وأخذت تسوق الوحدات الاحتياطية الواحدة تلو الأخرى إلى الجبهتين المذكورتين

وما إن أزفت ساعة الصفر (١٤,٠٠) من يوم ١٩٧٣/١٠/٦ حتى انطلقت القوات السورية والمصرية من مواقعها على الجبهتين لتنفيذ خطة بدر

جـ - الجبهة السورية :

١) الهجوم : كان النسق الأول للهجوم السوري العام مؤلفا من ستة ألوية من المشاة وكتيبتين من المغاوير وفوج من الجيش المغربي وكتيبة من جيش التحرير الفلسطيني * ووحدات من القوات الخاصة السورية . وكانت تدعم هذه القوات ست كتائب من الدبابات ومثلها من كتائب المدفعية . وقد دمجت هذه القوات ضمن إطار ثلاث فرق مشاة هي : الخامسة والسابعة والتاسعة ، وعززت بالدبابات الجسرية (الدبابات القادرة على اجتياز الخنادق المضادة للدبابات) والجسور وكاسحات الألغام وفصائل النقابين وقاذفات اللهب ومدافع الرمي المباشر .

وحينما انطلقت مئات المدافع الثقيلة والمتوسطة في الساعة ١٤,٠٠ من يوم ٦ تشرين الأول تقذف قنابلها على الترتيب الدفاعي للعدو كان التركيز المدفعي شديدا على الحصن المنيع الذي أقامه العدو على إحدى أعلى قمم جبل الشيخ . وبعد دقائق حلّقت ثلاث حوامات سورية فوق الحصن حاملة وحدات من القوات الخاصة . وكانت مجموعات من هذه الوحدات قد قطعت ليلة ٥/٦ تشرين الأول المحور الموصل بين شبعا وجبل الشيخ ، فاستطاعت أن تدمر جميع النجدات التي أرسلتها القيادة الإسرائيلية إلى الحصن . ولم ينقض سوى وقت قليل حتى حررت الوحدات الخاصة الحصن ، واستسلم من بقي حيا من قوات العدو .

وفي الوقت ذاته كانت التجريدة المغربية التي وصلت إلى سورية قبل بدء حرب تشرين ووضعت بقيادة فرقة المشاة السابعة تحمي ميمنة الهجوم السوري وتقاتل على السفح الشرقي لجبل الشيخ .

اندفعت فرقة المشاة السابعة - وكانت تشكل ميمنة الهجوم - في القطاع الشمالي وهاجمت في أرض كثيرة التضاريس باتجاه شمالي مدينة القنيطرة وجنوبيها . وكان مما يزيد في صعوبة تنفيذ مهمتها بُعدها عن الحد الأمامي للترتيب الدفاعي الإسرائيلي بمسافة تراوح بين ٣ و٤ كم ، الأمر الذي عرّضها لنيران كثيفة من مدفعية العدو . وبالرغم من ذلك استطاعت أن تقيم الجسور وتقتحم الخنادق لعريضة المضادة . وفي مواجهة النيران الكثيفة والمقاومة العنيفة زج قائد الفرقة اللواء المدرع (من النسق الثاني للفرقة) لاستغلال النجاح الذي حققه في فتح ثغرة في الترتيب الدفاعي المعادي ، وللالتفاف على الترتيب الإسرائيلي الممتد من القنيطرة حتى سفوح جبل الشيخ . ونتج عن الهجوم تخلخل دفاع العدو ، فتمكنت كتيبة المغاوير من الوصول إلى سهل اليعفوري (١ كم غربي قرية مجدل شمس) وانسحبت الوحدات الإسرائيلية المواجهة لها . وفي اليوم الثاني للقتال دعم الإسرائيليون خطهم الدفاعي بقوات جديدة ، في حين كان قائد الفرقة يعدّ لهجوم آخر ليلة ٧ - ٨ تشرين الأول .

اختصت فرقة المشاة التاسعة بالقطاع الأوسط من الجبهة . وتمكّنت بسرعة من نصب الجسور وفتح الثغرات والاندفاع باتجاه جسر بنات يعقوب بسرعة فائقة بالرغم من المقاومات العنيفة . واستطاعت تحرير الرمثانية وعين وردة والسنديانة . وفي صباح اليوم الثاني للقتال عبرت إحدى كتائب الفرقة محور جسر بنات يعقوب جنوبي العليقة ووصلت إلى الدبورة واشتبكت مع العدو في تل شعاف وتل العرايس وتل فزارة بالتعاون مع لواء الدبابات ٥١ المعزّز للفرقة . وفي الوقت ذاته تابعت الألوية الأخرى للفرقة تقدمها باتجاه

تل يوسف الواقع جنوبي ـ غربي القنيطرة ، في حين اتجه قسم من القوات إلى جنوبي القنيطرة لتطويقها .

وقد تمكنت كتيبة من لواء حطين من جيش التحرير الفلسطيني كانت بإمرة الفرقة التاسعة من تحرير تل شعاف المشرف على تل عباس بعد أن دمرت عددا من الدبابات الإسرائيلية .

استثمرت القيادة السورية النجاح الذي حققته الفرقة التاسعة في القطاع الأوسط تندفعت فرقة الدبابات الأولى (من النسق الاحتياطي تحت تصرف القيادة العامة) إلى القتال في منطقة حرش عين زيوان ـ كفر نفاخ حيث تتمركز قوات معادية كبيرة ، وذلك بالتعاون مع فرقة المشاة التاسعة

تمكّنت فرقة الدبابات من تدمير قسم كبير من دبابات العدو ، وتابعت سيرها حتى بلغت مشارف قرية كفر نفاخ ، وجرت معركة بينها وبين دبابات العدو اعتبرت من أعنف معارك حرب ١٩٧٣ وانتهت بانتصار القوات السورية .



الجيش السوري يتقدم في الجولان

في القطاع الجنوبي من الجبهة اقتحمت فرقة المشاة الخامسة الترتيب الدفاعي الإسرائيلي في اتجاهين ، أولهما على محور تل اللوقس ـ القصبية الجديدة ، والثاني على محور تل اللوقس ـ نيق . واستطاعت فتح ثغرات في الدفاع المعادي ، مما شجّع قائد الفرقة على استغلال النجاح وإشراك قوات النسق الثاني في القتال .

ولقد تميز القتال في هذا القطاع بالمعارك الليلية وكثرة الدبابات والأعتدة الحربية . واستطاعت الفرقة في اخر اليوم الأول للقتال أن تصل إلى الخط الذي يمتد من البغالة إلى الجرنية فشمالي تل السقي بنحو ٥٠٠ م .

وفي اليوم التالي تابعت الفرقة تقدمها . وكان عليها أن تحتل مرتفع تل الفرس الذي أقام عليه العدو موقعا دفاعيا حصينا ، ومرصدا من عدة طوابق جدرانه سميكة مقاومة لرمايات المدفعية والقنابل ومزوّدة بأجهزة متقدمة للرصد والاتصال والقيادة والتوجيه والتشويش الإلكتروني . وكان المرتفع مُسيطرا على قطاع عمليات الفرقة الخامسة . وقد كلّفت القيادة إحدى سرايا لواء حطين من جيش التحرير الفلسطيني مهمة تحرير مرتفع تل الفرس بعد إنزالها جوا من طائرات الهيليكوبتر . وقد تمت عملية تحرير التل وتطهيره من الأعداء . واستطاعت الفرقة في نهاية اليوم الثاني أن تبلغ خطا يمتد من المشرفة إلى البازوك والمنطار بعد أن حررت تل السقي وخسفين .

اندفعت القوات السورية في اقتحامها الترتيب الدفاعي الإسرائيلي الحصين بعزم وإصرار ، على الرغم من المقاومة العنيفة التي أبدتها قوات العدو ، ومن وعورة الأرض وكثرة الخسائر في الجانبين . وحينما أشرف يوم ١٠/٧ على الانتهاء كانت القوات السورية تطل على بحيرة طبرية * ونهر الأردن * ، وتطوّق مدينة القنيطرة وتتخطاها ، وتحرّر مرصد جبل الشيخ وقسما كبيرا من الأرض المحتلة .

كان إنجاز هذه المرحلة من خطة بدر يهدف إلى تطويق الجزء الأكبر من قوات العدو وتقسيمها إلى جزر منعزلة ثم القضاء عليها . وأمام هذا الهجوم السريع كانت القوات الإسرائيلية تتراجع وتنكمش داخل جزر المقاومة ، وتحاول صدّ الهجمات السورية بمساعدة الدعم الجوي الكثيف ووحدات الدبابات العاملة والاحتياطية التي كانت القيادة الإسرائيلية تدفعها إلى منطقة الجولان على عجل .

٢) الهجوم المعاكس الإسرائيلي : في الوقت الذي كانت فيه القوات السورية تصفّي المقاومات المعادية يوم ١٠/٧ ، كانت القيادة الإسرائيلية تنقل إلى الجبهة السورية القوات الاحتياطية وبعض القوات من الجبهة المصرية ـ الإسرائيلية . وتوفرت لدى القيادة الإسرائيلية على الجبهة الشمالية ثلاث فرق مدرعة كلفت القيام بهجوم معاكس هدفه صدّ الهجوم السوري واستعادة الأرض التي حررتها القوات السورية يومي ٦ و١٠/٧ . وهذه الفرق هي :

(١) فرقة مؤلفة من لواء ميكانيكي ، ولواءي دبابات ، ولواء المشاة غولاني ، مهمتها الهجوم باتجاه قطاع فرقة المشاة السورية السابعة (القطاع الشمالي) وتهديد ميمنة القوات السورية .

(٢) فرقة مؤلفة من لواءي دبابات ، ولواء ميكانيكي مهمتها الهجوم باتجاه قطاع فرقة المشاة التاسعة وفرقة الدبابات الأولى السوريتين (القطاع الأوسط) .

(٣) فرقة مؤلفة من لواءي دبابات ، ولواء مشاة ، مهمتها الهجوم باتجاه قطاع فرقة المشاة الخامسة السورية (القطاع الجنوبي) .

وحتى تتمكن القيادة الإسرائيلية من تركيز الجهد القتالي في الجبهة الشمالية ، نظرا لاقتراب القوات السورية من خطوط هدنة

١٩٤٩ وإطلالها على المستعمرات الإسرائيلية في الحولة وطبرية ، أمر رئيس الأركان الإسرائيلي بتثبيت الجبهة المصرية ، أي باتخاذ موقف دفاعي فيها .

بدأت القيادة الإسرائيلية تنفيذ خطة الهجوم المعاكس يوم ١٠/٨ . وجرت معارك حامية على طول الجبهة ، وبخاصة قرب القنيطرة والسنديانة وكفرنفاخ والخشنية والجوخدار وتل الفرس وتل السقي . وبدأ ميزان القوى ، وبخاصة الدبابات ، يميل إلى صالح العدو في القطاعين الأوسط والجنوبي ، إذ دفع العدو بألوية مدرعة حديثة لم تشترك في القتال في اليومين السابقين . وقد دفع ذلك القيادة السورية إلى إشراك جزء من احتياطها الإستراتيجي في المعركة .

استمر القتال في الأيام التالية عنيفا وضاريا ، إذ دفعت (إسرائيل) معظم قواتها العاملة والاحتياطية ، البرية والجوية والبحرية لمجابهة القوات السورية . وأخذ سلاح الطيران الإسرائيلي يغير بشكل متواصل وكثيف على القوات المقاتلة في الجولان ، وعلى دمشق وحمص وحلب واللاذقية ، ويضرب الأهداف المدنية والعسكرية محاولا شل المرافق الحيوية ومصادر الإمداد والدعم للقوات السورية .

وقد ساعد القرار الذي اتخذته القيادة المصرية يوم ١٩٧٣/١٠/٩ بتوقف القوات المصرية عن التقدم في سيناء والتمركز الدفاعي ، ساعد القيادة الإسرائيلية على نقل الجهد الرئيس لقواتها إلى الجبهة السورية .

وفي نهاية يوم ١٠/١٠ ، اليوم الخامس للقتال ، كانت القوات السورية تقاتل على تخوم الجولان وتصد الهجوم المعادي وتوقع به خسائر جسيمة ، في حين كانت القيادة السورية تطلب بإلحاح من القيادة العامة للقوات الاتحادية في القاهرة تطبيق خطة بدر بجميع مراحلها ، وبخاصة مرحلة استثمار النجاح في الهجوم المفاجىء والاندفاع في التقدم وتحرير الأرض حتى بلوغ ممري الجدي ومتلا في سيناء ، لا سيما وأن الوضع في الجبهة السورية يتطلب تنفيذ هذه المرحلة التي تضمنتها خطة بدر . غير أن القيادة المصرية لم تستجب لهذا الطلب ، ولم تنفّذ الخطة المشتركة التي كان قد التزم الجانبان السوري والمصري بتنفيذها .

نظّمت القيادة السورية الدفاع أمام القوات الإسرائيلية على ثلاثة خطوط دفاعية : يمتد معظم الخط الأول على طول خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ ، ويقع الخط الثاني على بعد حوالي ٢٠ كم شرقي الخط الأول على امتداد مدينة سعسع ، ويقع الخط الثالث على مسافة ١٠-١٥ كم شرقي الخط الثاني على امتداد خط قطنا - الكسوة .

استطاعت القوات السورية والقوات العربية التي اخذت تصل من عدة دول عربية إلى الجبهة السورية أن توقف الهجوم الإسرائيلي المعاكس وأن تحتويه ضمن جيب لا يتعدى طوله ٢٠ كم وعرضه ١٥ كم . وما إن حلّ يوم ١٠/١٦ (اليوم الحادي عشر للقتال) حتى أصاب الإنهاك القوات المعادية فلم تعد تستطيع التقدم نتيجة مقاومة القوات السورية والقوات العربية الأخرى . وبذلك تحقق نوع من التوازن بين الطرفين ، ولم يعد بإمكان القيادة الإسرائيلية أن تقلب التوازن الإستراتيجي على الجبهة السورية لصالحها . وبدأ منذ ذلك الحين الاستعداد لمرحلة جديدة من مراحل الحرب هي الإعداد للهجوم الإستراتيجي المعاكس لتصفية الجيب المحتل في منطقة سعسع وتدمير القوات الإسرائيلية والانتقال إلى مرحلة الهجوم لتحرير الجولان .

٣) استعداد الجبهة السورية للقيام بهجوم معاكس إستراتيجي : تمكنت القوات السورية والقوات العربية الأخرى العاملة في الجبهة السورية من استعادة كفايتها القتالية بسرعة بفضل الجهود التي بذلها القائمون على أعمال الإمداد والتموين وإيصال العتاد الجديد والاحتياطي إلى أيدي المقاتلين . وأصبحت هذه القوات جاهزة لشن الهجوم المعاكس الإستراتيجي اعتبارا من صباح ١٩٧٣/١٠/٢١ . وكانت القيادة العامة السورية قد أنهت في الوقت ذاته وضع خطة هذا الهجوم الذي تقرر أن يبدأ يوم ١٠/٢١ على أساس موقف العدو والمعطيات والعوامل التي جدّت أثناء المرحلة السابقة للقتال . وقد تضمّنت الخطة استخدام جميع القوات العاملة في الجبهة وفيها القوات العربية التي كانت قد وصلت حتى ذلك الحين إلى سورية . وقد ارتأت قيادة إحدى هذه القوات أن يبدأ تنفيذ خطة الهجوم المعاكس الاستراتيجي يوم ١٠/٢٣ لا يوم ١٠/٢١ حتى تستطيع استكمال بعض حاجاتها ويتاح الوقت اللازم للقادة ليستطلعوا أرض المعركة بأنفسهم بصورة دقيقة ومفصلة . وقد استجابت القيادة السورية لهذا الطلب بالرغم من أنها كانت ترى الإسراع ببدء الهجوم المعاكس لسببين أولهما : حجب الفرصة عن العدو لزيادة تحصين مواقعه ، وثانيهما : تخفيف الضغط عن الجبهة المصرية بعد نجاح الخرق الذي أحدثه العدو في الدفرسوار ، وإجباره على تشتيت جهوده وتوزيع قواته على جبهتين .

أصدرت القيادة العامة تعليماتها إلى القوات التي ستشترك في الهجوم المعاكس وأبلغتها الفرق السورية، وقوات صلاح الدين العراقية ، والفرقة الثالثة الأردنية ، (بقية القوات العربية كانت ستشترك ، حسب الخطة ، في الهجوم المعاكس ضمن قوام التشكيلات السورية) ، وقيادة القوات الجوية والدفاع الجوي وسائر أجهزة القيادة وصنوف الأسلحة .

وكان حجم القوى والوسائط المشتركة في الهجوم المعاكس

الإستراتيجي كافيا للقضاء على القوات الإسرائيلية في جيب سعسع في المرحلة الاولى من الهجوم ، ثم لمتابعة الهجوم لتحرير هضبة الجولان بكاملها في المرحلة الثانية ، وذلك بالاستعانة بجميع القوى الاحتياطية التي هيأتها القيادة العامة لهذا الغرض .

لم تسنح الفرصة لتنفيذ الخطة وانطلاق الهجوم المعاكس الإستراتيجي يوم ٢٣/١٠ كما كان مقررا ، إذ حدثت يوم ٢٢/١٠/١٩٧٣ مفاجأة لم تكن في الحسبان هي قبول مصر وقف إطلاق النار على الجبهة المصرية بدون أن تُعلِم سورية بقرارها أو تتشاور معها وهي شريكتها في المعركة . وهكذا وجدت القيادة السورية نفسها أمام امر واقع ، ولا سيما أن وقف إطلاق النار صدر بقرار من مجلس الأمن (رقم ٣٣٨ في ٢٢/١٠/١٩٧٣) . وقد اضطرت سورية إلى إعادة النظر في الموقف ، وانتهى الأمر بقبول القرار المذكور .

٤) القوات العربية في الجبهة السورية : أسهمت قوات بعض الدول العربية مع القوات السورية في حرب تشرين ، وأبلت بلاء حسنا ، وتحملت عبء المعركة والتضحية في سبيل الأمة العربية وقضية فلسطين . ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه القوات التحقت بميدان المعركة بعد بدء القتال ، باستثناء القوات المغربية . ولو أن التحاقها بالجبهة السورية تمّ قبل بدء القتال لكان مردودها القتالي اكثر عطاء وفائدة ، وبلاؤها احسن ، وأداؤها أكمل .

وصلت القوات المغربية (فوج مشاة وكتيبة دبابات) إلى سورية في اواخر شهر تموز ١٩٧٣ ، أي قبل بدء القتال باكثر من شهرين ، وعملت مع فرقة المشاة السابعة السورية وتحت قيادتها .

دخلت طلائع القوات العراقية إلى سورية يوم ١٠/١٠/١٩٧٣ واكتمل حشدها بعد أسبوعين من هذا التاريخ . ويبلغ حجمها فرقتين مدرعتين هما الفرقة الثالثة والفرقة السادسة ، وثلاثة ألوية هي لواء المشاة ٢٠ واللواء الجبلي الخامس ولواء القوات الخاصة مع وحداتها الإدارية .

ولقد اعترضت القوات العراقية ، وهي في طريقها إلى ميدان القتال ، صعوبات كثيرة منها بُعد المسافة (وهي تزيد على الف كيلومتر) ، وطبيعة الطرق الصحراوية ، والنقص في عدد ناقلات الدبابات ، مما اضطر عددا كبيرا من الدبابات إلى قطع مسافات شاسعة وهي تسير على سلاسلها .

وصل اللواء المدرع ٤٠ الأردني إلى سورية يوم ١٤/١٠/١٩٧٣ واشترك فور وصوله في القتال . ثم بدأت قوات أردنية جديدة قوامها قيادة فرقة المدرعات الثالثة ، ولواء الدبابات ٩٢ ، والكتيبة ١٧ (مدفعية محمولة) ، وسرية المهام الخاصة ، تجتاز الحدود السورية يوم ٢٢/١٠ للاشتراك في الحرب . وقد تمركزت هذه القوات الجديدة قرب قرية نوى السورية ، وأسندت إليها مهام وفق خطة الهجوم المعاكس الاستراتيجي التي لم يتم تنفيذها .

وصلت طلائع القوات السعودية إلى سورية يوم ١٤/١٠ مؤلفة من فوج مدرعات واشتركت في القتال تحت قيادة فرقة المشاة السابعة السورية . وفي يوم ٢٣/١٠ اكتمل وصول القوات السعودية وتمّ حشدها في منطقة شمالي الكسوة . ويبلغ قوامها آنذاك ، بالإضافة إلى فوج المدرعات ، فوج المظلات الرابع ، وفوج المشاة الثالث ، وفوج مدفعية الميدان ١١ ، وبطاريتي مدفعية ١٥٥ مم ، وبطارية مدفعية مضادة للطائرات ٤٠ مم ، وسرية هاون ٤,٢ بوصة ، ووحدات إمداد وصيانة .

اخذت القوات الكويتية تصل إلى سورية بدءاً من يوم ٢١/١٠ ، واكتمل وصولها بعد يومين من ذلك الموعد ، وتجمّعت في منطقة البويضة جنوبي دمشق . ويبلغ حجمها : ٢٩ دبابة من نوع فيكرز ، و٧ مدرعات للاستطلاع ، و٣٥ عربة مدرعة ، وسرية هاون ١٦٠ مم ، و٢٠ مدفعا مضادا للطائرات ، وفصيلتي مغاوير ، ووحدات إمداد وصيانة . ولم تستطع القوات الكويتية أن تشترك في القتال الذي جرى بسبب وقف إطلاق النار . ولكنها أسهمت بشجاعة وكفاية في المعارك التي تلت حرب تشرين واتخذت شكل حرب استنزاف استمرت ٨٢ يوما .

د - الجبهة المصرية :

١) فكرة المناورة : تتلخص فكرة المناورة على الجبهة المصرية في خطة بدر بما يلي :

(١) تقوم خمس فرق مشاة ، كل منها مدعومة بلواء مدرع ، باقتحام قناة السويس في خمس نقاط ، وبتدمير خط بارليف . وقبل انقضاء ٢٤ ساعة على بدء الهجوم تكون هذه الفرق قد عمّقت ووسّعت رأس الجسر الخاص بكل منها .

(٢) بعد انقضاء ٤٨ ساعة تكون أثناءها بقية الفرق قد عبرت القناة تندمج الفرق في إطار الجيشين الثاني والثالث ، وتسد الثغرات فيما بينها ، حتى إذا انقضت ٧٢ ساعة على بدء الهجوم يكون كل من الجيشين الثاني والثالث قد وسّع رأس الجسر الخاص به ، ووصل إلى مسافة في عمق سيناء تتراوح بين ١٠ و١٥ كم . وعند ذلك تتخذ الوحدات وضع الدفاع استعدادا للمرحلة الهجومية الثانية لتحرير سيناء .

بلغ حجم القوات المصرية المعدة لتنفيذ الخطة في مختلف مراحلها :

القوات البرية : ١٩ لواء مشاة منقولا ، ٨ ألوية مشاة ميكانيكية ، ١٠ ألوية مدرعة ، لواء منقول جوا ، لواء برمائي ، لواء صواريخ أرض - أرض .

القوات الجوية : ٤٠٠ طائرة قتال ، ٧٠ طائرة نقل ، ١٤٠ طائرة هيليكوبتر .

القوات البحرية : ١٣ غواصة ، ٥ مدمرات ، ٣ فرقاطات ، ١٢ زورق قنص ، ١٧ قارب صواريخ ، ٣٠ قارب طوربيد ، ١٤ كاسحة ألغام ، ١٤ قارب إنزال .

وكان إلى جانب القوات المصرية في الجبهة وحدات من الجزائر وليبيا والسودان وتونس .

٢) العبور : في الساعة المحددة للهجوم (الساعة ١٤,٠٠ من يوم ٦ تشرين الأول) عبرت مائتا طائرة مصرية قناة السويس متجهة نحو أهدافها في سيناء ، وأطلق أكثر من ألفي مدفع (مدافع ميدان ومتوسطة وثقيلة) وقاعدة صواريخ قذائفها على مواقع العدو ، ولا سيما خط بارليف . وقد استمر هذا التمهيد الناري مدة ٥٣ دقيقة ألقيت خلال الدقيقة الأولى منها ١٠,٥٠٠ قنبلة ، مما أجبر القوات المعادية على الاختفاء في ملاجئها بعد أن فوجئت بالهجوم وبكثافة النار وغزارتها وعنفها .

تحت ستار هذا السد الناري الكثيف عبرت وحدات الصاعقة ومفارز اقتناص الدبابات قناة السويس على قوارب مطاطية للتمهيد للموجة الهجومية الأولى التي تحركت في الساعة ١٤,٢٠ ، وكانت مؤلفة من خمس فرق عبرت القناة على حوالي ألف قارب مطاطي . وتسلق الجنود الساتر الترابي الذي يشكل الجدار الأمامي لخط بارليف ، في حين كانت وحدات الهندسة العسكرية تفتح الممرات عبر الساتر الترابي وتقيم الجسور بين ضفتي القناة

وفي أقل من ست ساعات ، أي في الساعة ١٩,٣٠ ، أتمت فرق المشاة الخمس اقتحام القناة على جبهة عرضها ١٧٠كم ، وبموجات متتالية بلغت ١٢ موجة ، واستولت على ١٥ نقطة حصينة معادية ، وحاصرت بقية النقاط ، وتقدمت إلى مسافة بلغت ٣ - ٤ كم .

وفي اليوم الثاني (٧ تشرين الأول) عزّزت القوات المصرية مواقعها شرقي القناة بأعداد كبيرة من المدرعات والمدافع والأسلحة الثقيلة ، وتابعت تقدمها إلى مسافة بلغت ٨ كم وسطيا .

أنجزت القوات المصرية تنفيذ المرحلة الأولى من الخطة في اليوم الرابع (٩ تشرين الأول) حين اكتمل تمركز الجيشين الثاني والثالث في الضفة الشرقية للقناة ، وبلغ تقدم القوات المصرية مسافة تراوح بين ١٠ و١٢ كم ، وتم صدّ هجمات العدو المضادة وتدمير معظم قواته .

لقد كانت عملية عبور القناة والاستيلاء على خط بارليف الحصين عملية عسكرية رائعة أُعدّ لها إعدادا حسنا ونفّذت بدقة وتصميم وشجاعة .

٣) الوقفة التعبوية : بعد أن نجحت المرحلة الأولى من خطة بدر نجاحا باهرا ، في الجبهتين السورية والمصرية ، أصيبت القيادة الإسرائيلية ، في شقيها السياسي والعسكري بالارتباك والاضطراب ، واختلف القادة حول أفضل السبل لمواجهة هذا الانهيار المفاجىء الذي تعرّضت له القوات الإسرائيلية في الجبهتين ، وأصبح الوضع العسكري والمعنوي مهيئا ومساعدا لتتابع القوات المصرية اندفاعها في عمق سيناء ، وتستثمرْ النصر الذي حققته في المرحلة الأولى ، فتطارد فلول العدو ، وتصل إلى خطوط دفاعية أفضل وأعمق في سيناء ، كممرات الجدي ومتلا ، فتحقق بذلك هدفا استراتيجيا تستند إليه لتنطلق من ثمّ إلى تحرير كامل التراب العربي . ولكن قرار القيادة السياسية المصرية يوم ١٩٧٣/١٠/٩ فرض على هذه القوات المنتصرة الوقوف في مواقعها . وجاء هذا القرار مخالفا لخطة بدر التي اتفق عليها الجانبان السوري والمصري وكانت تقضي بتطوير الهجوم نحو الممرات في سيناء . ولو أن القيادة المصرية التزمت تنفيذ الخطة لما بقيت الجبهة السورية تتحمّل وحدها عبء الهجوم الإسرائيلي الكثيف ، ولا سيما بعد أن أخذت الأسلحة والمعدات الأمريكية تصل إلى (إسرائيل) بسرعة وكثافة كبيرتين إثر إقامة الجسر الجوي بين الولايات المتحدة (وإسرائيل) .

ولقد استمرت الوقفة التي وصفت بأنها " وقفة تعبوية " من ٩ إلى ١٣ تشرين الأول . واتضح فيما بعد أن هذا القرار السياسي المصري الخاص " بالوقفة التعبوية " لم يكن وليد الساعة ، أو نتيجة الظروف والعوامل التي سادت المعركة آنذاك ، بل جاء تنفيذا لتصميم مسبق أخفاه الجانب المصري عن القيادة السورية في مرحلة التخطيط المشترك للحرب . ويمكن القول إن القيادة السياسية المصرية خدعت القيادة السورية بعرضها خطة تنص على تطوير الهجوم في العمق بعد عبور قناة السويس . وقد اعترف الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس هيئة أركان القوات المسلحة المصرية في حرب تشرين بهذه الواقعة في مذكراته .

وجّهت القيادة السورية عدة رسائل إلى القيادة العامة الاتحادية في القاهرة تذكّرها بواجب القوات المصرية في استئناف الأعمال القتالية ومتابعة الهجوم ، وكانت بعض هذه الرسائل تتصف بالحدّة .

وكجزء من الاستجابة لهذه الرسائل ، ولما كانت تمويه من تذكير بواجب تنفيذ الخطة المتفق عليها ، صدرت الأوامر يوم ١٤ تشرين الأول إلى قائدي الجيشين الثاني والثالث المصريين بمعاودة الأعمال القتالية . وما إن بدأت القوات المصرية هجومها حتى تصدّت لها القوات الإسرائيلية بعد أن أخذت تستخدم الأسلحة والمعدات الأمريكية التي وصلت إلى ساحة القتال على الجسر الجوي

الأمريكي ، فتوقّف تقدم القوات المصرية على مسافة تراوح بين ١٢ و١٥ كم من نقطة بدايته ، وتكبّدت هذه القوات خسائر كبيرة . وحينذاك تلقت القوات المصرية المهاجمة أمرا بالتراجع إلى الخطوط التي بدأت منها الهجوم .

وهكذا اصطدم تنفيذ المرحلة الثانية من خطة بدر في الجبهة المصرية بظروف وعوامل جديدة لم تكن مناسبة ، إذ فقدت القيادة المصرية في الأيام الخمسة للوقفة التعبوية من ٩ ـ ١٣ تشرين الأول زمام المبادرة ، ونتج عن ذلك أن تمكنت القيادة الإسرائيلية من إعادة تنظيم قواتها وتعويض خسائرها بأحدث الأسلحة والمعدات الأمريكية .

٤) الجسر الجوي الأمريكي : منذ عام ١٩٦٧ ، عندما اصبحت الولايات المتحدة المصدر الرئيس للتسليح الإسرائيلي ، لم تنقطع المساعدات العسكرية الأمريكية للجيش الإسرائيلي بأحدث الأسلحة المعروفة . ولكن الجسر الجوي الضخم الذي أقامته لولايات المتحدة بينها وبين (إسرائيل) خلال حرب تشرين فاق جميع المعدلات السابقة ، بل فاق من حيث حجم العتاد المنقول ونوعه خلال فترة محددة أية مساعدة خارجية أمريكية لأية دولة في لعالم منذ الحرب العالمية الثانية حتى الآن .

جاء الجسر الجوي الأمريكي لينقذ (إسرائيل) من الانهيار لعسكري ، إذ كانت الدلائل والوثائق كافة تشير إلى أن (إسرائيل) كانت على وشك الانهيار العسكري خلال الأيام الأولى من الحرب ، مع ما يستتبع ذلك من انهيار داخلي ، لأن خسائرها في هذه الحرب كانت كبيرة (٥,٠٠٠ قتيل ، ٤٠٠ أسير ، ٨٠٠ دبابة ، ١٢٠ طائرة ، وغير ذلك) بشكل يفوق بكثير إمكان تعويضها ، ولا سيما أن إستراتيجيتها كانت تعتمد على أن تكون الحرب قصيرة الأمد ، مما دفع رئيسة وزراء (إسرائيل) يومذاك إلى طلب النجدة من الحكومة الأمريكية .

بدأ الجسر الجوي بنقل الأسلحة والأعتدة بصورة علنية يوم ١٣ تشرين الأول . لكن المساعدات العسكرية بدأت في الواقع قبل ذلك التاريخ ، وبالضبط يوم ٨ تشرين الأول ، وتمّ خلال الفترة من ٨ إلى ١٣ تشرين الأول نقل ٥,٥٠٠ طن من الأسلحة والأعتدة . وأما من ١٣ تشرين الأول الى يوم وقف إطلاق النار فقد تمّ نقل ٢٢,٣٩٥ طنا من الإمدادات ، وبذلك بلغ المجموع ٢٧,٨٩٥ طنا . وقد ذكر الفريق سعد الدين الشاذلي في مذكراته أن الجسر الجوي السوفييتي (إلى مصر وسورية) يعتبر متواضعا إذا قورن بالجسر الجوي الأمريكي (إلى إسرائيل) .

نقلت الولايات المتحدة إلى (إسرائيل) دبابات وطائرات مقاتلة وطائرات هليكوبتر وصواريخ مضادة للدبابات وصواريخ جو ـ أرض ، وصواريخ أرض ـ جو ، ومدافع ذاتية الحركة ، ومدافع ميدان من عيارات مختلفة ، ومعدات إلكترونية ، وأجهزة تشويش ، وقطع غيار ، وذخائر متنوعة ، وغيرها .

٥) ثغرة الدفرسوار : كانت القيادة العسكرية الإسرائيلية قد وضعت قبل بدء حرب تشرين خططا لعبور القناة إلى الضفة الغربية منها لتطبقها حين الحاجة ، وأعدت لها العدة اللازمة ، وأجرت مناورات وتدريبات عليها ، وذلك تمشيا مع أحد مبادىء استراتيجيتها ، وهو نقل المعركة إلى أرض الخصم بأسرع وقت ممكن . ولم تستطع القيادة تنفيذ أي من تلك الخطط في الأيام الأولى من حرب تشرين لأن العبور المصري الكثيف والصاعق ناجأها ، وحوّل اهتمامها إلى التركيز على إيقاف الهجوم وتطويقه وردّه ، بانتظار توفّر الظروف المناسبة للقيام بعبور معاكس .

وفي يوم ٩ تشرين الأول ، اليوم الرابع للقتال ، ومع بدء « الوقفة التعبوية » المصرية ، شرعت قيادة الجبهة الجنوبية الإسرائيلية تدرس خطة العبور المعاكس ، وقررت أن تستثمر الثغرة القائمة بين الجيشين المصريين الثاني والثالث عند موقع الدفرسوار . ورأت القيادة أن يحدّد زمن العبور في وقت لاحق ، على أن يبدأ باتخاذ الترتيبات اللازمة لتنفيذ الخطة .

انتقت قيادة الجبهة موقع الدفرسوار لخلوّه من القوات المصرية تقريبا ، بعد أن تمّ استطلاعه برا وجوا . واستندت خطة العبور على إحدى الخطط الموضوعة في القيادة العامة الإسرائيلية قبل حرب تشرين ، وتحمل الاسم الرمزي « الغزالة » .

نصّت الخطة على العمليات التالية :

(١) تتولى فرقة مدرعة (٣ ألوية دبابات ، أي ٢٨٠ دبابة) معززة بلواء مظليينْ مهمة العبور دافعة لواء المظلات مع عدد من الدبابات في الطليعة للقيام باحتلال رأس جسر على الضفة الغربية للقناة . وفي الوقت ذاته تتولى بقية وحدات الفرقة حماية طرق الاقتراب إلى منطقة العبور ، مع شنّ هجمات خداعية باتجاه الشمال على الضفة الشرقية لإيهام القوات المصرية أن هدف العملية هو الهجوم على ميمنة الجيش الثاني .

(٢) بعد أن تُنفّذ الفرقة المدرعة المهمة المذكورة ، وتنصب جسرين على القناة ، تعبر فرقة مدرعة ثانية إلى الضفة الغربية وتتبعها بقية وحدات الفرقة الأولى على أن تتولى فرقة أخرى مهمة حماية طريق الاقتراب إلى منطقة العبور .

تلقت قيادة الجبهة الجنوبية الإسرائيلية الأمر من القيادة العامة ببدء تنفيذ خطة « الغزالة » في الساعة ١٧,٠٠ من يوم ١٩٧٣/١٠/١٥ بعد أن فشلت القوات المصرية في استئناف عملياتها الهجومية في اليوم السابق .

بدأت القوات الإسرائيلية تنفذ الخطة ، وواجهت مقاومات ونيران مدفعية مصرية أثناء توجهها إلى منطقة العبور على الضفة الشرقية بين الجيشين الثاني والثالث . ولم تتمكن تلك القوات من الوصول إلى منطقة العبور إلا بعيد منتصف الليل . وكادت الخطة تفشل لسببين رئيسين : أولهما أن خطة الغزالة كانت تعتمد لدى وضعها قبل الحرب على قاعدة قوية للعبور هي خط بارليف القريب من القناة ، في حين أصبحت وسائط النقل والعبور في يوم التنفيذ بعيدة عن القناة نحو ٢٠ كم في أرض صحراوية ، وتحت نيران المدفعية المصرية . وثاني السببين هو أن حجم المقاومة المصرية لعملية العبور كان أكبر مما توقعته القيادة الإسرائيلية .

تمكّنت الموجة الأولى للقوات الإسرائيلية من العبور إلى الضفة الغربية في الساعة ١,٣٥ من صباح ١٦ تشرين الأول . ومع بزوغ الفجر كان اللواء المظلي قد أتمّ عبوره وتبعته وحدات الدبابات . وأخذت القوات العابرة توسّع الجيب على الضفة الغربية تمهيدا لاستيعاب بقية القوات التي أخذت تطور الهجوم نحو الغرب مركزة نيرانها على مواقع الصواريخ المضادة للدبابات والطائرات .

وقد أشار الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس هيئة أركان القوات المسلحة المصري آنذاك في مذكراته إلى أن الخطة المصرية لم تستبعد أن يقوم العدو بعبور معاكس في عدة مواقع ، منها موقع الدفرسوار . وتضمّنت الخطة ، لمواجهة هذا الاحتمال أن يتمّ الاحتفاظ بـ ٣٥٠ دبابة غرب القناة لسحق أي خرق عابر معاد . غير أنه لم يكن في الضفة الغربية لحماية ظهر الجيشين الثاني والثالث يوم ١٠/١٤ سوى لواء مدرع واحد (أي أقل من ١٠٠ دبابة) .

وصلت المعلومات الأولى عن الخرق الإسرائيلي إلى القيادة العامة المصرية صباح يوم ١٠/١٦ ، ومؤداها أن جماعات صغيرة من العدو نجحت في العبور ، وأن الجيش يقوم باتخاذ الإجراءات اللازمة للقضاء عليها . وبالرغم من تواتر المعلومات بعد ذلك عن خطورة الخرق واتساع العبور عجزت القيادة المصرية عن تحديد حجم القوة المعادية ومساحة البقعة التي تحتلها .

وفي ١٧ تشرين الأول تحرك لواء مشاة ولواء مدرعات مصريان لمواجهة العدو العابر الذي كان وسّع رأس الجسر حتى أصبح بعرض ٥ كم وعمق كيلومترين . ولم يستطع اللواءان ردّ العدو ، ودُمّر لواء مدرع مصري تدميرا شبه كامل بالمدرعات والطائرات والمدافع الإسرائيلية .

وما إن حل يوم ١٠/١٨ حتى استطاع العدو أن يحشد أربعة ألوية مدرعة ولواء مشاة ولواء مظليين غربي القناة ، وتمكّن من تطوير هجومه باتجاه مدينة السويس جنوبا . وقد فشل العدو في احتلال هذه المدينة ، ولكنه نجح في تطويق الجيش الثالث المصري، الأمر الذي مكّن القيادة الإسرائيلية فيما بعد من فرض شروطها ، وانتهى الأمر إلى وقف إطلاق النار .

هـ ـ خصائص حرب تشرين : تميّزت حرب تشرين عن سابقاتها من الحروب العربية ـ الإسرائيلية بظواهر عدة يمكن الإشارة إلى ثلاث منها هي دور المقاومة الفلسطينية المسلحة ، واستخدام النفط العربي سلاحاً لصالح المعركة وأهدافها ، وتأثر سياسة الانفراج الدولي بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة بالحرب ونتائجها .

١) المقاومة الفلسطينية : تتمثل الظاهرة الأولى بالدور الفعّال الذي أدّته المقاومة الفلسطينية في حرب تشرين . فما إن ابتدأ القتال حتى ضاعفت المقاومة بمختلف منظماتها وفصائلها نشاطها العسكري ، واشترك جيش التحرير الفلسطيني في المعارك التي جرت على الجبهتين السورية والمصرية ضمن إطار خطة العمليات الخاصة بهاتين الجبهتين . وكان لهذا الجيش دوره البارز ، إذ أوكلت قيادتا الجبهتين إلى قطعاته مهام قتالية عدة (ر : جيش التحرير الفلسطيني) .

ويمكن القول إن المقاومة الفلسطينية فتحت جبهة عمليات ثالثة إلى جانب الجبهتين السورية والمصرية . وقد كانت أراضي فلسطين المحتلة منطقة تلك الجبهة الثالثة ومسرح عملياتها حيث نشطت فصائل المقاومة ووحدات الفدائيين ، وبخاصة في الجليل الأعلى والضفة الغربية ، ونفّذت خلال الأيام العشرة الأولى من الحرب أكثر من مائة عملية كان لها تأثيرها المباشر في رفع الروح المعنوية للشعب العربي الفلسطيني في الأراضي المحتلة ، وفي إلحاق الضرر بمرافق العدو وخطوط مواصلاته ومراكز تموينه وقوافل وحداته .

٢) النفط العربي : تميّزت حرب تشرين عن غيرها من مظاهر الصراع العربي ـ الإسرائيلي باستخدام النفط العربي سلاحاً ضاغطاً شديداً فعالاً يسهم مع أدوات الحرب الأخرى في تحقيق الأهداف العربية من القتال .

عقد وزراء النفط في الدول العربية الأعضاء في « منظمة الدول العربية المصدرة للبترول» (أوابيك) اجتماعا في الكويت يوم ١٩٧٣/١٠/١٧ وتدارسوا أمر استخدام النفط العربي سلاحا في المعركة الناشبة مع العدو ، وتوصّلوا إلى اتفاق عبّروا عنه في قرار، أهم نقاطه :

(١) « إن الهدف المباشر للمعركة التي تدور رحاها حاليا هو تحرير الأرض العربية المحتلة في حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وفقا لقرارات الأمم المتحدة » .

(٢) الولايات المتحدة هي المصدر الرئيس لقوة (إسرائيل) . وتسهم الدول الصناعية الكبرى في بقاء الوضع الراهن على ما هو عليه .

(٣) إقرار تخفيض الإنتاج النفطي لكل دولة عربية مصدّرة للنفط « فورا بنسبة شهرية متكررة لا تقل عن ٥ في المائة » من الإنتاج الفعلي لشهر أيلول ١٩٧٣ . ويستمر تخفيض الإنتاج بالنسبة المذكورة في كل شهر على أساس الإنتاج الفعلي للشهر الذي سبقه ، « وهكذا حتى تفرض المجموعة الدولية على إسرائيل التخلّي عن اراضينا المحتلة » .

(٤) الدول التي تساند العرب ، أو تتخذ إجراءات هامة ضد (إسرائيل) ، لن تضارّ من تخفيض الإنتاج .

(٥) نسبة التخفيض من الإنتاج واحدة بالنسبة إلى جميع الدول . الا أن هذه النسبة تزيد حسب تعاطف الدولة المستهلكة وتعاونها مع العدو .

(٦) التوصية بقطع النفط عن الولايات المتحدة الأمريكية .

نفّذت الدول العربية المنتجة للنفط هذا القرار ، وتوقّف إرسال النفط العربي إلى الولايات المتحدة ، كما توقف إرساله أيضا إلى هولندا بسبب موقفها المؤيد (لإسرائيل) وعدائها الصريح للعرب .

كان لإدخال سلاح النفط العربي ساحة المعركة أثر فعال في المجال الدولي . فقد واجهت الدول الغربية والولايات المتحدة والدول الصناعية بصورة عامة أزمة شديدة في الإنتاج وتشغيل الآلة وشؤون الحياة اليومية ، ومسّت المقاطعة النفطية العربية ، بالرغم من أنها كانت نسبية ومؤقتة ، رفاه كل إنسان يعيش في تلك البلدان ، وولّدت في نفسه الخوف من المستقبل والخشية من شظف العيش وقساوة الحياة وتعرّض اقتصاد بلده إلى الأزمات الحادة ، لا لسبب إلّا لأن حكومة بلده تدعم (إسرائيل) في سلوكها العدواني .

انتهى الحظر العربي إثر ظهور عوامل سياسية جديدة على الصعيدين الدولي والعربي تاركاً أثره في تعديل مواقف بعض الدول والكتل الإقليمية والدولية (مثل الدول الأوروبية التسع أو ما يعرف بالجماعة الاقتصادية الأوربية) * من الصراع العربي - الإسرائيلي ، وبخاصة ما يتعلق منه بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة وتأمين الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني * .

٣) أثر الحرب في العلاقات بين الدولتين العظميين : من الطبيعي أن يكون لحدث خطير كحرب تشرين أثر في العلاقات بين الدولتين العظميين ، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، وبخاصة في عهد الإنفراج الدولي الذي مارسته هاتان الدولتان وأخذتا تنظران إلى معظم المشكلات الدولية وتعالجانها بمنظاره .

وقد جاءت حرب تشرين لتكون اختبارا عمليا لسياسة الانفراج ، بالرغم من الاختلاف في موقف الدولتين المذكورتين من الصراع العربي - الإسرائيلي بمجمله ومن حرب تشرين ، ولا سيما أن كلا منهما أخذت تمد الجانب الذى تؤيده بالأسلحة والأعتدة .

ومن الجدير بالذكر أن الدولتين المذكورتين تقدمتا بعد ١٦ يوما من القتال بمشروع قرار إلى مجلس الأمن صدر يوم ١٩٧٣/١٠/٢٢ برقم ٣٣٨ يدعو إلى وقف القتال ، ويحدد مبادىء لإقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط . ونظرا لأن (إسرائيل) لم تتقيد بوقف إطلاق النار ، وإنما تابعت عملياتها الحربية ، فقد أصدر المجلس قرارا آخر في اليوم التالي برقم ٣٣٩ أكّد فيه وجوب وقف القتال فورا ، وعودة القوات إلى المواقع التي كانت تحتلها لحظة سريان وقف إطلاق النار الذي أمر به القرار ٣٣٨ . ولكن (إسرائيل) رفضت أيضا الانصياع لهذا القرار ، مما دعا المجلس إلى إصدار قرار ثالث رقمه ٣٤٠ في ١٩٧٣/١٠/٢٥ طلب فيه المراعاة الكاملة لوقف إطلاق النار وعودة الأطراف إلى المواقع التي كانت تحتلها الساعة ١٦,٥٠ (بتوقيت غرينتش) يوم ١٩٧٣/١٠/٢٢ .

وفي الفترة ما بين القرارين الثاني والثالث كانت (إسرائيل) تندفع بقواتها ، خلافا لقراري مجلس الأمن ، داخل الأراضي المصرية على الضفة الغربية لقناة السويس ، مما اضطر الرئيس أنور السادات إلى توجيه نداء إلى الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، باعتبارهما ضامنيْن لقرار وقف إطلاق النار ، لإرسال قوات منهما إلى المنطقة فورا . وقد أعلنت الولايات المتحدة أنها لا تنوي إرسال قوات إلى الشرق الأوسط ، وأنها تأمل في ألّا ترسل دولة أخرى قوات إلى المنطقة .

وأعقب ذلك إرسال الرئيس السوفييتي بريجنيف مذكرة إلى الرئيس الأمريكي نيكسون يعلمه فيها أنه إذا لم يكن بإمكان الولايات المتحدة أن تشترك مع الاتحاد السوفييتي في مجال تنفيذ قرارات مجلس الأمن بوقف إطلاق النار واستمرار انتهاك (إسرائيل) لتلك القرارات ، فإن الاتحاد السوفييتي سيواجه ضرورة دراسة اتخاذ الخطوات المناسبة بصورة منفردة .

وكان رد الفعل الأمريكي متمثلا بقرار الولايات المتحدة إعلان حالة التأهب والطوارىء بين القوات الأمريكية في جميع أنحاء العالم ، وفيها القوة النووية الضاربة التابعة للقيادة الجوية الاستراتيجية .

لم تتطوّر الأزمة بعد ذلك ، ولا سيما بعد أن تبين أن أية قوة أجنبية عن المنطقة سوى قوة الطوارىء الدولية التي شكلها مجلس الأمن بقراره ٣٤٠ بتاريخ ١٩٧٣/١٠/٢٥ وأوكل إليها مهمة الإشراف على تنفيذ وقف إطلاق النار لم تصل إلى أرض المعركة

انتهت حرب تشرين على ساحة القتال ، ولكنها تركت آثارها ونتائجها في ساحات أخرى ، ولا سيما في المنظمة الدولية . فقد شهدت قضية فلسطين ، في أصلها وفروعها ، منعطفا واضحا وهاما في الأمم المتحدة بعد تلك السنوات الطوال التي شهدت محاولات

الصهيونية والدول الاستعمارية والإمبريالية طيّ قضية فلسطين واغتيالها في المحافل الدولية . وقد حققت قضية فلسطين لنفسها نجاحات ذات قيمة عالية فيما يتعلّق بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني ، ودمغ الصهيونية بأنها شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري (ر : العنصرية والصهيونية) ، وإدانة (إسرائيل) بأنها قوة احتلال ، ومنح منظمة التحرير الفلسطينية مركز المراقب في الجمعية العامة للأمم المتحدة (ر : منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة) .

و ـ خلاصات ونتائج : استطاع العرب في حرب تشرين ١٩٧٣ أن ينتزعوا زمام المبادرة من أيدي العدو ، وأن ينتقلوا بنجاح من الدفاع إلى الهجوم الإستراتيجي ، وأن يباغتوا العالم ويأخذوا العدو على حين غرّة ، وأن يحطّموا نظرية الأمن الإسرائيلي وغرور العدو وأسطورة تفوّقه ، وأن يثبتوا قدرتهم على التضامن والعمل المشترك لتحقيق هدف موحد محدد . وإذا لم تكن حرب تشرين قد انتهت إلى نصر عسكري حاسم لأي من طرفي الصراع ، فإنها استطاعت أن تبلغ هذه النتائج . ولعل ما أثبتته الحرب من قدرة العرب على التضامن ووحدة الصف والقوى والطاقات في مواجهة العدو المشترك هو من أهم النتائج وأكثرها قيمة وتأثيرا

المراجـع :

ـ حسن البدري وآخرون . حرب رمضان ، القاهرة ١٩٧٥ .

ـ مؤسسة تشرين : الحرب العربية الأولى ، دمشق ١٩٧٨ .

ـ محمد حسنين هيكل : الطريق إلى رمضان ، بيروت ١٩٧٥ .

ـ مجلة السياسة الدولية : العدد ٣٥ ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

ـ مذكرات الفريق سعد الدين الشاذلي ، مجلة الوطن العربي ، أعداد عامي ١٩٧٨ و١٩٧٩ ، باريس

— Duppuy, T.N.: **Elusive victory**, New York 1978

— Institute fo Strategic studies: **Strategic Survey 1974**, London 1975.

— Institute fo strategic studies : **The Military Balance 1974- 1975**, London 1975.

— Peter Mangold: **Superpower Intervention in the Middle East**, London 1978.

حرب ١٩٧٣ في منظمة الأمم المتحدة :

حينما انطلقت الحرب العربية ـ الإسرائيلية الرابعة يوم ٦/١٠/١٩٧٣ تخلخلت الأرضية السياسية الدولية وبدأت بعض معالمها تتغيّر . وكان أبرز تلك المعالم التي تعرضت للتغير المناخ العالمي الذي بدأ ـ بعد انحياز كامل (لإسرائيل) في الغرب ـ يستمع إلى وجهة النظر العربية ، وبخاصة ما يتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني والجلاء عن الأراضي العربية التي احتلتها (إسرائيل) في عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ (ر : حرب ١٩٦٧) .

وهكذا برزت مرة أخرى قضية فلسطين وما تفرع عنها من مشكلات على رأس الاهتمامات الدولية الملحّة العاجلة ، فشهدت منظمة الأمم المتحدة تحركات واتصالات ناشطة وسريعة على أعلى المستويات المسؤولة طوال مدة الحرب وبعدها . ذلك أن حرب تشرين كشفت منذ إعلانها عن الارتباط الوثيق بين أمن منطقة الوطن العربي وأمن العالم بصورة عامة .

فور اندلاع القتال تحركت الولايات المتحدة الأمريكية بسرعة محاولة أن تزيل أو تخفف من آثار المعركة عن الكيان الصهيوني ، بالرغم مما كانت قد أمدّته به من أسلحة ومعدات ، وساعية إلى تضييق ساحة القتال في المكان والزمان وعدد القوات وكميات الأسلحة المشتركة فيها . وقد بدأت الولايات المتحدة تحركها باتصالات ثنائية ، ثم قدّمت في اليوم الثاني للقتال ، أي في ٧ تشرين الأول ، كتاباً إلى رئيس مجلس الأمن في الأمم المتحدة تطلب فيه انعقاد المجلس بشكل سريع لدراسة « الحالة في الشرق الأوسط » . وكان مجلس الأمن في العام ١٩٧٣ مؤلفاً من خمس عشرة دولة ، خمسة منها ذات عضوية دائمة هي : الاتحاد السوفييتي ، والولايات المتحدة ، والصين الشعبية ، وبريطانيا ، وفرنسا ؛ والعشر الأخرى ذات عضوية مؤقتة ، وهي : أوستراليا ، والنمسا ، وغينيا ، والهند ، وأندونيسيا ، وكينيا ، وباناما ، وبيرو ، والسودان ، ويوغسلافيا .

وحينما اتصل رئيس المجلس بالأعضاء للاتفاق على انعقاد المجلس تلبية للطلب الأمريكي لم يلق الرغبة الكافية للإسراع في عقد جلسة في اليوم ذاته . وهكذا التأم المجلس في اليوم التالي ، أي في ٨ تشرين الأول ، في جو سيطرت عليه عدة عوامل أهمها :

١) عامل المفاجأة في الحرب . وقد اعترف الأمين العام للأمم المتحدة بتأثير هذا العامل على الصعيد الدولي .

٢) عامل الانتصارات السريعة المتتالية التي حققتها القوات السورية والمصرية ومن ساندها من القوات العربية على الجبهتين الشمالية والجنوبية .

٣) عامل الرغبة لدى معظم أعضاء المجلس في خلق وضع جديد في المنطقة يساعد على إيجاد مناخ دولي يؤدي إلى الشروط اللازمة والكافية لإقامة سلمٍ عادل ودائم في الشرق الأوسط بعدما تعذرت إقامة مثل هذا السلم في ضوء الرفض الإسرائيلي القائم على الاحتلال والتوسع .

٤) عامل المواقف الضاغطة لعدة مجموعات دولية تُشكّل بعدد

الدول المنضمة إليها أكثرية أعضاء منظمة الأمم المتحدة . وكان أبرز المواقف تلك التي التزمت بها مجموعة دول عدم الانحياز ، ومجموعة الدول الإسلامية ، ومجموعة الدول الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي .

وكان موقف الدولتين الكبريين ، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، أحد العوامل المؤثرة أيضاً في معالجة موضوع حرب تشرين في مجلس الأمن . ومن الممكن تلخيص موقف الاتحاد السوفييتي في الأمم المتحدة خلال الأيام الأولى من الحرب بالنقاط التالية :

١) استنكار « العدوان الإسرائيلي المستمر » وتحميل « السياسة الإسرائيلية » طوال السنوات الماضية مسؤولية تجدد القتال .

٢) عدم فسح المجال في الفترة الأولى من الحرب أمام أي مشروع قرار في مجلس الأمن يدعو إلى وقف القتال او عودة القوات إلى المواقع التي كانت فيها قبل ٦ تشرين الأول ، وذلك لمواجهة الجهود الحثيثة التي كانت الولايات المتحدة تبذلها في الاتجاه المعاكس .

٣) انسجام مواقف دول أوروبا الاشتراكية مع الموقف السوفييتي .

أما الموقف الأمريكي فيمكن تلخيصه بالنقاط التالية :

١) الدعوة في المرحلة الأولى من الحرب إلى وقف إطلاق النار عن طريق مجلس الأمن وعودة القوات إلى مواقعها التي كانت فيها قبل ٦ تشرين الأول .

٢) الاتصال بطرفي الصراع لإنهاء القتال وإيجاد حل للنزاع .

٣) الالتزام بحماية كيان (إسرائيل) ، وذلك بمنع العوامل التي تؤدي إلى إضعافه أو تهديده .

في ظل هذه العوامل والمواقف انعقد مجلس الأمن يوم ٨ تشرين الأول ، وبدأ المندوب الأمريكي يعرض أسباب دعوته المجلس إلى الانعقاد ، وانتهى إلى ذكر ثلاثة مبادىء ترى حكومته الأخذ بها لحلّ المشكلة الآنية للحرب القائمة :

١) إيجاد أنسب الوسائل لإيقاف القتال ، وبذلك يمكن تجنب حدوث مزيد من الآلام الإنسانية ، ثم البدء في البحث عن السلام .

٢) إقامة أوضاع في المنطقة تساعد على التوصل إلى تسوية الخلافات التي طال أمدها في الشرق الأوسط . كما يجب البدء بتحويل المجابهة الحادة بين المطالب والمطالب المضادة إلى حوار يهدف إلى تحقيق مصالحة حقيقية . وإن إحدى الوسائل للوصول إلى ذلك هي جعل الأطراف المعنية تعود إلى أماكنها التي كانت فيها قبل نشوب القتال .

٣) وجوب احترام حقوق جميع دول المنطقة ومواقفها . وعلى مجلس الأمن أن يعي ضرورة الاحترام العالمي للوثائق والمبادىء المتعلقة بتسوية نزاع الشرق الأوسط بعد أن نالت قبول الأطراف المعنية ودعم المجلس . وإن الأسس التي تم التوصل إليها في الماضي بمشقة من أجل التفاوض الرامي إلى تحقيق السلام في الشرق الأوسط يجب أن لا تدمّر تحت ضغط الطوارىء العسكرية .

تحدّث بعد ذلك المندوب السوفييتي فتلا نص البيان الذي أصدرته حكومته يوم ٧ تشرين الأول ونشرته الأمم المتحدة كوثيقة رسمية من وثائقها . وقد جاء فيه " أن ما يجري في الشرق الأوسط الآن يؤكد تلك الحقيقة الواقعة ، وهي أن تصفية بؤرة التوتر المستمرة في المنطقة وإشاعة سلم مضمون فيها أمران غير ممكنين بدون التحرير الكامل لجميع الأراضي العربية المحتلة منذ حزيران ١٩٦٧ ، وبدون ضمان الحقوق الشرعية للشعب العربي الفلسطيني " . وقد حمّلت الحكومة السوفييتية في بيانها الحكومة الإسرائيلية المسؤولية الكاملة عن تطور الأحداث في الشرق الأوسط ، وأعلنت أنها ستقف بثبات صديقاً أميناً للدول العربية . وقال المندوب السوفييتي في ختام بيانه إنه ما لم تحلّ مشكلة الانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة وتأمين الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني فإن أي قرار يصدره المجلس سيستغلّه المعتدي للمماطلة في الانسحاب .

عقد مجلس الأمن خلال الفترة الواقعة بين ٨ و١٢ تشرين الأول أربع جلسات استمع أثناءها إلى وجهات نظر الدول الأعضاء في المجلس ، كما استمع إلى آراء الأطراف المعنية . وكانت المناقشة حادة وعنيفة بقدر ما كانت المعركة في ساحة القتال قاسية ومريرة . وقد بلغ النقاش أشدّه حينما انتهكت (إسرائيل) اتفاقيات جنيف الإنسانية بقصفها من الجو الأهداف المدنية والأحياء السكنية ، وبخاصة في دمشق ، والمنشآت الاقتصادية التي لا علاقة لها بالمجهود الحربي في سورية ومصر . ولجأ المندوب الإسرائيلي إلى الإنكار والكذب فأفحمه مندوبا القطرين العربيين بالوثائق والصور والشواهد والأرقام التي تدين (إسرائيل) في انتهاكها الوحشي للاتفاقيات الدولية والمبادىء الإنسانية .

تميّزت هذه المرحلة من مناقشات المجلس التي استمرت خمسة أيام بوضوح عدة حقائق أكدتها أكثرية أعضاء المجلس ، وهي :

١) أن استمرار الاحتلال الإسرائيلي الذي تمّ في حزيران سنة ١٩٦٧ لأراضي بعض الدول العربية يعتبر عدواناً مستمراً .

٢) أن استمرار الاحتلال كان السبب المباشر لاندلاع الحرب .

٣) أن موقف سورية ومصر يوم ٦ تشرين الأول من هذا العدوان المستمر كان دفاعاً مشروعاً بموجب أحكام ميثاق الأمم المتحدة .

٤) أن موقف (إسرائيل) الرافض لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ تاريخ ١٩٦٧/١١/٢٢ هو الذي أدى إلى عودة الاضطراب الى المنطقة وتعريض السلم والأمن فيها وفي العالم إلى الخطر .

٥) أن (إسرائيل) مُدانة بخرقها اتفاقيات جنيف وانتهاكها المبادىء الإنسانية حين ضربت الأهداف المدنية والأحياء السكنية والمنشآت الاقتصادية التي لا علاقة لها بالمجهود الحربي في سورية ومصر .

٦) لا يمكن تأويل قرار مجلس الأمن ٢٤٢ إلا على أساس الانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني .

ومن الجدير بالذكر أن الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة في دورتها الثامنة والعشرين كانت منعقدة في مقر المنظمة في نيويورك حينما نشبت الحرب . فكان انعقادها فرصة سانحة لكي تعبر دول العالم عن مواقفها ، وتعلن بعض وفودها ، وبخاصة الوفود الإفريقية ، عن قرارات حكوماتها بقطع علاقاتها مع (إسرائيل) ، وتنبه إلى خطورة الموقف ، وتظهر خشيتها من أن تتطور الأمور إلى الأسوا فيتسع نطاق الحرب وتقع مجابهة بين الدولتين الكبيرتين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، ويتعرض السلم والأمن الدوليان إلى أخطر أزمة منذ الحرب العالمية الثانية . وعبّرت بعض الوفود عن خشيتها من انهيار منظمة الأمم المتحدة ونظام الأمن والتعاون الدولي إذا لم تسارع المنظمة ، بجهازيها الرئيسين مجلس الأمن والجمعية العامة ، إلى إنقاذ الموقف واجتثاث أسباب النزاع . وكانت مواقف معظم الدول الأعضاء في الجمعية تؤكد أن السبب الرئيس للصراع ولجميع الكوارث المحتملة هو رفض (إسرائيل) الانسحاب من جميع الأراضي وتنكّرها للحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني . ولقد كانت مناقشات الجمعية العامة في أثناء انعقاد مجلس الأمن ما بين ٨ و ١٢ تشرين الأول بمثابة مظاهرة عالمية لتأييد الموقف والحق العربيين أثرت تأثيراً هاماً في مناقشات مجلس الأمن في الفترة المذكورة .

لم يتمكن أعضاء مجلس الأمن وقد بلغت المناقشة نهايتها من الاتفاق على مشروع قرار يتدارسونه ، فقد كانت هناك قوتان تتجاذبان أية نتيجة يمكن أن يتوصل إليها المجلس . فالولايات المتحدة ، ومعها عدد قليل من الدول الأعضاء المؤيدة لها ، ترى أن مشروع القرار يجب أن يتضمن عودة القوات المسلحة إلى مواقعها التي كانت فيها قبل ٦ تشرين الأول ، والتشديد على تنفيذ القرار ٢٤٢ ؛ في حين كانت أكثرية الأعضاء ترى أن تؤخذ العوامل الجديدة التي سببت عودة القتال في الحسبان ، فتبرز في أي مشروع قرار ويؤدي بروزها في النهاية إلى زوال جميع الأسباب التي يمكن أن تعيد ، كلها أو بعضها ، الاضطراب إلى المنطقة ، كما يقيم مشروع القرار المأمول أسساً راسخة لسلام عادل ودائم .

وإزاء هذين الاتجاهين وجد المجلس نفسه مبلبلاً ، ولا سيما بعد ان عبّر مندوب الولايات المتحدة عن تصميم حكومته على استعمال حق النقض لإسقاط اي مشروع قرار يتعدى حدود ما تراه حكومته . وهكذا انفضّ المجلس دون اتخاذ اي قرار .

ومن الجدير بالذكر ان بيانات عدة قدمت إلى مجلس الأمن او ألقيت أثناء هذه المرحلة من المناقشات باسم مجموعات دولية ووزعت كوثائق رسمية للمجلس . وأهم هذه البيانات :

١) بيان مجموعة دول عدم الانحياز يوم ١٠ تشرين الأول ، وفيه تدين هذه الدول العدوان الإسرائيلي على سورية ومصر ، وتعلن تأييدها للنضال العادل والجهود البطولية التي يبذلها هذان البلدان من اجل تحرير أراضيهما المحتلة ، وتعبر عن اقتناعها بعدالة القضية العربية وانتصارها .

٢) بيان الجماعة الاقتصادية الأوربية * (دول السوق الأوربية المشتركة) يوم ١٣ تشرين الأول ، وفيه دعت الدول التسع أعضاء الجامعة إلى وقف القتال وفتح الباب أمام " مفاوضات حقيقية ضمن إطار مناسب ، تسمح بالعمل على تسوية النزاع بما يتلاءم مع أحكام القرار ٢٤٢ الذي اتخذه مجلس الأمن في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٦٧ "

٣) بيان منظمة الوحدة الإفريقية . وقد ألقاه في المجلس وزير خارجية كينيا ، وفيه عزا عودة القتال في المنطقة إلى استمرار احتلال (إسرائيل) للأراضي العربية ، ودانها لتجاهلها قرارات الأمم المتحدة ، وطالب ببدء التفاوض لتطبيق القرار ٢٤٢ مع الاهتمام بحقوق الشعب الفلسطيني .

تقدّم الأمين العام للأمم المتحدة إلى مجلس الأمن أثناء انعقاده يوم ١١ تشرين الأول بياناً قال فيه إنه يخشى من ان يخلق الوضع الحالي في الشرق الأوسط " تهديداً متزايداً للسلام والأمن الدوليين " ، وطلب من الحكومات المتحاربة " أن تنظر في طرق بديلة قبل فوات الأوان ليكون في الإمكان وقف القتال وإراقة الدماء " . وحثّ أعضاء المجلس على بذل جهد آخر للتغلب على " العقبات في وجه عمل فعّال وسلمي " . وقال إنه ليس لديه حل تفصيلي ، ولكنه يناشد الحكومات المعنية بإخلاص " أن تنظر بصورة مستعجلة في إمكان تحويل هذا النزاع المفجع إلى نقطة انطلاق نحو جهد جديد لإيجاد تسوية حقيقية " .

هذا عن المرحلة الأولى لمناقشة وضع الشرق الأوسط في ضوء حرب تشرين في مجلس الأمن .

وكانت الاتصالات بين موسكو وواشنطن منذ بدء الحرب

وطوالها مستمرة بوسائل متعددة . وبدأت المرحلة الثانية بعد انتهاء مناقشات مجلس الأمن (من ٨ الى ١٢ تشرين الأول) فتميّزت باتخاذ الدولتين الكبريين مبادرة مشتركة تمثلت في مشروع قرار اتفقتا على نصّه أثناء زيارة سريعة قام بها وزير الخارجية الأمريكية الى موسكو يوم ٢٠ تشرين الأول .

ودعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي مجلس الأمن إلى الانعقاد بشكل سريع يوم ٢١ تشرين الأول فالتأم مساء اليوم ذاته في ظل ظروف عسكرية وسياسية جديدة ، لا سيما وان احتمالات التوتر والمواجهة بين الدولتين الكبريين كانت قد أثرت في التحرك السياسي ضمن إطار الأمم المتحدة ، الأمر الذي دفع موسكو وواشنطن إلى اقتراح صيغة توفيقية تضع حداً لتطورات محتملة يصعب ضبطها والتحكم في مسارها ، وتنهي القلق والتخوف من نشوء عوامل جديدة خطيرة سواء في إطار منطقة الشرق الأوسط او في الإطار الدولي .



افتتح المندوب الأمريكي المناقشة في مجلس الأمن فشرح الغاية من الاجتماع العاجل على أنها " اتخاذ إجراء عادل ، وتقديم مشروع قرار إلى المجلس يهدف إلى إيجاد توقف فوري عن إطلاق النار وبقاء القوات في الأماكن التي تحتلها ، والشروع فوراً في مفاوضات بين الأطراف بإشراف مناسب ، مفاوضات تتطلع نحو سلام عادل ودائم يرتكز على قرار مجلس الأمن الصادر في تشرين الثاني سنة ١٩٦٧ " . ثم قدم مشروع القرار السوفييتي - الأمريكي ، وهذا نصّه :

" إن مجلس الأمن ،

" ١) يدعو جميع الأطراف المشتركة في القتال الدائر حالياً إلى وقف إطلاق النار بصورة كاملة ، وإنهاء جميع الأعمال العسكرية فوراً في مدة لا تتجاوز ١٢ ساعة من لحظة اتخاذ هذا القرار وفي المواقع التي تحتلها الآن

" ٢) يدعو جميع الأطراف المعنية إلى البدء فوراً ، بعد وقف اطلاق النار ، بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) بجميع أجزائه .

" ٣) يقرر أن تبدأ ، فور وقف إطلاق النار وخلاله ، مفاوضات بين الأطراف المعنية بإشراف ملائم لإقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط " .

وتحدّث المندوب السوفييتي فطلب من المجلس الموافقة على مشروع القرار ، وأشار إلى التطور الخطير للأحداث ومساره في اتجاه معاكس للانفراج الذي تحقق منذ زمن قريب ، مما يتطلب من جميع أنصار السلام أن يبذلوا الجهد لتغيير اتجاه هذا المسار في المنطقة ليسير في منحى تسوية سلمية عادلة .

وتحدث بقية مندوبي الدول الأعضاء الدائمة في المجلس ، فأيد المندوب البريطاني المشروع ، وطالب بأن تكون الجهود المبذولة للوصول إلى الحل السلمي بإشراف الأمم المتحدة . وكان المندوب الفرنسي أكثر دقة في موقفه حين قال إن تعبير " إشراف ملائم " يعني بالنسبة لحكومته " إشراف مجلس الأمن " . وقال إن حكومته تتمسك بوجهة نظرها فيما يتعلق بتفسير أحكام القرار ٢٤٢ ، ولا سيما الأحكام الخاصة بالانسحاب من الأراضي المحتلة (ر : حرب ١٩٦٧ في منظمة الأمم المتحدة) ، كما تؤكد رأيها بشأن " دور مجلس الأمن وأعضائه الدائمين " في التسوية السلمية . وأما مندوب الصين الشعبية فقد أعلن انه لن يشترك في التصويت على مشروع القرار ، وعلّل موقفه هذا بأنه كان من واجب المجلس أن يدين « إسرائيل » على عدوانها المستمر ، وان يطلب منها الانسحاب من جميع الأراضي المحتلة ، وأن يضمن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني . وبما أن مشروع القرار لا يتضمن ذلك كله فإنه لا يشترك في التصويت .

أدلى مندوبو الدول الأعضاء غير الدائمة بآرائهم ، وكانت معظمها تركز على ضرورة تحقيق المبادىء الثلاثة الآتية

١) انسحاب (إسرائيل) من الأراضي العربية المحتلة

٢) الاعتراف بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني

٣) الاعتراف بالسيادة الإقليمية لجميع دول المنطقة ، وعيشها ضمن حدود آمنة ومعترف بها .

وبعد ذلك طرح رئيس المجلس مشروع القرار على التصويت فأيدته ١٤ دولة ، ولم تشترك الصين في التصويت . وصدر القرار برقم ٣٣٨ وتاريخ ١٩٧٣/١٠/٢٢ .

أعلنت مصر موافقتها على القرار فور صدوره . وأما سورية فقد أبلغت الأمين العام للأمم المتحدة يوم ٢٣ تشرين الأول في كتاب وزّعته الأمانة العامة كوثيقة رسمية من وثائق مجلس الأمن أن

الحكومة السورية وافقت على القرار المذكور مؤكدة أن فهمها للقرار يرتكز على (١) الانسحاب الإسرائيلي الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة في حزيران ١٩٦٧ وما بعد ، (٢) ضمان الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني وفقاً لقرارات الأمم المتحدة ؛ على أن يلتزم الجانب الآخر بتنفيذ القرار المشار إليه " .

لم تنصعْ (إسرائيل) لقرار مجلس الأمن بالرغم من إعلانها قبوله في إثر صدوره ، بل تابعت عدوانها منتهكة المادة الأولى من القرار ٣٣٨ ، معبّرة بذلك ، مرة أخرى ، عن استمرارها في الاستهانة بالمجتمع الدولي ، وعدم اكتراثها بما يمكن أن يترتب على موقفها هذا من مسؤوليات وعواقب ، كاشفة عن نيّاتها العدوانية التوسعية . وكان لا بد من العودة إلى مجلس الأمن الذي طلبت مصر انعقاده يوم ٢٤ تشرين الأول . وحينما التأم المجلس في اليوم المذكور عرض المندوب المصري تطورات الموقف على الجبهة المصرية واستمرار (إسرائيل) في انتهاك قرار المجلس . وقال إن القرار إذا سقطت مادته الأولى الخاصة بوقف إطلاق النار فإن مواده الأخرى تكون قد سقطت أيضاً". ووقف معظم أعضاء المجلس إلى جانب ضرورة ردع (إسرائيل) عن التمادي في استهتارها بقرار المجلس وتعريضها السلم والأمن الدوليين للخطر . وطالب المندوب السوفييتي بإرسال قوات دولية للإشراف على تطبيق القرار ٣٣٨ ، وضرورة التفكير بتطبيق ما نص عليه الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة من عقوبات وتدابير زاجرة تُفرض على (إسرائيل) ، ونادى بأن تقطع جميع الدول علاقاتها بها . ثم تحدث المندوب المصري مرة أخرى فطالب بأن ترسل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي قوات للإشراف على تنفيذ القرار ٣٣٨ ، وقال " إن ما يجري الآن في مصر ليس فقط خرقاً لوقف إطلاق النار وإنما حرب جديدة فعلاً " . وقد رفض المندوب الأمريكي الاقتراحين السوفييتي والمصري ، وكرّر موقف حكومته بضرورة عودة القوات إلى مواقعها عند بدء نفاذ وقف إطلاق النار ، ولكنه شك في إمكان تحديد هذه المواقع ، إذ أنه لم يكن هناك طرف ثالث يسهم في تحديدها . وانتهت المناقشة بإصدار المجلس قراراً جديداً برقم ٣٣٩ وتاريخ ٢٤ تشرين الأول مؤيداً من ١٤ دولة ، إذ لم تشترك الصين في التصويت . وقد كرر المجلس في قراره هذا ضرورة الإيقاف الفوري لإطلاق النار ، وعودة القوات إلى المواقع التي كانت تحتلها حين بدأ تنفيذ القرار ٣٣٨ . وطلب من الأمين العام أن يسرع في إرسال مراقبين للإشراف على مراقبة وقف إطلاق النار بين القوات المصرية والقوات المعادية .

لم ترتدع (إسرائيل) ، ولم تنفذ قراري مجلس الأمن ، مما أدى إلى عودة المجلس إلى الانعقاد مرة أخرى يوم ٢٥ تشرين الأول لبحث من جديد في أمر تمرّد (إسرائيل) على قراريه . وانتهت المناقشة بإصدار قرار جديد برقم ٣٤٠ وتاريخ ٢٥ تشرين الأول . وقد طالب المجلس فيه بوقف إطلاق النار وقفاً كاملاً وفورياً وعودة القوات إلى المواقع التي كانت تحتلها في الساعة ١٦,٥٠ (بتوقيت غرينتش) من يوم ٢٢ تشرين الأول ، وقرر إنشاء قوة للطوارئ، تتألف من عناصر من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ، ما عدا الدول الخمس الأعضاء الدائمة في مجلس الأمن ، وأوكل اليها مهمة مراقبة تنفيذ وقف إطلاق النار .

المراجع :

ـ وثائق ومحاضر اجتماعات مجلس الأمن ، من ٦ ـ ٢٥ تشرين الأول ١٩٧٣ .

الحرب الوقائية : ر : الإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية

الحرس الأهلي الفلسطيني (قانون ـ) :

ر : غزة (العمل الفدائي من ـ)

الحرف اليدوية :

الحرف اليدوية نتاج يبدعه الفنان الشعبي بطرق عفوية بسيطة نيفصح من خلاله عن أهداف مختلفة . فقد يكون هذا الانتاج للتعبير عن أحاسيسه ومشاعره وما يجيش في نفسه من آمال وتطلعات ، أو لغرض استعماله الذاتي ، أو لأغراض الترفيه عن نفسه ، أو للتكسّب منه ماديا مكافحا في سبيل حياة أفضل .

ولا شك أن البيئة التي يعيش فيها الفنان الشعبي ، وما تحويه من موارد طبيعية ومواد أولية ، وما تتأثر به من طبيعة ومناخ ، تجعل لكل تجمع بشري ، مهما صغر ، صفة خاصة يتسم بها .

فالحرف اليدوية الشعبية متحررة تحررا شبه تام من تحكّم الآلة وسيطرتها ، وغير مقيدة بالأساليب والنظم الاقتصادية والتجارية .

ومن أهم الحرف المتداولة في فلسطين : الشمع ، وخشب الزيتون ، والصدف ، والزجاج الخليلي ، والنسيج ، والحرف المعدنية ، والسيراميك الفخار ، وإلصاق الأزهار على بطاقات التهنئة ، وشغل الخرز ، والنقش على البيض ، وصناعة الصابون* ، ودبغ الجلود ، والتقشيش .

١) صناعة الشمع : وهي صناعة رائجة لها سوق تجارية رابحة ، ويتكاثر الطلب عليها في شتى الاحتفالات الدينية ، والأعراس ، والمآتم ، وزيارات المقامات الدينية ، وإيفاء النذور .



وهي بأشكالها المتعددة وزخرفتها الجميلة تغري السياح الكثر الذين يؤمّون الديار المقدسة فيشترونها في أثناء زياراتهم الدينية

وقد اشتهرت القدس * بهذه الصناعة . ومن أشهر الأسر المحترفة صناعة الشمع : أسرة فرّاج ، والأردعجي ، وكتن ، والجوزي ، والشمّاع .

يصنع الشمع من شحم حيواني (غنم أو بقر) يذاب على نار هادئة ليكوّن عجينة تصب بشكل ألواح . وقد يضاف إلى الشمع الحيواني شمع العسل أو شمع النحل . توضع العجينة في وعاء كبير فيه ماء على نار حتى يسخن ، ويُحضر إطار كبير مدور ذو مسامير يحمل فتائل من القطن على مسافات معينة . وقبل وصول السائل إلى درجة الغليان تغطس الفتائل في الوعاء ، أو يسكب عليها بمغرفة من سائل الشمع ويُنتظر حتى يبرد . تكرر هذه العملية عدة مرات حتى تصل الشموع إلى السماكة المطلوبة . ويأتي هنا دور الفنّان فينقش عليها بظفره ، أو بإصبعه ، أو بعود خشبي رفيع رسوماً مختلفة ، وتعاريج جميلة ، ونقوشاً بديعة . كما يصب على الطويل منها ماء الذهب ، أو يلصق عليه ورودا صناعية أو زهورا ذات لون مختلف عن لون الشمعة .

ويحضر الشمع في أشكال وأعداد مختلفة . فالفند مثلا مكوّن من ٢٣ شمعة ملصق بعضها ببعض . وهناك كفّان من الشمع يحتوي كل منهما على ١٣ شمعة ، ويرمز ذلك إلى المسيح وتلاميذه الاثني عشر .

٢) صناعة الخشب * : صناعة خشب الزيتون من الحرف الشعبية العريقة لما لها من دلالة شعبية أصيلة وتقاليد اجتماعية أثيرة . والمعروف أن القدس أشهر مدينة فلسطينية اختصت بصنع خشب الزيتون .. ويدل تقصّي تاريخ هذه الصناعة أن عين كارم * ، القرية القريبة من القدس ، هي أول من أتقن هذه الحرفة . وكان لأسر الدبس وجعانيني وزكريا الفضل في نشرها . أما في القدس فقد عرف من محترفي هذه الصناعة أسرتا قرط والجمّال . وقد اهتمت كثيرا بهذه الحرفة أيضا بيت لحم * .

ويمتاز خشب زيتون فلسطين بصلابته ومتانته وجمال العروق التي تتخلله . وقد استفاد حرفيّو هذا الخشب من هذه الميزة ، أي من تموجات ألوانه ، فاتكلوا عليها في زخرفة إنتاجهم ، ولم يلجأوا إلى تطعيم الخشب بمواد غير خشبية كالأصداف والعاج والمعادن بل ركزوا على الحفر فيه والتخريم فقط مع إبراز تموجات الخشب الطبيعية .

كما تنبهوا إلى جمال مادة هذا الخشب فلم يشوهوها بطلاء خارجي ، بل اكتفوا بمسحها بزيت الزيتون أو بقليل من مادة ملمّعة

من مصنوعات الخشب القديمة الأولى المصابيح الخشبية والمسابح المصنوعة من نُوى الزيتون . وقد شجع رواج هذه الصناعة وتهافت السياح عليها المحترفين على صناعة أنواع مختلفة والتفنّن بحفرها وزخرفتها ، من ذلك رسوم لمعالم دينية فلسطينية وصلبان وشمعدانات وقلائد وجمال خشبية وأوانٍ للزهور وغيرها .

ولا بد في معرض الكلام عن صناعة الخشب من الإشارة إلى حرفة قد تصنع من غير خشب الزيتون وإن كانت لا تنقص عنها في أصالتها الشعبية ألا وهي صناعة الأمشاط . وقد آلت هذه الصناعة إلى الانقراض والزوال بعد انتشار أمشاط « البلاستيك والنايلون » المستحدثة ، شأنها شأن أغلب الموروثات الصناعية الشعبية الأخرى .

كان المشط يصنع من قطعة من الخشب رقيقة مربعة بحجم الكف . وتستعمل القطعة الصغيرة منها مشطاً للرجال ، والكبيرة مشطاً للنساء . وتقص أسنان المشط على الجنبين بسكين صغيرة ، ثم يخفف من سماكتها بمبرد صغير وتنعّم ، وتنقش بعد ذلك قاعدته . وتطلق كلمة « ماشطة » على المرأة التي تحترف تزيين النساء ، من تصفيف الشعر إلى تزيين الوجه وتجميل الجسم .

٣) صناعة الزجاج * الخليلي : من أقدم الصناعات التي عرفت في فلسطين .

وكانت هذه الصناعة في الخليل * واسعة الرواج تصدّر مصنوعاتها إلى أسواق سورية ومصر وتركيا والحجاز ورومانيا . ولا تزال تقوم في رومانيا صناعة للزجاج تسير على منوال الصناعة في الخليل . وفي مصر تصنع القناديل اللازمة للجوامع والكنائس والأديرة على شاكلة الزجاج الخليلي .

وتباهت مدينة الخليل حيناً من الزمن بسبعة مصانع للزجاج درّت عليها أرباحاً طائلة ورفعت اسمها في ميدان هذه الصناعة . ولكن مما يؤسف له أنه لم يبق من هذه المصانع سوى واحد .

يستعمل في صناعة الزجاج هذه مواد خام متوفرة بكثرة في الخليل وضواحيها ، فيؤتى بالرمل من مكان لا يبعد كثيراً عن الخليل ، ويستخرج القلي من نبات يكثر في تلك الجهات (نبات الخمض) .

يحرق هذا النبات فيتصاعد منه لهب أزرق يدل على وفرة الهيدروجين فيه ، ويتحول إلى كتل كثيفة جامدة تشبه أكسيد الحديد أو النحاس وتدعى « القلي » . تكسّر هذه الكتل إلى قطع صغيرة وتغلى في الماء في قدر كبيرة فيعلو المركّب رغوة كثيفة تؤخذ بمغارف نحاسية وتبسط على البلاط لتبرد وتجف . ومتى جفت تبلورت وتحولت إلى أملاح تشبه نترات الصودا .

وفي المرحلة الثانية تخلط الأملاح الآنفة الذكر بالرمل بنسبة ٣ إلى ٢ ، ويحمص المزيج في مقلى كبير من النحاس تبلغ مساحة قاعدته ستة أمتار مربعة فتتحد ذرات القلي والرمل بالحرارة ، ثم ينقل المركّب الناتج عنهما إلى أتون كبير لصهره ، وبعد مرور مدة لا تقل عن عشرين يوماً تكون الحرارة خلالها على أشدها بصورة دائمة يتحول المزيج إلى مادة لزجة تعرف بالزجاج المصهور . يترك الأتون بعد ذلك ليبرد ، وعندها يتشقق المركّب من تأثير الرطوبة التي يمتصها الهواء . وزنة الزجاج المصهور من أربعة إلى سبعة أطنان في المرة الواحدة .

ولّما لم يكن لدى صانعي الزجاج آلات حديثة أو قوالب خاصة ، فقد كانت عملية صنع الزجاج تحتاج إلى مهارة وجلد ، إذ تؤخذ كتل صغيرة من قطعة الزجاج الكبيرة وتصهر في فرن خاص مصنوع من الطين وتحوّل إلى خرز أو صحون أو غيرها

ويلون الزجاج بمزجه بكميات من أكسيد النحاس والرصاص وحجر المغنسيوم الموجود بكثرة في تلك الأنحاء تضاف إليه بنسب أصبحت معروفة بالاختبار عند صانعيه .

وقد عزف أهل الخليل عن هذه الطريقة في صنع الزجاج منذ قرابة أربعين سنة لطول المدة التي تتطلبها ، ولقلة الحطب الموجود في تلك الجهات ، فاستعيض عنها وعن المواد الأولية بزجاج مكسّر يجمع من المدن الكبيرة

إن أقدم حي في الخليل يعرف بحي القزّازين نسبة الى هذه الصناعة . ومما يمكن ذكره أن هذه الصناعة ازدهرت في القرن التاسع عشر وعرضت مصنوعات الخليل في معارض أوربية أهمها معرض بودابست وفيينا وباريس ، ونال العارضون ميداليات وشهادات وجوائز لا تزال محفوظة الآن لدى أرباب الصناعة .

٤) صناعة الصدف : تشتهر كل مدينة بشخصياتها الشعبية البارزة في الميادين الاجتماعية والأدبية والصناعية ، وفي بيت لحم تقدمت حرفة صناعة الصدف حتى شملت الكبير والصغير والرجال والنساء ، وبلغت من الشهرة درجة رغبت الملوك والقواد في امتلاك شيء من نتاجها . فلمّا جاء إبراهيم باشا إلى سورية أخذ من أهل هذه البلدة ومن بيت جالا * أيضاً عدداً من أصحاب الحرف والمهن الحاذقين بقصد إنشاء تلك الحرف في القطر المصري . وكذلك دعا منليك ، نجاشي الحبشة السابق ، أبرع الحفارين والنحّاتين والبنّائين من أهل بيت لحم لتشييد قصر جديد له في بلاده . وقد بلغت الدقة والمهارة في صناعة الصدف عند أبناء بيت لحم أنهم صنعوا صورة لجامع عمر المشهور من الصدف ، ومثّلوه في كل أجزائه من أعمدة ونوافذ ونقوش وغير ذلك ، وقدموه للسلطان عبد الحميد * ، فاستحسنه كثيرا . ويقول يعقوب حنضل في كتاب « فلسطين وتجديد حياتها » عن هذه الحرفة انها قيّدت أثناء الحكم التركي ، وهناك شواهد كثيرة على ذلك مثلاً : كان بعض سكان بيت لحم يصنعون البنادق المزخرفة الدقيقة التركيب ، فلمّا أحست بهم الحكومة التركية حاولت القبض عليهم فهربوا من البلاد ، فتأخرت بعدهم هذه الصناعة " .

وكان من ازدحام الزوار وتوافدهم على مدينة بيت لحم حيث ولد السيد المسيح أن نشطت فيها حركة البيع والشراء ، فازدهرت بصورة خاصة المصنوعات الصدفية الشعبية التي تميّز الكثير منها بخصائص فنية غنية بمواضيع من التقاليد الفلسطينية .

يستورد الصدف واللؤلؤ من بومباي في الهند وجدة على البحر الأحمر ، وينقع في ماء الأوكسيجين ، ثم يوضع قدر من الفخار على النار . وعند الغليان يغطس الصدف في القدر لبضع دقائق ، ثم ينشل ويوضع في وعاء من النحاس مملوء بالماء البارد ، ثم ينقل إلى وعاء نحاس آخر فيه ماء وصابون . وتكرر هذه العملية ثلاث مرات ، ثم ينشف وينشر على حبال في الظل خوفاً على لونه من الشمس . ثم يُلفّ في قماش رومي وتبدأ النساء بفركه وتنشيفه حتى يجف ويلمع ، ثم ينظم في أسلاك من فضة أو معدن أو ذهب ويعرض للبيع .

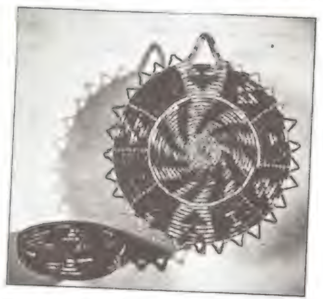
يتمّ أغلب صناعة الصدف باليد ، فالحب يثقب ويبرد وينظم باليد . وفي حال الاضطرار الى استعمال آلة للبرد ، مثلا ، فإنها تكون بسيطة الشكل بدائية التركيب . ولتعلّق الصنّاع بتلك الأدوات البسيطة ورفضهم اللجوء إلى الات حديثة ما يبرره فالآلات الحديثة تعجز عن إنجاز الزخرفة التي يبرعون بإتقانها بأيديهم .

يحرص أهل بيت لحم ألاّ تقع صناعتهم في أيدي غيرهم ، ولكن الهجرة التلاحمية إلى بلاد المهجر قللت من عدد المشتغلين بهذه الحرفة ، ولذا التجأ أهل البلدة إلى إخوانهم أهل بيت جالا وبيت ساحور * ، ودرّبوا بعضهم في صناعاتهم لسد حاجة البلاد الأجنبية الكبيرة إلى هذا النوع من الإنتاج .

ولا تقتصر صناعة الصدف على صنع المسابح والصلبان وما شاكلها ، بل تشمل النقش والحفر والنحت والترصيع لأنواع الحلي المختلفة . ويُعنى محترفو هذه الصناعة بترصيع غلافات الكتب وغيرها بالصدف .

كان معظم منتجات هذه الصناعة يباع في الأديرة الفلسطينية أولاً ، ثم في اوروبا وامريكا . وقد نمت صناعة الصدف وأصبحت هامة ، ولجاوزت قيمة الأصناف الصدفية المصدرة من بيت لحم إلى الخارج مبلغ مئة ألف جنيه إسترليني سنوياً في أواخر القرن المنصرم .

شجع تقدم هذه الصناعة ورواج منتجاتها الكثير من التلحميين على السفر لعرض منتوجاتهم في المعارض الدولية التي كانت تقام في ذلك الزمان في مختلف أنحاء العالم فنالوا من منظميها الأوسمة والشهادات ، اعجاباً بدقة الصناعة ، وإكباراً للفن التلحمي .



٥) الخزف : يصنع بطريقة بسيطة بالآلة التي تدار بالأرجل ، ثم تنقش الزخرفة باليد وتخبز القوالب في فرن الحطب . وقد ساعد العثمانيون على ازدهار هذه الحرفة ببنائهم مصنعاً للخزف كان الغرض منه المساعدة في ترميم المسجد الأقصى * حينذاك . وقد واصل العمال الفلسطينيون العمل في هذا المصنع بعد انقضاء الحكم العثماني ، وكان إنتاجهم متأثراً بالطابع التركي إلى جانب طابع الصناعة العربية الأموية التي تتمثل بوضوح في خزف قصر هشام في أريحا (ر : خربة المفجر) .

٦) الفخّار : صناعة الفخار * قديمة العهد جداً . وقد عثر المنقبون على آثار الفخار في غزة * وما حولها من البلاد والمدن . وذكر نابليون بونابرت فخار غزة في مذكراته . ويقال عنه إنه ظن المزاريب المصنوعة من الفخار مدافع صغيرة نصبت على السطوح لمكافحة جيشه الذي احتل غزة يومئذ . ولا يزال الفخار يستعمل في صنع كثير من الأواني المنزلية بغزة

يصنع الفخار بدولاب الخزاف ، ثم يشوى في أتون قليل الغور تحته موقد نار وكثيراً ما يقوم بهذا العمل الأخير النساء والأولاد

إن طين غزة صالح لصنع الفخار لأن فيه قليلاً من الحديد وهو متين ويستعمل لمدة طويلة بالرغم من خشونته . وكانت غزة تصدّر كميات كبيرة من فخارها إلى جميع مدن فلسطين والأردن وحوران .

ويصنع الفخار في كثير من القرى بطريقة بدائية ، حتى بدون دولاب الخزاف . وتبرع المرأة الفلسطينية في صنعه ، فهي تخضر العجينة التي يستحسن أن تكون لزجة ، فتعمل حفرة باليد في وسطها ثم توسع هذه الحفرة بإضافة قطع متعددة بدون استعمال الدولاب ، حتى تصل الى الشكل المطلوب . فإذا أرادت أن تصنع زيرا كبيرا لجمع الماء صنعته خارجَ المنزل . وعند الانتهاء من صنعه يحاط بالقش وروث البقر وتضرم فيه النار ، وعند انطفائها يكون الزير قد تم شيه .

ويتوقف لون الفخار على مدة الشيّ ، فهناك الأحمر والبيج . أما فخار غزة ومنطقة النبي موسى فيمتاز باللون الأسود .

وأما الجرار المخصصة لحفظ الزيت فتطلى من الداخل بمادة لمّاعة تساعد على عدم رشح الزيت من الجرار .

ويبرز دور القروي كفنان خلّاق عند زخرفته مصنوعاته الفخارية قبل أن تخبز ، فيحفر عليها بإصبعه أو بظفره أو بعود قصب رفيع خطوطاً وأشكالاً هندسية بسيطة قد لا توحي بشيء معين ، ولكنها صورة لانطباعاته وأحاسيسه ، وأحياناً يظهر وحدات نباتية يختار لها الألوان التي تعجبه .

٧) الحرف المعدنية : ومنها الفضية والنحاسية والذهبية . فالأدوات والآنية النحاسية بأشكالها المختلفة ساهم في صنعها وزخرفتها مهاجرو الأرمن والمحترفون من يافا * ، والقدس ، ونابلس * ، والناصرة * وعكا * . كذلك صنع المحترفون جميع أدوات الزراعة والحراثة . وكانوا يبدون اهتماماً كبيراً بالخنجر (الشبرية) فيطعّمونه بالحجارة الكريمة والعاج . وكانوا يصنعونه من الفضة أو من الذهب أحيانا .

٨) صناعة النسيج * : من أقدم الصناعات التي نشأت مع الإنسان ، وهي وليدة حاجته إلى وقاية نفسه من العوامل الجوية ، وقد حرص على أن تكون ، إلى جانب نفعها ، أثرا فنيا يُشعر بالجمال .

عرف النسيج في فلسطين منذ أيام الكنعانيين ، وأخذ الفينيقيون عنهم سر صباغة الأقمشة

والمرحلة الأولى في صناعة النسيج هي تحضير المادة الأولية ،

وتكون إما من وبر الجمال أو صوف الخراف أو شعر المعزى . فبعد جزّ هذه المواد تتولى النساء وكهول القرية غزلها بالمغازل البدائية ، ثم تنسج النساء منها بالأنوال أشياء كثيرة ، منها سروج الخيل ، وبيوت الشعر ، والبسط ، والعباءات ، والسجاجيد ، وأراجيح الأطفال ، وغيرها .

وهناك أنوال لنسج الأقمشة القطنية والحريرية ، كالكرمسوت ، وهو خليط من القطن والحرير المموّج . ثم القطن المعروف بالخضاري المرسم ، وهو مقلّم فيه زهور حريرية حمراء . وهناك قرمز ، وهو حرير ناعم مهفهف يأتي بعرض ضيق ؛ والتوبيت ، وهو من القطن الأسود يلمع على أحد جانبيه ؛ والروزا ، وهي حرير بيج لامع متقن الصنع وغالي الثمن .

أما الأعباني المطرز بالأحمر والأسود فقد اشتهرت بصنعه المجدل * . وتعد المجدل من اهم مراكز هذه الصناعة ، وكان فيها أواخر القرن الماضي خمسمائة آلة نسيج أصبحت في عام ١٩٤٨ ثمانمائة آلة . كذلك اشتهرت الناصرة بصناعة النسيج ، وكان لديها في أواخر القرن الماضي ٣٠٠ آلة .

ويظهر أن عدة مدن فلسطينية اهتمت بهذه الصناعة ، منها صفد * ، وبيت جالا ، ومجدل الكروم ، ونابلس ، وأبو ديس ، والخليل . ولعل أقدم بلد عرف النسيج غزّة . وقد جاء في كتاب « تاريخ غزة » لعارف العارف * أنه لا يعرف أحد بالضبط متى وكيف انتقلت هذه الصناعة إلى غزة . وأما الاعتقاد فسائد بأنها أتت إليها عن طريق الهند ومصر ، لا عن طريق الشام . ويبدو أن صناعة النسيج كانت منتعشة في غزة كثيراً ، فقد عثر في أحد المصادر الأجنبية على كلمة *Gauze* الدالة على نوع من الخمار أو الشاش الشفاف يوضع على الوجه ، ويعتقد أن الاسم مأخوذ من غزة خلال القرن السادس عشر . وهناك ذكر لنوع من القماش مصنوع من الحرير أو الكتان عرفه الأوربيون باسم *Gazzatune* ومقره مدينة غزة .

وتأسست في غزة عدة مصانع للنسيج ، إلا أنها اعتمدت على الأنوال التي تدار باليد . وأعظم هذه المصانع « شركة النسيج العربية » التي أسست عام ١٩٤٢ .

وتقوم صناعتا الزركشة وشغل « التنتنة والدنتلا » في رام الله * وبيت لحم . أما صباغ النسيج فكان يتم إما بصبغ الخيط قبل حياكته ، وإما بصبغ النسيج كله بعد الانتهاء من الحياكة . ويستخرج الصبغ غالباً من النبات ، وبالتحديد من شجرة النيلة .

ويظهر أن إنتاج صناعة النسيج لم يكن يكفي أهل فلسطين ، فكانوا يستوردون القطن من مصر ، والحرير من سورية وغيرها من بلاد الشرق ، أو من المدن الأوربية .

٩) هناك احرف أخرى ذات رموز دينية ، تحمل في الوقت ذاته معالم من الطبيعة في فلسطين ، كبطاقات التهنئة بالأعياد التي تلصق حول النصوص المكتوبة عليها أشكال جميلة من الأزهار المجففة كالشقيق المعروف « بقدسان » ، ولسان العصفور ، والسمكة ، وقرن الغزال ، والبصطراف ، واللّعلع ، وعرف الديك ، والبنفسج ، والبسيه ، والقرنفل ، والختمية (عين البقرة) ، وكلها ذات ألوان ثابتة .

١٠) تطريز البيض : وهي من الصناعات القديمة التي اشتهرت في القدس ، فتراهم يثقبون البيضة بإبرة دقيقة لاستخراج بياضها وصفارها . وبعد الانتهاء من تنظيفها يطرزون عليها بالإبرة العادية رسوماً وتعاريج وزهوراً تبهج النظر ، وتوضع المطرزات عادة في أقفاص جميلة مصنوعة من النخل المجدول .

ومن النساء من يطعّمن البيض المصنوع من الشمع بالخرز الأزرق بعد أن يلصقن عليه صورة دينية غالباً ما تمثل « صعود المسيح » . كما أن كثيراً من الأيقونات القديمة تزخرف بالخرز . وتبرع المرأة الفلسطينية المدنية بشغل الإبرة والمكوك والصنّارة والنول .

حركة : ر : أبناء البلد
ر : الأرض
ر : أرض إسرائيل الكاملة
ر : التأليف ، المعاصرة
ر : التنوير والاندماج اليهودي
ر : السلام الآن
ر : عدم الانحياز
ر : الفهود السود
ر : القوة الجديدة

حركة التحرير الوطني الفلسطيني :

حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » تنظيم فلسطيني نشأ في شهر تشرين الأول ١٩٥٧ ، وظل يعمل سراً حتى ١٩٦٨ ، حين أذيع أن ياسر عرفات * ، أبا عمّار ، هو الناطق بلسانه . وقد توافرت المعلومات عن التنظيم ومؤسسيه وقياداته وبرنامجه وأفكاره وخطط عمله من خلال نشاط التنظيم وبياناته وكتبه ووثائقه المنشورة . ولكن قسماً من المعلومات لا يزال سراً .

ولفتح جناح عسكري اسمه « قوات العاصفة » أعلن بدء نشاطه في ١٩٦٥/١/١ .

أ ـ النشأة : كانت نشأة التنظيم نتيجة اتفاق مجموعات من

الشبان الفلسطينيين الذين عاشوا النكبة في صباهم، واكتسبوا بعض الخبرات التنظيمية في اتحادات ورابطات الطلاب الفلسطينيين، أو في أحزاب قومية عربية. وكان بعضهم اكتسب خبرات عسكرية ترجع إلى العمل الفدائي الذي انطلق من قطاع غزة سنة ١٩٥٣.

تمّ في الكويت اللقاء الأول بين ممثلي هذه المجموعات في تشرين الأول ١٩٥٧، فاتفقوا وتعاهدوا على العمل من أجل تحرير فلسطين وتجسيد هويّة الشعب العربي الفلسطيني ووجوده وشخصيته المستقلة. وكانت هذه القاعدة التنظيمية الأولى لحركة فتح، وكان لأعضائها امتدادات تنظيمية في مصر وغزة والأردن (وفيه الضفة الغربية) وسورية ولبنان والسعودية وقطر والكويت. وقد بدأ التوسع في الاتصالات سراً. ولم يكن هناك شروط لاكتساب العضوية في التنظيم سوى التوجه نحو فلسطين، وعدم الالتزام بتنظيم آخر.

في الأشهر التالية للقاء الكويت نوقش اسم التنظيم، واتفق على اختيار اسم «حركة التحرير الوطني الفلسطيني»، ثم جرى فيما بعد، اختصار الاسم في كلمة «فتح» عكس «حتف»، الأحرف الأولى لاسم التنظيم.

بدأ التنظيم الجديد بصدر نشرة لأعضائه تحمل اسم «فلسطيننا*» ما لبثت أن اتخذت شكل مجلة شهرية. وصدر البلاغ العسكري الأول لفتح في بداية ١٩٦٥ معلناً انطلاقة الثورة الفلسطينية المسلحة. وكانت الانطلاقة الثانية في ١٩٦٧/٨/٢٧ بسلسلة من العمليات العسكرية داخل فلسطين المحتلة بعد حرب ١٩٦٧*.

جاء تكوين حركة فتح رداً على نكبة ١٩٤٨ وما تلاها من أحداث ولّدت في النفوس شعوراً بالمرارة من عدم قدرة الزعامات الفلسطينية التقليدية على التحرك في ظل تلك الظروف، وشعوراً بخطر ذوبان الطلائع الفلسطينية في التنظيمات القطرية العربية التي انشغلت بمشكلاتها القطرية أكثر من انشغالها بقضية فلسطين. وقد دفع إلى تشكيلها نجاح الكفاح المسلح الأول في قطاع غزة (١٩٥٣ - ١٩٥٥)، وصمود جماهير المدينة للعدوان الصهيوني (١٩٥٥) (ر: غزة، العمل الفدائي من ــ). وتعززت ثقة المجموعات التي شكّلت فتح بانطلاقة الثورة الجزائرية، وبهزيمة العدوان الثلاثي على مصر في حرب ١٩٥٦*، وبقيام الوحدة السورية - المصرية، وبثورة العراق (١٩٥٨)، وازدهار النشاط القومي العام.

وبالمقابل كان للانتكاسات التي تعرّض لها مسار النضال القومي، واتساع رقعة الخلاف بين الأنظمة العربية في أوائل الستينات، أثر في نفوس المجموعات التي شكلت تنظيم فتح، إذ أكدت ضرورة التحرك فلسطينياً دون انتظار اتفاق الأنظمة العربية على خطة ما لتحرير فلسطين، في وقت كان يسيطر فيه على الرأي العام العربي شعار يقول إن الوحدة هي طريق فلسطين، ولذا يجب البدء بالنضال من أجل الوحدة وتأجيل العمل المباشر لتحرير فلسطين.

ب - تطور حركة فتح:

١) سياسياً: لظروف نشأة فتح أثر في تطور برنامجها السياسي وشكلها التنظيمي. ومنذ البداية استبعد التصنيف على أساس الخلفية الفكرية، وتمّ التأكيد على ثلاثة مبادىء هي: تحرير فلسطين، والكفاح المسلّح هو أسلوب التحرير، والاستقلالية التنظيمية عن أي نظام أو تنظيم عربي أو دولي. ولم تحدث فيها بعد أي تغيير جوهري في هذه المبادىء الثلاثة.



ففي المرحلة الأولى (١٩٥٨ - ١٩٦٤) تولّت افتتاحيات «فلسطيننا» تفصيل هذه المبادىء واشتملت وثيقة «هيكل البناء الثوري» إلى جانب ذلك على شعارات سياسية محددة وقواعد تنظيمية تحدد العلاقة بين المجموعات.

وبين عامي ١٩٦٤ و١٩٦٨ عبّرت الحركة عن آرائها السياسية في مذكراتها إلى مؤتمرات القمة العربية* ومنظمة التحرير. وقد جمعت هذه المذكرات فيما بعد في سلسلة «دراسات وتجارب ثورية».

تمّت في المؤتمر الثاني للحركة ١٩٦٨ صياغة وثيقة «مبادىء وأهداف وأساليب حركة فتح». وهي وثيقة فكرية سياسية تعدّ دستور حركة فتح الأساسي، وقد أقرها فيما بعد المؤتمر الثالث (١٩٧١) والمؤتمر الرابع (١٩٨٠). وإلى جانب هذه الوثيقة

أصدرت أجهزة حركة فتح الكثير من البيانات السياسية والكتب والوثائق التي تناقش مختلف القضايا المرحلية على الساحة الفلسطينية والعربية والدولية . ومن أبرز ما أكّدته :

(١) ان تحرير فلسطين هو الطريق إلى توحيد الوطن العربي ، فهي جزء من هذا الوطن ، وشعبها جزء من الأمة العربية ، وكفاحه جزء من كفاحها .

(٢) ان حرب الشعب الطويلة الأمد هي السبيل الوحيد لتحرير فلسطين .

(٣) ضرورة تحرير الإرادة الفلسطينية والمحافظة على استقلاليتها في القرار وفي القتال .

(٤) ان الوحدة الوطنية الفلسطينية هي شرط تحقيق الانتصار ، وان لمعركة التحرير الأولوية على أي تناقضات فكرية وسياسية واجتماعية .

(٥) ان الثورة الفلسطينية هي حركة تحرر وطني عربية ، وهي طليعة الأمة العربية في معركة التحرير المصيرية ؛ وان نضال الشعب الفلسطيني هو جزء من النضال المشترك لشعوب العالم ضد الصهيونية والاستعمار والامبريالية العالمية ؛ وان معركة تحرير فلسطين واجب عربي وديني وإنساني .

(٦) ان حركة التحرير الوطني الفلسطيني ، فتح ، حركة وطنية ثورية مستقلة تمثّل الطليعة الثورية للشعب الفلسطيني .

(٧) ان الكيان الصهيوني مؤسسة عنصرية عسكرية متكاملة دخيلة وغازية ، وبقاؤه يشكل عدواناً مستمراً على الأمة العربية ؛ وان قيام دولة فلسطينية عربية ديمقراطية - يعيش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود بحقوق وواجبات متساوية - على أنقاضه أمر حتمي .

وقد أضاف إلى ذلك المجلس الثوري لحركة فتح ، بعد حرب ١٩٧٣ * :

(٨) ان للشعب الفلسطيني وحده حق ممارسة السيادة الوطنية على أي جزء من أرض فلسطين يتم تحريره .

وفي عام ١٩٨٠ أكد المؤتمر الرابع لحركة فتح أن البرامج السياسية التي قررتها المجالس الوطنية الفلسطينية هي - بالاضافة الى البرنامج السياسي لفتح - ملزمة للحركة لانها مبنية على أساس هذا البرنامج .

وتتصف برامج فتح وخططها السياسية بالمرونة ، وعدم الخوض في التفاصيل ، وقبول الحد الأدنى . وهي تصرّح بأنها تفضل الجوانب العملية على القضايا المجرّدة ، وتدعو إلى تناسي الصراعات النظرية والتنظيمية في سبيل الوحدة الوطنية .

٢) تنظيمياً : تنوّعت أشكال العلاقات التنظيمية داخل فتح من مرحلة الى مرحلة ، ومن ساحة إلى ساحة ، وراوحت بين السرّية المطلقة والعلنية المؤسسية . وغلب عليها جانب اللامركزية بسبب ظروف الشتات والنشأة ، وبسبب الإطار السياسي الذي يقول : " كل فلسطيني ليس منظماً في تنظيم آخر هو من فتح " .

تميّزت المرحلة الأولى (١٩٥٨ - ١٩٦٨) باللامركزية مع انتقائية عالية حفاظاً على السرية . ولكن الظروف بعد معركة الكرامة * (١٩٦٨) كانت مناسبة للعمل العلني ، فقبلت فتح في صفوفها الآلاف من مختلف قطاعات الشعب الفلسطيني ، إلى جانب عدد من أبناء الأقطار العربية الأخرى .

ومع هذا النمو العددي والسياسي أقرّ المؤتمر الثالث للحركة نظاماً داخلياً ترجّح بنوده جانب المركزية على الشكل المعروف في الأنظمة الداخلية للأحزاب الحديثة . وقد أكّد المؤتمر الرابع فكرة المركزية الديمقراطية أساساً للنظام الداخلي .

ولحركة فتح قيادة مركزية هي اللجنة المركزية التي ينتخب المؤتمر العام أكثر من ثلثي اعضائها . ويليها المجلس الثوري الذي يتألف من مسؤولي وقادة الأجهزة والاقاليم والقوّات ، إلى جانب ٢٥ عضواً منتخباً من المؤتمر العام وعشرة أعضاء من ذوي الكفايات تضمّهم اللجنة المركزية . ويلي المجلس الثوري لجان الاقاليم التي يفترض أن تنتخبها مؤتمرات إقليمية تنعقد كل عامين ، ثم المناطق ، فالشُعَب ، فالأجنحة ، فالحلقات التي تعيّنها لجان الأقاليم .

وتعرف القوات العسكرية لحركة فتح باسم « قوات العاصفة » ، وتتبع في تكوينها وتحرّكها وجميع شؤونها القيادة العامة لقوات العاصفة التي تؤلفها اللجنة المركزية . وقد أقرّ المؤتمر الرابع أن ينتخب القائدَ العام لقوات العاصفة ونائبه المؤتمرُ العام بشكل مباشر . ثم قررت اللجنة المركزية أن تضمّ القيادة العامة لقوات العاصفة ثلاثة من أعضاء اللجنة . ولقوات العاصفة مجلس عسكري أعلى يمارس بعض السلطات الإدارية بالإضافة إلى واجباته العسكرية ، ويضمّ إلى جانب القيادة العامة قادة القوات ونوابهم . ولها مجلس عسكري موسّع يضم إلى المجلس الأعلى قادة الكتائب ونوابهم .

يتبع القيادة العامة جهاز للتعبئة والتوجيه السياسي يضم المفوّضين السياسيين للقوات (مفوض لكل كتيبة ، ولكل قوة ، ومفوض عام) . ويتبعها أيضاً جهاز الاستخبارات والأمن العسكري ، وأجهزة أخرى تقوم بالواجبات المختلفة كالتموين والنقل والخدمات الطبية . وترتبط بالقيادة العامة أيضاً مؤسسة الشؤون الاجتماعية ورعاية أسر الشهداء والأسرى * ، بالإضافة إلى نوات التنظيم الشعبي المسلّح (الميليشيا) . وتضمّ هذه القوات العناصر المسلّحة المتفرّغة وغير المتفرّغة من اعضاء التنظيم

غير العسكري . وتعيّن القيادة العامة قائد قوات الميليشيا وقيادتها ، وهذه تعيّن قادة الميليشيا في المناطق والشُّعَب . كذلك تتبع القيادة العامة لقوات العاصفة «مؤسسة الأشبال» التي تتولى أمور نشاط الأشبال والزهرات . والقيادة العامة تعيّن قيادة مؤسسة الأشبال وتفرز لها المدربين العسكريين والمشرفين اللازمين لمختلف ألوان نشاطها .

السلطة العليا في حركة فتح هي للمؤتمر العام الذي ينعقد كل ثلاثة أعوام . ولا تذكر البيانات والوثائق تاريخ المؤتمر الأول . وقد انعقد المؤتمر الثاني عام ١٩٦٨ في دمشق ، وانعقد المؤتمر الثالث فيها أيضاً عام ١٩٧١ ، ثم عقد المؤتمر الرابع في دمشق عام ١٩٨٠ ، بعد تسع سنوات ، وحظي بتغطية إعلامية فلسطينية وعربية ودولية واسعة .

والمجلس الثوري - في حال انعقاده - سلطة أعلى من اللجنة المركزية . وأما اللجنة المركزية فيتوزع أعضاؤها ، من غير المشاركين في عضوية القيادة العامة لقوات العاصفة ، يتوزعون بينهم المسؤوليات السياسية والتنظيمية والإعلامية والمالية والأمنية والاجتماعية والعلاقات الخارجية وشؤون الوطن المحتل . وهم لا يتجمّعون في عاصمة عربية واحدة أو في مكان واحد . وتتبع حركة فتح أسلوب الفصل بين الأجهزة والمؤسسات . وعند تداخل الاختصاصات يتمّ التنسيق في المستوى الأعلى مركزياً . وقد يُتّبع أحياناً التقسيم الجغرافي في بعض المجالات (التعبئة والأقاليم) ، في حين يُتبع في بعضها الآخر التقسيم بحسب المهام (الأرض المحتلة والأمن) . ولكن يتم في معظم الأحيان الجمع بين الأسلوبين ، مع تحديد الاختصاص بسلطة القرار لأحدهما .

ولحركة فتح مكاتب مختصة بمجالات النشاط الفلسطيني والعربي والدولي المختلفة ، ولا سيما مجالات النشاط الفلسطيني الشعبي ، كمكاتب المرأة ، والعمال ، والطلاب ، والفنانين ، والعلاقات الخارجية ، والعلاقات مع حركات التحرر الوطني ، والشؤون الدينية ، والعشائر ، والاتصالات الخاصة . وهذه المكاتب استشارية من الناحية التنظيمية .

وللعضو في حركة فتح ، سواء أكان في قوات العاصفة أم في التنظيم ، أم في أي جهاز أو مؤسسة من أجهزة ومؤسسات الحركة ، التزام تنظيمي يضمن أمنه الاجتماعي . فيخصص له راتب إن شاء التفرغ ، وتقدم له ولأسرته الخدمات الصحية والاجتماعية . كذلك يُضمن أمنه السياسي ، فيُدافع عنه إن اعتقل ، أو أُسر ، وتُساعد أسرته ، ويُضمن أيضاً أمن أسرته إن استشهد . وتعد قيادة فتح هذه الضمانات من أسس العلاقات التنظيمية فيها .

٣) عسكرياً : تطوّر النشاط العسكري لحركة فتح من قاعدة ارتكاز واحدة تضم نحو خمسين مقاتلاً متفرّغاً في بلدة الهامة ، إحدى ضواحي دمشق ، إلى قوات يقدر عددها بالآلاف منتشرة في الكثير من القواعد وحول المخيمات الفلسطينية وداخل الأرض المحتلة . وترى فتح أن النشاط العسكري هو النشاط الأساسي ، وأن استمرار القتال مع العدوّ الصهيوني هو السبيل لتوحيد القوى الثورية ، وأن الخلافات السياسية والفكرية بينها وبين المنظمات الفلسطينية الأخرى لا تعوق " اللقاء على أرض المعركة ، ووحدة البنادق المقاتلة " .

وقد تزايد النشاط العسكري لفتح من ست عمليات تمّت في كانون الثاني ١٩٦٥ ، إلى مواجهة حربية مع القوات الصهيونية في معارك الكرامة وغور الصافي والمرقوب (ر : العدوان الإسرائيلي على العرقوب ١٩٧٠ - ١٩٧٢) ، وإلى مشاركة في حرب تشرين ١٩٧٣ في الجبهة الشمالية ، ثم إلى حرب مواجهة شاملة للعدو الصهيوني حين حاول اجتياح جنوبي لبنان في ١٩٧٨/٣/٢٣ ، واستطاعت قوات الثورة الفلسطينية فيها ، إلى جانب القوات الوطنية اللبنانية ، الصمود وتكبيد العدو خسائر فادحة (ر : العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان ١٩٧٨) . وبعد ان كانت العمليات قليلة العدد بلغت أكثر من ألفين عام ١٩٦٩ ، وانخفضت بعد أحداث الأردن ١٩٧٠ ، ولكنها عادت ترتفع فبلغت ٣٦٠ عملية عام ١٩٧٨ . وقد تطوّرت من عمليات فردية إلى حرب عصابات استخدمت فيها أحدث الأساليب ومختلف أنواع الأسلحة . وكان من أبرز عمليات المجموعات الخاصة لقوات العاصفة عملية سافوي * في تل أبيب وعملية كمال عدوان * على طريق حيفا - تل أبيب بقيادة المناضلة دلال المغربي * (آذار ١٩٧٨) ، وبلغت فيها خسائر الصهيونيين أكثر من مائتين بين قتيل وجريح .

وشمل التطوّر التسليح ، وبلغ مستوى الآليات الثقيلة وصواريخ أرض - جو ، والصواريخ المضادة للدروع والطائرين المدرّبين . وتقوم قوات العاصفة بتصنيع بعض قطع السلاح الخفيف ، وأهمها القاذف المضاد للدروع « ب ٧ » . وتلبية لاحتياجات النشاط العسكري في ظروف وساحات مختلفة تختلف أشكال تنظيم القوات بين مجموعات سرّية داخل الأرض المحتلة لا يزيد عدد أفرادها على ثلاثة وكتائب وألوية منظّمة على الطريقة الحديثة .

وتشير إحصاءات مؤسسة الشؤون الاجتماعية ورعاية أسر الشهداء والأسرى إلى أن عدد شهداء قوات العاصفة وميليشيا فتح يبلغ ٥٦٪ من مجموع شهداء الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية . وإلى أن نسبة الأسرى من فتح في الأرض المحتلة هي بين ٧٠ و ٨٠٪ . وقد استشهد خمسة من أعضاء اللجنة المركزية لحركة

فتح ، كما استشهد عدد من القياديين الشبان من أعضاء المجلس الثوري للحركة .

جـ - فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية : اتخذت حركة فتح موقفاً متحفظاً تغلب عليه السلبية من قرار مؤتمر القمة العربي الأول (القاهرة ١٩٦٤) القاضي بضرورة إبراز الكيان الفلسطيني وتكليف أحمد الشقيري * الاتصال بالفلسطينيين لهذا الغرض . وكانت فتح تخشى أن يصبح هذا الكيان أسير الإرادة الحكومية العربية التي أصدرت قرار إبرازه ، وهذا يعارض مبدأ الاستقلالية الذي دعت إليه الحركة . كذلك خشيت أن يكون المراد من ذلك خلق كيان سياسي يلتف ويطوّق إمكانات الكفاح المسلح

على الرغم من ذلك حضر المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول (القدس ١٩٦٤) ممثلو فتح بصفتهم الشخصية كأعضاء مستقلين . واشتركت فتح في الوقت نفسه في الهيئة المشتركة التي تألفت في بيروت من عدد من المنظمات الفلسطينية السرية باسم « المكتب السياسي للقوى الثورية للعمل الفلسطيني الموحّد » . وقد أصدر المكتب بياناً دعا إلى توحيد الطاقات الفلسطينية الثورية ، وإلى إيجاد كيان فلسطيني ثوري فعّال . وأظهر البيان تحفظ فتح والمنظمات الأخرى المشاركة في إصدار البيان على الأثر الحكومي الرسمي في ولادة منظمة التحرير الفلسطينية * ، وعلى طريقة تشكيل المؤتمر الوطني واختيار اللجنة التنفيذية . وكان بدء فتح عملياتها العسكرية في مطلع عام ١٩٦٥ دليلاً على عدم اقتناعها بخطة قيادة منظمة التحرير القائمة آنذاك على تشكيل كتائب فلسطينية مسلحة تتبع استراتيجية العمل العربي الموحّد .

ولما عقد المجلس الوطني الفلسطيني * دورته الثانية (أيار ١٩٦٥) لم يحضر ممثلو فتح بصورة رسمية . وقد وجهت الحركة إلى المجلس مذكرة باسم « القيادة العامة لقوات العاصفة » بيّنت فيها وجهة نظرها وشرحت نقاط الخلاف بين الخطة السياسية للمنظمة التي تضمّنها الميثاق القومي الفلسطيني * ومبادىء حركة فتح وأهدافها وأساليبها . وناقشت المذكرة مسألة توقيت بدء الكفاح المسلّح ، وفكرة « التوريط الواعي » للدول العربية في الصراع ضد العدو الصهيوني ، وأكّدت أن الكفاح المسلح كفيل بتعبئة الجماهير حول الثورة ، وان هذه الجماهير هي الحامية للثورة . كذلك أبرزت أهمية الوحدة الوطنية شرطاً لتحقيق الانتصار ، واعتبرت الضفة الغربية قاعدة لانطلاق الكفاح المسلح مخالفة بذلك مضمون الميثاق القومي الفلسطيني . وانتقدت المذكرة بشدة خضوع جيش التحرير الفلسطيني * لقيادات الجيوش المحلية ، وأكّدت أهمية استقلال دور الشعب الفلسطيني .

ودعت فتح إلى العمل من داخل المنظمة ومن خارجها أيضاً لأن ذلك هو الحل الوحيد لمنع إجهاض الثورة ، ولأنه إذا اقتصر العمل على المنظمة فستموت الثورة قبل ولادتها ، ولذا لا بد من البدء بالعمل المسلّح ليكون دليلاً عملياً على الجدّية في تحرير فلسطين .

وعندما انعقدت دورة المجلس الوطني الفلسطيني الثالثة (غزة ١٩٦٦) كان نفوذ فتح قد قوي وازداد على الساحة الفلسطينية وداخل المنظمة . وظهر ذلك في قرار المجلس الذي يطالب " بالاهتمام بقوات الفدائيين وزيادة أعدادها بالشكل الذي يتيح لها العمل السريع بما يتفق مع أبعاد المعركة واحتمالاتها والاستفادة من خبرات المجاهدين " .

دخلت علاقة فتح ببعض الدول العربية بعد حرب حزيران ١٩٦٧ مرحلة جديدة وكسبت تأييدها في الوقت الذي قويت فيه الدعوة إلى تطوير أوضاع المنظمة . واتخذت قيادة فتح قراراً بقبول قيادة المنظمة على أن يتم التبديل داخلها . واتفق على أن يكون المجلس الوطني الفلسطيني من ١٠٠ عضو بدلاً من ٤٠٠ ، وتمثّلت المنظمات الفدائية بثمانية وثلاثين عضواً معظمهم من فتح ، بالإضافة إلى أعضائها الذين تمثلوا في المجلس مستقلين أو ممثلين لمنظمات شعبية .

وفي دورة المجلس الوطني الفلسطيني الرابعة (١٩٦٨) عدّل الميثاق القومي وأصبح اسمه الميثاق الوطني الفلسطيني * ، وأصبح أقرب إلى نظرة فتح للأوضاع الفلسطينية والعربية والدولية . وعدّل أيضاً النظام الأساسي فأصبح المجلس ينتخب أعضاء اللجنة التنفيذية بدل تسميتهم من قبل الرئيس المنتخب . وتمّ تعديل البند الخاص بجيش التحرير فأصبحت له قيادة مستقلة تحت إشراف اللجنة التنفيذية .

تولّت فتح رئاسة اللجنة التنفيذية في الدورة الخامسة للمجلس الوطني (شباط ١٩٦٩) وتوزعت مقاعدها مع منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية * (الصاعقة) وعدد من المستقلين . وتم التركيز في هذه الدورة على رفض الحلول الاستسلامية .

وقد أضافت قرارات الدورة السادسة للمجلس الوطني (أيلول ١٩٦٩) فكرة فلسطين الديمقراطية التي طرحتها فتح ، وفكرة تصنيف القوى العربية إلى تقدمية ورجعية ، وهو ما كانت فتح ترفضه . وأكّدت الدورة أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الإطار الوطني لجميع القوى الفلسطينية ، وهو ما تطوّر بعد ذلك إلى شعار « الممثل الشرعي والوحيد » . وتشكلت في هذه الدورة « اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية » التي ضمت فيمن ضمت ممثلاً قيادياً لكل منظمة من المنظمات الفدائية العشر التي وافقت على قرارات المجلس .

بذلت فتح جهدها لتأكيد شعار دولة فلسطين الديمقراطية ورفض إقامة دولة فلسطينية فوق جزء من التراب الوطني الفلسطيني . في دورة المجلس الوطني الفلسطيني الثامنة التي عقدت في القاهرة في شباط ١٩٧١ بعد أشهر معدودة من أحداث أيلول ١٩٧٠ في الأردن . وتبنّت الدورة الشعار الذي طرحته فتح بالعمل على بناء جبهة عربية مساندة للثورة الفلسطينية . ولما قررت هذه الدورة إنشاء « القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية » أصبح ياسر عرفات (فتح) يحمل لقب القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية بالإضافة الى رئاسة اللجنة التنفيذية .

وعارضت فتح في الدورة التاسعة للمجلس الوطني (القاهرة ، تموز ١٩٧١) شعار إسقاط النظام الأردني ، واقترحت بديلاً له شعار الجبهة الوطنية الأردنية ولكنها تنازلت عن تحفظاتها على شعار



الإسقاط في دورة المجلس الوطني العاشرة الاستثنائية التي عقدت في نيسان ١٩٧٢ إثر إعلان مشروع المملكة العربية المتحدة (ر : الحسين ، مشروع–١٩٧٢) .

استقرت علاقات فتح مع المنظمات الأخرى داخل اللجنة التنفيذية على أساس التمثيل الجبهوي في الدورة الحادية عشرة (كانون الثاني ١٩٧٣) فاحتفظت فتح برئاسة اللجنة وقيادة القوات ، وتمثلت كغيرها بعضو واحد بالإضافة إلى المستقلين .

وفي الدورة الثانية عشرة (حزيران ١٩٧٤) التي شهدت مناقشات واسعة حول برنامج النقاط العشر ، وانسحاب ممثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين * من اللجنة التنفيذية ، حاولت فتح منع الانقسام بين الاتجاهات الرافضة لمرحلة الأهداف الفلسطينية والأطراف الراغبة في ذلك .

يلاحظ مما سبق أن علاقة فتح بمنظمة التحرير الفلسطينية بدأت سلبية يسيطر عليها الشك ، وبلغت في الآونة الأخيرة مرحلة أقرب إلى التطابق الكامل ، وأصبح عدد من مسؤولي فتح يجمعون بين مسؤولياتهم في منظمة التحرير ومسؤولياتهم في الحركة . وغدت قيادة قوات العاصفة منذ ١٩٧١ تصدر بياناتها العسكرية باسم القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية . وتؤكد بيانات فتح التمسك بمنظمة التحرير إطاراً للوحدة الوطنية وممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب العربي الفلسطيني . وعلى الرغم من ذلك ما يزال الكثير من الجوانب المالية والعسكرية غير موحّد . وتلعب فتح في القيادة المشتركة للقوات الفلسطينية . وفي القيادة المشتركة للقوات الفلسطينية والوطنية اللبنانية ، دوراً يتناسب وحجمها .

د ـ فتح والدول العربية : تنطلق فتح في علاقاتها مع الدول العربية من أن فلسطين فوق الخلافات العربية لأنها قضية العرب الأولى ، ومن إيمانها بضرورة إبراز الشخصية الوطنية الفلسطينية واستقلال نضالها . ولذلك لا تتدخل في الشؤون المحلية للدول العربية ، ولا تسمح لهذه الدول بالتدخل في شؤونها ، وتحرص على حرية العمل الفدائي . وعلى الرغم من ذلك أعلنت استعدادها للتنسيق مع الجيوش العربية .

لكن فتح واجهت ، منفردة او ضمن إطار منظمة التحرير ، مشكلات كثيرة في علاقاتها بالدول العربية . وقد نجحت فتح منذ ١٩٦٣ في إقامة علاقات إيجابية مع القيادة السورية البعثية في الحزب والدولة ، ومع جبهة التحرير الجزائرية ، وتم افتتاح أول مكتب لحركة فتح ، خارج المشرق العربي ، في مدينة الجزائر سنة ١٩٦٤ . وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ أصبحت علاقة فتح بجمهورية مصر العربية طيبة ، الأمر الذي ساعد الحركة على الظهور العلني في عدد من الأقطار العربية الأخرى .

أما العلاقة بالحكومة الأردنية فقد شهدت توترات مبكرة ظهرت في صدامات مسلّحة بلغت أعلى أشكالها في صدامات أيلول ١٩٧٠ التي انتهت باتفاقيات القاهرة وعمان . وفي الوقت نفسه تزايد العمل الفدائي والوجود السياسي على الساحة اللبنانية ، ووقعت صدامات بين المنظمات الفلسطينية ، وفيها فتح ، والسلطات اللبنانية ترسّخ عبرها وجود الكفاح الفلسطيني المسلّح واشتركت الجماهير اللبنانية في تأييد العمل الفدائي الفلسطيني . وانتهت اشتباكات شباط ١٩٧٠ بعقد اتفاقية القاهرة بين منظمة التحرير والحكومة اللبنانية

وكانت فتح تحرص على أن تكون لها مكاتبها التمثيلية المستقلة عن منظمة التحرير في العواصم العربية التي سمحت للمنظمة بافتتاح مكاتب تمثيلية لها فيها . أما بعض البلدان العربية التي لم تعترف بمنظمة التحرير ، كالمملكة العربية السعودية ، فقد قام مكتب فتح فيها بمهام مكتب منظمة التحرير أيضاً .

وقد كان قوام علاقة فتح بالدول العربية الحياد بين هذه الدول ، والحرص على الحصول على الدعم المادي والمعنوي للقضية الفلسطينية ، والحذر من محاولات فرض الوصاية على القرارات الفلسطينية .

هـ - فتح والعلاقات الدولية : تنطلق فتح في علاقاتها الدولية من مبادئها التي تقول إن نضال الشعب الفلسطيني جزء من النضال المشترك لشعوب العالم ضد الصهيونية والاستعمار والإمبريالية العالمية ، وإن تحرير فلسطين واجب قومي وإنساني . وأكّدت فتح ضرورة إقامة أوثق الصلات مع القوى التحررية العالمية المناهضة للصهيونية والإمبريالية التي تدعم كفاح الشعب الفلسطيني المسلح العادل .

كانت علاقات فتح بالقوى السياسية العالمية تتم من خلال ممثليها في الاتحادات والروابط الطلابية والعمالية ، باستثناء زيارة وفد منها لجمهورية الصين الشعبية سنة ١٩٦٤ ولقائه الرئيس شو إن لاي ، وافتتاح مكتب للحركة في بكين ما يزال يقوم بعمل منظمة التحرير . وباستثناء لقاء عدد من قياديي فتح سنة ١٩٦٥ بارنستو تشي غيفارا في الجزائر .

لم تأخذ العلاقات شكلاً رسمياً إلّا ابتداء من عام ١٩٦٨ حين توثّقت صلة فتح بعدد من الأحزاب الأوروبية اليسارية ، ولا سيما في فرنسا وإيطاليا ، ونجحت في إقامة أول معسكر دولي للتضامن عام ١٩٧٠ ، وزار قواعدها في الأردن وفود من الصين وكوريا الديمقراطية وفيتنام وكوبا ، وبدأت الحركة ترسل أعداداً من مقاتليها للتدرّب في الصين وكوبا وفيتنام .

قويت صلة فتح بيوغسلافيا وبرئيسها تيتو ووصلت إلى درجة افتتاح مكتب لمنظمة التحرير وتقديم منح دراسية ومدنية وعسكرية للمنظمة . وبعد عام ١٩٧٠ تطورت علاقات فتح مع الاتحاد السوفييتي من خلال لجنة التضامن الآسيوي - الإفريقي ، ودُعي وفد قيادي من الحركة لزيارة الاتحاد السوفييتي وأجرى حواراً فكرياً مع مسؤولين في الحزب الشيوعي السوفييتي عام ١٩٧٧ كذلك نجحت فتح ، من خلال ممثليها أو من خلال وجودها في إطار منظمة التحرير ، في إقامة علاقات ثنائية مع عدد من الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، ولا سيما في النمسا والسويد والسنغال . وقد تضمن البرنامج السياسي الذي أقرّه المؤتمر الرابع لحركة فتح (١٩٨٠) فقرة خاصة تظهر أثر هذا التطور في العلاقات الدولية وتشدّد على تدعيم التحالف الاستراتيجي مع الدول الاشتراكية ، والعلاقات النضالية مع حركات التحرر في العالم ، والعلاقة مع الشعوب والدول الإسلامية والإفريقية ودول عدم الانحياز .

ومن الصعب الإحاطة بجميع علاقات فتح الدولية ، لتشعّبها بعضها ، ولتداخل بعضها الآخر مع علاقات منظمة التحرير الفلسطينية . وتمارس فتح هذه العلاقات بأجهزة خاصة ، كمكتب العلاقات الخارجية والإعلام الخارجي ، أو بمكاتب منظمة التحرير التي يتولاها مسؤولون من فتح ، كوفد المنظمة الدائم لدى منظمة المؤتمر الإسلامي * ولجنة القدس ، أو يقوم بها قياديون من فتح لا يتولّون مسؤوليات رسمية محددة .



و - خاتمة : قد تكون حركة فتح استطاعت ، بعد أكثر من عشرين عاماً من تأسيسها ، تحقيق الكثير من تصورات مؤسسيها عن شكل التنظيم وأسلوبه وأسلوب النضال . ولكن تصوّر أن الحركة ستكون « الجبهة » والإطار العام لنضال الشعب الفلسطيني لم يتحقق . وقد تطوّر هذا التصوّر إلى أن تكون منظمة التحرير الفلسطينية هي التجسيد العملي والرسمي لهذا الإطار ، وأن تقودها حركة فتح وتشكل عمودها الفقري . غير أن حركة فتح حافظت على التصور الأول في تكوينها الداخلي وكسب اسم فتح في ذاته مدلولاً جبهوياً واسعاً . وإذا كانت الحرب الشعبية الفلسطينية قد تحققت فعلاً فإن تصوّر فتح تفجير حرب شعبية عربية عامة بنتيجة الحرب الشعبية الفلسطينية لم يتحقق حتى الآن .

حركة التقاليد الإسرائيلية (حزب -) :

ر : الصهيونية والعنصرية

الحركة العمالية :

ر : العمال والحركة العمالية

الحركة من أجل اتحاد العمل

ر : الأردن (استثمار مياه نهر - وروافده)

الحركة من أجل صهيونية أخرى :

رَ : السلام الآن (حركة ـ)

الحــركــة النســـائية :

انطلقت الحركة النسائية في فلسطين منذ مطلع القرن العشرين ، ووعت المرأة العربية الفلسطينية واقع الوطن العربي عامة ، وفلسطين خاصة . وساعد على هذا الوعي انتشار التعليم منذ مطلع هذا القرن بين السيدات ، إذ نصّت إحدى مواد دستور سنة ١٩٠٨ العثماني المعروف " بالمشروطية " على ضرورة تعليم البنات ، فانتشرت المدارس الأميرية إلى جانب المدارس الأجنبية والتبشيرية التي ساهمت في نشر التعليم (رَ : التربية والتعليم) . وهكذا أصبح المجتمع العربي الفلسطيني يضم عددا لا بأس به من النساء المتعلمات ، كما أصبح عدد منهن يتكلمن ويتقنّ بعض اللغات الأجنبية إلى جانب اللغة العربية[1] .

من البدهي - والأمر كذلك - أن تبدأ الحركة النسائية في صفوف الفئات المتعلمة من نساء فلسطين ، وكان أكثرهن من بنات الأسر المتوسطة أو فوق المتوسطة ، دون وعي مسبق للبعد الطبقي في ذلك الحين . ولكن لا بد من الإشارة إلى أن الحركة النسائية سرعان ما تخطت هذا الوضع ، وازدادت اتساعا وشمولا ، وضمّت بين صفوفها فئات نسوية متعددة ، وشملت ميادين ومجالات كثيرة .

فمن الناحية الاجتماعية تخطّت الحركة النسائية الفلسطينية الفئات المتعلمة لتشمل النساء العاملات وربّات البيوت والمرأة في الحقول . ومن الناحية الجغرافية امتدّت لتشمل جميع مدن فلسطين وقراها الكبيرة والصغيرة . ومن الناحية الطائفية عملت في صفوفها النساء المسلمات والمسيحيات جنبا إلى جنب . ومن الناحية المحلية تفاعلت الحركة النسائية الفلسطينية مع الحركة النسائية خارج فلسطين على المستويين العربي والعالمي .

أ - الحركة النسائية الفلسطينية قبل سنة ١٩٤٨ : انطلقت الحركة النسائية في فلسطين منذ أوائل القرن العشرين من خلال العمل الاجتماعي الخيري وتأسيس الجمعيات النسائية ذات الأهداف الإنسانية المتعددة . ومما لا شك فيه أن هذه الجمعيات ساهمت في تكوين الوعي العام بين النساء ، سواء كان الوعي علميا أو اجتماعيا أو سياسيا أو اقتصاديا ، بالموضوعات التي كانت تطرح على بساط البحث ، وبالأبحاث والمحاضرات والمسائل التي كانت تناقشها هذه الجمعيات ، وما ترتب فيما بعد على هذا النقاش والحوار الاجتماعي والثقافي من تفاعل ساعد على انتشار الوعي بصورة عامة .

من ناحية أخرى أعانت ممارسة عملية الانتساب والانتظام في هذه الجمعيات الخيرية ، على اختلاف أهدافها وواجباتها ، على إدراك أهمية العمل الجماعي النسائي المنظّم وفائدته للمرأة الفلسطينية .

ولمّا كان النشاط النسائي غير معزول عن الأمة التي ينتسب إليها فسرعان ما اندمجت الحركة النسائية الفلسطينية في الحياة الوطنية السياسية ، وتخطت هذه الحركة مطالبها الخاصة إلى تطلعات تشتمل على مجموع الأهداف والمواقف النضالية التي اتخذها النشاط الجماهيري العربي الفلسطيني بعد أن أصبح للحياة الوطنية ، في كل قطر عربي ، مسارها الخاص بعد الحرب العالمية الأولى ، وبعد تنفيذ التقسيمات الإقليمية التي نصّت عليها معاهدات وتصريحات الدول الاستعمارية ، ولا سيما اتفاقية سايكس - بيكو * ، ووعد بلفور * ، ومؤتمر لوزان (رَ : سان ريمو ، مؤتمر) .

وبالفعل، اجتاحت فلسطين منذ سنة ١٩٢٠ موجات من النضال الوطني عمّت المدن الكبرى والقرى ، وشاركت فيها الحركة النسائية الفلسطينية ، فكان لها وجود في مظاهرات ٢٧/٢/١٩٢٠ التي ضمّت ٤٠ ألف مواطن وطافت مدينة القدس والمدن والقرى الفلسطينية ، معبّرة عن رفض الشعب العربي الفلسطيني الانتداب البريطاني والأطماع الصهيونية في أرض فلسطين .

وعندما وقف ونستون تشرشل في ٢٨/٣/١٩٢١ في مدينة القدس يمجّد قتلى الصليبيين واليهود قامت المظاهرات وفيها النساء تطوف أنحاء القدس هاتفة بسقوط بلفور وتصريحه وحكومته وعندما أطلق الجنود رصاصهم خرجت نساء القدس يشاركن في نقل الجرحى إلى المستشفيات وتضميد جراحهم .

ظلّت الحركة النسائية على هذا الوضع حتى كانت ثورة ١٩٢٩ * التي اشتعلت إثر حادثة البراق وقتل وجرح خلالها الكثير من العرب ، واعتقلت سلطات الانتداب المئات من الشباب العرب . وصدرت الأحكام المختلفة عليهم ، ومن بينها أحكام بإعدام عشرين عربيا . وعندئذ بادرت النساء الفلسطينيات إلى عقد المؤتمر النسائي الفلسطيني * في القدس فكان الأول من نوعه من الناحية التنظيمية واتخاذ القرارات الوطنية ، واشتركت فيه أكثر من ٣٠٠ امرأة من مختلف أنحاء فلسطين ، واتخذت فيه عدة قرارات ، ووضعت قدرات الحركة النسائية الفلسطينية ضمن دائرة الحركة

---

(١) لا توجد إحصائية تدل على عدد مدارس البنات في الربع الأول لهذا القرن . غير أنه في العام ١٩٣٥ كان في فلسطين ١٥ مدرسة للبنات وفي العام الدراسي ١٩٤٥ - ١٩٤٦ بلغ عدد المدارس ككل ٥١٤ مدرسة كان عدد الطالبات فيها ١٦,٥٠٦ من مجموع ٨١,٠٤٢ طالبا .

الوطنية النضالية العامة . وقد أيدّت قرارات المؤتمر النسائي القرارات التي تبنتها الحركة الوطنية في مؤتمراتها السابقة (ز : المؤتمر العربي الفلسطيني) ، واتخذت هذه الهيئات النسائية قرارا بتنشيط التجارة والصناعة الوطنيتين بكل الوسائل ، وتعزيز الارتباط الاقتصادي مع سورية وغيرها من البلاد العربية . وقرّر المؤتمر ، على الصعيد النسائي ، أن تسعى المرأة الفلسطينية جاهدة لقيام نهضة نسائية وطنية عربية في فلسطين تكون على اتصال بالحركات النسائية القائمة في الأقطار العربية المجاورة .

وفي نهاية المؤتمر تألف وفد لمقابلة المندوب السامي البريطاني ، وألقت إحدى المشاركات كلمة أشارت فيها إلى أن هذه هي المرّة الأولى التي تتقدم فيها المرأة العربية للعمل في الشؤون السياسية ، وطلبت باسم السيدات إلغاء وعد بلفور ، ومنع الهجرة اليهودية ، وتنحية المستشار القضائي لحكومة فلسطين . ثم خرجت السيدات الفلسطينيات في مظاهرة طافت مدينة القدس في ثمانين سيارة ، مارّة بدور قناصل الدول الأجنبية لشرح الموقف الوطني .

أصبحت الحركة النسائية الفلسطينية من معالم الحركة الوطنية الفلسطينية وجزءاً لا يتجزأ منها ، فكان على النساء العاملات في الحركة النسائية أن يساهمن في كل أمر نضالي أو عمل ثوري في أي بقعة من فلسطين .

وما إن حلّت سنة ١٩٣٣ حتى كانت الحركة النسائية الفلسطينية تنال ثقة العاملين في حقل القضية الوطنية . ولمّا قررت اللجنة التنفيذية في يافا (١٩٣٣/١٠/٨) القيام بالمظاهرات بشكل دوري في مدن فلسطين وقراها احتجاجا على سياسة حكومة الانتداب البريطاني ، وتطبيقا لمبدأ اللاتعاون معها ، كانت النساء الفلسطينيات في طليعة المظاهرات الوطنية ، ولا سيما مظاهرة يوم ١٩٣٣/١٠/١٣ في مدينة القدس . وبالرغم من أن الحكومة البريطانية دعت إلى عدم قيام هذه المظاهرة في بيان رسمي أعلنته في ١٩٣٣/١٠/١١ فقد خرجت المظاهرة من الحرم الشريف ، واصطدم المتظاهرون برجال البوليس ، وأسفر ذلك عن إصابات كثيرة بين الرجال والنساء .

لجأت الحركة النسائية الفلسطينية عندئذ إلى تأليف لجان السيدات العربيات ، وانتشرت هذه اللجان وعمّت جميع مدن فلسطين وقراها ، وهي جمعيات ذات دستور ونظام داخلي أخذت تصدر المنشورات والبلاغات ، وتوقّع الاحتجاجات باسم الحركة النسائية الفلسطينية ، وتسعى لنجاح المظاهرات والمؤتمرات النسائية بحشد الأعداد الكبيرة من النسوة فيها . وقد اتجهت وفود لجان السيدات العربيات نحو مدينة يافا * للاشتراك في المظاهرة التي تقرر القيام بها يوم ١٩٣٣/١٠/٢٧ . وبالرغم من معارضة سلطات الانتداب نجحت هذه المظاهرات نجاحا كبيرا وعمّت مدن فلسطين وقراها .

أدى نجاح الحركة النضالية النسائية عام ١٩٣٣ إلى نقطتين إيجابيتين بالنسبة إلى الحركة النسائية الفلسطينية :

١) اندماج الحركة النسائية في الحركة الوطنية الثورية المسلحة : كانت بداية هذا الاندماج في الثورة التي قادها الشيخ عز الدين القسّام * (ز : ثورة ١٩٣٥) . فقد ساهمت الحركة النسائية في جمع السلاح ونقله إلى الثوار ، وقامت بجباية التبرعات وتوزيعها على عائلات المجاهدين ، وسعت لتوفير المؤن والماء للثوار وعائلاتهم . وعندما حلّت سنة ١٩٣٦ كانت الحركة النسائية الفلسطينية قد أخذت تعمل في نطاق اللجنة العربية العليا * ، وتنفّذ قراراتها ، وتدعو إلى عقد الاجتماعات النسائية لشرح مقررات اللجنة .

وقد دعت لجان السيدات العربية في فلسطين إلى عقد اجتماع كبير في مدينة يافا يوم ١٩٣٦/٥/١١ في المدرسة الوطنية الأرثوذكسية برئاسة السيدة أديل عازر * لشرح الموقف الثوري في البلاد وعرض مقررات اللجنة العربية العليا على النساء المجتمعات (ز : السيدات العربيات ، اجتماع) . واتخذت بالإجماع قرارات أهمها : تأييد اللجنة العربية العليا في جميع قراراتها ، والعمل من خلالها ، وإبقاء البلاد في حالة اضراب حتى تنال حقوقها . وأقسمت المجتمعات على مقاطعة البضائع الصهيونية مقاطعة تامة .

ساهمت المرأة الفلسطينية في ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ * فكانت تنقل السلاح ، وتشجّع على متابعة القتال والثبات في وجه التحدي الصهيوني ، وتقدم المعونة الطبية ، وتحمل المؤن للمقاتلين . وسقط الكثير من الشهيدات ، كان في مقدمتهن فاطمة غزال شهيدة معركة قرية عزون الواقعة قرب اللد يوم ١٩٣٦/٦/٢٦ .

٢) نقل القضية إلى المستويين العربي والعالمي : اتجهت أنظار العاملات في الحركة النسائية الفلسطينية نحو مصر التي كانت الحركة النسائية فيها متقدمة عنها في بقية الأقطار العربية ، فوجهت نداء رسمياً إلى السيدة هدى شعراوي رئيسة الحركة النسائية في مصر منذ سنة ١٩٣٦ ، توّضت إليها فيه أن تعرض قضية فلسطين على بساط البحث في مؤتمر السلم العالمي الذي سيعقد في بروكسل في شهر أيلول ١٩٣٦ . وفي أوائل سنة ١٩٣٧ أبرقت لجنة سيدات عكا إلى رئيسة الحركة النسائية في مصر مصوّرة الواقع المرير الذي تعيشه فلسطين . وقد وجهت الحركة النسائية في مصر بتأثير ذلك دعوة لعقد مؤتمر نسائي شرقي لدراسة ونصرة قضية فلسطين .

وفي ١٩٣٨/١٠/١٥ افتتح المؤتمر النسائي العربي * ، وكان وفد فلسطين أكبر الوفود إذ ضم عددا كبيرا من النساء العاملات في

على البقاء وتحقيق التطور الاجتماعي الا وهي رفع مستوى التعليم بين الإناث . وفتحت الجامعات أبوابها أمام الطالبات الفلسطينيات ، وأصبح الكثير منهن مدرّسات في الأقطار العربية يساهمن في التفتح العلمي لهذه الأقطار من ناحية ، ويحملن إليها رسالة الحركة النسائية الفلسطينية من ناحية أخرى . وتدل الإحصاءات على أنه كان يعمل في الكويت سنة ١٩٦٥ من الفلسطينيات ما يقدر بنحو ٢,٢٥٨ فلسطينية . وفي سنة ١٩٦٨ - ١٩٦٩ كان في السعودية نحو ٢,٥٩٠ ، وفي البحرين ١٢١ ، وفي قطر ٢٤٩ ، وفي أبو ظبي ٧٧ فلسطينية .

تخطت الحركة النسائية الفلسطينية الميادين الاجتماعية وساهمت في الحياة السياسية على مستوى الوطن العربي . وكانت البداية مشاركتها الرجل في المظاهرات الوطنية والقومية استنكارا للأحلاف الاستعمارية ، وفي مقدمتها حلف بغداد * ومشروع تامبلر ، ومشروع أيزنهاور * . وقد قدّمت الحركة عددا من المناضلات إلى ساحات السجن والاستشهاد .

وانتظمت المرأة الفلسطينية في الأحزاب السياسية العربية ، وعملت من خلال هذه الأحزاب بقدر ما تسمح به التقاليد الاجتماعية وطرق العمل التنظيمي للأحزاب . فقد كان للنساء خلاياهن الخاصة وأعمالهن المحددة ، كتنظيم وتهيئة المراحل الأولية لقيام المظاهرات ، ونشر أفكار الحزب في أوساط الهيئات الشعبية عامة ، والهيئات النسائية خاصة ، وتوقيع عرائض الاحتجاج ، وطباعة البيانات والمنشورات السياسية وتوزيعها . كما كانت السيدة الحزبية " ضابط اتصال " بين الحزب وأعضائه العاملين بشكل سرّي أو المعتقلين .

وعقب قيام منظمة التحرير الفلسطينية * ، شاركت المرأة الفلسطينية في مؤسسات المنظمة وأجهزتها . فقد تمثلت في المجلس الوطني الفلسطيني * منذ دورته الأولى وفي جميع دوراته المتتالية ، وضم المجلس المركزي (ر : منظمة التحرير الفلسطينية) ممثلة من الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية .

وساهمت المرأة الفلسطينية بشكل مباشر في الثورة الفلسطينية . وتبلغ نسبة من يعملن في منظمات المقاومة الفلسطينية من الفلسطينيات ٥١٪ ، كما تبلغ نسبة النساء اللواتي يعشن وسط عائلات تضم أفرادا يشتركون في العمل السياسي ٣١٪ .

ومن الميادين الجديدة التي دخلتها الحركة النسائية الفلسطينية ميدان النشاط النقابي العمالي ، وخاصة في الضفة الغربية . فقد أشارت الإحصاءات إلى أن للمرأة نشاطا نقابيا فعّالا في نقابتين : الأولى اتحاد عمّال الخياطة في نابلس ، وكان يضم في جهازه الإداري عام ١٩٧٢ خمس نساء ؛ والثانية نقابة الممرضين والممرضات في القدس ، وكانت تضم سنة ١٩٧٩ في هيئتها الإدارية ست نساء .

ولم يقتصر نشاط المرأة النقابي على هاتين النقابتين . فهناك أربع نقابات أكثر الأعضاء فيها من النساء ، وهي : نقابة التعليم الخاص ، وتشترك في إدارتها سيدتان ، وتبلغ نسبة المنتسبات اليها ٨٠٪ من مجموع أعضائها ؛ ونقابة الغزل والنسيج (٢٥٪) ؛ ونقابة العاملين في النقل الجوي والسياحي (٢٥٪) ؛ ونقابة الخدمات الصحية (٣٠٪) ، حسب إحصاءات سنة ١٩٧٩ . وكان في هيئة هذه النقابات الإدارية خلال الفترة الواقعة بين ١٩٧٠ و١٩٧٩ عدد من النساء في كل نقابة .

وقد أثبتت المرأة الفلسطينية وجودها في عدد كبير من المهن ، فكانت طبيبة ومهندسة ومحامية ، إضافة إلى عملها في حقل الإعلام صحفية أو مذيعة .

وعلى صعيد المؤتمرات الدولية والعربية ساهمت الحركة النسائية الفلسطينية في المؤتمرات العالمية الكثيرة ، بالإضافة الى المشاركة في المؤتمرات النسائية الفلسطينية الدورية .

ومن أهم المؤتمرات الدولية التي شاركت فيها الحركة النسائية الفلسطينية مؤتمر المرأة الإفريقي - الآسيوي الذي عقد في القاهرة (١٤ - ٢٣/١/١٩٦١) ، وقد مثّلها فيه وفد من خمس نساء . وكان المؤتمر الاول من نوعه ، إذ عُقد ليناقش قضايا المرأة في القارتين الكبيرتين ، وأصدر قرارات خاصة بالقضية الفلسطينية ، فأعلن أن (إسرائيل) قاعدة استعمارية يهدد وجودَها السلام العالمي ، كما أعلن تأييده جميع الحقوق الشرعية لشعب فلسطين ، كحقه في العودة إلى وطنه وفقا لقرارات الأمم المتحدة ، وطالب بمنع الهجرة الصهيونية ، وأيّد القرار الذي اتخذته الدول العربية لبعث الكيان الفلسطيني .

واشتركت أيضا في المؤتمر النسائي العربي السادس الذي عقد في القاهرة بتاريخ ١/٥/١٩٦٦ ، وشارك الوفد الفلسطيني في عضوية لجنة قضايا الوطن العربي ، ولجنة النشاط الدولي .

وأصدر هذا المؤتمر قرارا ينصّ على وضع دستور جديد لاتحاد نسائي عربي كبير يضم جميع السيدات الأعضاء من الاتحادات والمنظمات والجمعيات النسائية العربية ، ومنها اتحاد المرأة العربية الفلسطينية .

ومن المؤتمرات التي اشتركت فيها الحركة النسائية الفلسطينية مؤتمر المرأة العربية الذي نظمته جامعة الدول العربية بالاشتراك مع منظمة رعاية الطفولة التابعة لهيئة الأمم المتحدة في القاهرة سنة ١٩٧٢ .

وكانت المرأة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة تشارك في هذه المؤتمرات حتى حرب ١٩٦٧ * حين أصبح الأمر صعبا بسبب

الاحتلال الإسرائيلي . ولكن نشاط الحركة النسائية في الأراضي المحتلة ظهر بسمات وتضحيات جديدة متميزة بالإضافة إلى العمل الاجتماعي الخيري الذي ظل مستمرا .

وكانت أهم هذه السمات العمل الثوري الذي شمل جميع الميادين والمجالات بدءاً بالمظاهرات والإضرابات وانتهاء بالعمل المسلح . وقد تعرضت المرأة الفلسطينية نتيجة ذلك للاعتقال والتعذيب داخل السجون الإسرائيلية * ، وللنفي والإبعاد خارج أرض الوطن (ر : النفي والإبعاد من فلسطين ، سياسة) .

جـ - الجمعيات النسائية : تظهر معالم صورة تأسيس الجمعيات النسائية الفلسطينية منذ سنة ١٩٠٣ . فقد تأسست جمعيات نسائية تطوعية ذات أهداف خيرية نسائية في معظم المدن الفلسطينية . ولم يكن لهذه الجمعيات برامج تتقيد بها ، ولا أماكن تعقد اجتماعاتها فيها . وكانت لقاءات الأعضاء تتم في المنازل أو الغرف التابعة للأديرة والمدارس .

ومنذ العقد الثاني للقرن العشرين اتخذت الجمعيات النسائية الفلسطينية صورة واضحة المعالم محددة الأهداف . وقد تطورت إلى جمعيات ذات برامج واضحة وحياة تنظيمية داخلية شملت انتخاب هيئة إدارية تقوم بدورها بانتخاب الرئيسة وأمينة السر وأمينة الصندوق وتعيّن بعض الموظفين . كما سُجلت هذه الجمعيات في سجلات الدوائر المختصة .

وكثيرا ما كانت الاشتراكات والتبرعات هي المورد المالي الرئيس لهذه الجمعيات ، بالإضافة إلى بيع إنتاج أعضاء الجمعية من الأشغال اليدوية المتنوعة .

ولا يمكن حصر هذه الجمعيات بشكل دقيق . فقد توقف الكثير منها عن العمل خلال الحرب العالمية الأولى ، وبعد التطورات السياسية التي شهدتها فلسطين وتبلورت بحلول نكبة ١٩٤٨ .

وأبرز هذه الجمعيات ، مرتبة في مراحل زمنية :

١) الجمعيات النسائية الفلسطينية بين عامي ١٩٠٣ و١٩٢٨ :

إن السمة الرئيسة لجمعيات هذه الفترة هي السمة الخيرية الإنسانية والثقافية ، وتنبع أهميتها من كونها أولى الجمعيات التي تكوّنت في فلسطين ، وأهمها :

(١) جمعية إغاثة المسكين الأرثوذكسية : تأسست في مدينة عكا * سنة ١٩٠٣ برئاسة نبيهة الملكي منّسّى وبقيت تعمل بنشاط حتى سنة ١٩١٦ .

وهدفها الأول تجهيز الفتيات الفقيرات من بنات الطائفة الأرثوذكسية .

(٢) جمعية عضد اليتيمات الأرثوذكسيات : تأسست في مدينة يافا سنة ١٩١٠ برئاسة أديل عازر التي بقيت في هذا المنصب حتى أغلقت الجمعية سنة ١٩٤٧ .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الجمعية قد توقفت عن العمل خلال الحرب العالمية الأولى ، ثم استعادت نشاطها بعد الحرب فافتتحت مدرسة وطنية سنة ١٩٢٣ ، عرفت فيما بعد باسم « الكلية الأرثوذكسية بيافا » ، تخطت الطائفية وضمّت في رحابها كل طالبة عربية دون أية تفرقة .

حققت الجمعية هدفها الأول ، وهو تعليم الفتيات المتفوقات في يافا وإرسالهن إلى الخارج على نفقة الجمعية منذ سنة ١٩٢٣ ، وقامت ببناء ثلاثة مخازن تجارية ليصرف ريعها على الجمعية والمدرسة ، بالإضافة إلى مواردهما الخاصة .

(٣) جمعية تهذيب الفتاة الأرثوذكسية : تأسست في مدينة القدس * سنة ١٩١٨ وبقيت تعمل بنشاط حتى سنة ١٩٤٧ ، وتولت رئاستها كاترين شكري ديب .

كان الهدف الأول للجمعية تعليم الفتيات المتفوقات في المعاهد العليا . وقد تمكّنت من تعليم الكثير من الفتيات في الكلية الإنكليزية وكلية شمدت في القدس . وسعت جاهدة إلى تحقيق مشروع المعهد العالي للإناث ، ولكنها توقفت عن العمل قبل تنفيذ المشروع .

(٤) الجمعية النسائية : تأسست في مدينة نابلس * سنة ١٩٢١ وبقيت في مقدمة الجمعيات النسائية حتى سنة ١٩٣٨ حين أعيد تأسيسها وأصبحت تعرف باسم الاتحاد النسائي العربي بنابلس . وكانت رئيستها طوال هذه المدة مريم عبد الغني هاشم .

تهدف هذه الجمعية إلى تحسين وضع المرأة العاملة من الناحيتين الاجتماعية والصحية ، ورفع مستوى عيش الأسرة الفقيرة ، ومكافحة الأُمية .

ومنذ ثورة ١٩٢٩ أصبحت هذه الجمعية ذات سمة نضالية - سياسية ، أسوة بالجمعيات التي تأسست في هذه الفترة ، إذ أمدت المجاهدين بالمال والأسلحة ، وتبنّت الإشراف على أسر الشهداء ، واشتركت في قيادة المظاهرات ، بالإضافة إلى إصدار البيانات السياسية ورفع الاحتجاجات الدولية استنكارا للأوضاع القائمة في البلاد .

(٥) جمعية العناية بالطفولة : تأسست في مدينة يافا سنة ١٩٢٣ وبقيت تعمل حتى سنة ١٩٤٧ ، وافتتحت لها عدة فروع في حيفا ، ونابلس ، ورام الله ، وغيرها .

وقد ترأست الجمعية في بادىء الأمر قرينة وديع تماري ، وتلتها السيدة صايغ ، ثم ماري برنقش لمدة ١٥ سنة .

أهم أهدافها العناية بالطفولة والأمومة ورعايتهما صحيا وغذائيا . ولتحقيق هذا الهدف افتتحت مستوصفا لمعاينة الأطفال ومعالجتهم وتلقيحهم ضد الأمراض ، وخاصة شلل الأطفال .

وكانت تقدم الحليب والأغذية الخاصة والأدوية مجانا للأطفال وأمهاتهم . وأخذت على عاتقها توعية الأمهات بإلقاء محاضرات مبسّطة عن تربية الطفل والعناية به .

(٦) جمعية حاملات الصليب : تأسست سنة ١٩٢٦ برئاسة سلمى الخمصي سلامة . وتلتها ميليا يعقوب الخليل . وقد توقفت عن العمل بعد سنة ١٩٤٨ ، ثم أعيد تسجيلها سنة ١٩٦٥ .

اتخذت الجمعية من تقديم المساعدة للمرضى والبائسين والمحتاجين هدفها الأول . ومن أجل تحقيقه افتتحت مستوصفا كبيرا وفّرت فيه الدم للمرضى ، وأنشأت دار نقاهة في محلة القطمون في القدس . ولكنها خسرت ممتلكاتها هذه بعد حرب ١٩٤٨ * .

٢) الجمعيات النسائية الفلسطينية بين عامي ١٩٢٩ و١٩٣٧ :
كان المنطلق لتأسيس الجمعيات النسائية في فلسطين منذ سنة ١٩٢٩ هو ثورة البراق (ر : ثورة ١٩٢٩) . ولذلك اتسمت أهدافها بالسمة النضالية السياسية ، بالإضافة إلى السمات الخيرية والثقافية . وأهم هذه الجمعيات :

(١) جمعية السيدات العربيات : تأسست في مدينة القدس سنة ١٩٢٩ إثر اجتماع نسائي كبير عقد في المدينة لوضع الخطوط الرئيسة لمشاركة المرأة العربية الفلسطينية في ثورة البراق والقضايا السياسية التي تواجهها البلاد . أما أول رئيسة لها فهي نعمتي العلمي .

عرفت هذه الجمعية أيضا باسم : لجان السيدات العربيات ، وافتتحت عدة فروع لها ، أشهرها فروع نابلس ، ويافا ، وعكا ، وحيفا ، وغزة ، ورام الله ، ثم عمّت فروعها أنحاء فلسطين كلها .

بقيت فروع الجمعية على نشاطها حتى سنة ١٩٣٨ ، إذ تحول معظمها إلى اتحادات نسائية ، في حين بقي فرع الجمعية في القدس يحمل الاسم الأول نفسه ويعمل إلى جانب الاتحاد النسائي .

توقف فرع القدس عن العمل منذ سنة ١٩٤٨ ، ولكن أعيد تأسيس وتسجيل الجمعية في القدس سنة ١٩٦٥ ، واقتصرت أهدافها على الناحيتين الثقافية والخيرية ، وأما رئيستها فكانت زهية النشاشيبي .

كان أهم ما يميز جمعية السيدات العربيات أنها أولى الجمعيات النسائية التي تخطت الطائفية على مستوى أعضاء الهيئة العامة للجمعية ، ونصّت في دستورها على حق سيداتها بالمشاركة في العمل السياسي ، وتبنّت شرح القضية الفلسطينية في المؤتمرات الدولية والمحلية ، كما نظمت المظاهرات النسائية التي كان يتقدمها علم فلسطين ولافتات الاحتجاج على الوضع العام ، وجعلت من أهدافها مساعدة المنكوبين ورعاية أسر الشهداء وأسر المناضلين السياسيين ، وتبنّي أبناء الشهداء من الثوار ، بالإضافة إلى رفع مستوى المرأة الفلسطينية اجتماعيا وأدبيا وثقافيا وسياسيا .

٣) الجمعيات النسائية الفلسطينية بين عامي ١٩٣٨ و١٩٤٨ :

(١) الاتحادات النسائية : تأسست الاتحادات النسائية في فلسطين سنة ١٩٣٨ إثر القرارات التي اتخذها المؤتمر النسائي الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٣٨ برئاسة هدى شعراوي زعيمة الحركة النسائية بمصر لبحث القضية الفلسطينية (ر : المؤتمر النسائي العربي) . وقد توقف معظم هذه الاتحادات عن النشاط بسبب حرب ١٩٤٨ .

فقد تأسس الاتحاد النسائي في مدينة القدس برئاسة زليخة الشهابي ، وتوقف فترة عن العمل بعد ١٩٤٨ ، ثم أعيد تسجيله سنة ١٩٥٧ .

وتأسس الاتحاد النسائي في مدينة نابلس وسجل في سجل الجمعيات عام ١٩٤٥ برئاسة عندليب العمد ، وأعيد تسجيله بتاريخ ١٦/٨/١٩٦٥ .

أما الاتحاد النسائي في مدينة عكا فقد بقي يعمل حتى سنة ١٩٤٨ ، وكانت رئيسته رُفْقَة حقي الكرمي ، ثم أسمى طوبي .

يضاف إلى ذلك الاتحادات النسائية في رام الله * (أعيد تسجيله سنة ١٩٦٥) ، والبيرة * ، وبيت لحم * (أعيد تسجيلها سنة ١٩٦٥) ، وطولكرم * (أعيد تسجيله سنة ١٩٥٣) .

وقد شاركت الاتحادات النسائية في الأعمال السياسية من مظاهرات وندوات ومؤتمرات ، على المستويين العالمي والمحلي لشرح القضية الفلسطينية ، ودعت إلى مقاطعة البضائع الأجنبية . وعقدت المؤتمرات والندوات الثقافية للتوعية ، وقامت مندوباتها بزيارة المعتقلين السياسيين في سجونهم ورعاية أسرهم ، ومساعدة أسر الثوار الذين التحقوا بالثورة الفلسطينية ، وفتح المدارس لأبناء الشهداء بشكل خاص ، ومحو الأمية بشكل عام .

(٢) جمعيات الهلال الأحمر : تأسست هذه الجمعيات في مدن فلسطين المختلفة نتيجة للأوضاع التي كانت تمر بها البلاد منذ ١٩٣٦ . وبالرغم من أنها توقفت فترة بسيطة فقد عادت للعمل بعد إعادة تسجيلها منذ سنة ١٩٥٠ في القدس ونابلس وجنين * وعرابة * والبيرة وقباطية * .

أما أهداف هذه الجمعيات فهي : التمريض وتقديم الإسعافات الأولية ، وفتح العيادات الطبية ، وتقديم المساعدات والخدمات للمعتقلين السياسيين وأسرهم ، إضافة إلى الخدمات الاجتماعية بشكل عام . وهذه الجمعيات ذات اتصال وثيق بالمؤسسات الصحية الدولية ، وفي مقدمتها الصليب الأحمر الدولي .

٤) الجمعيات النسائية الفلسطينية بين عامي ١٩٤٩ و١٩٧٩ :
كانت الجمعيات في هذه الفترة نوعين ، الأول الجمعيات النسائية التي سجلت ثانية بعد توقف العمل فيها إثر نكبة ١٩٤٨ ، وزاولت

نشاطها في الضفة الغربية للمملكة الأردنية الهاشمية . والثاني الجمعيات النسائية الفلسطينية التي تكونت في أنحاء الوطن العربي ، وكان أبرزها :

(١) الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني * : تأسس في مدينة بيروت سنة ١٩٥٢ برئاسة وديعة قدورة خرطبيل التي كانت رئيسة الاتحاد النسائي في طولكرم ، وهو أقدم هذه الاتحادات . (ر : الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني)

(٢) الاتحاد العام للجمعيات الخيرية : تأسس في ١٩٥٩/١/١ في ضفتي الأردن من ممثلي اتحادات الجمعيات الخيرية في المحافظات ومن ينضم إليهم من الجنسين . ويبين الجدول التالي عدد اتحادات الجمعيات الخيرية في الضفة الغربية :

المحافظة	تاريخ التأسيس	عدد الجمعيات عند التأسيس	عدد الجمعيات سنة ١٩٧٩
محافظة القدس	أوائل سنة ١٩٥٨	٣٥	٦٦
محافظة نابلس	١٩٥٨/٥/١٥	١٦	٣٤
محافظة الخليل	١٩٥٨/١٠/٢٨	٥	٢٣
المجموع		٥٦	١٢٣

وعندما تم تسجيل الاتحاد العام للجمعيات الخيرية في الأردن بتاريخ ١٩٦١/٤/٣ كانت هذه الاتحادات ممثلة فيه إلى جانب اتحادات الضفة الشرقية .

د - دور الجمعيات النسائية الفلسطينية في مختلف الميادين : حققت الجمعيات النسائية الفلسطينية منذ مطلع القرن العشرين منجزات ذات أبعاد متعددة في مختلف الميادين ، وساهمت في صنع الوعي الاجتماعي والصحي والثقافي والسياسي في المجتمع الفلسطيني .

ولا بد من الإشارة إلى أن الجمعيات التي تأسست قبل سنة ١٩٤٨ كانت تقوم بدور فعّال في عدة مجالات ، إيمانا منها بأن الظروف القائمة في الأرض العربية الفلسطينية تستدعي العمل الإنساني المتكامل .

أما الجمعيات التي تأسست أو أعادت تأسيسها بعد سنة ١٩٤٨ فكانت على نوعين : جمعيات تسعى لتحقيق هدف واحد هو تأدية الخدمات للمواطنين ، كرعاية المعوقين والأطفال والمسنّين ، والعناية بالتعليم ، وتنظيم الأسرة ، والرعاية الصحية ؛ وجمعيات ذات أهداف متعددة تقوم بتأدية خدمات تشمل عددا من الميادين والمجالات :

١) المجال الاجتماعي : كان المجال الاجتماعي في مقدمة مجالات نشاط الجمعيات النسائية ، فهو يتوافق وأهدافها ذات السمات الخيرية . وقد عملت من خلاله على تحقيق رعاية الأمومة والطفولة ، ورعاية اليتيم ، والعناية بأبناء الشهداء في مختلف المراحل التعليمية ، وافتتاح مراكز تنظيم الأسرة وتحديد النسل ، وتعليم السيدات مهناً تساعدهن على كسب العيش بطرق سليمة ، وتجهيز الفتيات المعوزات في حال زواجهن .

قامت جمعية العناية بالطفولة في مدينة يافا منذ تأسيسها برعاية الأم الحامل قبل الولادة وبعدها حتى يبلغ الطفل الخامسة من عمره .

وأسست جمعية تهذيب الفتاة الأرثوذكسية في القدس منذ سنة ١٩٢٦ بيت التوليد ، وبيت الأطفال المشلولين ، ودار حضانة للأطفال . وعندما تأسست جمعيات التضامن في أنحاء فلسطين سنة ١٩٤٢ وقف المركز الرئيس في القدس خدماته على العناية بالأمومة والطفولة ، ولا سيما العناية بالمرأة العاملة وأطفالها . وافتتحت فروع هذه الجمعية في المجدل * وغيرها دور الحضانة للأطفال بين الثالثة والخامسة من عمرهم .

وتبنّت جمعية دار اليتيم العربي بالقدس العمل على إسعاد الطفولة بعامة والأيتام بخاصة ، وأنشأت مدرسة كانت تضمّ حتى سنة ١٩٦٦ نحو ٥٧٠ ولداً ، منهم ٣٠٠ ولد من الأيتام تراوح أعمارهم بين ١٢ و١٨ سنة . أما الآن فالجمعية ترعى ٦٥٠ يتيما ، وتعلم على حسابها ١,٠٠٠ طالب معظمهم من أبناء الشهداء أو من الأيتام بصورة عامة .

وقدمت جمعيات تنظيم وإنعاش الأسرة في مدينة القدس وغيرها من المدن خدمات في مجال تحسين وضع الأسرة بشكل عام ، وتنظيم النسل بشكل خاص في أوساط العائلات المحدودة الدخل ، وعملت على تشغيل الأيدي العاملة من السيدات لإحياء التراث الفلسطيني والصناعات اليدوية كأشغال الإبرة التي اشتهرت بها مدن فلسطين ، ولتحسين دخل هذه الأسر من جهة أخرى . كما عملت الاتحادات النسائية على افتتاح مراكز لرعاية المسنين ، ورعاية المعوّقين ، ومراكز تغذية ، وتدريب وتأهيل مهني لتعليم الحياكة والغزل والنسيج . وقد تخرج من المدرسة المهنية لتعليم التفصيل والخياطة في مدينة نابلس بين عامي ١٩٣١ و١٩٦٦ نحو ٢,١٩٣ امرأة . واستفاد من معمل النسيج الذي أقامه الاتحاد النسائي في مدينة رام الله عدد كبير من السيدات بعد تصدير منتجاته للخارج .

٢) المجال الصحي : ساهمت الجمعيات النسائية الفلسطينية في المجال الصحي بإنشائها مراكز تعليم التمريض والإسعاف . ودعت أطباء المدينة التي قامت فيها جمعية نسائية للمساهمة في مشاريعها الصحية . وعندما قامت الجمعيات النسائية ببناء بعض المستشفيات والمراكز الصحية في أكثر المدن الفلسطينية ، عيّنت الأطباء في هذه

المستشفيات والمراكز، كما عمدت الجمعيات الخيرية * إلى تعيين أطباء للعمل في مراكز رعاية الأمومة والطفولة التابعة لها .

وافتتح الاتحاد النسائي في مدينة القدس مستوصفا لمعالجة المحتاجين ، ولتلقيح الكبار والصغار ضد الأمراض السارية . وأشار إحصاء لجنة المستوصف إلى أنه قد عولج فيه خلال عام ١٩٤٦ ٢,٨٩١ مريضا، منهم ٥٠٪ من الأطفال و٤٠٪ من المتزوجين ، و١٠٪ من العزّاب ، ما عدا ٦٦٢ ضمدت جروحهم ، وعددا لا يحصى من المراجعين المختلفين .

أما الاتحاد النسائي في مدينة نابلس فقد حوّل سنة ١٩٤٧ دار الاتحاد إلى مستشفى ، بالإضافة إلى كثير من الدور التي تحولت إلى مستشفيات للطوارىء واستقبال جرحى المعارك . وبعد سنة ١٩٤٨ تحول مستشفى الاتحاد الذي عرف باسم مستشفى الشهداء إلى مستشفى لتوليد النساء اللاجئات، فكان يستقبل ما يقارب ٤٥٠ مولودا في العام ، ويعالج الأمهات الحوامل . وتدل الإحصاءات الأخيرة على أن عدد المستفيدين من مستشفى الاتحاد النسائي بنابلس بلغ ٢٥,٤٨٤ مريضا بلغت تكاليف علاجهم ١٥٦,٣٥٢ دينارا أردنيا .

ولم يقتصر المجال الصحي على جمعيات الاتحاد النسائي بل ساهمت فيه إلى حد كبير جمعيات الهلال الأحمر التي افتتحت المستشفيات والعيادات الطبية . وتشمل العيادات الطبية التي افتتحها الهلال الأحمر في مدينة رام الله قسماً لتخطيط القلب ، وقسماً لرعاية الأطفال . وبلغ عدد المستفيدين من الخدمات الصحية حسب الإحصاءات الأخيرة ما يقارب ١٤,٢٢١ مستفيدا أنفق على علاجهم ١٣,٥٢٠ دينارا أردنيا .

٣) المجال الثقافي : عملت الجمعيات النسائية الفلسطينية على إنشاء النوادي الثقافية ، وتوفير مساكن للطالبات المغتربات ، ومساعدة المتفوقات لإتمام دراستهن ، وتأمين عملهن في مدارس الجمعية . كذلك عملت الجمعيات على تأسيس المدارس المختلفة ، وساهمت في محو الأمية بشكل عام ، وركزت على المخيمات فيما بعد بشكل خاص .

تبنّت جمعيات التضامن التي تأسست سنة ١٩٤٢ تأسيس المدارس لجميع المراحل التعليمية ، وكانت أول جمعيات تصدر نشرات ثقافية تتضمن الأخبار الثقافية ، ولا سيما أخبار نشاط جمعيات التضامن .

وأسّس فرع التضامن في مدينة يافا ناديا ثقافيا كانت تلقى فيه المحاضرات وتقام الندوات . وأسس فرع تضامن عكا فرقا مسرحية تقدم التمثيليات ذات المضمون الوطني . وأما نادي فتاة العرب بمدينة حيفا فكان هدفه الأول تثقيف المرأة عن طريق المحاضرات والمناظرات الأدبية .

وتحقيقاً لمزيد من الثقافة أضافت أكثر الجمعيات الى نواديها الثقافية مكتبة وقاعة مطالعة . وكانت الريادة في هذا المضمار لنوادي لجان السيدات العربيات في يافا والقدس .

وساهمت الاتحادات النسائية في هذا المجال فأسس اتحاد نابلس سنة ١٩٤٥ النادي الثقافي الرياضي ، ثم أسس معهداً ثانيا للنادي سنة ١٩٤٧ تتعلم فيه الفتيات الطباعة والاختزال والمحاسبة ويدرّبن على طرائق مكافحة الأمية وتعليم اللغات الأجنبية . وأضاف اتحاد القدس تعليم صناعة الأزهار لأول مرة ، وقدمت فتيات القدس خبرتهن في هذا المجال للمعرض الصناعي الزراعي الذي أقيم بالقاهرة سنة ١٩٤٧ .

وتدل الإحصاءات على أن جمعية النهضة النسائية في القدس تعلم ١٢ طالبا وطالبة تعليما جامعيا تبلغ نفقته في العام ١,١٠٠ دينار أردني ، في حين تقدم جمعية الاتحاد النسائي في طولكرم مثلا مبلغ ٦٢١ دينارا لنحو ١٢٠ طفلا في دار الحضانة وروضة الأطفال التي يشرف عليها الاتحاد .

٤) المجال السياسي : لبّت الجمعيات النسائية الفلسطينية ، ولا سيما لجان السيدات العربيات ، النداءات الوطنية التي وجّهتها الهيئات السياسية الفلسطينية ، فتبنّت القضايا السياسية مثل إقامة المظاهرات ، وإصدار البيانات السياسية ، وإعلان الإضراب العام ، وعقد المؤتمرات المحلية والعربية ، ومحاولة نقل القضية وشرحها في المؤتمرات الدولية .

وكانت الجمعيات النسائية أقدر من الهيئات الأخرى على تحدّي بلاغات الحكومات التي ترمي إلى إلغاء الإضرابات والنشاط الوطني ، كما حدث يوم ١٣/١٠/١٩٣٣ عندما قامت الجمعيات النسائية بمظاهرة كبرى تنفيذا للقرار الذي اتخذته الهيئات الوطنية في اجتماع عقد يوم ٨/١٠/١٩٣٣ . وقد اصطدمت المتظاهرات برجال البوليس ، ولكن هذا الردع أدى إلى القيام بمظاهرة كبرى في مدينة يافا يوم ٢٧/١٠/١٩٣٣ دعت إليه جمعية السيدات العربيات ، وشاركت فيه وفود الجمعيات النسائية .

وعندما تصاعد النضال الثوري في فلسطين سنة ١٩٣٦ ساهمت المرأة من خلال الجمعيات في عقد الاجتماعات السياسية ، وكان أكبرها الاجتماع الذي عقد يوم ١١/٥/١٩٣٦ في المدرسة الوطنية الأرثوذكسية بيافا (ر : السيدات العربيات ، اجتماع) .

وعقدت الجمعيات النسائية في ٢٧/٧/١٩٣٦ اجتماعا كبيرا بمناسبة اليوم المئوي للإضراب العام بناء على نداء اللجنة العربية

العليا . وقدّمت النساء الحلي والمجوهرات لتباع وينفق ثمنها على أسر الثوار والمنكوبين .

المراجع :

- إجلال خليفة : الحركة النسائية الحديثة ، القاهرة .
- أسمى طوبي : عبير ومجد ، بيروت ١٩٦٦ .
- إلياس خوري : إحصاءات فلسطينية ، بيروت ١٩٧٤ .
- سهيلة الريماوي : من وحي السد العالي : ثورة أمة وقلب أم ، القاهرة ١٩٦٤ .
- غازي الخليلي : المرأة الفلسطينية والثورة ، بيروت ١٩٧٧
- نزيه قورة : تعليم الفلسطينيين - الواقع والمشكلات ، بيروت ١٩٧٥
- الاتحاد النسائي المصري : المرأة العربية وقضية فلسطين ، القاهرة ١٩٣٨ .
- دليل الجمعيات الخيرية في الضفتين الشرقية والغربية ، عمان ١٩٨٠ .

الحركة الوطنية التقدمية :

ر : الطلبة العرب في الجامعات العبرية (لجان - ١٩٥٨)

الحرم (قرية -) :

قرية عربية على ساحل البحر المتوسط على مسافة نحو ١٨ كم في شمال الشمال الشرقي ليافا* . وتصلها طريق معبدة بإجليل الشمالي والقبلي* ، وهي الطريق التي تتجه قليلاً نحو الشرق لترتبط بطريق يافا - حيفا الرئيسة المعبدة .

نشأت قرية الحرم فوق رقعة منبسطة من الكثبان الرملية الشاطئية ترتفع نحو ٣٣ م فوق سطح البحر . ويجري نهر الفالق* على مسافة ٨ كم إلى الشمال منها حيث يصب في البحر المتوسط ، وتتراكم بعض المستنقعات* حول مجراه الادنى . وتضم قرية الحرم بيوتا بُنيت حول مقام ولي الله المشهور في الديار اليافية بأبي الحسن علي بن عليل من سلالة عمر بن الخطاب (المتوفى عام ٤٧٤ هـ) . ولذا تعرف القرية باسم « سيدنا علي » نسبة إليه . وكان يؤمها في صيف كل سنة كثيرون من مختلف بقاع فلسطين لزيارة قبر هذا الولي ، فيقام موسم يتجمع حوله الزوار لتقديم النذور وقراءة الموالد وشراء الهدايا التذكارية لذويهم .



خلت قرية الحرم من الخدمات والمرافق العامة ، باستثناء مدرستها الابتدائية التي تأسست عام ١٩٢١ . وقد اتخذ مخططها شكلاً مكتظاً ، وكان نموها العمراني بطيئاً ، وبلغت مساحتها ١٨ دونما .

مساحة أراضي الحرم ٨,٠٦٥ دونما ، منها ٢٥٢ دونما للطرق* والأودية و ٤,٧٤٥ دونما تسربت إلى الصهيونيين . وتزرع الحمضيات* والفواكه في أراضيها الرملية . وتتوافر مياه الآبار لري بساتين الحمضيات التي غرست في مساحة ١٣٦ دونما . وإلى جانب حرفة الزراعة* مارس بعض الأهالي حرفة صيد الأسماك* .

كان عدد سكان الحرم ٣٤١ نسمة عام ١٩٠٤ ، وانخفض إلى ١٧٢ نسمة عام ١٩٢٢ . وفي عام ١٩٣١ ارتفع العدد إلى ٣٣٣ نسمة أقاموا في ٨٣ بيتا . وقدر عدد السكان عام ١٩٤٥ بنحو ٥٢٠ نسمة . وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون قرية الحرم ودمروها وطردوا سكانها منها وأقاموا على موقع القرية مستعمرة « رشف » التي تعد حالياً ضاحية لمدينة « هرتسليا » * .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الطيرة

الحرم القدسي الشريف (تهويد -) :

بدأت المؤامرة الإسرائيلية على الحرم القدسي الشريف (المسجد الأقصى* وقبة الصخرة المشرّفة)* منذ الاحتلال الإسرائيلي لمدينة القدس في حرب ١٩٦٧* ، واتخذت هذه المؤامرة مظاهر وأساليب متعددة تهدف كلها إلى تخريب هذا الأثر الإسلامي المقدس وإزالته تمهيداً لإقامة « هيكل سليمان » على أنقاضه

ولعل أبرز المحاولات التي قامت بها سلطات الاحتلال الإسرائيلية لتحقيق هذا الهدف هي :

أ ـ الحفريات حول المسجد الأقصى : كانت الحفريات الإسرائيلية حول المسجد الأقصى وتحته من الناحيتين الغربية والجنوبية أخطر الأساليب التي اتبعت حتى الآن لتخريب المسجد الأقصى وتصديع جدرانه ، وهي تبدو في ظاهرها محاولة للبحث عن بقايا الهيكل المزعوم ، إلا أنها تهدف في حقيقتها إلى :

١) هدم وإزالة جميع المباني الإسلامية من معاهد ومساجد وزوايا وأسواق ومساكن ومقابر قائمة فوق منطقة الحفريات وملاصقة أو مجاورة لحائط البراق (حائط المبكى) على طول امتداد أسوار الحرم القدسي من الناحيتين الغربية والجنوبية

٢) الاستيلاء على الحرم الشريف وتخريبه وإنشاء الهيكل في الموقع الذي يقوم عليه حالياً المسجد الأقصى وقبة الصخرة .

وتحقيقاً لهذين الأمرين بدأت السلطات الإسرائيلية عمليات الحفر في أواخر عام ١٩٦٧ ، أي بعد بضعة أسابيع من احتلالها الجزء المتبقي من مدينة القدس .

وقد ذهب روحي الخطيب أمين القدس إلى أن الحفريات الإسرائيلية في مدينة القدس مرّت حتى أواخر ١٩٨١ بتسع مراحل يمكن إيجازها على النحو التالي :

١) المرحلة الأولى : بُدئ بها في أواخر ١٩٦٧ وتمّت سنة ١٩٦٨ وجرت على امتداد ٧٠ م من أسفل الحائط الجنوبي للحرم القدسي خلف قسم من جنوبي المسجد الأقصى وأبنية جامع النساء والمتحف الإسلامي والمئذنة الفخرية الملاصقة له . ووصل عمق هذه الحفريات إلى ١٤ م . وهي تشكل على مرّ الوقت خطراً يهدد بإحداث تصدعات لهذا الحائط والأبنية الدينية والحضارية والأثرية الملاصقة له .

٢) المرحلة الثانية : تمت سنة ١٩٦٩ وجرت على امتداد ٨٠ م أخرى من سور الحرم القدسيّ من حيث انتهت المرحلة الأولى . وهي تتجه شمالاً حتى تصل إلى أحد أبواب الحرم الشريف المسمى « باب المغاربة » مارة تحت مجموعة من الأبنية الإسلامية الدينية التابعة للزاوية الفخرية (مركز الإمام الشافعي) عددها ١٤ بناء صدّعتها جميعها وتسببت في إزالتها بالجرافات وإجلاء سكانها في ١٩٦٩/٦/١٤ .

٣) المرحلة الثالثة : بُدئ بها منذ عام ١٩٧٠ واستمرت حتى نهاية ١٩٧١ . وهي تمتد من مكان يقع أسفل عمارة المحكمة الشرعية القديمة (أقدم الأبنية التاريخية الإسلامية في القدس) ، مارة بأسفل خمسة أبواب من أبواب الحرم القدسي ، وعلى امتداد ١٨٠م ، وفوق مجموعة من الأبنية الدينية والحضارية والسكنية والتجارية تضم مساجد قايتباي الأربعة الأثرية ، وسوق القطّانين أقدم سوق أثري عربي إسلامي في القدس ، وعدداً من المدارس الأثرية ومساكن يقطن فيها حوالي ٣,٠٠٠ عربي من أهل القدس . وراوحت أعماق هذه الحفريات ما بين ١٠ و ١٤ م ، وتسببت في تصديع عدد من الأبنية منها الجامع العثماني ورباط الكرد والمدرسة الجوهرية ، وكلها عقارات دينية وحضارية لا يزال خطر الحفريات يهددها بالانهيار . كما جرى تحويل الجزء السفلي من المحكمة الشرعية إلى كنيس .

٤) المرحلتان الرابعة والخامسة : بُدئ بهما سنة ١٩٧٣ واستمرتا حتى ١٩٧٤ في موقع خلف الحائط الجنوبي الممتد من أسفل الجانب الجنوبي الشرقي للمسجد الأقصى وسور الحرم القدسي الشريف . ويمتد الحفر على مسافة تقارب الثمانين متراً إلى الشرق . وقد اخترقت هذه الحفريات خلال شهر تموز ١٩٧٤ الحائط الجنوبي للحرم القدسي الشريف ودخلت منه إلى المسجد الأقصى بعمق ٢٠م ، وأسفل جامع عمر (الجناح الجنوبي الشرقي للمسجد الأقصى) ، وتحت الأبواب الثلاثة للأروقة السفلية للمسجد الأقصى والأروقة الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى . وقد وصلت أعماق هذه الحفريات إلى أكثر من ١٣ م ، وأصبحت تعرّض السور والمسجد الأقصى لخطر الانهيار بسبب قدم البناء وتفريغ التراب اللاصق للحائط من الخارج إلى أعماق كبيرة ، بالإضافة إلى العوامل المناخية .

٥) المرحلة السادسة : بُدئ بها في أوائل سنة ١٩٧٥ في منتصف الحائط الشرقي لسور المدينة ولسور الحرم الشريف ما بين باب السيدة مريم والباب الذهبي . وتهدّد أعمال الحفر فيها بإزالة وطمس القبور الإسلامية التي تضمها أقدم مقبرة إسلامية في المدينة ، وفيها رفات الكثير من رجال الدين والعلم والحكم الإسلامي في مقدمتهم الصحابيان عبادة بن الصامت * وشداد بن أوس الأنصاري .

٦) المرحلة السابعة : وهي مشروع تعميق ساحة البراق الشريف التي تسمى المبكى ، وهي الملاصقة للحائط الغربي للمسجد الأقصى المبارك وللحرم القدسي الشريف . ويقضي هذا المشروع بضمّ أقسام أخرى من الأراضي الغربية المجاورة للساحة وهدم ما عليها ، وحفرها بعمق تسعة أمتار . وكانت هذه الساحة حتى ١٩٦٧/٩/٧ تضم حوالي ٢٠٠ عقار عربي إسلامي تشكل القسم الأكبر من الحي الغربي ، تمّ هدمها ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٧ ، وتشريد جميع أهلها وعددهم ٨٠٠ مواطن . ويعرّض المشروع الجديد الأبنية الملاصقة والمجاورة لخطر التصدع والانهيار ثم الهدم . وتضم هذه الأبنية : عمارة المحكمة الشرعية القديمة المعروفة

بالمدرسة التنكزية * ، وعمرة المكتبة الخالدية ، وزاوية ومسجد أبو مدين الغوث وكلاهما من الأوقاف الإسلامية . بالإضافة إلى ٣٥ عقاراً يسكنها ما لا يقل عن ٢٥٠ مواطناً عربياً

٧) المرحلة الثامنة : وتتناول منطقة تقع خلف الجدران الجنوبية للمسجد الأقصى ، وهي تكملة للمرحلتين الرابعة والخامسة ، وتهدف إلى الكشف عمّا يسمى بمدافن « ملوك إسرائيل » . وقد نشب خلاف حولها بين جماعة ناطوري كارتا التي تطالب بوقف الحفر وفريق الحفر التابع لوزارة الأديان .

٨) المرحلة التاسعة : وقد أعلن عنها في آب ١٩٨١ . وهي تخترق الحائط الغربي للحرم القدسي لتصل إلى نفق قديم تم اكتشافه



منذ عام ١٨٨٠ ، وهو يمتد من أسفل الحائط الغربي للحرم القدسي في الموقع المسمّى بالمطهرة ، ما بين باب السلسلة والقطانين باتجاه الشرق مسافة ٢٥ م ، بعمق ستة أمتار حتى يصل إلى سبيل قايتباي المواجه لقبة الصخرة المشرّفة ، وعلى بعد ٣٠ م إلى الجهة الغربية منها

يتبيّن من الضجّة التي أثارتها أجهزة الإعلام الإسرائيلية حول هذا النفق أن هناك محاولة للإيهام بأن اكتشافه ينطوي على بعض الدلالات الأثرية التي تخدم أسطورة البحث عن الهيكل المزعوم .

إلّا أن هذه الادعاءات لا تنطوي في الحقيقة على أية دلالات باعتراف علماء الآثار اليهود أنفسهم . فقد صرح مئير بن دوف أحد علماء الآثار الإسرائيليين بأن العثور على هذا النفق لا يعد اكتشافاً فالنفق كان معروفاً منذ ١١٠ سنوات عندما اكتشفه الكولونيل البريطاني تشارلز وارين وهو جزء من شبكة أقنية مائية أقيمت في عهد الصليبيين ولم تكن هذه الأقنية سرّية .

ويفيد التقرير الذي أصدره مهندس إعمار المسجد الأقصى أن النفق أثر إسلامي خالص . وهو يمتدّ من أسفل الحائط الغربي للحرم القدسي في الموقع المسمّى بالمطهرة ما بين بابي السلسلة والقطانين باتجاه الشرق مسافة ٢٥ م وبعمق ستة أمتار حتى يصل إلى مقابل سبيل قايتباي المواجه لقبة الصخرة المشرّفة ، وعلى بعد ٣٠ م منها إلى الجهة الغربية

وليس الادعاء باكتشاف النفق إلّا محاولة لخلق الذرائع لمواصلة أعمال الحفر تحت المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وهي بحد ذاتها امتداد لأعمال الحفر السابقة التي بدأت منذ عام ١٩٦٧ .

وقد قامت الهيئة الإسلامية بإغلاق فتحتي النفق بالقوة صباح يوم ١٩٨١/٩/٣ أثناء الإضراب العام الذي شمل الضفة الغربية كلها استجابة للنداء الذي وجهته الهيئة الإسلامية احتجاجاً على حفريات النفق .

وقد أدت هذه الحفريات التي نجم عنها تصديع الأروقة الغربية بين بابي السلسلة والقطانين الى انتفاضة واسعة في الضفة كانت نتيجتها اغلاق النفق .

إلّا أن ذلك لا يعني أن الجهات الإسرائيلية قد كفّت عن مواصلة عمليات الحفر التي تهدف أولاً وأخيراً إلى تقويض الحرم القدسي الشريف وإقامة الهيكل على أنقاضه

ب ـ إحراق المسجد الأقصى : وقد ارتكبت جريمته يوم ١٩٦٩/٨/٢١ (ر المسجد الأقصى ، إحراقه والحفريات فيه)

جـ ـ المحاولات المتكررة للصلاة في المسجد الأقصى : بدأت المحاولات الاسرائيلية لاقتحام المسجد الاقصى وساحاته الخارجية بحجة أداء الصلاة في وقت مبكر . فقبل ثلاثة أيام من حريق الأقصى المدبّر قام نفر من الشباب الصهيوني بالتسلل إلى الحرم القدسي ثم الطواف حول قبة الصخرة وهم يرتلون المزامير والأدعية وبعض فقرات من التوراة .

وفي ١٩٧٣/٨/٧ قام عضو الكنيست * بنيامين هاليفي والحاخام لويس رابينوفيتش بالدخول إلى المسجد الأقصى وأداء الصلاة فيه .

وفي مطلع أيار ١٩٧٥ قامت مجموعة من الشبان اليهود بالتسلل إلى المسجد الأقصى وأداء الصلاة فيه . وقد تصدّى لهم المواطنون العرب وبعض أفراد الشرطة .

وقد وصلت هذه القضية إلى المحاكم الإسرائيلية بسبب الشكوى التي تقدم بها هؤلاء الشبان ضد رجال الشرطة ، وأصدرت القاضية الإسرائيلية روت أور قراراً بتبرئة هؤلاء الشبان من جريمة انتهاك حرمة الأقصى ، ووجهت نقداً شديداً لوزارتي الأديان والشرطة الإسرائيليتين لأنهما لم تقوما بإصدار تعليمات تبيح لليهود أداء الصلاة في المسجد الأقصى .

توالت بعد هذا القرار عمليات انتهاك حرمة المسجد الأقصى ومحاولات الصلاة فيه . وفيما يلي أبرز هذه المحاولات التي قامت بها المجموعة الصهيونية المتطرفة التي تطلق على نفسها اسم « أمناء جبل البيت » .

١) اقتحمت هذه المجموعة ساحة الحرم القدسي يوم ١٩٨٠/١/٣ يرافقها الحاخام موشي شيغل وبعض قادة حركة هاتحيا المتطرفة وأدّوا الصلاة وهم يرفعون العلم الإسرائيلي ويحملون كتب التوراة .

٢) كرّرت هذه الجماعة عملية الاقتحام وأداء الصلاة دون أن يتعرّض لها رجال الشرطة يوم ١٩٨٠/٤/٢٣ .

٣) بعث حاخام حائط المبكى ي . م . غاتس مذكرة إلى وزير الأديان الإسرائيلي طالبه فيها بالسماح لليهود بدخول المسجد الأقصى وأداء الصلاة فيه .

ويذكر أن وزارة الأديان الإسرائيلية أصبحت هي المسؤولة عن المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس بموجب القرار الذي أصدرته الحكومة الإسرائيلية بضم القدس في ١٩٦٧/٦/٢٧ .

وقد أصدرت الهيئة الإسلامية في القدس بياناً في ١٩٨١/٧/٧ ندّدت فيه بالمحاولات المتكررة التي قامت بها جماعة أمناء جبل البيت اليهودية المتطرفة لإقامة الصلوات في ساحة المسجد الأقصى ، ونددت بالدعم والتأييد اللذين تلقاهما هذه الجماعة من قبل شخصيات سياسية إسرائيلية مسؤولة . وحذّرت الهيئة الإسلامية من مغبّة تكرار هذه الاعتداءات وما يمكن أن تجرّه من أخطار ومضاعفات .

٤) ومن أواخر هذه المحاولات ما حدث يوم ١٩٨١/٨/٩ الذي يسمّى بذكرى الهيكل ، حين حاولت مجموعات كبيرة من الشبان الصهيونيين أكثر من مرة ، ومن عدة أبواب ، التسلل إلى داخل الحرم القدسي لإقامة الصلاة فيه . فقد كسروا باب المغاربة ، وحطّموا قفل باب الحديد ، وصعدوا إلى بناية التنكزية . ولكن المسلمين تصدّوا لهم وحالوا دون دخولهم . وتأتي هذه المحاولات المتكررة للصلاة في الحرم القدسي ضمن خطة مرسومة لفرض الأمر الواقع اليهودي في الحرم على غرار ما حدث في الحرم الإبراهيمي الشريف في مدينة الخليل . فمن المعروف أن الوجود اليهودي فيه بدأ بزيارات متفرّقة لليهود ، ثم بالصلاة في غير أوقات صلاة المسلمين ، ثم بالصلاة في أوقات محددة ، إلى أن انتهى الأمر بتقسيم الحرم الإبراهيمي وتحويل جزء كبير منه إلى كنيس (ر : الخليل ، تهويد) .

د - محاولات نسف الأقصى وتفجيره : عثرت قوات الأمن الإسرائيلية بمحض الصدفة على مخزن كبير للمتفجرات يوم ١٩٨٠/٥/١١ وضعه يهود من عصبة الدفاع اليهودي * التي يتزعمها الحاخام مئير كاهانا على سطح إحدى المدارس الدينية اليهودية في القدس المحتلة . وقد اعتقل الحاخام وعدد من أتباعه من بينهم جنديان بتهمة سرقة أسلحة من مستودعات الجيش الإسرائيلي والإعداد لنسف أماكن مقدسة إسلامية .

وجاء اكتشاف مخزن المتفجرات قبل أيام معدودة من الموعد الذي حدده كاهانا لتفجير المسجد الأقصى . وقد اعترف كاهانا في محاضرة ألقاها في ١٩٨٠/١٢/٢٤ بأن عدم إزالة الحرم القدسي من قبل الجيش الإسرائيلي بعد احتلاله عام ١٩٦٧ كان خطيئة العمر .

هـ - المزاعم حول تشابه الحجارة : روّج فريق الحفر التابع لوزارة الأديان الإسرائيلية في أواخر آب ١٩٨١ أن حجارة النفق هي من نوع حجارة الهيكل ، وذلك في محاولة للزعم بأن الهيكل كان قائماً في المكان الذي تقوم عليه حالياً قبة الصخرة .

وكانت الجهات الإسرائيلية قد حاولت الترويج لمثل هذه المزاعم في وقت سابق حين نشرت جريدة الجيروسالم بوست على صدر صفحتها الأولى يوم ١٩٨٠/٣/٢١ تحقيقاً زعمت فيه أنه قد عثر على حجارة من العهد الهيرودي في إحدى نياب ساحة الصخرة المشرّفة (قبة الرياح) ، وأن ذلك يدل ، على حدّ زعم الصحيفة ، على أن الهيكل كان قائماً في المكان نفسه .

إن الترويج لمزاعم العثور على حجارة تشابه حجارة الهيكل هو محاولة للتشبث بالأباطيل بعد أن عجزت الحفريات التي استمرت ١٤ عاماً حول المسجد الأقصى وتحته عن الكشف عن أية آثار للهيكل المزعوم .

المراجع :

- روحي الخطيب : الحفريات الإسرائيلية حول المسجد الأقصى المبارك ومسجد الصخرة المشرّفة ، عمّان ١٩٨١ .
- ملفات وزارة شؤون الأرض المحتلة ، عمّان .
- المكتب التنفيذي لشؤون الأرض المحتلة : القدس عربياً وإسلامياً ، عمّان ١٩٨٠ .

الحـــروب الصليبيـــة : ر : الفرنجة

الحريّة (مجلة) :

ثمة ثلاث مجلات يطلق عليها هذا الاسم ، هي .

١) مجلة أسبوعية تبحث في المواضيع الأدبية والقصصية أصدرها توفيق السمهوري في يافا سنة ١٩١٠ واستمرت حتى وقوع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ .

٢) جريدة أسبوعية تعالج المواضيع الأدبية والشؤون الاجتماعية والسياسية أصدرها نجيب إسكندر فرنجية في يافا سنة ١٩٤٦ ، وتوقفت عن الصدور في السنة نفسها .

٣) مجلة لبنانية ظهرت في بيروت ابتاعتها حركة القوميين العرب سنة ١٩٥٩ فكانت لسان حال الحركة ، ثم أصبحت بعد حرب ١٩٦٧ * تنطق باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين * . وقد صارت ، على أثر الانشقاق الذي حدث بين فئات القوميين العرب سنة ١٩٦٩ ، أكثر جنوحا إلى الإيديولوجية الماركسية ، وصارت تنطق في المجال الفلسطيني باسم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين * ، ومنظمة العمل الشيوعي اللبناني في المجالين العربي والدولي . وتميزت من غيرها من الصحف والمجلات بتعريف قرّائها بأوضاع اليسار غير الصهيوني في (إسرائيل) والمتعاطف مع الثورة الفلسطينية ، وأبانت في نشراتها الجدل والحوار اللذين ثارا حول شعار دولة فلسطين الديموقراطية المقبلة . واتخذت الحرية في تعليقاتها موقفا ناقداً عدائيا من أغلبية الأنظمة العربية ، بيد أنها ركزت بالمقابل على حركات التحرر ذات الاتجاه اليساري في الوطن العربي .

الحرية والائتلاف (حزب ــ العثماني) :

رَ : النضال الفلسطيني في العهد العثماني (١٩٠٨ - ١٩١٧)

الحرية ونداء الأرض (صحيفتا ــ) :

الحرية مجلة سياسية أسبوعية صدرت في يافا * سنة ١٩٤٦ . وقد أسسها نجيب فرنجية وزهدي السقا وصدر منها خمسة أعداد ، ثم اشتراها سعود جميل مدير بنك الأمة في يافا وحوّلها إلى جريدة اسمها " نداء الأرض " ، وكان يحررها هاشم السبع . وبقيت الجريدة تصدر أسبوعية حتى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين فانتقل محررها إلى جنين * ، وأصدر جريدة الصريح * .

لعبت نداء الأرض دورا سياسيا وصحفيا ووطنيا هاما في نقد سلطات الانتداب وتميزت بأسلوبها الساخر والتهكمي ونقدها اللاذع وطرافتها ، كما كانت حسنة الانتشار .

المرجع :

- يوسف خوري : الصحافة العربية في فلسطين ١٨٧٦ - ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٦ .

الحزام الأخضر (عملية ــ) :

رَ : جيش التحرير الفلسطيني

حــــزب : رَ : أحدوت هاعافودا

رَ : الأحرار
رَ : الأحرار المستقلين
رَ : الاستقلال
رَ : الإصلاح
رَ : أغودات إسرائيل
رَ : الأهالي
رَ : حيروت
رَ : الدفاع الوطني
رَ : رافي
رَ : راكاح
رَ : الزراع
رَ : العمل الإسرائيلي
رَ : العهد
رَ : الكتلة الوطنية
رَ : اللامركزية الإدارية ، العثماني
رَ : المابام
رَ : الماباي
رَ : المركز الحر
رَ : المزراحي

الحزب التقدمي الصهيوني : رَ : الأحرار (حزب ــ)

الحزب الحر المعتدل : رَ : الحزب الوطني

الحزب الديمقراطي : ر . المؤتمر السوري العام

الحزب الديني القومي :

تأسس الحزب الديني القومي (المفدال) في حزيران ١٩٥٦ على أثر اندماج حزبين صهيونيين طائفيين هما حزب مزراحي * وحزب هابوعيل مزراحي . و " المفدال " حزب يجمع بين الفكرة الصهيونية والديانة اليهودية معتبرا أن الفصل بين الاثنين غير ممكن وغير مقبول . وعلى هذا يدعو إلى بناء مجتمع إسرائيلي يرتكز على المقومات الروحية والاجتماعية للديانة اليهودية . ومن أجل تحقيق هذا الهدف يجب الاسترشاد بتعاليم التوراة * ، وبالتالي يجب أن تكون جميع التشريعات مبنيّة على هذا الأساس . ويدعو الحزب كذلك إلى اعتماد سياسة اقتصادية تراعي احتياجات البلاد والسكان . وتقوم باستيعاب المهاجرين اليهود القادمين من الخارج ، وتطوّر القطاع الخاص ، وتؤمّن للناس الطقوس والتعاليم الدينية عن طريق مؤسسات وهيئات حكومية . ويعتبر الحزب الحاخام الأكبر أعلى سلطة في (إسرائيل) .

وقد ازداد نفوذ الحزب في الأوساط السياسية الإسرائيلية في منتصف الستينات فأصبح يحتل مركز القوة الثالثة بعد أن فاز مرشحوه بـ ١١ مقعدا من مقاعد الكنيست * ، ونال ما مجموعه ١٢٨,٠٠٠ صوت تقريبا من مجموع أصوات الناخبين . وارتفع عدد مقاعده في الكنيست التاسع (١٩٧٧) إلى ١٢ مقعدا ، ولكنه هبط إلى ٦ مقاعد في الكنيست العاشر (١٩٨١) .

وقد تقدم الحزب الديني القومي بفكرة إنشاء حكومة ائتلافية تضمّ الحزب الحاكم والمعارضة قبل أيام من بدء حرب ١٩٦٧ * ، على أثر إغلاق خليج العقبة وسحب قوات الطوارىء الدولية من شرم الشيخ وسيناء . كما أنه دعا بعد انتخابات الكنيست السابع في عام ١٩٦٩ إلى تشكيل حكومة تضم جميع الأطراف . وكان رئيس مجموعة نواب الحزب الديني القومي في الكنيست النائب اسحق روفائيل .

يتبنّى الحزب التشدد المطلق في سياسة (إسرائيل) التوسعية . وقد شارك في جميع الحكومات الائتلافية التي ظهرت في (إسرائيل) منذ تشكله . وكان من أهم الشروط التي فرضها للاشتراك في الحكومة ، وبالتالي منح تأييده لها في الكنيست ، أن يكون له القول الأساسي في كل ما يتعلق بالقوانين الدينية في البلاد . ويعتبر زعماء الحزب من اكثر القادة الإسرائيليين تشدداً إزاء مسألة انسحاب (إسرائيل) من الأراضي المحتلة ، والإقرار بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني . ويصدر الحزب جريدة « هاتسوفيه » .

الحزب الزراعي : ر : الزرّاع (حزب ـ)

الحزب الشيوعي الأردني : ر : التحرر الوطني (عصبة ـ)

الحزب الشيوعي الإسرائيلي :

« ماكي » اختصار للعبارة العبرية « مفلاجا كوميونستيت يسرائيليت » أو الحزب الشيوعي الإسرائيلي . ويُعدّ امتدادا للحزب الشيوعي الفلسطيني الذي تأسس عام ١٩١٩ مع وصول أفواج المهاجرين اليهود الجدد الذين يحملون الأفكار الاشتراكية . وقد قام بنشاط كبير بين عمّال الميناء والسكك الحديدية في حيفا .

بدأ التحوّل في الحزب منذ مؤتمره الخامس عام ١٩٢٣ حين اعتبر القومية العربية إحدى الحركات المناوئة للاستعمار . وبدأت تنقيته من الأوهام الصهيونية ، ثم انضم عام ١٩٢٤ إلى الأممية الشيوعية (الكومنترن) .

امتلأ تاريخ هذا الحزب بالخلافات والانقسامات بين العرب واليهود ، حتى إن الكومنترن اضطر عام ١٩٣٧ إلى قطع علاقاته به .

وفي مطلع عام ١٩٤٣ انشقّ الشيوعيون العرب عن الحزب ، وأسسوا عصبة التحرر الوطني * ، في حين أطلق الحزب على نفسه اسم « الحزب الشيوعي اليهودي » .

بعد إعلان قيام (إسرائيل) اتخذ الحزب قرارا بتغيير اسمه فأصبح « الحزب الشيوعي الإسرائيلي » . وتلا ذلك مباشرة ما يسمى بمؤتمر الوحدة في ٢٢ و٢٣/١٠/١٩٤٨ في مدينة حيفا وأعلن الشيوعيون العرب أعضاء « عصبة التحرر الوطني » في المناطق التي احتلتها (إسرائيل) عام ١٩٤٨ انضمامهم إلى زملائهم اليهود في إطار الحزب الشيوعي الإسرائيلي .

ظل هذا الحزب محافظا على خطّه الذي تبنّاه منذ قيام (إسرائيل) ، وهو محاربة الصهيونية ، والمطالبة بإقامة دولة فلسطينية طبقا لقرار التقسيم * ، حتى كان آب ١٩٦٥ فسيطرت الاتجاهات الصهيونية على بعض قادته ، وحدث الانشقاق في صفوفه ، وتمكّنت الأقلية الصهيونية من الاحتفاظ باسم الحزب (ماكي) بقيادة شموئيل ميكونس وموشي سنيه ، في حين اضطرت الكوادر الشيوعية ذات الأغلبية العربية والخط الأممي إلى اتخاذ اسم راكاح * ، أو « القائمة الشيوعية الجديدة » .

استمر « ماكي » على هذا النحو حتى عام ١٩٧٦ حين أعلن حل نفسه والانضمام إلى « حركة الأزرق والأحمر » الصهيونية

العالمية . وقد تقدم الحزب بطلب دخول المؤتمر اليهودي العالمي * . ولم يتجاوز عدد مقاعد هذا الحزب في الكنيست * ، منذ الانشقاق وحتى الانحلال ، المقعد الواحد ، في حين ظلت مقاعد راكاح تراوح بما بين ٣ و٥ مقاعد .

المراجـع :

ـ سميح سمارة : العمل الشيوعي في فلسطين ، الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية ، بيروت ١٩٧٩

ـ أميل توما : ستون عاما على الحركة القومية العربية الفلسطينية ، دائرة الثقافة والاعلام ، م .ت. ف . ، ١٩٧٨

ـ عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٥ .

الحزب الشيوعي الفلسطيني :

أ ـ خصوصية النشأة والموقف من القضية القومية العربية :

تأسس الحزب الشيوعي الفلسطيني على أيدي مجموعة من العمال الثوريين اليهود في تشرين الأول ١٩١٩ تحت اسم « حزب العمال الاشتراكي في فلسطين » .

وبعد مرحلة استمرت عدّة سنوات من التخبّط الايديولوجي والفكري ، خصوصا بالنسبة إلى الموقف من الصهيونية * ، أعلن الحزب في تموز ١٩٢٣ إدانته للصهيونية ، ورفضه المطلق لمقولة " الصهيونية البروليتارية " ، وأعرب عن استعداده لدعم الحركة القومية العربية في نضالها التحرري .

وقد انضمّ الحزب الشيوعي الفلسطيني رسميا في شباط ١٩٢٤ إلى صفوف الأممية الشيوعية بعد أن وافق على تعريب صفوفه والانخراط بنشاط في النضال الوطني التحرري المعادي للامبريالية والصهيونية . وقد استطاع الحزب بالفعل منذ أواسط عام ١٩٢٤ استقطاب وتنظيم عدد من العمال والمثقفين العرب ، وساهم في عدد من حركات النضال الوطنية التي كانت تخوضها الجماهير العربية ، ودعم تحركات الفلاحين ضد سياسة مصادرة أراضيهم .

وعلى الرغم من ذلك بقيت قيادة الحزب طوال مرحلة العشرينات مركّزة في أيدي اليهود ، وبقي النشاط الشيوعي موجها بشكل رئيس إلى التجمع العمالي اليهودي في فلسطين . ولهذا السبب لم يتمكن الحزب في تلك المرحلة من اتخاذ موقف سليم من القضية الوطنية العربية في فلسطين .

لقد قدّر الحزب الذي كان يشكك آنذاك بإمكانيات نجاح المشروع الصهيوني تقديرا خاطئا جوهر الحركة الصهيونية فاكتفى بالنظر إلى الصهيونية كأداة في يد الامبريالية لقمع العمال اليهود وإلهائهم عن الصراع الطبقي ، ولم ينظر إليها كحركة لها مطامعها ومصالحها الخاصة في فلسطين فعجز بالتالي عن تلمّس خطر المشروع الصهيوني الذي كان يرمي إلى استعمار فلسطين والسيطرة الاقتصادية على البلاد ، وإلى اقتلاع عرب فلسطين من وطنهم . ومن هنا غالى الحزب في إمكانية فصل العمال اليهود عن جسم الحركة الصهيونية ، واعتقد أن تحقيق " التضامن الأخوي " بين العمال اليهود والعرب في معركتهم المشتركة ضد الاستغلال الرأسمالي والاضطهاد الاستعماري ، كفيل وحده بحل معضلات ما أسماه « المسألة القومية الكولونيالية في فلسطين » .

ب ـ الانعطاف في سياسة الحزب تجاه القضية الوطنية :

فاجأت ثورة ١٩٢٩ * الحزب الشيوعي الفلسطيني على حين غرّة فارتبكت قيادته في تقويم مضمونها ، وعجزت عن لعب دور مؤثر في أحداثها . وقد انتقدت الأممية الشيوعية تقاعس الحزب عن لعب دور طليعي في الثورة ، وربطت ذلك بعجز قيادته عن تعريب صفوف الحزب . وقد أكدت الأممية الشيوعية أن تعريب الحزب الشيوعي الفلسطيني لا يعني تغيير قيادته اليهودية واستبدال قيادة عربية بها فحسب ، بل يعني أساسا توجيه نشاط الحزب إلى العمال والفلاحين العرب ، والسعي للعب دور طليعي في النضال الوطني التحرري الذي كانت تخوضه الحركة الوطنية العربية الفلسطينية .

واستنادا إلى توجيهات الأممية الشيوعية انتقدت قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني نقدا ذاتيا موقفها السابق تجاه القضية الوطنية وتجاه مسألة التعريب ، وباشرت في الإعداد لعقد مؤتمر عام للحزب يكرّس سياسة التعريب في المجال العملي .

كان المؤتمر السابع للحزب الذي انعقد في مدينة القدس * في كانون الأول ١٩٣٠ حدثا تاريخيا بارزا في حياة الحزب ومنعطفا في مسيرة الحركة الشيوعية في فلسطين . قد اتخذ المؤتمر خطوات عملية عديدة على طريق التعريب مكّنت الحزب للمرة الأولى في تاريخه من مقاربة القضية الوطنية العربية في فلسطين . فقد انتقد المؤتمر السابع مواقف القيادة القديمة للحزب " التي عجزت عن اتخاذ موقف صائب من المسألة القومية في فلسطين " ، وأكد أن محور هذه المسألة " يرتكز على الموقع الخاص الذي تحتله الأقلية اليهودية في البلاد " . وقد أشار المؤتمر إلى أن الأقلية اليهودية في فلسطين الواقعة تحت التأثير الصهيوني " تلعب دور عميل مباشر للامبريالية الإنكليزية ، تستخدمه في قمع الحركة الوطنية التحررية " ، كما أشار إلى أن الصهيونية " لا تمثل أداة للامبريالية الإنكليزية فحسب بل تمثل أيضا قاعدة امبريالية متقدمة لاضطهاد واستثمار الجماهير العربية " .

وقد سعى الحزب في أعقاب مؤتمره السابع إلى ربط النضال

الوطني التحرري ضد الامبريالية والصهيونية بالنضال الاجتماعي الدائر في الأرياف ، كما سعى إلى ربط النضال الفلسطيني بالنضال العام المعادي للامبريالية في الوطن العربي. ففي الوثيقة التي أصدرها في عام ١٩٣١ الحزب الشيوعي الفلسطيني بالاشتراك مع الحزب الشيوعي السوري تحت عنوان " مهمات الشيوعيين في الحركة القومية العربية " طُرحت قضية الوحدة العربية بشموليتها على أساس وحدة المشرق والمغرب العربيين ، انطلاقا من حقيقة أن الوطن العربي قد قُسّم بصورة مصطنعة إلى دول متعددة ، مما يفرض بالتالي ضرورة النضال في سبيل الوحدة العربية من خلال توحيد النضال المعادي للامبريالية على صعيد الوطن الواحد ككل .

جـ ـ دور الحزب في ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ * وبوادر الانقسام القومي :

استطاع الحزب الشيوعي الفلسطيني بعد نجاحه في تعريب صفوفه أن يلعب دورا بارزا في انتفاضة تشرين الأول ١٩٣٣ ، خصوصا في التظاهرات العمالية التي استمرت ثلاثة أيام متتالية في مدينة يافا * .

وقد اعتبر الحزب أن الثورة التي اندلعت في نيسان ١٩٣٦ (رَ : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) تمثل حلقة رئيسة في سلسلة الانتفاضات العربية ضد الامبريالية والصهيونية . وأشار إلى أن النضال ضد " سياسة الغزو الصهيونية " هو المهمة العاجلة المطروحة أمام الحركة الوطنية العربية في ظروف تلك المرحلة . ففي البيان الذي أصدره في ١٩٣٦/٦/١٠ أشار الحزب إلى " أن الاحتلال البريطاني ـ الصهيوني بات يتطلب مقاومة سريعة وفعّالة ، وإلاّ فإن الشعب العربي ، وفي حال استمرار سياسة النهب الصهيونية ، سيفقد بلاده فلسطين إلى الأبد " .

وقد دعا الحزب منذ الأيام الأولى لاندلاع الثورة جماهير العمال اليهود إلى الالتحاق بنضال الحركة الوطنية العربية التحرري ، وأعرب عن اقتناعه بأن التحاق الجماهير اليهودية بالنضال " ضد الصهيونية وضد الاحتلال البريطاني كفيل وحده بضمان الحقوق الكاملة للأقلية القومية اليهودية في فلسطين بعد تحررها من سيطرة الامبريالية " .

وقد دعا الحزب بعد تصاعد الثورة في جميع أرجاء البلاد إلى " دعم النضال الشجاع لمجموعات الأنصار بكل السبل الممكنة " ، كما دعا أعضاءه إلى المساهمة بنشاط في أعمال هذه المجموعات ، وأكد أن لجوء الحركة الوطنية العربية الفلسطينية إلى هذا الشكل النضالي له ما يبرره في ظروف تلك المرحلة التي واجهت فيها الحركة جيشا مجهزا بأحدث الأسلحة . وهكذا " ستجعل الحركة التحررية العربية الاستمرار في الاستيطان الصهيوني عملية مستحيلة " .

لقد ساعد الموقف الذي اتخذه الحزب الشيوعي ، خلال ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، على دعم الحركة الوطنية العربية ، ولكنه أضعف في الوقت ذاته تأثيره بين صفوف العمال اليهود . وهكذا بدأت تظهر بوادر الانقسام في صفوف الحزب بدءا من عامي ١٩٣٨ و١٩٣٩ حين اتخذت بعض المنظمات الحزبية اليهودية ، ولا سيما في مدينتي القدس وتل ـ أبيب ، مواقف متميزة من مواقف اللجنة المركزية . وقد أدى تطور هذه المواقف إلى حدوث الانقسام داخل الحزب في أيار ١٩٤٣ ، وإلى خروج الشيوعيين العرب من صفوف الحزب الشيوعي الفلسطيني وتشكيلهم فيما بعد عصبة التحرر الوطني * .

المراجـع :

ـ موسى البديري : الحزب الشيوعي الفلسطيني ١٩١٩ ـ ١٩٤٨ ، العرب واليهود في النضال من أجل الأممية ، لندن ١٩٧٩ .
ـ ماهر الشريف : الأممية الشيوعية وفلسطين ١٩١٩ ـ ١٩٢٨ ، بيروت ١٩٨٠ .
ـ سميح سمارة : العمل الشيوعي في فلسطين ، الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية ، بيروت ١٩٧٩ .

الحزب الشيوعي اليهودي (١٩٢١) :

رَ : هيكرافت (لجنة ـ)

الحزب الشيوعي اليهودي (١٩٤٣) :

رَ : الحزب الشيوعي الإسرائيلي

الحـزب العـربي :

احتل الجيش البريطاني مدينة القدس * في ١٩١٧/١٢/٩ . وبعد أيام قليلة دخلها القائد العام للقوات البريطانية الجنرال ادموند اللنبي ، فدعت السلطات المسؤولة مفتي القدس ورئيس بلديتها ورؤساء الكنائس المسيحية وحاخام اليهود وعددا كبيرا من الوجهاء والأعيان في منطقة القدس ، من مسلمين ومسيحيين ويهود ، للاشتراك في حفل رسمي لاستقبال القائد والسلام عليه والاستماع إلى خطاب يلقيه في الساحة الواقعة أمام قلعة القدس .

وفي يوم الاحتفال وقع أول اصطدام سياسي بين العرب والإنكليز في تاريخ الاستعمار البريطاني لفلسطين . فقد أنهى اللنبي خطابه بقولته المشهورة " الآن انتهت الحروب الصليبية " وعندئذ انسحب المفتي ورئيس البلدية ورئيس الكنيسة الأرثوذكسية وعدد غير قليل من المدعوين المسلمين والمسيحيين احتجاجا على هذا الكلام .

أوجس القائد العام والمسؤولون البريطانيون خيفة من أن يكون هذا الحادث انطلاقة لمقاومة سياسية فلسطينية لبريطانيا فانتدبوا الجنرال جبرائيل باشا حداد (وهو لبناني الأصل ، خدم في حكومة السودان وكان مساعدا للجنرال اللنبي) للاجتماع بالمفتي وزعماء المدينة الذين انسحبوا أثناء الاحتفال ، لمعاتبتهم على موقفهم من ناحية ، وإقناعهم بأن من المصلحة أن يتفاهموا ويتعاونوا مع الإنكليز . وفي اجتماع عقد بحضور المذكورين جرى نقاش حاد مع الجنرال جبرائيل حداد ، وأنهى مفتي القدس الاجتماع قائلا لحداد : " روحوا فتشوا عمن يتعاون معكم " .

ولما تبيّن للفلسطينيين غدر بريطانيا بالعرب وخيانتها لهم ، وانكشف النقاب عن سياستها الحقيقية ووعد بلفور * ، انصرفوا يقاومون هذه السياسة بالوسائل التي كانت تتيحها حالة الحرب التي لا تزال قائمة يومئذ . وكان الإنكليز قد عمدوا إلى خطة استقطاب بعض العرب للوقوف إلى جانبهم في الأراضي الفلسطينية التي تم احتلالها عام ١٩١٧ ومطلع عام ١٩١٨ . فلما تمّ للإنكليز احتلال فلسطين بأكملها ، وانتهت الحرب ، جعلوا همهم الأول تكتيل الفلسطينيين الذين أظهروا استعداداً للتعاون معهم ومناهضة من أسموهم "المتطرفين " الذين يقاومون سياسة الاستعمار البريطاني ، وتجميع أشخاص آخرين من سائر أنحاء فلسطين على الغرض نفسه . وتشكلت يومئذ لجنة خاصة سرية للاتصال بالأشخاص " المعتدلين " الذين يعتقد أنهم يحبذون التعاون مع الإنكليز ويقدمون عليه . وتعهد الصهيونيون بمساعدة الإنكليز في هذه المهمة . وعرف من رجال هذه اللجنة الجنرال حداد ، ومطران القدس الانكليكاني ، والمستر رينولدز (مدير مدرسة المطران الانجيلية بالقدس) ، وكلفريسكي (صهيوني من أصل روسي) ، وخانكين (كبير سماسرة الصهيونيين لشراء الأراضي) .

واستطاع الإنكليز استقطاب بعض الأشخاص من العرب ، وخاصة من الفئة المعروفة " بأصحاب المصلحة الحقيقية " التي كان أفرادها يسعون إلى ضمان مصالحهم الخاصة والمحافظة على مكانتهم في البلاد إذا وقع تصادم جدي بين العرب والإنكليز . وبغية الدعاية لهذه الفكرة (فكرة التعاون) وإظهار محاسنها ، استحضر الإنكليز صحفيا لبنانيا معروفاً أصدر صحيفة باسم " لسان العرب *" في القدس ، وجعلها بوقا لهذا التعاون . وقد أطلق عليها الوطنيون اسم " لسان المغرب " .

وفي الوقت ذاته لجأ الإنكليز إلى بعض الأعيان ورجال الدين الإسلامي والمسيحي لحثّ الزعماء والوجهاء على التعاون مع السلطة المنتدبة . ولكن جهود الإنكليز ذهبت سدى في صفوف الوطنيين الذين رفضوا أي شكل من أشكال التعاون بالرغم من تهديدهم بضياع مصالحهم .

وعقدت في عام ١٩١٨ سلسلة من الاجتماعات السرية بين ضعاف النفوس الذين قبلوا بالتعاون ، دون أن يستطيعوا الجهر بنياتهم ، فتلكأوا كثيرا في إنشاء حزب رسمي لهم ، واستعاضوا عن ذلك بإنشاء " المنتدى الأدبي " في القدس برئاسة فخري النشاشيبي لمناوأة النادي العربي * برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني * ، وأصدروا في القدس صحيفة باسم " القدس الشريف " لحسن صدقي الدجاني * وصحيفة " مرآة الشرق " * لبولس شحادة * . وكان جميع هؤلاء متفقين على أنهم "حزب عربي " متعاون مع الإنكليز . وكان الإنكليز والصهيونيون ، فضلا عن العرب ، ينظرون إليهم كحزب موال لبريطانيا .

وفي مطلع ١٩١٩ جرت محاولات جدية لإخراج هذا الحزب إلى حيّز الوجود بشكل عملي ورسمي ، فعقد " المتعاونون " عدة اجتماعات في القدس وعكا * ويافا * وحيفا * وغيرها لهذا الغرض . ولكن الوثبة الوطنية التي ظهرت يومئذ ، وقيام المظاهرات الكبيرة ضد الإنكليز وتصريح بلفور، في مختلف أنحاء فلسطين ، وتشكيل "الجمعيات الإسلامية المسيحية " * ، كل ذلك قضى على جميع هذه المحاولات ، فأخذ بعضهم ينسحبون من هذا التكتل ويحاولون الانضمام إلى القافلة الوطنية .

الحزب العربي الفلسطيني :

درج الفلسطينيون على الاكتفاء بتسميته« الحزب العربي » . وهو أكبر الأحزاب العربية الفلسطينية وأبعدها أثراً في حياة فلسطين السياسية وأوضحها دوراً في الجهاد الفلسطيني أيام الانتداب البريطاني . ويعتبر هذا الحزب من ناحية عملية وتاريخية حلقة في سلسلة ملتحمة الحلقات من تاريخ فلسطين السياسي وأدواره . وللحزب العربي في قيامه وتشكله وأعماله خلفية تربطه بشكل جذري بمسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية منذ العام ١٩١٨ .

عندما بادر الفلسطينيون في أواخر عام ١٩١٨ إلى مناهضة الحكم البريطاني ومقاومة الغزوة الصهيونية لفلسطين لم يكن للشعب الفلسطيني حزب أو مؤسسة سياسية خاصة بفلسطين تتولى قيادة حركة المقاومة . فقد كان أهل فلسطين ، كجزء من أبناء سورية الطبيعية ، مرتبطين بالحركة العربية السورية بوجه عام . وكان بعض أعيانهم ووجهائهم وشبانهم ينتمون إلى مختلف المنظمات والنوادي والأحزاب السورية العربية التي كانت تعمل على تحقيق استقلال سورية الكبرى وفصلها عن الدولة العثمانية . والواقع أن هذه الأحزاب والمنظمات والنوادي السورية هبّت في عامي ١٩١٨ / ١٩١٩

إلى معارضة الحكم البريطاني والحركة الصهيونية العدوانية باسم الشعب السوري كافة . على أن التطورات التي حدثت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، والأوضاع التي طرأت على سورية الكبرى بعد تمزيقها إلى أقاليم سورية ولبنانية وفلسطينية وشرق أردنية ، وجّهت الجهد السوري العام إلى جهود محلية إقليمية . وقد جاء خطر الاستعمار الفرنسي في سورية ولبنان بكره السوريين واللبنانيين على إنشاء أحزاب وقيادات محلية لمقاومة الحكم الفرنسي دون أن يتخلوا عن معارضتهم الأساسية لخطة تهويد فلسطين . كما أدى ظهور الخطر الصهيوني في فلسطين على حقيقته واستفحال شروره إلى ضرورة قيام حركة وطنية فلسطينية تتولى مناهضة الاستعمار البريطاني ومقاومة الخطر الصهيوني

كان في فلسطين آنذاك قيادات وزعامات محلية في المدن والقرى والعشائر أفرزها من الأعيان والوجهاء وشيوخ القبائل . ويعود مركز وقوة هؤلاء الأشخاص (كل في منطقته) إلى ما كان قائماً من نفوذ عائلي وقبلي ، وإلى مناصب رفيعة في البلديات والإدارة شغلوها في عهد الحكم العثماني . ونظراً للظروف السياسية والإدارية التي كانت قائمة فيما يعرف (بفلسطين) قبيل الاحتلال البريطاني لها فإن مدينة القدس * كانت أبرز المدن الفلسطينية ، إذ تركز فيها الكثيرون من هؤلاء الأعيان والوجهاء . وكانت مدينتا نابلس * ويافا * تليان القدس * في هذا المضمار ، ثم تأتي بقية المدن والقرى الفلسطينية . فلما بدأت الحركة الوطنية ، ونشأت عملية المقاومة ، تطلّع الشعب إلى هذه الطبقة من الأعيان والوجهاء لتولّي قيادته وزعامة البلاد .

ومن ناحية أخرى انصرف فريق من الشبان الوطنيين في البلاد ممن كانوا يُعنون جدياً بالحركة العربية العامة ، ويعملون لصالح التحرر العربي ، انصرفوا إلى الاهتمام بالحركة الوطنية الفلسطينية ، وتولوا عمليا توجيه الشعب وتشجيعه على التظاهر واتباع كل طريقة مستطاعة لمقاومة الحكم البريطاني والغزوة الصهيونية . وتركزت جهود هؤلاء الشبان أول الأمر في القدس ولوائها ، فشكلوا في القدس « النادي العربي » * وانتخبوا لرئاسته الحاج محمد أمين الحسيني * (مفتي فلسطين) . وأجرى هؤلاء الشبان اتصالات ومشاورات مع زملاء لهم من الشباب في سائر أنحاء فلسطين فقامت بينهم مودّة وتفاهم واتفاق على العمل الوطني.

على أن كتلة الشبان ، على قوة تنظيمها وسلامة رؤيتها وحماسة أفرادها ، لم تكن تستطيع تولّي قيادة الحركة مباشرة في ذلك العهد ، لاعتبارات كثيرة أهمها وجود طبقة الأعيان والوجهاء المشار اليها آنفا . ولما كان هؤلاء الشبان يتمتعون بصدق الوطنية والإيثار فإنهم اتفقوا فيما بينهم على أن يتولّى « الأعيان والوجهاء » زعامة الحركة وقيادة المقاومة ، وأن يكون الشبان سنداً لها ودرعا . من جهة أخرى يبدو أن الشعب لم يكن مستعداً يومئذ لاتّباع طرق العنف والمجابهة التي كان يؤمن بها هؤلاء الشبان ، كما لم يكن أفراده يعرفون عن هؤلاء الشبان ما كانوا يعرفونه عن الوجهاء والأعيان . وبسبب خلفية هؤلاء الوجهاء والأعيان والظروف المحيطة بهم فإنهم كانوا يؤثرون سبل المسالمة والسعي إلى التفاهم والتفاوض مع الحكم . وهذا كان في الحقيقة الاتجاه العام في البلاد حينئذ .

لم يرق للإنكليز والصهيونيين هذا الاتجاه العربي الفلسطيني فانطلقوا يقاومونه بشتى الطرق ومختلف الوسائل طامعين في أن يبقى الفلسطينيون جماعة سائبة لا انتظام لأمورها . وكان من أبشع ما لجأ اليه الأعداء وأنصارهم من محاولات لتقويض فكرة إيجاد قيادات فلسطينية ما بذلوه من مساع وروّجوه من إشاعات حول وحدة الرأي بين المسلمين والمسيحيين ، فادّعوا أن المسيحيين لا يرون رأي المسلمين بوجوب مقاومة الحكم البريطاني والحركة الصهيونية وأنهم يؤثرون حماية الإنكليز لهم . وراحوا في الوقت نفسه يحرضون المسلمين على النصارى .

وغضب العرب من مسلمين ومسيحيين لمحاولات الإنكليز والصهيونيين ، وقرروا القضاء عليها وإحباط خطة الأعداء لإثارة فتنة طائفية في فلسطين ، فسارع المعنيون بأمر الحركة الوطنية من الأعيان والوجهاء والشبان إلى تأليف قيادات محلية سميت « الجمعيات الإسلامية المسيحية » * إعلانا لوحدة رأي الفلسطينيين ، وإعرابا عن التضامن الوثيق بين المسلمين والمسيحيين .

ولقد اضطلعت هذه الجمعيات بمسؤولية قيادة الحركة الوطنية وقامت بواجباتها على أكمل وجه مستطاع . وكانت الجمعيات الإسلامية المسيحية في القدس ويافا ونابلس أبرز الجمعيات وأنشطها وأكثرها تحرراً وأقواها قيادة

وبعد مرور مدة غير طويلة على تأليف الجمعيات المذكورة ، وقيامها بالواجبات المنوطة بها ، أخذ الشعب ، وقد اشتدت الحركة الوطنية ، يشعر بأنه غدا من الضروري إيجاد قيادة فلسطينية مركزية عامة للبلاد . وقد أعرب الفلسطينيون عن شعورهم هذا بشتى الوسائل والأساليب . ورأت الجمعيات الإسلامية المسيحية وجاهة إنشاء قيادة موحدة ، وجمع ممثلي الشعب في منظمة سياسية واحدة ، فعقدت الجمعيات المذكورة ما عرف « بالمؤتمر العربي الفلسطيني » * فجاء ممثلاً للبلاد بأسرها . وتوحّدت في هذا المؤتمر القيادة العامة للحركة الوطنية ، وبذلك انتهى دور الجمعيات الإسلامية المسيحية .

وعقد الفلسطينيون بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٨ سبعة مؤتمرات عربية فلسطينية تولت قيادة الحركة الوطنية . وتركزت القيادة في « لجنة تنفيذية » كان كل مؤتمر ينتخبها قبيل انفضاضه . ومما هو

جدير بالتسجيل أن المؤتمرات الفلسطينية المذكورة كانت تنتخب موسى كاظم الحسيني * رئيساً لها وللجان التنفيذية . واصبح موسى كاظم الحسيني بهذا زعيم البلاد الأول .

بدأت هذه المؤتمرات ، ثم لجانها التنفيذية ، نشاطها بصورة قوية مقبولة لدى أفراد الشعب ، ولكن هذه اللجان ما لبثت أن اصيبت فيما بعد بالضعف والهزال والتفكك بسبب ما نشب في البلاد من اختلافات حزبية ، وما قام فيها من تباين في الآراء حول الوسائل التي يجب أن تتبع في مقاومة الحكم البريطاني والحركة الصهيونية . ونظراً للظروف السائدة ، ورغبة في الإبقاء على صورة الوحدة الوطنية في البلاد ، وتقديراً لاعتبارات قائمة يومئذ تحول دون الاتفاق على قيادة موحدة ترضى عنها البلاد ، رأى رجال القيادة إبقاء الوضع الراهن مستمراً ، ولم يجابهوا الحقائق ، فجاءت للجان التنفيذية الأخيرة ضعيفة ضمّت في عضويتها بعض المشبوهين في صدق الوطنية


كشافة الحزب العربي الفلسطيني

خلال هذه الأعوام ظهر الحاج محمد أمين الحسيني في مجال العمل السياسي . وجاء انتخابه لمنصب مفتي القدس تحديا للسلطة البريطانية ولعدد من العلماء الذين كانوا يأملون أن يشغل أحدهم منصب مفتي القدس . ونشبت بسبب هذا الانتخاب اختلافات بين الفئات والجماعات كانت النواة الأولى للمشاحنات والخصومات الحزبية في فلسطين . ولما وافقت حكومة الانتداب على إنشاء المجلس الإسلامي الأعلى * لمسلمي فلسطين وأقر ممثلو المسلمين مشروعه أجريت انتخابات عامة لانتخاب المجلس المذكور المؤلف من رئيس وأربعة أعضاء ، وفاز الحاج محمد أمين ومرشحوه فوزاً كبيراً في هذه الانتخابات ، وتولى رئاسة المجلس المذكور ورئاسة العلماء وغدا بذلك يشغل مركز مفتي فلسطين . وهذا ما أغضب الإنكليز والصهيونيين فانطلقوا يقاومون المجلس ورئيسه ، وانضوى أعداد من الوجهاء والأعيان وذوي الأهواء والأغراض تحت لواء مقاومة المجلس ورئيسه فعرفوا « بالمعارضين »، في حين أيّد جمهور الشعب (وفيه أكثرية أبناء الطوائف المسيحية) الحاج محمد أمين والمجلس فعرفوا « بالمجلسيين » .

وأجريت في عام ١٩٢٧ انتخابات للمجالس البلدية في فلسطين وكانت سبباً آخر لاندلاع نيران الاختلافات والمشاحنات بين الفلسطينيين . وعلى الرغم مما كان يتمتع به المفتي من نفوذ وسيطرة على جماهير الشعب فإنه آثر الوقوف خلف القيادة السياسية الشرعية للبلاد (اللجان التنفيذية والمؤتمرات الفلسطينية) وتأييدها .

بلغت الحركة الوطنية الفلسطينية في عامي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ أسوأ وضع عرفته منذ قيامها ، فقد أصاب الشلل اللجنة التنفيذية بسبب نشوب خلافات ومشاحنات حزبية بين أعضائها ، واستشرى خطر استيلاء الصهيونيين على المزيد من الأراضي ، وتفاقمت هجرتهم إلى البلاد (ر : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين) . وأثار هذا الوضع المحزن شعور الشبان الوطنيين ، سواء الأوائل منهم الذين ساهموا في تنمية الحركة الوطنية وتغذيتها والذين انضموا إليهم من أبناء الجيل الصاعد . ونمت في أوساطهم دعوة لتطهير قيادة الحركة الوطنية من الشوائب ، وانتشرت فكرة تنادي بوجوب تكتل أصحاب المبادىء والآراء الواحدة في حزب خاص بهم ، واتصل هؤلاء بالحاج محمد أمين الحسيني ، وصارحوه بآرائهم ، وكاشفوه بشعورهم بضرورة تولّيه هو قيادة الحركة الوطنية مباشرة واتّباع سياسة المجابهة والمواجهة مع الإنكليز . إلاّ أنه نصح بالتريث والانتظار وقبول الوضع السياسي القائم ، ولو على مضض ، حتى يحين الوقت المناسب للعمل الجدي . وأكد الحاج محمد أمين ضرورة الإبقاء على القيادة السياسية (الشرعية) ، أي اللجنة التنفيذية ، خشية انهيارها وعدم استطاعة إنشاء قيادة جديدة تحلّ مكانها .

استمر هذا الوضع قائماً حتى ربيع عام ١٩٢٩ عندما كشف الصهيونيون النقاب عن مطامعهم في الأماكن المقدسة الإسلامية ، وخاصة البراق الشريف . فتصدت اللجنة التنفيذية للمخططات الصهيونية ، ولعب الحاج محمد أمين والمجلس الإسلامي الأعلى دوراً بارزاً في مقاومة هذه المخططات . وفي ١٩٢٩/٨/٢٣ نشبت ثورة فلسطينية عظيمة عرفت بثورة البراق (ر : ثورة ١٩٢٩) فقضى قيامها على الاحترابات والاختلافات العقائدية ، وعادت الوحدة ، ولو في المظهر ، إلى الصف الفلسطيني واللجنة التنفيذية . كما أدّى نشوب الثورة ، وما قام به الحاج محمد أمين من أدوار فعّالة خلالها ، وبعد توقفها ، إلى تعزيز مركزه في البلاد ، والتفاف الشعب حوله ، على أنه ظل على موقفه وخطته يحصل على دعم اللجنة التنفيذية وتقويتها بصفتها القيادة « الشرعية » السياسية .

ولما انتهت الثورة وآثارها وذيولها ، ولم تسفر المباحثات التي

جرت بين الفلسطينيين والحكومة البريطانية عن أية مصلحة للعرب ، عادت الأمور إلى ما كانت عليه قبل الثورة ، فاستفحل الخلاف الحزبي والمحلي ، ومزقت الصف الوطني المشاحنات والخصومات . فعاود الكثيرون من الوطنيين الصادقين مراجعة المفتي لتولي القيادة السياسية مباشرة على أسس معينة وأهداف مرسومة . غير أن المفتي آثر لعدة اسباب الاستمرار في الخطة التي رسمها لنفسه وللحركة ، وحثّ الوطنيين من جديد على التريث والانتظار .

وكان عوني عبد الهادي * ورشيد الحاج إبراهيم * ومعين الماضي * ومحمد عزة دروزة وصبحي الخضراء * وسليم سلامة وفهمي العبوشي وأكرم زعيتر وعجاج نويهض * في طليعة العاملين في الحركة الوطنية . وكان هؤلاء يعتبرون أيضاً من مؤيدي الحاج محمد أمين والمتعاونين معه ، ولكنهم رأوا عام ١٩٣٢ ما طرأ على الحركة الوطنية الاستقلالية في فلسطين من ضعف وفتور ، وما وقعت فيه من اضطراب وانحلال وفوضى ، وما تسلط عليها من أهواء ونزعات زعزعت أساسها وبدّلت أغراضها ومراميها ، فقرروا إنشاء حزب الاستقلال * .

والحقيقة أن إنشاء حزب الاستقلال جاء حدثاً سياسياً بارزا في البلاد ، وأرضى رغائب الكثيرين من الشبان والوطنيين الذين كانوا ينادون بتطهير القيادة السياسية واتّباع وسائل المجابهة والمواجهة مباشرة مع السلطات البريطانية . وفسر بعضهم قيام هذا الحزب بأنه خروج على المفتي ، في حين قال آخرون إنه جاء بناء على رغبته . وقام الحزب بدعاية واسعة النطاق في البلاد ، وعقد الاجتماعات وأقام المهرجانات لحثّ الشعب على الجهاد والكفاح . غير أن الكثيرين انفضّوا من حوله بعد مضي عام على تشكيله .

ولما استشرى خطر الهجرة الصهيونية عام ١٩٣٣ وعمّت المشاحنات الحزبية فلسطين بأسرها عقد فريق من شبان القدس اجتماعاً سرياً قرروا فيه وجوب القيام بمظاهرات شعبية في البلاد ضد الحكومة ، سواء سمحت الحكومة بالمظاهرات أو لم تسمح . ونقل الشبان هذا القرار إلى اللجنة التنفيذية ، وكان أكثرية أعضائها من المجلسيين . فحبّذه وأيده رئيسها موسى كاظم الحسيني ، فاتخذت اللجنة قرارا بالتظاهر دوريا خلال شهر تشرين الأول ١٩٣٣ في مدن فلسطين الواحدة تلو الأخرى .

وهنا برزت زعامة المفتي بشكل ملحوظ ، وطغى كيان المجلسيين السياسي على سائر الفئات والجماعات ، ومنها حزب الاستقلال نفسه ، لا سيما وأن الشعب نسب المظاهرات وتحدي الإنكليز إلى المجلسيين .

كان من المتوقع أن تشتد الحركة الوطنية ويتوحد الصف الوطني الفلسطيني بعد المظاهرات الدامية التي جرت في تشرين الأول ١٩٣٣ وأدت إلى تلاشي الانقسامات والمشاحنات الحزبية شهرين . ولكن الظروف بعثت الانقسامات من جديد بصورة محزنة . فقد اشتد المرض بالشيخ الزعيم موسى كاظم الحسيني في أواخر عام ١٩٣٣ فنشب خلاف داخلي بين القادة والزعماء من رجال اللجنة التنفيذية حول الشخص الذي يجب أن يتولى القيادة في غياب موسى كاظم . وقد بلغ هذا الخلاف حداً لم تستطع معه اللجنة التنفيذية عقد أي اجتماع لها سوى الاجتماع الذي عقدته في أواخر كانون الأول ١٩٣٣ بإدارة جمال الحسيني * (سكرتير اللجنة) وتغيب عنه عدد من أعضاء اللجنة من غير المجلسيين .

وفي ١٩٣٤/٣/٢٣ توفي موسى كاظم الحسيني متأثرا بما أصابه في المظاهرة التي قادها في يافا يوم ١٩٣٣/١٠/٢٧ . وبوفاته شغر منصب الزعامة والقيادة للحركة الوطنية ، وقامت حاجة ماسة لملء الفراغ الذي وقع . وبذل المفتي وعدد من أعضاء اللجنة التنفيذية جهوداً ضخمة لضمان اتفاق أعضاء اللجنة على انتخاب رئيس جديد لها . ولكن هذه الجهود ذهبت هباء ، إذ تفاقمت الاختلافات الحزبية واشتد تباين الرأي حول الرئاسة ووسائل المقاومة التي يجب أن تتبع . وقد أدى هذا كله إلى إصابة الحركة الوطنية وقيادتها السياسية « الشرعية » بالشلل ، وإلى انهيار اللجنة التنفيذية نفسها ، الأمر الذي جعل البلاد بدون زعامة .

حيال هذا الوضع المحزن قام في صفوف المجلسيين اتجاهان ، الأول أن يتسلّم الحاج محمد أمين زعامة البلاد السياسية مباشرة ويتولى قيادة الحركة الوطنية والمقاومة . والثاني (وكان معظم أصحابه من الشبان) أن يشكل الوطنيون حزباً سياسياً يتولى العمل الوطني ، ويضم أصحاب المبادىء والأهداف الواحدة ، وتكون قيادته الحقيقية للمفتي .

وفي حين كان المجلسيون يقومون بالدراسة والإعداد لتنظيم الجبهة الوطنية بواسطة لجنة شكلوها لهذا الغرض سارع المعارضون إلى تشكيل حزب سياسي باسم حزب الدفاع الوطني * ، ثم تمّ تأليف حزب الإصلاح * ، فحزب الكتلة الوطنية * ، بينما كان حزب الاستقلال قائماً منذ ١٩٣٢ ومؤتمر الشباب العربي الفلسطيني * ، فصار في البلاد خمسة أحزاب .

وبعد دراسة دقيقة استمرت مدة غير قصيرة أصدرت اللجنة التي عيّنها المجلسيون تقريرها وفيه توصياتها ، وعرضته في ١٩٣٤/٤/٢٥ على اجتماع ضم ٧٥ شخصاً من العاملين في الحقل الوطني . وبعد أن تباحث المجتمعون في التقرير والتوصيات قرروا بالإجماع تشكيل حزب سياسي يبني دستوره على أساس الميثاق الوطني الفلسطيني ومطالب البلاد المعروفة . (رَ : المؤتمر العربي الفلسطيني) . واختار المجتمعون لجنة تحضيرية جعلوا من

اختصاصاتها الإعداد لتشكيل الحزب ، ووضع دستوره وأنظمته الداخلية ، وقبول طلبات الانتساب إليه ، والتدقيق فيها ، ثم الموافقة على الأشخاص الذين تعتقد اللجنة أنهم جديرون بالانضمام إلى الحزب . وقامت هذه اللجنة التحضيرية بمهمتها فاستغرق عملها نحو سبعة أشهر . ودعت اللجنة إلى عقد مؤتمر عام في القدس يحضره الأشخاص الذين وافقت اللجنة على انضمامهم إلى الحزب .

عقد هذا المؤتمر في ١٩٣٥/٣/٢٥ في القدس وبلغ عدد الذين اشتركوا فيه ١,٥٧١ شخصا من العلماء والقضاة ورجال الدين والأطباء والمحامين والصيادلة والمهندسين والتجار والعمال وزعماء القرى وشيوخ القبائل والعشائر ، وبرز بين المجتمعين عنصر الشبان بكثرة ملحوظة ، وافتتح المؤتمر قاسم النمر (نابلس) بخطاب أعلن في ختامه تشكيل الحزب رسمياً باسم « الحزب العربي الفلسطيني » ، ودعا إلى انتخاب رئيس له فانتخب المؤتمر بالإجماع جمال الحسيني لرئاسة الحزب . وقد عرض الرئيس المنتخب على المؤتمر دستور الحزب وأنظمته الداخلية فأقرها المؤتمر بالإجماع ، ثم طلب من المؤتمر انتخاب هيئة مكتب الحزب فاختار المؤتمر بالإجماع ألفريد روك * (يافا) نائبا للرئيس وأميل الغوري (القدس) أمينا عاما ، وخالد الفرخ وكامل الدجاني (يافا) ووجيه البشتاوي (نابلس) أعضاء في مكتب الحزب . وقبيل انفضاض المؤتمر تم انتخاب لجنة تنفيذية للحزب مؤلفة من أشخاص يمثلون جميع أقضية فلسطين وعشائرها .

وقام الحزب فور تشكيله بنشاط سياسي واسع النطاق ، فقام رئيسه وأعضاء مكتبه بجولات عديدة زاروا خلالها المدن والقرى في مختلف أنحاء فلسطين . وشكّل ١٧ فرعا له في سائر أنحاء البلاد مرتبطة بمركز الحزب الرئيس في القدس الذي انقطع متفرغاً للعمل فيه رئيس الحزب جمال الحسيني وأمينه العام أميل الغوري . ونظرا لاتساع أجهزة العمل وتضاعف المسؤوليات والواجبات قررت اللجنة التنفيذية للحزب توسيع مكتبه .

وبذل الحزب جهوداً كبيرة في سبيل تنظيم الصف الوطني ، ووضع مخططات عملية لمقاومة بيع الأراضي والسمسرة عليها ، ومقاطعة اليهود (والإنكليز) اقتصادياً وتجارياً واجتماعياً . ونفّذ الحزب هذه المخططات على أحسن وجه مستطاع ، وانصرف بصورة خاصة إلى مهمة تعبئة طاقات الشعب وحشد إمكاناته للوقوف في وجه الحكم البريطاني ، وتولى دعوة الفلسطينيين إلى مقاومة الحكومة وسياستها ومناهضة تدابيرها وإجراءاتها وأنظمتها وقوانينها الرامية إلى تهويد فلسطين . وشكل في مركزه الرئيس بالقدس دوائر ولجانا خاصة لشؤون السياسة والدعاية والإعلام والأراضي والمقاطعة والأبحاث والدراسات والرياضة والتجارة والاقتصاد والتوعية ، كما شكل لجاناً خاصة لإصلاح ذات البين بين أبناء الشعب وإزالة الاختلافات والمنازعات المحلية في المدن والقرى والعشائر . وكان من أبرز ما قام به الحزب تشكيل دائرة خاصة لتنظيم الشباب ، وإنشاء « منظمة الفتوة » التي كانت النواة الأولى لجيش الجهاد المقدس * وساهمت بدور فعال في ثورة ١٩٣٦ * .

وبعد أن اطمأن الحزب إلى نتائج أعماله وجهوده وتنظيماته انطلق يدعو الشعب إلى التمرّد على الحكم البريطاني ومقاومته مباشرة . فوجّه في ١٩٣٥/٥/٣١ نداء إلى الفلسطينيين دعاهم فيه إلى إعلان الإضراب العام ، والقيام بمظاهرات في ١٩٣٥/٦/٤ احتجاجاً على سياسة الحكومة وإعراباً عن تصميمهم على صيانة عروبة وطنهم . ولبّت البلاد نداء الحزب فأضربت في اليوم المحدد من أقصاها إلى أقصاها ، وقامت مظاهرات صاخبة عنيفة في القدس ونابلس ويافا وعكا * وصفد * وحيفا * وبيسان * والناصرة * واللد * وغزة * والخليل * وقعت خلالها اصطدامات دامية بين المتظاهرين والقوات البريطانية ورجال الشرطة سقط فيها عدد من الشهداء ومئات من الجرحى . وتجددت المظاهرات والاصطدامات في البلاد في ٦/٩/ و ١٩٣٥/٦/٢١ . كذلك دعا الحزب في ١٩٣٦/٤/١٩ إلى الإضراب العام التاريخي الذي استمر ستة أشهر ، وساهم مساهمة فعالة في إنشاء اللجان القومية * في فلسطين عام ١٩٣٦ .

واصل الحزب العربي الفلسطيني جهوده ونشاطه حتى ١٩٣٦/٤/٢٥ عندما تشكلت اللجنة العربية العليا لفلسطين * برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني ، وتقرر وقف كل عمل أو نشاط حزبي في البلاد والالتفاف حول اللجنة الجديدة ورئيسها . ووضع الحزب سائر تنظيماته ولجانه وجميع قادته وشبانه تحت تصرف اللجنة العربية العليا التي ضمّت رئيس الحزب جمال الحسيني ونائبه ألفريد روك عن جميع الأحزاب الفلسطينية .

أعلنت الحكومة البريطانية في مطلع تشرين الأول ١٩٣٧ حلّ المجلس الإسلامي الأعلى ، وإقالة المفتي من رئاسته ، وحل اللجنة العربية العليا لفلسطين واللجان القومية ، وحاولت إلقاء القبض على الزعماء الوطنيين ، وعمدت إلى إبعادهم إلى الخارج وفيهم المفتي وجمال الحسيني . وواصلت اللجنة العربية العليا زعامة الحركة الوطنية من بيروت ، ثم من بغداد ، ثم من أوروبا التي تمكن المفتي وبعض زملائه من الفرار إليها

أما في فلسطين نفسها فقد ساد الفتور ، بل الجمود ، الجبهة الفلسطينية الوطنية في عامي ١٩٤٠ و ١٩٤١ لأسباب كثيرة منها إجراءات الإنكليز التعسفية وبطشهم وإرهابهم للفلسطينيين على أثر نشوب الحرب العالمية الثانية ، وغياب الزعماء والقادة والمجاهدين

الموثوق بهم ، وامتلاء السجون والمعتقلات بالوطنيين . وكان معظمهم من المنتمين إلى الحزب العربي .

واشتد الإرهاب الصهيوني * واتّسع بعد عام ١٩٤٢ وتضافر الإنكليز والاميركيون للإسراع في تنفيذ السياسة الاستعمارية الصهيونية المرسومة ، فقلقت خواطر العرب قلقاً عظيماً ، وشعر الكثيرون منهم بوجوب إحياء العمل الوطني ، وافتقدوا الزعماء والقادة المبعدين والموجودين خارج فلسطين . واجتاحت فلسطين موجة جامحة من المطالبة بإطلاق حرية العمل للعناصر الوطنية في فلسطين التي كانت السلطة لا تزال تضطهدها ، والسماح بعودة الزعماء المبعدين والمشرّدين . ورفع الفلسطينيون العرائض والرسائل إلى المندوب السامي ، وطيّروا البرقيات إلى الحكومة البريطانية والدول العربية وزعماء العالمين الشرقي والغربي ، وعقدوا اجتماعات شعبية كثيرة ، وتظاهروا في عدة مناسبات تأييداً لمطالبهم وإعراباً عن تمسكهم بقادتهم وزعمائهم . واتسعت هذه الحركة واتخذت شكلاً جدياً ومظهراً حماسياً ، فلم تجد الحكومة مندوحة من تلبية بعض مطالب الشعب تجنبا لانفجاره ، فخففت قيودها الصارمة المفروضة على الوطنيين ورجال الحزب العربي الموجودين في فلسطين ، وسمحت لمن كان منهم في الأقطار العربية بالعودة إلى فلسطين ، كما أفرجت عن الكثيرين ممن كانوا لا يزالون مسجونين أو منفيين ، وعدلت أنظمة الطوارىء والقوانين الاستثنائية بشكل يسمح بعض الشيء بتحرك الشعب سياسياً ووطنياً .

ولم تنقض بضعة أيام على عودة من عاد إلى فلسطين من المبعدين والمشردين من رجال الحزب العربي حتى اتصلوا باخوانهم الذين كانوا في داخل البلاد وعقدوا سلسلة من الاجتماعات الخاصة للمشاورة والبحث لاستئناف الحركة الوطنية . وقرروا الاتصال بزعماء الأحزاب والهيئات السياسية المختلفة لتأليف جبهة متحدة يقف وراءها أهل فلسطين صفا واحداً مرصوصاً كما كان الحال عام ١٩٣٦ .

ولكن الجهود لم تسفر عن نتيجة . وعاود رجال الحزب في شباط ١٩٤٤ اتصالاتهم مع جميع الفرقاء الآخرين لإحياء الحركة الوطنية ، ولكن دون جدوى . حيال هذا كله ، وشعوراً بوجوب مباشرة العمل السياسي لمقاومة الخطر الاستعماري الصهيوني ثم اعتمادا على ما لمسه رجال الحزب من إقبال أكثرية الشعب على تأييدهم ودعم جهودهم ، قرروا استئناف النشاط السياسي باسم الحزب تاركين الباب مفتوحاً أمام سائر الفئات والجماعات للتعاون والإسهام في عمل وطني مشترك .

اجتمع زعماء الحزب العربي الفلسطيني في ١٩٤٤/٤/٨ وقرروا إعادة تشكيل لجان الحزب ودوائره وفروعه ، ومباشرة العمل الوطني على أساس الميثاق الوطني مؤكدين تأييدهم المطلق للمفتي وإخوانه في أوربا ولجمال الحسيني وزملائه المعتقلين في روديسيا .

وانتخب المجتمعون توفيق صالح الحسيني وكيلا للحزب وأميل الغوري أميناً عاماً ، كما انتخبوا مكتباً مركزياً للحزب ومجلس إدارة . وباشر الحزب أعماله بقوة ونشاط فأخذ في تنظيم الشباب ، وأعاد إنشاء فرق الفتوة التي حلتها الحكومة عام ١٩٣٧ ، وألّف فرقا كشفية ورياضية ، وشكل لجاناً لمقاومة بيع الأراضي ومقاطعة الأعداء اقتصادياً وتجارياً واجتماعياً ، وأرسل الوفود إلى الأقطار الشرقية والغربية للدعاية لقضية فلسطين ، وعقد سلسلة اجتماعات ومهرجانات شعبية دورية في فلسطين لبعث روح المقاومة والجهاد وتجولت وفود من الحزب في المدن والقرى والعشائر تدعو الناس إلى توحيد الجهود وجمع الكلمة . وشكل الحزب لجنة خاصة للعناية بالمسجونين والمعتقلين من المجاهدين ومساعدة عائلاتهم ورفع القضايا أمام المحاكم المختصة للإفراج عنهم . ونجح الحزب في أعماله وجهوده نجاحاً ملموساً .وعندئذ عاودت الحكومة تنفيذ خطتها المعروفة لمقاومة الحركة الوطنية وعرقلة جهود الحزب ، فأخذت تضطهد الوطنيين ، وزجّت بعدد من زعماء الحزب في المدن والقرى في غياهب السجون ، واعتقلت آخرين منهم ، وفرضت على غيرهم الإقامة الجبرية في القرى النائية . ورفضت أن ترخّص للحزب بإصدار صحيفة أو مجلة تنطق بلسان الحركة الوطنية . ولكن الحزب استمر في عمله رغم تلك المقاومة . غير أنه لم ينجح في جهوده الرامية إلى تشكيل جبهة وطنية موحدة تضم الأحزاب الأخرى .

وفي خريف ١٩٤٥ تدخل مجلس جامعة الدول العربية لجمع صفوف الفلسطينيين ، ووفّق وفد عنه زار القدس إلى تشكيل اللجنة العربية العليا مؤلفة من خمسة أعضاء من الحزب العربي ومن رؤساء الأحزاب الخمسة الآخرين ومن أحمد حلمي عبد الباقي * وموسى العلمي . ولكن هذه اللجنة لم تستمر طويلا إذ نشب خلاف حزبي جديد في البلاد . وعندما أعلنت الحكومة عن عزمها على إيفاد لجنة انكليزية - أمريكية مشتركة للتحقيق في قضية فلسطين (ر : الانكلو - أمريكية ، لجنة التحقيق) استفحل الاختلاف الحزبي بسبب تباين الآراء حول جدْوى التعاون مع اللجنة المذكورة أو عدم التعاون معها . وقد انقسم الحزب العربي نفسه حول هذا الموضوع ، ففريق نادى بالتعاون وفريق بالمقاطعة .

وأفرجت الحكومة البريطانية عن جمال الحسيني فعاد إلى القدس وتولى رئاسة الحزب العربي . ولكن البلاد شهدت يومئذ اختلافاً حاداً جديداً بشأن مشروع « المكاتب العربية » * فقد وقفت الأحزاب ضد هذا المشروع في حين أيده جمال الحسيني وعدد من أعضاء الحزب والشبان الذين تعاونوا مع العلمي . وأما شيوخ

الحزب وزعماؤه القدامى فكانوا من المعارضين للمشروع . وقد أدّى هذا الاختلاف الداخلي في الحزب إلى تمزيقه مدة من الزمن حتى تم تشكيل « الهيئة العربية العليا لفلسطين »* في حزيران ١٩٤٦ برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني ، فتوقف كل نشاط حزبي في فلسطين .

كان الحزب العربي أكبر الأحزاب في فلسطين وأقواها نفوذاً وأثراً . وفي عام ١٩٤٧ قدمت حكومة الانتداب تقريراً مفصلاً عن فلسطين وأوضاعها إلى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين* ذكرت فيه أن الحزب العربي الفلسطيني كان أقوى الأحزاب الفلسطينية وأكثرها تمثيلاً للشعب ، وأن أكثريته كانت تلتف حول هذا الحزب وتؤيده لأنه كان حزب المفتي . وذكرت الحكومة في تقريرها أيضاً أن حزب الدفاع الوطني (المعارضون) كان الحزب الثاني في البلاد .

المراجـع :

- عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٣ .
- ناجي علوش : الحركة الوطنية الفلسطينية أمام اليهود والصهيونية ١٨٨٢ - ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٤ .
- صالح مسعود بويصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، بيروت ١٩٦٨ .

الحـزب القروي : ر : الزرّاع (حزب -)

الحـزب القومـي الديني : ر : المزراحي (حزب -)

الحـزب الليبرالي : ر : الأحرار (حزب -)

الحـزب الوطنـي :

بعد أن أصدرت الحكومة البريطانية وعد بلفور* ، وبعد أن أتمّ الإنكليز احتلالهم فلسطين ، برزت الحركة الوطنية الفلسطينية إلى الوجود لمقاومة الاحتلال وإحباط المشروع الصهيوني في استعمار فلسطين . وكان من الطبيعي أن يسعى الإنكليز والزعماء الصهيونيون إلى البحث عن أنصار لسياستهم واستمالتهم وتكتيلهم في حزب أو جمعية أو منظمة سياسية .

وقد ساعدت عدة عوامل وظروف منها وجود عصبيات عائلية وعقلية قبلية سلطة الانتداب على السير في هذا الطريق . وقد تجمعت الظروف والعوامل لتفرز جماعة من المتعاونين مع الإنكليز يسعون إلى معارضة الحركة الوطنية أو إلى عرقلة مسيرتها والحدّ من انتشارها على الأقل .

وقد بذل الإنكليز أقصى الجهود من أجل تكتيل هؤلاء المتعاونين في أحزاب سياسية معارضة للمجلس الإسلامي الأعلى* ومناهضة للحركة الوطنية ، كما كان الأمر في الحزب العربي* ، وذلك من قبيل تطبيق سياسة " فرِّقْ تسدْ " الاستعمارية ، وانشغال العرب بأنفسهم .

لعب الصهيونيون دورا فعّالا وخطيرا في هذا المضمار بالتعاون مع الإنكليز . فقبل اندلاع نيران الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) كان عدد من زعماء الصهيونيين ووجهائهم في فلسطين قد أنشأوا صلات حسنة وعلاقات ودية مع فريق معين من العلماء والوجهاء والأعيان العرب . فلما تقرر تمزيق شمل العرب وتصديع وحدة الصف الوطني ، وفشل الاستعمار في بلوغ جميع أهدافه ، اندفع الصهيونيون لمعاونة الإنكليز في هذه المهمة ، وأوكلوا إلى بعض الزعماء الصهيونيين أمر العمل في هذا السبيل . وكان السمسار الصهيوني الكبير خانكين والوجيه الصهيوني الروسي الأصل كلفريسكي على رأس هؤلاء الزعماء الصهيونيين فراحا يلعبان أخطر الأدوار للوصول إلى الغرض المنشود . واستعان كلفريسكي بأموال طائلة وضعت تحت تصرفه ، وبوسائل لا أخلاقية أخرى ، لبلوغ الهدف المنشود . وتمكن بهذه الوسائل من اقتناص بعض ضعاف النفوس من الوجهاء والعلماء وأبناء الأعيان فشكلوا ما أسموه " الجمعيات الإسلامية الوطنية " . ولكن المسلمين أعرضوا عن هذه الجمعيات (الكلفريسكية) فانتهى أمرها . ثم شكل الإنكليز والصهيونيون حزب الزرّاع* فابتعد عنه العرب وقاطعوه ، وقُتل رئيسه فارس المسعود . وبعد ذلك ألّفوا " جمعيات السلام العربية - اليهودية " فاعتبر العرب كل من يشترك فيها خارجا على الأمة ، وقضت نحبها .

بعد الفشل الذي صادفه الإنكليز والصهيونيون في إنشاء التشكيلات والأحزاب الآنف ذكرها ، وازدياد الحركة الوطنية الفلسطينية قوة وصلابة ، تم الاتفاق على إنشاء الحزب الحر المعتدل الذي سمي فيما بعد الحزب الوطني ، وعقد مؤتمرا له في القدس* في ٩ و١٠/١١/١٩٢٣ ، وانتخب لرئاسته الشيخ سليمان التاجي الفاروقي* ، وهو عالم ضليع وعام قدير . ولكن لم تكد مدة قصيرة تنقضي على تشكيل هذا الحزب ، وعلى انعقاد مؤتمره ، حتى جرفته الحركة الوطنية الفلسطينية وانتهى أمره .

حسـن بـك (مسجـد ـ) :

يقع هذا المسجد في حيّ المنشية ، شمال مدينة يافا * ، في المنطقة المحاذية لتل أبيب * . وقد بناه سنة ١٩١٤ قائد موقع يافا العثماني حسن بك الجابي الدمشقي الذي قام بأعمال عمرانية جليلة لا تزال ماثلة إلى اليوم . وخلال حرب ١٩٤٨ * أصيب المسجد ، ولا سيما سقفه ، بأضرار لم يجر إصلاحها ، وظل مهجورا حتى أثيرت قضيته في الأيام الأخيرة .

بعد قيام (إسرائيل) وضعت دائرة أموال الغائبين يدها على المسجد والأراضي المجاورة له ، ثم أسندت إدارته إلى لجنة أمناء الوقف الإسلامي في يافا التي يشرف على تعيين أعضائها مستشار رئيس الوزراء الإسرائيلي للشؤون العربية .



خلال عام ١٩٧١ تمكّن مستشار رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك بالتواطؤ مع اثنين من لجنة الأمناء من تزوير اتفاقية تأجير أرض تابعة للأوقاف مساحتها ستة دونمات تضم المسجد والأرض التابعة له ، ومساحتها ٢،٣٤٦ م٢ ، إلى شركة إدجار الإسرائيلية للمقاولات لمدة ٤٩ عاما ، بأجرة شهرية مقدارها ألفا ليرة إسرائيلية

أعدّت الشركة مشروعا يقضي بهدم القسم الأكبر من المسجد ، ما عدا المئذنة ، لإقامة ٢٤ حانوتا ، تضم مصرفا ومقهى ومكتبة ومتحفا وغرفة تصوير ، بالإضافة إلى قاعة مساحتها ٣٠٠ م٢ لاستعمال بلدية تل أبيب .

أقرّت لجنة التنظيم في بلدية تل أبيب هذا المشروع في ٢١/١٠/١٩٨١ فأثار القرارُ المسلمين في يافا وكل أرجاء فلسطين المحتلة فنظموا للاحتجاج على هذا الإجراء صلاة واسعة في المسجد المذكور ضمّت أكثر من ألفي شخص ، وصحبتها حملة لجمع التبرعات ، وبوشر فعلا بإصلاح المسجد .

اضطر رئيس بلدية تل أبيب إلى إصدار أمر بوقف تنفيذ المشروع موقتا .

المراجـع :

ـ ملفات وزارة شؤون الأرض المحتلة ، عمّان .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٢ .

الحسـن بن جعفر الموسوي (ـ ٤٣٠ هـ)
(ـ ١٠٣٩ م) :

الشريف أبو الفتوح الموسوي (نسبة إلى موسى الكاظم) العلوي الحسني الطالبي القرشي . ولي مكة عام ٣٨٤ هـ للفاطميين في مصر .

ادّعى الخلافة بين عامي ٤٠١ و٤٠٣ هـ/ ١٠١١ ـ ١٠١٣ م ، ودعي له على منابر الرملة * عاصمة فلسطين إذ ذاك وعلى منابر مكة . كما ضربت له نقود في فلسطين

وكان أمراء آل الجرّاح حكاما للرملة في أواخر القرن الرابع الهجري والثلث الأول من القرن الخامس

وبنو الجراح بطن من بطون طيّء * من كهلان القحطانية . وقد ناصرت قبيلة طيّء الإمام علي بن أبي طالب في حوادث سنة ٣٦ هـ/ ٦٥٦ م وحاربت إلى جانبه في موقعة صفين . ومنذ أيام الدولة الطولونية كان الطائيون يفرضون ضرائب على الحجاج المصريين والشاميين الذين كان لا بد أن يمروا بأراضيهم . وفي القرنين الرابع والخامس صارت رئاسة طيّء لبني الجرّاح . وكان موطنهم فلسطين مما يلي الرملة عاصمتها . واشتهر من زعمائهم حسّان بن الجرّاح الذي حالف الحسن الأعصم القرمطي في هجومه على مصر عام ٣٦٠ هـ/ ٩٧٠ م وكذلك عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م في زمن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله . وكان منهم مفرّج بن دغفل الجرّاح ، وكانت الرملة إقطاعا له .

وفي سنة ٤٠٠ هـ/ ١٠٠٩ م ترأس القبيلة ابنه حسان وبسط نفوذها على جنوب فلسطين ، وعلى طبرية * في الشمال ، واستولى عام ٤١٤ هـ/ ١٠٢٣ م على عسقلان .

استغلّ أمراء آل الجرّاح التنافس بين العباسيين والفاطميين للسيطرة على بلاد الشام ، وفيها فلسطين ، فقويت شوكتهم فيها ، ووطدوا حكمهم ، وهددوا الخلافة الفاطمية . وكان ذلك في فترة

ضعف الخلفاء العباسيين وعدم استقرار الحكم الفاطمي في بلاد الشام ، وخاصة في زمن الخليفة الحاكم بأمر الله . فهاجم آل الجرّاح الدولة الفاطمية سنة ٤١١هـ/١٠٢٠ م ، ووصلت عساكر حسّان ابن الجرّاح إلى الفرمى ، ففرّ أهلها إلى القاهرة ، وعاود الكرّة في سنة ٤١٥ هـ/ ١٠٢٤ م عندما عيّن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله أنوشتكين والياً على فلسطين ، فبعث حسان سراياه التي وصلت الى العريش وأحرقتها ، حتى خشي أهل بلبيس والقرافة على أنفسهم فانتقلوا إلى مصر (ر : الفاطميون) . وسيطر آل الجرّاح على معظم فلسطين ، ولكنهم لم يستطيعوا السيطرة على معظم المنطقة الساحلية منها . واستمر ذلك حتى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادى عندما اضطروا إلى الجلاء عن جنوبي فلسطين والنزوح إلى مديرية الجيزة حيث نزلوا على بني قرة الجذاميين فيها .

وكان من جملة أسباب خروج أبي الفتوح الموسوي على الفاطميين تحريض الوزير المغربي آل الجرّاح على الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله . فقد غدر الحاكم بأمر الله بوالد الوزير المذكور وبعمّه ، فخاف المغربي من شدة الحاكم والتجأ إلى آل الجرّاح عام ٤٠٠ هـ/١٠٠٩ م وعمل مستشارا لهم . وحرّضهم على عدم الخضوع لطاعة الحاكم بأمر الله ، وحثّهم على مبايعة أمير مكة الشريف أبي الفتوح بالخلافة .

وقد استفحل نفوذ آل الجرّاح في فلسطين زمن زعيمهم مفرّج ابن دغفل المذكور الذي كان يظهر طاعة الخليفة الفاطمي العزيز بالله . وكان العزيز أرسل إليه سجلا بولايته على الرملة . ولكن العزيز لم يكن جاداً بذلك ، إذ كان هدفه الرئيس كما كان هدف ولده الحاكم بأمر الله القضاء على آل الجرّاح . ومن جهة أخرى كان همّ المفرج تكوين دولة والاستقلال عن الخلافة الفاطمية . ولكي يسبل بنو الجراح الشرعية على حكمهم الرملة وما وضعوا أيديهم عليه من فلسطين راسلوا أبا الفتوح صاحب مكة على أن يقدم إلى الرملة ليبايعوه بالخلافة عندهم . وقد أمر حسّان بن الجرّاح الوزير المغربي بالتوجه إلى أبي الفتوح بمكة وتحريضه على إعلان نفسه إماما وخليفة . فجمع أبو الفتوح أقرباءه من بني حسن وشاورهم في الأمر فوافقوه على الفكرة ، وبايعوه بالخلافة ، وسمي أمير المؤمنين ، وتلقب بالراشد بالله . وصعد أبو الفتوح المنبر وخطب معلنا خلافته . ولّما لم يكن لدى أبي الفتوح مال كاف فقد عمل برأي الوزير المغربي ، وأخذ ما في خزانة الكعبة من المال ، وما عليها من أطواق الذهب والفضة وضربه دنانير ودراهم سميّت الكعبية

توجّه أبو الفتوح إلى الرملة بعد أن استخلف على مكة نائبا عنه . ولّما اقترب من الرملة تلقاه بالترحاب مفرّج بن دغفل بن الجرّاح وابنه حسّان وأخوا حسّان محمود وعلي ، وسائر وجوه العرب ، وترجّلوا له ، وقبّلوا الأرض بين يديه ، وسلّموا عليه بإمرة المؤمنين ، وخوطب بالخلافة . وبعد ذلك سار أبو الفتوح ، وبرفقته آل الجرّاح ، ونزل الرملة في دار حسّان بن مفرّج ، ونادى في الناس بأمان الخائفين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأنشأ كتابا قرىء على الناس بألاّ يقبّل أحد الأرض بين يديه وأن هذا شيء يفرد به الله عزّ وجل . ثم سار أبو الفتوح بعد ذلك إلى المسجد وبرفقته آل الجرّاح لدخله ، ودعا بخطيب المسجد ابن نباته ، وطلب إليه أن يقرأ خطبة أعلمه ما يقول فيها . وكان الناس في المسجد بانتظار ذلك . فخطبها فيهم وقرأ عليهم الأيات الست الأولى من سورة القصص التي فيها أن فرعون علا في الأرض . وكان ذلك في عام ٤٠١ هـ/ ١٠١١ م ، وذاعت دعوة الخليفة أبي الفتوح في كثير من بلاد الشام .

ولّما علم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله نبأ خروج أبي الفتوح ، ومبايعة آل الجرّاح له بالخلافة ، وذيوع دعوته في كثير من بلاد الشام ، اشتدّ ذلك عليه خوفه أن يؤلف أبو الفتوح مع آل الجرّاح قوة ذات شأن لا تقضي على سلطة الفاطميين في بلاد الشام وحدها بل تقضي أيضا على الخلافة الفاطمية في مصر فعمل الحاكم بأمر الله على إرسال حملة إلى فلسطين للقضاء على هذه الحركة . غير أن جيشه انهزم قرب الداروم (دير البلح *حاليا) . وبذلك استفحل نفوذ بني الجرّاح في فلسطين وعظم شأنهم وقويت شوكتهم وتوطّدت سلطة أبي الفتوح فيها .

ورأى الحاكم بأمر الله بعد هزيمة حملته العسكرية أن يستميل آل الجرّاح إلى جانبه واعداً حسّاناً ووالده مفرّجا وعوداً كثيرة . وباذلا لهما الأموال إذا تخليا عن الدعوة لأبي الفتوح . وبذل أموالا كثيرة وعطاء جزيلا أيضا إلى علي ومحمود ابني المفرج ، وضمن لنجميع الإقطاعات الكثيرة .

وفي الوقت نفسه عيّن الخليفة الحاكم بأمر الله أبا الطيب ابن عمّ أبي الفتوح واليا على الحرمين ، وبعث إليه بخمسين ألف دينار عينا عدا الهدايا والخلع ، وضرب الحاكم بأمر الله دنانير في مكة عام ٤٠٣ هـ/١٠١٣ م نقش عليها اسمه إظهارا لتبعية الحجاز له . فانصرف الكثيرون من أهل مكة عن طاعة أبي الفتوح وعادوا إلى الدخول في طاعة الحاكم بأمر الله .

وبعدما استمال الحاكم بأمر الله آل الجرّاح وانصرف الكثيرون من أهل الحجاز عن طاعة أبي الفتوح لم ير هذا بدّا من التفكير بالرجوع إلى مكة . فاستعان أبو الفتوح بالوزير المغربي ، وأوضح لمفرّج بن دغفل رغبته في الرجوع إلى مكة ، فسيّره مفرّج بن دغفل عام ٤٠٣ هـ/ ١٠١٣ م حتى وصل إلى وادي القرى ، وبعث معه جماعة من طيّء لم يزالوا معه حتى بلغ مكة فتلقاه أتباعه بالترحاب

سرّت عودة أبي الفتوح إلى مكة الحاكمَ بأمر الله فضرب دينارا ذهبيا بفلسطين سنة ٤٠٤ هـ تأكيدا لرجوعها إلى طاعته . ولمّا كتب أبو الفتوح إلى الحاكم بأمر الله عن عودته إلى مكة أسرع الحاكم بأمر الله بإعادته إلى إمارته هناك ، وبقي أبو الفتوح فيها إلى أن توفي .

وتُجمع مصادر كثيرة على أن الحاكم بأمر الله عمل على التخلص من مفرّج بن دغفل بسبب مساعدته أبا الفتوح ليصبح خليفة منافسا في فلسطين ، فخدع أحد كتّاب مفرّج وبذل له الأموال لقتله بالسم فنفّذ الكاتب هذه الخطة . وبعد حروب بين الحاكم بأمر الله وحسّان ابن الجرّاح استطاع الفاطميون * استعادة نفوذهم على فلسطين ، وعاد آل الجرّاح للولاء للفاطميين إلى أن نزحوا عن فلسطين في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ونزلوا بمصر .

المراجـع :

ـ الروذراوري : ذيل تجارب الأمم ، القاهرة ١٩١٦

ـ القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القاهرة ١٩١٦

ـ المقريزي : اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، القاهرة ١٩٤٨ .

ـ المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .

ـ الفاسي : المقنع من أخبار الملوك والخلفاء وولاة مكة الشرفاء .

ـ حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٦٤

ـ أحمد لطفي السيد : قبائل العرب في مصر ، القاهرة ١٩٣٥ .

ـ الدواداري : الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٦٠ .

ـ الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، القاهرة ١٩٦٦ .

ـ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، حيدر آباد ، ١٣٥٩ هـ .

ـ محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، القاهرة ١٩٦١

ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، مصر ١٢٨٣ هـ .

— Lane-Poole: The Arabian Historians on Mohammadan Numismatics, **Numismatic Chronicle**, 1883.

— Wiet, G.: **L'Egypte Arabe**, Paris and Le Caire 1929 and 1930

حسـن حمـاد (١٨٧٠ - ١٩٤٢) :

أحد رجالات الرعيل الأول ، ولد في مدينة نابلس * وتلقى علومه الابتدائية والثانوية (الرشدية) فيها ، وتتلمذ لعلماء في الفقه واللغة العربية . ووالى دراساته الخاصة فأجاد اللغة العربية وآدابها والتركية ، وألمّ بالفرنسية والفارسية ، واطّلع على القوانين الإدارية . بدأ عمله رئيسا لكتّاب دائرة تسجيل الأراضي (الطابو) مع اهتمام خاص بزراعة أراضيه التي ورثها عن والده . وعرف بميل قوي إلى نشر العلم . وحين تولى نيابة رئاسة لجنة المعارف بنابلس عمل على توسيع نشاطها ، واقترح لذلك فرض ضريبة المعارف ، فأقرّتها الحكومة وطبقتها في جميع أنحاء البلاد . وبجهده تأسست في نابلس أول مدرسة حضانة للأطفال ، لعلها الأولى في الدولة العثمانية ، وقد جلب لها معلمات أطفال من لبنان .

عُين رئيسا لبلدية نابلس سنة ١٩١٣ ، ثم انتخب عضوا في مجلس عموم الولاية في بيروت ممثلا لنابلس . وانتمى إلى حزب اللامركزية الإدارية * ، واختاره الحزب معتمدا له في نابلس .

وحين ساق جمال باشا حاكم سورية وقائد الجيش الرابع أحرار العرب إلى الديوان العرفي في عاليه صدر أمر في ١٩١٥/٧/٣٠ بالقبض عليه وسوقه إليها . ولما علم بالأمر قرر أن يذهب بنفسه خفية للاستفسار عن كنه التحقيقات والجرم المنسوب اليه ، ولم يشأ الهرب لأنه ، كما يقول في مذكراته ، يعلم " أن حزب اللامركزية ليس مكتوما وخطته إدارة بلادنا العربية على الأصول اللامركزية ضمن الدولة العثمانية ، وكنا قد أبرقنا قبل سنتين من إعلان الحرب لمقام الصدارة بلزوم إدارة بلادنا على الأصول اللامركزية " .

وصل حسن حماد إلى عالية متأخرا ، وقرأ في إحدى الصحف قرار القاضي العسكري بإحالته ورجال القافلة الأولى إلى ديوان الحرب العرفي ، فلم يسلم نفسه بل غادر عاليه إلى دمشق ، فالعفولة * ، فإحدى قرى جنين حيث اختفى . ولكن إثر مقابلة عمه توفيق حماد * وأمين عبد الهادي (النائبين في المبعوثان) جمال باشا للبحث في قضية سليم عبد الهادي * شقيق أمين ، وكان محالا إلى المحكمة العرفية ومقبوضا عليه ، أكد لهما جمال باشا أن نجاة سليم وحسن موقوفة على تسليم حسن نفسه . فجرت اتصالات بحسن ليسلم نفسه ، فاتجه ثانية إلى عالية . وحين مر ببيروت ليلة السبت ١٩١٥/٨/٢٠ لحظ في ساحة البرج انهماكا بنصب مشانق ، ولكنه واصل السفر إلى عاليه . وفي صبيحة وصوله إليها قرأ في الصحف بلاغ الديوان العرفي وفيه نبأ إعدام القافلة ، وقرأ اسمه في جملة الذين صدر الحكم بإعدامهم ونفّذ فيهم فبادر إلى الهرب إلى دمشق واختفى فيها في بيت صديق له مدة ثلاث سنوات تزوج في أثنائها إحدى قريبات صديقه فأنجبت منه ولدا . وعلى أثر سحب جمال باشا من سورية وتولي جمال باشا الصغير (المرسيني) ، وبوساطة مفتي الجيش الشيخ عبد القادر المظفر * ، صدر العفو عن حسن حماد فعاد إلى نابلس وانصرف إلى استرداد أراضيه التي صادرتها الدولة . وكان بعد الاحتلال البريطاني لفلسطين (١٩١٨) من أوائل من فكروا في تأسيس مدرسة النجاح الوطنية بنابلس ، وقد أصبحت اليوم جامعة (رَ : النجاح ، جامعة) .

وقضى حسن حماد بقية عمره في عالم الاقتصاد والزراعة إلى أن توفي في مدينته . وقد عرف بكونه نير العقل ، سليم التفكير ، واسع الاطلاع ، أنيق الهيئة .

حسن سلامة (١٩١٣ - ١٩٤٨) :

أحد القادة في الثورة الفلسطينية الكبرى سنة ١٩٣٦ (ز : ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩) وفي حرب ١٩٤٨ * . ولد في قرية قولة * في قضاء اللد وفيها نشأ ودرس .

بدأ كفاحه الوطني في تشرين الأول سنة ١٩٣٣ حين شارك في مظاهرات يافا الدامية ، فتعقّبته سلطات الانتداب البريطاني ولكنه أفلت منها . وتجوّل بين القرى العربية طوال ثلاثة أعوام دعا فيها سكانها إلى الثورة ، واختار من يتوسم فيهم الشجاعة والخير من شبابها . وحين أعلنت الثورة الفلسطينية ، في مطلع أيار سنة ١٩٣٦ ، أسندت إليه قيادة منطقة اللد - الرملة ، ثم أضيفت إليها منطقة يافا ، فأبلى مع قواته بلاء حسنا ضد القوات البريطانية والمستعمرات الصهيونية ودوائر الحكومة ، ومن ذلك إتلاف قضبان السكك الحديدية وأعمدة الكهرباء وخطوط المواصلات ، وإحراق البيارات الصهيونية والاشتباك مع قوات الانتداب والصهيونيين . وكان يشارك في قيادة العمليات وتنفيذها ، ومنها نسف قطار اللد - حيفا سنة ١٩٣٨ مع رفيقه محمد سمحان وآخرين . وقد لاحقتهم القوات البريطانية واشتبكت معهم فقتل رفيقه ، وأصيب هو بجراح بالغة في عنقه ، ولكنه تمكّن من النجاة وأطلق لحيته كي يتخفى فدعاه الناس بالشيخ ، ولزمه هذا اللقب طوال حياته .

ترك حسن سلامة فلسطين سنة ١٩٣٩ ، حين توقفت أعمال الثورة ، إلى لبنان ، فسورية ، فالعراق حيث التحق بالكلية الحربية في بغداد . ثم اشترك في ثورة رشيد عالي الكيلاني ، وأسندت إليه قيادة ١٦٥ مقاتلا فلسطينيا انضمّوا إلى العراقيين لمحاربة القوات البريطانية . ولما اخفقت تلك الثورة لجأ إلى شمالي سورية ، ومنها انتقل إلى تركيا ، ثم إلى ألمانيا حيث أتم تدريبه على القتال وبث الألغام .

وفي سنة ١٩٤٣ أُرسل حسن سلامة وذو الكفل عبد اللطيف وثلاثة من الألمان جوًّا إلى فلسطين للاتصال بالقوى الوطنية فيها وإشعال ثورة ضد البريطانيين والصهيونيين . وقد هبطوا بالمظلات في سهل أريحا فاعتقلت السلطات البريطانية ذا الكفل واثنين من الألمان ، وتمكّن هو والألماني الثالث من الاختفاء في جبال القدس * ، ثم انتقلا خفية إلى حيفا * ومنها إلى سورية .

عاد الشيخ حسن سلامة إلى فلسطين حين أعلن قرار تقسيم فلسطين * سنة ١٩٤٧ ، وأسندت إليه قيادة المناضلين العرب في القطاع الغربي من المنطقة الوسطى من فلسطين ، ويمتدّ من يافا * إلى وادي الصرار . وقد أضيفت منطقة القدس إلى قيادته بعد استشهاد القائد عبد القادر الحسيني * في معركة القسطل * يوم ١٩٤٨/٤/٧ فخاض عددا من المعارك كان النصر حليفه في معظمها . وفي معركة رأس العين * أصيب بجراح بالغة في رئته اليسرى ، وتوفي يوم ١٩٤٨/٦/٢ بعد أن أُعلم أن الصهيونيين اندحروا في تلك المعركة .

المراجع :

- عارف العارف : النكبة ، ج ٣ ، بيروت ١٩٥٦ .
- عبد الكريم الكرمي : كفاح عرب فلسطين ، دمشق ١٩٦٥ .
- أكرم زعيتر : الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٣٥ - ١٩٣٩) ، بيروت ١٩٨٠ .

حسن صدقي الدجاني (١٨٩٠ - ١٩٣٨) :

صحافي وسياسي من القدس * ، درس الحقوق فيها وهو يزاول التعليم في مدارسها الخاصة . ونشط في الحركة السياسية والأدبية منذ بداية عهد الانتداب البريطاني فأصدر سنة ١٩٢٠ جريدة « القدس الشريف » أول جريدة رسمية صدرت في فلسطين إثر العهد العثماني (ز : الحزب العربي) . وكانت جريدة حسن صدقي من الصحف الفلسطينية التي نددت بوعد بلفور * وإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وكان صاحبها من المؤيدين لكتلة المعارضين (ز : الحزب العربي الفلسطيني) ، وساعد في إنشاء الأحزاب السياسية المعتدلة في العشرينات ، وكان من البارزين في المؤتمرات الفلسطينية التي عقدت بين عامي ١٩٢١ و١٩٢٨ (ز : المؤتمر العربي الفلسطيني) ، وحرّض سائقي السيارات والعمّال على العصيان المدني سنة ١٩٣٦ ، وسجن لنشاطه السياسي .

كان حسن صدقي الدجاني من الأعضاء البارزين في حزب الدفاع الوطني * ، تعاون مع اللجنة الملكية الإنكليزية (ز : بيل ، لجنة) ، وانسحب من اللجنة العربية العليا * وعارضها ، ولم يكافح قرار التقسيم (ز : تقسيم فلسطين) ، كما لم يؤيد ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ * . ولذلك أصبح عرضة لنقمة الثوار ، ولا سيما بعد نشر بيان يحمل اسمه وأسماء سائر الأعضاء اليهود والعرب في بلدية القدس ويدعو إلى الهدوء ، فاغتيل سنة ١٩٣٨ على الرغم من إنكاره توقيع البيان .

المرجع :

- يوسف خوري : الصحافة العربية في فلسطين ١٨٧٦ - ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٦

الحسن بن عبد الصمد (٤٢٠-٤٨٢ هـ) (١٠٢٩ - ١٠٨٩ م) :

ابن أبي الشخباء العسقلاني . شاعر ، كتب ، أديب . موطنه عسقلان ، وإليها نسب . ولا يعرف مولده ونشأته ودراسته . ولكنه - كما يظهر مما بقي من أعماله وأخباره - ولد حوالي سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م وعمل في دواوين الفاطميين في مصر . وكانت عسقلان أمنع معاقل الفاطميين * في جنوبي الشام على العدو ، وأهم مرافئهم تجارياً وعسكرياً وأسطولاً وتأمين انتقال بين الشام ومصر . وقد عاش ابن أبي الشخباء عصر المستنصر الفاطمي كله تقريبا . وهذا الخليفة هو أطول الخلفاء عهداً في التاريخ الإسلامي كله ، حكم ستين سنة (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٣ م) وعرفت مصر في عهده أوسع المجد وأقسى المجاعات والاضطراب . ويبدو أن ابن أبي الشخباء كان من كبار موظفي الرسائل في هذا العهد ، وكان يلقب بالمجيد ذي الفضيلتين . ويظهر أن بلاغته في الترسّل قد أحلّته المكانة الكبيرة والشهرة الواسعة فجُمعت رسائله في مدوّنة صارت مشهورة باسمه ، وكان يتناقلها الكتّاب ويتمرسون بأساليبها ويحفظون ما فيها . ويذكرون أن القاضي الفاضل * ، العسقلاني أيضاً ، " منها استمد وبها اعتقد " حتى أضحى أحد أقطاب النثر العربي . وفي تلك الرسائل بعض الإخوانيات ، كما أن فيها بعض ما كتبه أثناء عمله في الديوان : كرسائله إلى البساسيري الثائر الفاطمي الذي ألغى خلافة بغداد عشرة أشهر (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) ، وتهنئته الوزير المغربي ببعض الفتوح سنة ٤٥٣ هـ ، وكتابه إلى المستنصر يهنّئه بانهزام أتسز بن أوق الخوارزمي * الذي حاول تحطيم الخلافة في مصر وهزم قرب القاهرة سنة ٤٦٩ هـ/١٠٧٦ م .

وبالرغم مما تنمّ عليه بقايا كتاباته من الإخلاص للفاطميين فقد انتهى الرجل قتيلا في سجنهم . وذكروا أنه مات معتقلاً في خزانة البنود (وهي السجن الفاطمي) .

المراجع :

- ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٦ ، القاهرة ١٩٣٨ .
- ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، القاهرة ١٩٣٩
- ابن خلّكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، القاهرة ١٩٤٨
- العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، قسم العسقلانيين ، دمشق ١٩٥٥ .

حسن بن محمد بن بدر الدين بن حامد (٨٩٨ - ٩٩٠ هـ) (١٤٩٢ - ١٥٨٢ م) :

الصفدي الشافعي . ولد في صفد * وفيها نشأ واشتغل بالعلم ، فأخذ عن والده وغيره من العلماء ، وكان ذا مكانة مرموقة في العلم .

اشتغل بدر الدين بالعلم في بلده حتى سنة ٩٢٥ هـ/ ١٥١٨ م ، ثم توجه إلى مصر فقرأ وأخذ عن أشهر لعلماء ، ومنهم شيخ الإسلام برهان الدين بن أبي شريف المقدسي ، والقلقشندي ، والسنباطي ، وكمال الدين الطويل ، وشهاب الدين بن النجار ، ونور الدين المحلي ، وشهاب الدين أحمد بن محمد القادري ، وغيرهم .

ثم رحل بدر الدين إلى دمشق واستمر في الأخذ عن مشاهير العلماء ، ومنهم الشيخ تقي الدين بن قاضي عجلون ، والشيخ كمال الدين بن حمزة ، وغيرهما .

وعاد بدر الدين إلى صفد حيث توفي .

المراجع :

- نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، بيروت ١٩٧٩
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٩ .

الحسن بن محمد البوريني (٩٦٣-١٠٢٤ هـ) (١٥٥٦ - ١٦١٥ م) :

ولد الحسن بن محمد البوريني في قرية أمّه صفورية * شمال مدينة الناصرة * . وكان والده من بلدة بورين * جنوب نابلس * ، وقد انتقل في سنة ٩٧٣ هـ/ ١٥٦٦ م إلى دمشق مع ابنه الحسن الذي انصرف إلى تحصيل العلم فقرأ القرآن في جامع منجك ثم انتقل إلى المدرسة العمرية في الصالحية التي كان قد أسّسها آل قدامة * بعد هجرتهم من فلسطين . وبعد زيارة إلى القدس * سنة ٩٨٠ هـ /١٥٧٢ م سكن الحسن البوريني بالخانقاه السميساطية بدمشق ، وأخذ يتصل بكبار الشيوخ لدراسة علوم اللغة العربية وآلاتها والفقه والقراءات والفرائض والحساب .

ولما تصدر في سنة ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م تدريس الفقه على المذهب الشافعي * في الجامع الأموي بدمشق لفت إليه الأنظار بفصاحة لهجته وبلاغة عبارته وحسن إلقائه . فشاع ذكره وكثر طلابه . وقد خالط أهل العلم والأدب وتعلّم اللغة الفارسية فاطّلع على الأدب الفارسي واقتبس من معانيه .

وقد تقدم في المناصب والمجالس وصار مفتياً للشافعية ، وأقبل

عليه الحكام والأمراء والقضاة والأكابر . ويقول معاصره النجم الغزي في كتاب لطف السحر وقطف الثمر (مخطوط) إن الحسن البوريني كان لا يحضر في مجلس " إلّا كان بلبله " .

ولا عجب في سموّ شأن الحسن البوريني وعلوّ مكانته . فقد امتاز بتوقد الذكاء وحلاوة الحديث وجودة الحفظ وسعة الثقافة . وكان كثير المطالعة ميّالا إلى الأدب واللغة والتاريخ .

من المؤلفات التي خلّفها :

١) منتخبات شعرية ونثرية ، (كناش مخطوط محفوظ في دار الكتب بالقاهرة) .

٢) البحر الفائض في شرح دُيوان ابن الفارض ، القاهرة ١٣٠٦ هـ .

٣) ديوان شعر (مخطوط) .

٤) رسائل أدبية (مخطوط) .

٥) تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، دمشق ١٩٥٩ .

المراجـع :

ـ الحسن البوريني : تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، دمشق ١٩٥٩ .
ـ محمد الأمين المحبي : خلاصة الأثر في أعيان أهل القرن الحادي عشر ، القاهرة ١٢٨٤ هـ .

الحسن بن هبة الله بن صَصْرى (٥٣٧ ـ ٥٨٦ هـ) (١١٤٢ ـ ١١٩٠ م) :

أبو المواهب التغلبي ، البلدي الأصل ، الدمشقي ، الشافعي . حافظ ، محدّث من أسرة بني صصرى المشهورة بعلمائها ومحدّثيها . وتعود هذه الأسرة بنسبها إلى بني تغلب ، وكانت تسكن قرية في منطقة الجزيرة قرب الموصل ثم نزحت إلى دمشق في القرن الخامس الهجري . ومن هذه العائلة سبعة عشر عالماً وعالمة على الأقل .

سمع الحسن ، أبو المواهب ، من جدّه محفوظ ، ومن نصر الله المصّيصي وطبقتها ، ولزم الحافظ ابن عساكر مؤرخ دمشق وتخرّج به ، ثم رحل إلى العراق وهمذان وأصبهان والجزيرة ، ودرس على شيوخها ابن البطّي وأبي العلاء وابن ماشاده ، وزار أيضا بيت المقدس ، وفيها سمع عن السلطان صلاح الدين الأيوبي * الذي حدّث بها . وأقام بالقدس * مدة ، وكان معه فيها أبو محمد القاسم ابن علي بن عساكر (ابن مؤرخ دمشق) .

ألّف الحسن بن صصرى عدة كتب لم يبق منها إلاّ عناوينها . ومن هذه الكتب : كتاب « فضائل بيت المقدس » ، ويبدو أنه ألّفه بعد زيارته للقدس ، و« فضائل الصحابة » ، و« رباعيات التابعين » ، و« عوالي ابن عيينة » أي الأحاديث الموقوفة التي رواها ، و« معجم الشيوخ » ، وقد سمّى في هذا المعجم الشيوخ الذين أخذ عنهم .

توفي في دمشق ، ودفن في التربة الصّصرية خلف المدرسة الركنية في سفح جبل قاسيون .

المراجـع :

ـ إسماعيل البابلي البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، حيدر آباد الدكن ١٩١٥ .
ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٣٦ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ١٩٣٨ .
ـ عبد القادر النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، دمشق ١٩٥١
ـ اليافعي : مرآة الجنان ، بيروت ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م .
— Brunet, W. M., The Banu Sasra: A study in the transmission of a scholarly tradition, Arabica Tome VII, 1960.
— Encyclopedia of Islam, New Edition 1971.

حسني صالح الخُفُّش (١٩١٧ ـ ١٩٧٢) :

نقابي مادي ، ولد في نابلس * وتلقّى فيها شيئاً من الدراسة ، ثم أصبح منذ عام ١٩٣٢ عضواً في جمعية العمال العربية الفلسطينية ، ومنذ آب ١٩٤٥ عضوا في المجلس الأعلى لهذه الجمعية ومسؤولاً عن فرعها في نابلس . وقد أسندت إليه منذئذ دراسة تأسيس فرع جديد للجمعية في الناصرة * بعد خروج فرع هذه المدينة على الجمعية واختياره الانضمام إلى مؤتمر العمال العرب الفلسطيني (ر : العمال والحركة العمالية) .

وغداة صدور قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩ تألفت اللجان القومية * في مختلف مدن وقرى فلسطين لتنظيم المواجهة العربية الفلسطينية للعصابات الصهيونية ، واختير الخفش أميناً لسر لجنة نابلس .

وبعد نكبة ١٩٤٨ تابع الخفش العمل النقابي الفلسطيني ، وانتخب أميناً عاماً لنقابات العمال الفلسطينيين في نابلس سنة ١٩٥٠ ، وهي النقابات التي حظرت السلطات الأردنية نشاطها سنة ١٩٥١ .

انضمّ الخفش إلى حزب البعث العربي الاشتراكي ، واضطر إلى هجرة موطنه غداة أحداث نيسان ١٩٥٧ في الأردن ، فتوجه إلى سورية ومكث فيها إلى أن انتقل إلى مصر في خريف سنة ١٩٦١ ،

عقب وقوع الانفصال ، فترك منذئذ حزب البعث وأصبح ناصرياً .

كان الخفش من أبرز مؤسسي الاتحاد العام لعمال فلسطين * في نيسان ١٩٦٥ ، وانتخب أميناً عاماً للاتحاد لدورتين متتاليتين . كما تمّ انتخابه أميناً عاماً مساعداً للاتحاد الدولي للعمال العرب في دورتين متتاليتين أيضاً (١٩٦٥ ، ١٩٦٩) . ولكنه في المؤتمر الثالث للاتحاد العام لعمال فلسطين ، المنعقد في القاهرة في تموز ١٩٦٩ ، عزف عن ترشيح نفسه لمنصب الأمين العام للاتحاد بسبب إحساسه برجحان كفة أعضاء منظمات المقاومة في هذه الدورة مما يجعل احتمال نجاحه ضئيلاً للغاية .

اختير عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني * منذ دورته الأولى . واحتفظ بالعضوية حتى وفاته في ١٩٧٢/٤/٣ بسكتة قلبية .

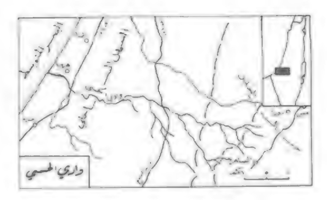
مثل الخفش عمال فلسطين في الكثير من المؤتمرات العمالية العربية والدولية . وقد ترك وراءه أثرين أدبيين : الأول « تاريخ العمال العرب في فلسطين » الذي نشره الاتحاد الدولي للعمال العرب دون الإشارة إلى اسم المؤلف . والثاني مذكراته التي نشرت عقب وفاته تحت عنوان « حول تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية » . وليس ثمة فرق كبير بين محتوى الكتابين .

المرجع :

– حسني صالح الخفش : مذكرات حول تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٣ .

الحسي (وادي –) :

واحد من الأودية الهامة التي تنتهي في البحر المتوسط . ويقع مجراه الأعلى المؤلف من عدد من الأودية الصغيرة المترافدة في السفوح الجنوبية الغربية لجبال الخليل * وشمال منطقة بير السبع . ويتألف هذا الوادي في أجزائه الشرقية من واديين رئيسين هما وادي دورا ، نسبة إلى قرية دورا * الواقعة على بعد ٨ كم جنوبي غرب مدينة الخليل * ، ومن وادي الحسي الذي يبدأ من بلدة الظاهرية * الواقعة جنوبي غرب الخليل بمسافة ١٨ كم . ويلتقي الواديان عند موقع عيون الحسي قرب خربة التار ليتابع وادي الحسي سيره غربا حتى ينتهي في البحر المتوسط عند موقع هربيا * ، بين غزة * والمجدل * (عسقلان) . وقبل ٧ – ٨ كم من مصبّه يتلقى وادي الحسي مياه سيول وادي الجية من الشمال ومياه سيول وادي حانون (الحلبيب) من الجنوب . وهكذا فإن شبكة هذا الوادي تصرّف مياه منطقة واسعة تضم قسماً من جبال الخليل ، وسهل وتلال بير السبع



الشمالية ، والسهل الساحلي الفلسطيني * بين غزة والمجدل (عسقلان) .

ويبلغ طول وادي الحسي نحو ٤٨ كم إذا أُهمل رافده الشرقي الأيمن ، أي وادي دورا الذي يبلغ طوله حتى التقائه بوادي الحسي ٢٧ كم . وتقع رؤوس وادي الحسي على ارتفاع ٣٧٥ م فوق سطح البحر ، في حين يبدأ وادي دورا من منطقة أعلى تقع على ارتفاع ٦٠٠ م . والانحدار العام لوادي الحسي كبير نسبياً . ولكنه في مجراه الأعلى أشد انحداراً من مجراه الأوسط والأدنى . وبالتالي فإن مقطعه العرضي عريض مفتوح في الأوسط وعريض منبسط في بقية أجزائه . ويبلغ عرضه عند مصبه ٠,٥ – ٠,٧ كم ، ويمر بين رقعتين من رمال الساحل وكثبانه . أما وادي دورا فيرسم في مجراه الأعلى مقطعاً عرضياً ضيقاً وعميقاً ينفرج عندما يخرج من أقدام جبال الخليل الجنوبية الغربية . وعلّة وضع الواديين في مجاريهما العليا ، ولا سيما وضع وادي دورا ، هي اختراق المياه السيلية صخوراً قاسية من الكلس العائد للكريتاسي الأدنى ، وصخوراً أقل قساوة ترجع إلى الايوسين . وأما المجرى الأوسط والأدنى لوادي الحسي فيسير ضمن الترسبات العائدة للحقبة الرابعة والمؤلفة من صخور ليّنة حديثة تقع ضمن رمال الساحل الفلسطيني .

إن نظام الجريان في شبكة الحسي هو سيلي مطري ، ويراوح المتوسط السنوي للأمطار بين ٣٥٠ و ٥٠٠ مم . وتظهر بعض الينابيع والعيون الصغيرة على امتداد الوادي . وأما من الناحية البشرية فعلى الرغم من غنى المنطقة بالخرب المهجورة لا يوجد فيها اليوم تجمّع سكاني يستحق الذكر ، إلا بعض المستعمرات الإسرائيلية الحديثة .

المراجع :

– خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحات اللد والرملة وبير السبع والقدس .
– الخريطة الجيولوجية لفلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

الحسين (مذكرة ـ ١٩١٥) :

أوفد الشريف حسين ابنه فيصلاً إلى دمشق أوائل سنة ١٩١٥ لاستطلاع آراء الجمعيات العربية القومية في المطالب التي يحسن أن تطلب من الإنكليز مقابل اشتراك العرب إلى جانبهم في الحرب العالمية الأولى ضد العثمانيين بقيادة الحسين . وقد اتفقت جمعية العربية الفتاة * مع من كان موجودا في دمشق من رجال جمعية العهد * على نص مذكرة ـ عرفت بيروتوكول دمشق ـ حملها فيصل إلى والده في مكة . وقد ضمّن الشريف حسين رسالته إلى مكماهون نائب ملك بريطانيا في مصر بتاريخ ١٤/٧/ ١٩١٥ الشروط المقترحة للاشتراك في الحرب ، كما رسمتها مذكرة رجال جمعيتي العربية الفتاة والعهد ، بعد إضافة شرط الخلافة (رَ : الحسين ـ مكماهون مراسلات) .

ورد في هذه المذكرة أنه " لما كان العرب بأجمعهم دون استثناء قد قرروا في الأعوام الأخيرة أن يعيشوا وأن يفوزوا بحريتهم المطلقة وأن يتسلموا مقاليد الحكم نظرياً وعملياً بأيديهم ، ولما كان هؤلاء قد شعروا وتأكدوا أن من مصلحة حكومة بريطانيا العظمى أن تساعدهم وتعاونهم للوصول إلى أمانيهم المشروعة وهي الأماني المؤسسة على بقاء شرفهم وكرامتهم وحياتهم ، ولما كان من مصلحة العرب أن يفضّلوا مساعدة حكومة بريطانيا على أية حكومة أخرى بالنظر لمركزها الجغرافي ومصالحهم الاقتصادية وموقفهم من حكومة بريطانيا ، بالنظر لهذه الأسباب كلها يرى الشعب العربي أنه من المناسب أن يسأل الحكومة البريطانية إذا كانت ترى من المناسب أن تصادق بواسطة مندوبيها أو ممثليها على الاقتراحات الأساسية الآتية :

" أولاً : أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية من مرسين ـ أضَنة حتى الخليج العربي شمالاً ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوباً " . ويستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي . ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط إلى سيناء غرباً .

" ثانياً : تعترف حكومة الشريف حسين العربية بأفضلية بريطانيا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية إذا كانت شروط تلك المشاريع متساوية .

" ثالثاً : تتعاون الحكومتان البريطانية والعربية في مجابهة كل قوة تهاجم أحد الفريقين ، وذلك حفظاً لاستقلال البلاد العربية ، وتأميناً لأفضلية بريطانيا الاقتصادية فيها ، على أن يكون هذا التعاون في كل شيء ، في القوة العسكرية والبحرية والجوية .

" رابعاً : إذا تعدّى أحد الفريقين على بلد ما ونشب بينه وبينها عراك وقتال فعلى الفريق الآخر أن يلزم الحياد . على أن هذا الفريق المعتدي إذا رغب في اشتراك الفريق الآخر معه ففي وسع الفريقين أن يجتمعا معاً وأن يتفقا على الشروط .

" خامساً : مدة الاتفاق في المادتين الثالثة والرابعة من هذه المعاهدة خمس عشرة سنة . وإذا شاء أحد الفريقين تجديدها فعليه أن يطلع الفريق الآخر على رغبته قبل انتهاء فترة الاتفاقية بعام .

" هذا ولما كان الشعب العربي بأجمعه قد اتفق والحمد لله على بلوغ الغاية وتحقيق الفكرة مهما كلفه الأمر فهو يرجو الحكومة البريطانية أن تجيبه سلباً أو إيجاباً في خلال ثلاثين يوماً من وصول هذا الاقتراح . وإذا انقضت هذه المدة ولم يتلق من الحكومة جوابا فإنه يحتفظ بحرية العمل كما يشاء " .

وقد وردت هذه المذكرة في العديد من المصادر ، وتفرّد جورج أنطونيوس * في كتابه «يقظة العرب» بصياغة المطالب العربية على نحو يختلف عن غيره ، قائلاً إن نص هذه المطالب يعتمد على كتاب استعار أصله العربي من الملك فيصل . وقد ورد في كتابه أن العرب طالبوا « بإلغاء جميع الامتيازات الاستثنائية التي منحت للأجانب بمقتضى الامتيازات الأجنبية » ، وطالبوا كذلك " بعقد معاهدة دفاعية بين بريطانيا العظمى والدولة العربية المستقلة " . ومهما يكن من أمر فقد أصبحت هذه المذكرة ، بشكل أو بآخر دستور الثورة العربية (١٩١٦ ـ ١٩١٨) .

ولم تكذّب الحكومة البريطانية نص هذه المذكرة التي تطالب باستقلال البلاد العربية ضمن حدود ذكرت بالتفصيل ، وضمت فيها ضمت فلسطين كلها دون استثناء .

المراجـع :

ـ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى .

ـ محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، بيروت ١٩٦٠

– George Antonius: The Arab Awakening, London 1939.

الحسيـن (مشـروع ـ ١٩٦٩) :

أعلن الملك حسين بن طلال ، ملك المملكة الأردنية الهاشمية ، مشروعاً للسلام مع (إسرائيل) اشتهر لاحقاً باسم " مشروع النقاط الست " . وقد اغتنم الملك فرصة وجوده في الولايات المتحدة الأمريكية بدعوة من الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون فاقترح أمام نادي الصحافة الوطني في واشنطن في ١٠/٤/١٩٦٩ خطة من ست

نقاط حرص على التوكيد بأنه لا يطرحها باسمه فحسب ، وإنما أيضا باسم الرئيس جمال عبد الناصر * رئيس الجمهورية العربية المتحدة آنذاك ، وبتفويض منه .

وتستند خطة الملك حسين إلى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ . وتهدف إلى إقامة سلام " عادل ودائم " على أساس شرط وحيد هو سحب (إسرائيل) "قواتها المسلحة من جميع الأراضي التي احتلتها في حزيران ١٩٦٧ ، وتنفيذ جميع بنود قرار مجلس الأمن الأخرى " . وتتلخّص خطة السلام المقترحة في النقاط الست التالية :

" ١) إنهاء حالة الحرب كليا .

" ٢) احترام سيادة جميع الدول في المنطقة ، وسلامة أراضيها ، واستقلالها السياسي ، والاعتراف بذلك .

" ٣) الاعتراف بحق الجميع في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها ومتحررة من التهديد أو أعمال الحرب .

" ٤) ضمان حرية الملاحة للجميع في خليج العقبة * وقناة السويس .

" ٥) ضمان عدم انتهاك حرمة أراضي جميع دول المنطقة بأية إجراءات ضرورية ، ومن ضمنها تعيين مناطق مجردة من السلاح .

" ٦) قبول تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين " .

ولم يكد يمضي يومان على إعلان الملك حسين مشروعه حتى رفضته (إسرائيل) على لسان غولدا مائير رئيسة الوزراء عندئذ . ومن ناحية أخرى أصدرت معظم المنظمات الفدائية الفلسطينية الرئيسة بيانا مشتركا في ١٩٦٩/٤/١٥ أعلنت فيه رفضها مشروع الملك الخاص بالتفاوض مع (إسرائيل) عن طريق السفير غونار يارنغ وعلى أساس قبول (إسرائيل) بوضوح قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . وهذه المنظمات هي : قوات العاصفة التابعة لحركة التحرير الوطني الفلسطيني * (فتح) ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين * ، وقوات التحرير الشعبية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني * ، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين * ، وقوات الصاعقة التابعة لطلائع حرب التحرير الشعبية * .

وفي الوقت الذي أشارت فيه بعض المصادر المطلعة إلى ارتياح بريطانيا لمشروع الملك حسين ، وبعد إعلان يوسف سالم وزير الخارجية اللبناني عن تأييده للمشروع في ١٩٦٩/٤/١١ ، انضمّت سورية على لسان رئيسها الدكتور نور الدين الأتاسي يومئذ إلى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في رفض مشروع الملك الأردني .

ولم يصدر عن الدول العربية الأخرى أو غيرها ما يفيد رفضها أو قبولها للمشروع .

المراجع :

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٩ ، بيروت .

— Keesings: Contemporary Archives, 1969.

الحسين (مشروع ـ ١٩٧٢) :

أعلن الملك حسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية عن مشروعه الخاص بإقامة " المملكة العربية المتحدة " يوم ١٩٧٢/٣/١٥ . وقد أشار في معرض إعلانه إلى أن اقتراحه يأتي نتيجة " ماركة لسلسلة طويلة من الأبحاث المتصلة والمشاورات المستمرة " عقدت مع "ممثلي الشعب ورجالاته في الضفتين ، وقادة الرأي ورجال الفكر فيهما " . وحدّد الملك مشروعه في النقاط التالية :

" ١) تصبح المملكة الأردنية الهاشمية مملكة عربية متحدة ، وتسمى بهذا الاسم .

" ٢) تتكوّن المملكة العربية المتحدة من قطرين :

(١) قطر فلسطين : ويتكون من الضفة الغربية وأية أراض فلسطينية أخرى يتم تحريرها ويرغب أهلها في الانضمام إليها (أي المملكة المقترحة) .

(٢) قطر الأردن : ويتكون من الضفة الشرقية .

" ٣) تكون عمان العاصمة المركزية للمملكة ، وفي الوقت نفسه تكون عاصمة لقطر الأردن .

" ٤) تكون القدس * عاصمة لقطر فلسطين .

" ٥) رئيس الدولة هو الملك . ويتولى السلطة التنفيذية المركزية ومعه مجلس وزراء مركزي . أما السلطة التشريعية المركزية فتناط بالملك ، وبمجلس يعرف باسم مجلس الأمة . ويجري انتخاب أعضاء هذا المجلس بطريق الاقتراع السري المباشر ، وبعدد متساوٍ من الأعضاء لكل من القطرين .

"٦) تكون السلطة القضائية المركزية منوطة بمحكمة عليا مركزية .

"٧) للمملكة قوات مسلحة واحدة قائدها الأعلى الملك .

"٨) تنحصر مسؤوليات السلطة التنفيذية المركزية في الشؤون ذات العلاقة بالمملكة كشخصية دولية واحدة ، وبما يكفل سلامة المملكة واستقرارها وازدهارها .

" ٩) يتولّى السلطة التنفيذية في كل قطر حاكم عام من أبنائه ، ومجلس وزراء قطري من أبنائه أيضا .

" ١٠) يتولى السلطة التشريعية في كل قطر مجلس يعرف باسم مجلس الشعب ويتم انتخابه بطريق الاقتراع السّري المباشر . وهذا المجلس هو الذي ينتخب الحاكم العام للقطر .

" ١١) السلطة القضائية في القطر هي محاكم القطر ، ولا سلطان لأحد عليها .

" ١٢) تتولى السلطة التنفيذية في كل قطر جميع شؤون القطر ، باستثناء ما يحدده الدستور للسلطة التنفيذية المركزية . ومن الطبيعي أن يصار في تنفيذ هذه الصيغة ومرتكزاتها إلى الأصول الدستورية المتبعة فتحال إلى مجلس الأمة ليتولى اتخاذ الإجراءات لوضع الدستور الجديد للبلاد " .

وقد أثار مشروع الملك حسين هذا زوبعة سياسية كبيرة . ففي الوقت الذي راجت فيه شائعات عن أن عددا من الدول العربية التي اعتصمت بالصمت ، علاوة على الولايات المتحدة الأمريكية ، قد وافقت ضمنيا على المشروع ، تحدثت إشاعات أخرى عن أن المشروع قد تمّ بمباركة أجنبية . ومع ذلك ، وعلى أثر حملة دبلوماسية قادها الأردن لصالح مشروع الملك ، وحملة فلسطينية مضادة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية * ، أعلنت بعض الدول العربية والأجنبية وبعض القوى السياسية الفلسطينية والعربية مواقف محددة .

فعلى الصعيد الفلسطيني أجمعت فصائل المقاومة الفلسطينية ، ضمن إطار منظمة التحرير الفلسطينية ، على رفض مشروع " المملكة العربية المتحدة " . وقد اعتبرت هذه الفصائل ومعها العديد من المؤسسات والهيئات الشعبية الفلسطينية ذلك المشروع جزءاً من مؤامرة تستهدف تصفية قضية فلسطين ، وسلب منظمة التحرير الفلسطينية أهليتها كممثل لشعب فلسطين . وقد تجلّى الموقف الفلسطيني الرافض للمشروع في البيانات المشتركة التي أصدرتها منظمة التحرير الفلسطينية مع عدد من الدول والقوى السياسية العربية ، كما تجلى في البيانات الرسمية التي أصدرتها كل من حركة التحرير الوطني الفلسطيني * (فتح) ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين * ، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين * ، وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني * ، والجبهة الشعبية ـ القيادة العامة * ، والجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين ، وجبهة التحرير العربية * ، وطلائع حرب التحرير الشعبية * ـ الصاعقة . وتبدّى أيضاً ذلك الموقف الفلسطيني الرافض في البيانات التي أصدرتها الهيئة العربية العليا لفلسطين * وكل من الاتحاد العام للحقوقيين الفلسطينيين * ، والاتحاد العام لطلبة فلسطين * ، والاتحاد العام لعمال فلسطين * ، والاتحاد العام للمرأة الفلسطينية ، والاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين * ، واتحاد الفنانين الفلسطينيين ، والهلال الأحمر الفلسطيني * ، والمجلس الأعلى لرعاية الشباب الفلسطينيين ، والمؤتمر الشعبي الفلسطيني (رَ : المجلس الوطني الفلسطيني) .

وعلى الصعيد العربي ، وباستثناء جمهورية السودان الديمقراطية التي دعت إلى عدم التسرع في الحكم على مشروع الملك حسين وإلى عقد مؤتمر قمة عربي لدراسته ، تفاوتت مواقف الدول العربية بين الصمت ومجرد التشديد على تأييد كل ما يرتضيه الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية والرفض القاطع لذلك المشروع . وقد تبدى الموقفان الأخيران فيما أعلنته كل من جمهورية مصر العربية ، والجمهورية العربية الليبية ، والجمهورية العربية السورية ، وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، والجمهورية العربية اليمنية ، والجمهورية العراقية ، والكويت . ومن ناحية ثانية أصدر عدد من الأحزاب والقوى السياسية العربية ، علاوة على بعض الاتحادات النقابية العربية ، بيانات أعلنوا فيها تأييدهم للثورة الفلسطينية ولمنظمة التحرير ، ورفضهم مشروع الملك حسين . ومن الأمثلة على ذلك البيانات التي أصدرتها الجبهة الوطنية الأردنية ، وكل من الحزب الشيوعي الأردني ، وحزب الجبهة القومية في اليمن الجنوبي ، والحزب السوري القومي الاجتماعي في لبنان ، وحزب التحرر والاشتراكية في المغرب ، وحزب البعث العربي الاشتراكي في سورية ، وحزب البعث العربي الاشتراكي في العراق ، والاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، واتحاد الصحفيين العرب ، والاتحاد المهني العربي لعمال البناء

وعلى الصعيد الدولي اختارت الولايات المتحدة الأمريكية عدم التعليق رسميا على مشروع الملك حسين ، في حين راجت تكهنات عن موقف بريطاني متعاطف معه . ومن ناحية ثانية أعلن الاتحاد السوفييتي ، والصين الشعبية ، وفرنسا ، تضامنها مع رغبات الشعب الفلسطيني ، وبالتالي رفضها مشروع المملكة العربية المتحدة .

وأما (إسرائيل) فقد أعلنت على لسان غولدا مائير رئيسة الحكومة آنذاك رفضها القاطع للمشروع ، رغم أن بعض المصادر الصحفية الإسرائيلية اعتبرته خطة تهدف إلى " إنزال ضربة سياسية قاضية " بالفدائيين الفلسطينيين .

المراجع :

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٢ ، بيروت .
ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٢ ، بيروت .
ـ سلمان رشيد سلمان : إسرائيل والتسوية ، بيروت ١٩٧٥ .
— An-Nahar Arab Report, Vol. 3, No 12, 1972.

الحسين بن أبي السريّ العسقلاني :

ز : ابن أبي السريّ العسقلاني

حسين فخري الخالدي (١٨٩٤ - ١٩٦٢) :

سياسي من رجالات الرعيل الأول في فلسطين . ولد في القدس * وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية فيها ، ثم انتقل إلى الكلية الإنجيلية السورية (الجامعة الأمريكية) في بيروت حيث درس الطب لمدة سنتين . ولم يتمكن من متابعة دراسته لأنه التحق بالجيش العثماني . وقد عاد إلى متابعة دراسة الطب في الجامعة اليسوعية ببيروت ، وتخرج منها سنة ١٩١٦ .

التحق بحكومة الملك فيصل الأول في دمشق وعيّن طبيبا في حلب . وقد عاد إلى القدس بعد أن أطاح الفرنسيون بحكم فيصل سنة ١٩٢٠ ، فعيّن نائبا لمدير الصحة العام في فلسطين . وظل في هذا المنصب حتى سنة ١٩٣٤ حين عيّن رئيسا لبلدية القدس إثر فوز قائمته في الانتخابات البلدية .

أسّس الخالدي في سنة ١٩٣٥ حزب الإصلاح * واختير عضوا في اللجنة العربية العليا * التي تألفت في ١٩٣٦/٤/٢٥ برئاسة محمد أمين الحسيني * . وكان واحدا من القادة الفلسطينيين الذين اعتقلتهم السلطات البريطانية سنة ١٩٣٧ ونفتهم إلى جزيرة سيشل . وقد بقي فيها حتى سنة ١٩٣٨ ، ثم ضمّه الوفد العربي الفلسطيني إلى مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن ، وصدر على أثره الكتاب الأبيض * سنة ١٩٣٩ (ز : لندن ، مؤتمر ١٩٣٩) .

تولّى الخالدي أمانة سر الهيئة العربية العليا * ، ودعا إلى تأسيس بيت المال العربي * لتمويل النشاط الوطني الفلسطيني . ولما اقترف الصهيونيون مذبحة دير ياسين (ز : دير ياسين ، مذبحة ١٩٤٨) صحب الخالدي وفد منظمة الصليب الأحمر الدولي إلى القرية لانتشال جثث الشهداء العرب من الآبار . وعقد مؤتمرا صحفيا كشف فيه عن بشاعة هذه الجريمة النكراء .

كان حسين فخري الخالدي المسؤول الكبير الوحيد الذي بقي في فلسطين عام ١٩٤٨ وتولى قيادة العمل الفلسطيني في حرب ١٩٤٨ من داخل فلسطين . ثم عيّن سنة ١٩٥٠ حارسا للأماكن المقدسة إلى أن تولى وزارة الخارجية الأردنية في حكومة فوزي الملقي سنة ١٩٥٣ ، كما اختير عضوا في مجلس الأعيان الأردني . ثم تولى ثانية وزارة الخارجية في حكومة سمير الرفاعي (١٩٥٥) . وأسندت إليه رئاسة الوزارة بعد استقالة حكومة سليمان النابلسي في ١٩٥٧/٤/١٥ . ولكن وزارته هذه لم تعمر إلّا أسبوعا واحدا فقط .

عاد الخالدي بعد ذلك إلى منزله في أريحا * حيث انكبّ على المطالعة ، ووضع كتابا يرد فيه على رواية « الخروج » للكاتب الأمريكي الصهيوني ليون أوريس ، وجعل عنوانه « الخروج العربي » كما كتب مقالات في صحيفة الجهاد * المقدسية هاجم فيها حلف بغداد * .

توفي في مستشفى السلط في شباط ١٩٦٢ ودفن في القدس تاركا مذكرات غنية ، وكتابين ، وعددا وافرا من المقالات .

المرجع :

- يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمّان ١٩٧٦ .

حسين بن محمد البالي (١٢٣٥ - ١٢٧١ هـ) (١٨٢٠ - ١٨٥٥ م) :

أديب ، شاعر ، فقيه ، ولد في غزة * . له مصنفات منها : « رسالة في المجاز » ، و« رسالة في إعراب لا سيّما » ، و« الكشف الوافي على متن الكافي » في العروض والقوافي . وله ديوان شعر .

توفي في حلب .

المرجع :

- محمد راغب الطبّاخ : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، حلب ١٣٤٢ هـ .

حسين بن محمد الخالدي (١١٥١ - ١٢٠٠هـ) (١٧٣٨ - ١٧٨٦ م) :

القدسي ، الحنفي ، أبو عبد الله . عالم ، أديب ، منشىء ، حسن الخط ، له نظم على طريقة الفقهاء . ولد في القدس * ودرس العلوم الدينية على شيوخ بلده . وأسندت إليه وظيفتا الشهادة والكتابة في مجلس القضاء في القدس ، وصار أحد العدول المرموقين . امتحن سنة ١١٩٩ هـ أيام نائب دمشق جواد الدين درويش بن عثمان الوزير ، ووشى به أناس فاستدعاه النائب من القدس وحبسه ، فتشفع به خليل المرادي مؤلف سلك الدرر ، وأخذه إلى داره . وعاد الخالدي إلى القدس فتوفي فيها .

له مصنفات منها : « البشائر النبوية » و« غاية الوصول في مدح

الرسول (ص) » و« تصدير وتعجيز قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير في مدح الرسول (ص) » .

المراجع :

- محمد خليل المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، القاهرة ١٣٠١ هـ .
- إسماعيل البغدادي : هدية العارفين ، أسماء المؤلفين والمصنفين ، إستانبول ١٩٥١ - ١٩٥٥ .

الحسين - مكماهون (مراسلات —) :

بعد الانقلاب الدستوري في الإمبراطورية العثمانية سنة ١٩٠٨ عُيِّنَ الشريف حسين أميراً على مكة فأخذ يثبت موقعه في الإمارة وسيادته على القبائل الحجازية ، ويسعى بحذر إلى إبراز المركز الممتاز للديار المقدسة واستقلال الحجاز والبلدان العربية ، وبدأ يعترض على تشدد الاتحاديين في نظام الحكم المركزي (ز : الاتحاد والترقي ، جمعية) ، على التجنيد الإجباري ، واعتزم الاتحاديون تأديب الحسين بتعيين والٍ للحجاز معروف بالغلظة والنزق . ولكن الحسين قاومه بعناد حتى اضطرت السلطة للإيعاز إلى الوالي بمصالحة الحسين في ربيع سنة ١٩١٤ .

وحين نشبت الحرب العالمية الأولى كان أمام العرب طريقان : إما الوقوف إلى جانب الدولة العثمانية ، وإما الثورة عليها وتحقيق استقلالهم عنها . وقد اتخذ الحسين قراراً يوفق بين الرأيين فأرسل مبعوثين إلى بلاد الشام وإلى كبار الزعماء العرب ليطلعوا على حقيقة الجو العام ومدى الاستعداد للثورة . كما قرر الإبقاء على صلته بالمعتمد البريطاني في القاهرة . وكان ابنه عبد الله قد فاتح المعتمد البريطاني بشأن توتر العلاقات بين والده والأتراك . وقد رأت بريطانيا أن الثورة العربية على الدولة العثمانية عامل حاسم في دحر الأتراك إبان الحرب ، ورأت في الشريف حسين الزعيم المأمول للثورة العربية نظراً لنسبه الهاشمي ، ولمركزه كشريف مكة المكرمة ولنفوذه بين القبائل في الحجاز ، ولموقع بلاده البعيد عن مراكز تجمع الجيوش وطرق المواصلات . وفيما كان الحسين يعمل على توطيد مركزه في الحجاز طلبت الدولة العثمانية منه تأييدها في دعوتها إلى الجهاد (تشرين الثاني ١٩١٤) وإرسال المتطوعين العرب للمشاركة في هذا الجهاد ضد دول الحلفاء . وتحرّج موقف الحسين وساءت أحواله حين حاصرت أساطيل الحلفاء سواحل الحجاز ، فانقطع بذلك تموين الديار المقدسة ، وأوشكت المجاعة أن تحل فيها . وتحقق الحسين من أن بريطانيا تمسك بزمام الطريق البحرية ، وأن ثورة عربية بزعامته يمكن أن تبطل أو تضعف دعوة الجهاد التي أعلنها السلطان العثماني بوصفه خليفة المسلمين . وباشر الحسين اتصالاته مع الإنكليز برسالة بعث بها إلى المستشار الشرقي في دار الاعتماد البريطانية بالقاهرة رونالد ستورز وقّعها عنه ولده عبد الله ، وفيها عبّر الحسين عن الرغبة في التفاهم مع بريطانيا ، وقصر إشاراته على الحجاز ، وتجنب أن يربط البلدان العربية الأخرى بشيء . ولكنه لّمح إلى أنه قد يستطيع قيادة أتباعه القريبين منه إلى الثورة إذا ما اضطره الأتراك إلى ذلك ، بشرط أن تتعهد إنكلترا بمساعدته . وورد إلى عبد الله بن الحسين جواب كتشنر وزير الحربية البريطانية من لندن وفيه وعد بريطانيا القاطع للحسين بضمان بقائه شريفاً لمكة ، وحمايته من كل اعتداء خارجي ، ومساعدة العرب في مساعيهم لنيل حريتهم بشرط مؤازرة إنكلترا على تركيا . وتمهّل الحسين في الجواب حتى يجمع قواته وينتهز الفرصة المواتية للثورة ويستشير الزعماء العرب الآخرين . وبعد ثمانية أشهر ، أي في تموز ١٩١٥ ، وعلى أساس ميثاق دمشق الذي اتفق عليه أقطاب جمعيتي العربية الفتاة* والعهد* ، قامت المفاوضات بين الحسين والإنكليز بمراسلات متبادلة بينه وبين مكماهون المعتمد البريطاني في القاهرة عرفت بمراسلات الحسين - مكماهون .

شدد الحسين على وجوب تحديد منطقة الاستقلال العربي لأنها للشعب العربي كله لا لشخصه . وجاء ذلك في مذكرة بتاريخ ١٤/٧/١٩١٥ أرسلها عبد الله باسم أبيه الشريف حسين إلى مكماهون ، وفيها مطالبة باسم الأمة العربية باعتراف بريطانيا باستقلال البلاد العربية المشتملة على سورية الكبرى (وفيها فلسطين ولبنان) ، والعراق ، جنوبه وشماله ، وجميع الجزيرة العربية (ما عدا عدن التي كانت آنئذ مستعمرة بريطانية) . وأكدت المذكرة أن العرب فضلوا بريطانيا على غيرها ، كما وعدت أن تفضل بريطانيا على غيرها في المصالح الاقتصادية في جميع البلاد العربية وطالبت بعقد حلف دفاعي - هجومي بين العرب والبريطانيين ، وبموافقة بريطانيا على إعلان خلافة عربية (ز : الحسين ، مذكرة ١٩١٥) .

في ٢٤/١٠/١٩١٥ رد مكماهون على مذكرة الحسين بمذكرة تضمنت وعدا له بأن تعترف بريطانيا باستقلال العرب ضمن البلاد التي اقترحها الشريف وتأييده . غير أن المذكرة استثنت من سورية القسم الواقع غربي ولاية الشام . وقد ورد في هذه المذكرة " إن ولايتي مرسين واسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب لا يمكن أن يقال إنها عربية محضة . وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة . ومع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المتعددة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود "

وفي ١٩١٥/١١/٥ ردّ الشريف حسين بقوله "تسهيلا للوفاق، وخدمة للأمة الإسلامية ، وفرارا مما يكلفها المشاق والإحن ، ولما لحكومة بريطانيا العظمى من الصفات والمزايا الممتازة لدينا ، نترك الإلحاح في إدخال ولايات مرسين وأضنة في أقسام المملكة العربية . وأما ولايتا حلب وبيروت وسواحلهما فهي ولايات عربية محضة لا فرق بين العربي المسيحي والمسلم فإنهما أبناء جد واحد "(١) .

وردّ مكماهون في ١٩١٥/١٢/١٣ بقوله " سرني ما رأيت من قبولكم إخراج ولايتي مرسين وأضنة من حدود البلاد العربية . اما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنهما ودوّنت ذلك عندها بعناية تامة . ولكن لمّا كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيهما فالمسألة تحتاج إلى نظر دقيق . وسنخابركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب "

وفي ١٩١٦/١/١ كتب الشريف حسين إلى مكماهون يقول : " أما الجهات الشمالية وساحلها فما كان في الإمكان من تعديل أتينا به في رقيمنا السابق . هذا ، وما ذاك إلاّ للحرص على الأمنيات المرغوب حصولها بمشيئة الله تبارك وتعالى . وهذا الحس والرغبة هما اللتي الزمتنا بملاحظة اجتناب ما ربما أنه يمس حلف بريطانيا العظمى لفرنسا واتفاقهما إبان هذه الحروب والنوازل . إلاّ أننا مع هذا نرى من الفرائض التي ينبغي لشهامة الوزير صاحب الرياسة أن يتيقّنها بأنه عند أول فرصة تضع فيها أوزار هذه الحروب سنطالبكم بما نغضّ الطرف عنه اليوم لفرنسا في بيروت وسواحلها " .

وأجاب مكماهون في ١٩١٦/٣/١٠ « وقد يسرّني ان اخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم ، وأن كل شيء رغبتم الإسراع فيه وفي إرساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا " . وكانت هذه الرسالة ، وهي العاشرة ، آخر المراسلات .

قام العرب بالثورة على الأتراك وأولوا بنصيبهم من الاتفاق . وحين طلبوا أن تفي بريطانيا بنصيبها فتعترف باستقلالهم راحت بريطانيا تفسر الاتفاق بأنه يستثني فلسطين بحدودها الدولية عند نهاية الحرب العالمية الأولى . ودأبت الحكومة البريطانية بين الحربين العالميتين على القول إن التحفظ الوارد في رسالة مكماهون إلى الشريف حسين المؤرخة في ١٩١٥/١٠/٢٤ يشمل ولاية بيروت وسنجق القدس المستقل ، وبناء عليه " تكون فلسطين برمّتها غربي الأردن مستثناة من تعهد السير هنري مكماهون " . ولكن هذه الدعوى البريطانية باطلة ، إذ يتضح من تحليل رسالة مكماهون إلى الحسين ان فلسطين لم تكن موضع بحث أبدا ، ولم تشملها التحفظات . فمن المعلوم أن السلطة العثمانية كانت مقسمة إدارياً إلى ولايات ، وكل ولاية تشتمل على عدد من السناجق (الألوية) والأقضية . وكانت سورية مقسمة إلى ثلاث ولايات وسنجق مستقل عنها ، وهي ولاية سورية وتدعى أيضا ولاية دمشق ، وولاية حلب ، وولاية بيروت ، وسنجق القدس الشريف . وكانت ولاية دمشق مثلاً تحتوي على أربعة سناجق منها حوران والكرك جنوباً وحماة شمالاً ، وعلى عدة أقضية أخرى . كما كان سنجق القدس يضمّ عدة أقضية (ر : الإدارة). وقد جاء في رسالة مكماهون المؤرخة في ١٩١٥/١٠/٢٤ " وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماه وحلب " والتي لا يمكن أن يقال إنها عربية محضة " . إن ذكر المدن الأربع دون تمييز بينها رغم اختلاف وضعها الإداري يثبت أن الاستثناء كان لما يعرف اليوم بالأراضي اللبنانية مع جزء من ساحل سورية الشمالي ، ولا يشمل الاستثناء فلسطين على الإطلاق .

ولو كان المراد من كلمة « دمشق » ولاية سورية على ما ذكره وزير المستعمرات البريطاني تشرشل في بيانه عام ١٩٢٢ لما كان

(١) هذه المقتطفات من الرسائل مأخوذة بنصها الحرفي كما وردت في الرسائل الأصلية دون أي تعديل أو تصحيح فيها .

[illegible]

المخلص

السير آرثر مكماهون

نائب جلالة الملك

تحريراً في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥

مكماهون بحاجة إلى ذكر حمص وحماة لأنها تدخلان ضمن ولاية سورية دخول الأقسام الجنوبية ، سنجق حوران وسنجق الكرك . ولكان يكفي أن يؤكد مكماهون أن الجهات الواقعة غربي دمشق وحلب تخرج من البلاد التي وعدت بريطانيا العرب باستقلالها . ولو كان المراد من إيراد لفظة « دمشق » سنجق دمشق لما كان من ضرورة لذكر حمص لأنها واقعة في سنجق دمشق ، ولما استثنيت فلسطين لأن سنجق حوران وسنجق الكرك ، ويقع غربيهما جزء من فلسطين ، كانا مستقلين ومنفصلين عن سنجق دمشق . إن عدم ذكر سناجق الكرك وعجلون وعمّان ، كما ذكرت حمص وحماة ، يدل بوضوح على أنه لم يكن المراد يومذاك إخراج القسم الواقع غربي شرق الأردن (أي فلسطين) من البلاد العربية التي تضمن بريطانيا استقلالها .

وتوكيداً لما تقدم من تحليل صرح مايكل مكدونيل رئيس المحكمة العليا بفلسطين أثناء قيام لجنة موم * (١٩٣٩) بتحقيقاتها في المراسلات بين الحسين ومكماهون ، صرح بأن " فلسطين كانت ضمن منطقة الاستقلال العربي . وإلاّ فلماذا تحدثوا عن مناطق دمشق وحمص وحماة وحلب وليست إحداها تقع إلى الشرق من فلسطين ، وكلها تقع شمالها بعيداً عنها ؟ إذا كان يجب وصف فلسطين فلماذا لا يتحدث عن بحيرة الحولة * ونهر الأردن * وبحيرة طبرية * والبحر الميت * كحدود شرقية ؟ " . وقد جاء في تقرير لجنة اللورد موم " إن حكومة صاحب الجلالة لم تكن حرة لتصرف بفلسطين دون اعتبار رغائب ومصالح سكان فلسطين " .

وفي عام ١٩٦٤ كشف النقاب عن وثيقتين سريتين تؤكدان التحليل السابق ، الأولى مذكرة من عشرين صفحة عن الالتزام البريطاني للحسين " أعدتها دائرة الاستخبارات السياسية في وزارة الخارجية البريطانية للوفد البريطاني إلى مؤتمر الصلح في باريس (١٩١٩) " ، والثانية ملحق من اثني عشرة صفحة عن " التزامات حكومة جلالته السابقة في الشرق الأوسط " . وكانت الوثيقتان تخصان ويليام لين وسترمان مستشار الشؤون التركية للوفد الامريكي إلى مؤتمر الصلح ، وحفظتا بجامعة ستانفورد مع التوصية بعدم كشف ما جاء فيهما إلاّ بعد وفاته . وقد ورد في القسم الرابع من المذكرة : " أما فيما يتعلق بفلسطين فإن حكومة جلالته التزمت في رسالة من السير هنري مكماهون إلى الشريف حسين بتاريخ ٢٤ تشرين الأول ١٩١٥بضمّها إلى حدود المناطق العربية " .

ومهما يكن من أمر هذه المراسلات فإن تصرفات بريطانيا أثناءها (اتفاق سايكس - بيكو) * وبعدها (وعد بلفور) * أظهرت نياتها الاستعمارية في سلخ فلسطين عن جسم الأمة العربية والتمهيد لمنحها للحركة الصهيونية لتقيم عليها دولتها .

لقد أخذ زعماء الحركة القومية العربية على الحسين انفراده في التعامل مع بريطانيا ، ووثوقه الكامل بوعودها ، وعدم إبرامه معاهدة صريحة مصادقاً عليها تنظم العلاقات معها . فلقد اطمأن الشريف حسين إلى وعود بريطانيا فخدعته ، ونكثت بوعودها له ، وطعنت العرب باتفاقية سايكس - بيكو ، ووعد بلفور ، وما أعقبهما .

المراجع

- فايز صايغ : وثيقتان بريطانيتان سريتان ، مجلة حوار ، بيروت ١٩٦٤ ، عدد ٨

- أحمد طربين : قضية فلسطين ، دمشق ١٩٦٨ .

- جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، (الترجمة العربية) ، بيروت ١٩٦٦ .

- الوثائق الرئيسة لفلسطين ، المجموعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٧

— Tibavi, A. L.: **Anglo Arab Relations and the Question of Palestine 1914-1921**, London, 1977.

— Tibavi, A. L: **A Modern History of Syria, Lebanon and Palestine**, London, 1969.

حسين باشا ابن مكي : د : الغزاوي (أسو -)

الحسينية (قرية –) :



قرية عربية تقع على بعد نحو ١٢ كم إلى الشمال الشرقي من صفد * بالقرب من طريق صفد ـ المطلة . نشأت الحسينية على الضفة الجنوبية للمجرى الأدنى لسيل حنداج فوق رقعة مبسطة من الأرض ترتفع نحو ١٤٥ م عن سطح البحر ، وتشرف على سهل الحولة * الممتد إلى الشمال الشرقي منها . كانت القرية تبعد عن بحيرة الحولة * مسافة ٤ كم ، وترتبط معها بطريق ثانوية . وكانت الأراضي الممتدة بين الحسينية وبحيرة الحولة مخصصة لعرب زبيد يتجولون فيها ويمارسون حرفة الزراعة * .

تحيط بالحسينية أراض زراعية خصيبة تنتج مختلف أصناف الفواكه والزيتون * والبصل والذرة الصفراء التي يتركز معظمها في الجهة الشمالية من القرية . وتتوافر المياه السطحية من سيل حنداج الأدنى ، علاوة على مياه الينابيع والآبار ، وأهمها عين عدس وبئر الحسينية .

بلغ عدد سكان الحسينية نحو ١٧٠ نسمة في عام ١٩٤٥ ، وكانوا يمارسون حرفة الزراعة إلى جانب تربية المواشي ، وبخاصة الجواميس التي استفادوا منها في أعمال الحراثة وإنتاج الألبان واللحوم . وكان السكان يشتركون مع جيرانهم سكان قرية التليل * في المدرسة الابتدائية الواقعة بين القريتين .

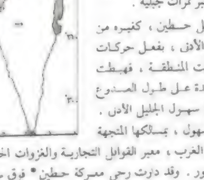
دمر الصهيونيون قرية الحسينية عام ١٩٤٨ وطردوا سكانها العرب وأقاموا على أراضيها مستعمرة « حولاتا » .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٦ ، ق٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الحولة .

الحصكفي : ر : جار الله بن أبي بكر بن محمد الحصكفي
ر : جار الله بن محمد بن أبي اللطف الحصكفي
ر : محمد بن علي بن أبي اللطف الحصكفي
ر : محمد بن أبي اللطف الحصكفي
ر . محمد بن يوسف بن أبي اللطف الحصكفي

حِطّين (قرية –) :



قرية عربية تبعد نحو ٩ كم غربي مدينة طبرية * . يتميز موقعها الجغرافي بأهمية كبيرة لتحكّمه بسهل حطين الذي يتصل بسهل طبرية عبر فتحة طبيعية ، إلى جانب اتصاله بسهول الجليل الأدنى عبر ممرات جبلية .

نشأ سهل حطين ، كغيره من سهول الجليل الأدنى ، بفعل حركات تكتونية انتابت المنطقة ، فهبطت الأراضي الممتدة على طول الصدوع العرضية مكوّنة سهول الجليل الأدنى . وكانت هذه السهول ، بمسالكها المتجهة من الشرق إلى الغرب ، معبر القوافل التجارية والغزوات الحربية على مر العصور . وقد دارت رحى معركة حطين * فوق سهل حطين ، وفيها انتصر صلاح الدين الأيوبي * على الجيوش الصليبية ، وتمت له السيطرة على الجليل بأسره .

نشأت قرية حطين فوق سهلها الممتد من الشرق إلى الغرب ، والمحصور بين جبل المزّقة وظهر السور وظهر الشنيف شمالاً وقرون حطين جنوباً . ويرتفع موضع القرية ١٠٠ ـ ١٢٥ م فوق سطح البحر . ولم تكن مساحة القرية تتجاوز ٧٠ دونما . وكان مخططها على شكل مثلث تمتد قاعدته نحو الجنوب الشرقي ورأسه في الشمال الغربي . وتميزت شوارع القرية بالاستقامة نتيجة انبساط الأرض وكان قلبها في الجهة الشمالية الغربية حيث توجد سوق صغيرة ومدرسة ابتدائية ومسجد .

بلغ مجموع مساحة الأراضي التابعة لقرية حطين نحو ٢٢,٧٦٤ دونما ، منها ٨ دونمات للطرق * والأودية ، و ١٤٣ دونما تسرّبت إلى الصهيونيين . ويمرّ وسط أراضيها الزراعية وادي خنفور الذي يبدأ من جبل المزّقة ويتجه نحو جنوب الجنوب الغربي فاصلاً بين قرية حطين وقرية نمرين * إلى الغرب . وتتميز أراضي حطين بخصب التربة واعتدال المناخ وكثرة الأمطار وتوافر المياه الجوفية ، ولا سيما في الجزء الشمالي من السهل حيث توجد مجموعة الينابيع والآبار على طول جبل المزّقة . وقد أدّى ذلك كله إلى اشتغال معظم سكان القرية بالزراعة * ، وإلى قيام زراعة ناجحة حول حطين . وأهم المحاصيل الزراعية الحبوب * والأشجار المثمرة ، ولا سيما الزيتون * الذي احتل أكثر من ألفي دونم .

كان عدد سكان حطين ٨٨٩ نسمة عام ١٩٢٢ ، وزاد عددهم إلى ٩٣١ نسمة عام ١٩٣١ ، وأصبحوا ١.١٩٠ نسمة عام

١٩٤٥ . وقد أبلوا بلاء حسنا في الدفاع عن أرضهم التي شهدت الانتصار الحاسم على الصليبيين . وكانت لهم وقفة مشرفة في وجه الصهيونيين عام ١٩٤٨ ، ولكن قوة الاحتلال تغلبت فطردتهم من بيوتهم ، وقامت بتدمير قريتهم ، وأنشأت فوق أراضيها مستعمرات « كفار زيتيم » في الشمال الشرقي من موقع حطين ، و « أحوزات نفتالي » في الجنوب الشرقي ، و « كفار حيتيم » في الشرق .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٦ ، ق٢ ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة جبل طابور

حِطّين (معركة ـ) :

من المألوف في كتب التاريخ اعتبار معركة حطين نتيجة حتمية لسياسة الأمير الصليبي أرناط صاحب حصن الكرك الذي استثار صلاح الدين الأيوبي * بسياسته الهوجاء ودأبه على العدوان على المسلمين ، ناقضاً الهدنات والاتفاقيات والعهود المعقودة بين الطرفين . ولكن هذا الربط بين سياسة أرناط ومعركة حطين يحجب في حقيقة الأمر الرؤية التاريخية الواضحة لهذه المعركة ، ذلك أن سياسة الجهاد التي اتبعها صلاح الدين وخطّط لها تخطيطاً متقناً كانت لا بد أن تنتهي إلى صدام بينه وبين الفرنجة * ـ من مستوى معركة حطين ـ سواء ظهر أرناط على مسرح الحوادث أو لم يظهر . وأما ظهور أرناط ، وسياسته الخرقاء من نكث العهود والغدر بالآمنين ، واستفزاز المسلمين بالشروع في محاولات العدوان على الحرمين بالحجاز حينا ، وعلى قوافل الحجاج والتجار أحيانا ، فإن ذلك لا يعدو أن يكون السبب الظاهري أو المباشر لمعركة حطين لا السبب الحقيقي .

والواقع أن صلاح الدين كان في عام ٥٨٢ هـ/ ١١٨٦ م قد فرغ من إحياء الجبهة الإسلامية المتحدة بعد أن دانت الموصل له بالطاعة ، وغدا نفوذه يمتد فعلا من النيل إلى الفرات ، الأمر الذي جعل الفرنجة في فلسطين مطوّقين من الشمال والجنوب . وزاد من سوء وضع مملكة الفرنجة في بيت المقدس اضطراب أوضاعها الداخلية نتيجة لوفاة ملكها المريض بلدوين الرابع ، وقيام ملك قاصر هو بلدوين الخامس الذي لم يلبث أن توفي هو الآخر ، مما أدى إلى سلسلة من المؤامرات الداخلية بين الفرنجة انتهت بتنصيب غي لوسينيان على عرش المملكة الصليبية سنة ٥٨٢ هـ/ ١١٨٦ م . وكان غي هذا رجلاً ضعيفاً لم يستطع أن يحظى باحترام أمراء دولته ، وعلى رأسهم أرناط صاحب حصن الكرك (ر : القدس ، مملكة ـ اللاتينية) .

وفي تلك المرحلة كانت هناك هدنة بين صلاح الدين والفرنجة مدتها أربع سنوات تبدأ بسنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م . ولكن أرناط بسياسته الخرقاء لم يشأ أن يترك الفرنجة في فلسطين ينعمون بهذه الفرصة لتصفية خلافاتهم الداخلية ، واختار أن ينقضّ في سنة ٥٨٣ هـ/١١٨٧ م على قافلة للمسلمين أثناء سيرها من القاهرة إلى دمشق ، فعجّل بالمعركة الحتمية بين صلاح الدين والفرنجة برفضه إطلاق سراح أسرى رجال هذه القافلة . ولمّا اتضح لصلاح الدين عجز الملك غي لوسينيان عن ردع تابعه أرناط وإجباره على ردّ الأسرى لم يجد أمامه إلاّ القتال . وكان أن قام بحركة تعبئة شاملة لقواته التي أخذت تتوافد إليه من مصر وحلب والجزيرة وديار بكر . ولمّا اكتملت قواته خرج على رأسها من دمشق في ٥٨٣ هـ/ آذار سنة ١١٨٧ م ليهاجم حصني الكرك والشوبك . واصطدم بالفرنجة عند صفورية * في موقعة سقط فيها معظم جيشهم بين قتل وأسرى ، في حين عدّ المسلمون هذا النصر « باكورة البركات » .

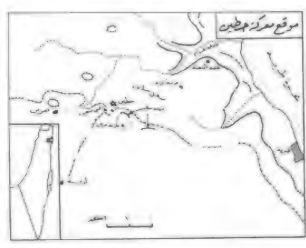


موقع معركة حطين

أما الفرنجة فقد ثابوا إلى رشدهم بعد هذه الهزيمة التي حلّت بهم ، فوحّدوا صفوفهم ، وحاولوا أن يتناسوا خلافاتهم ، وحشدوا قواتهم عند صفورية . وهنا ظهرت براعة صلاح الدين العسكرية ، فقرر ألاّ يتقدم نحو الصليبيين لمنازلتهم ، واختار أن يستدرجهم ليسيروا نحوه فيصلوا إليه منهكين من طول الطريق وحرارة الجو وقلة الماء . ولذلك بادر صلاح الدين بمهاجمة مدينة طبرية * وإحراقها ـ وكانت من ممتلكات الفرنجة ـ الأمر الذي استثارهم فزحفوا لتخليصها في ظروف قاسية . وكان صلاح الدين ورجاله ينتظرونهم قرب طبرية ناعمين بالماء الوفير والظل المديد ، مدّخرين قواهم

لساعة الفصل . وعندما سمع صلاح الدين بأن الصليبيين شرعوا في الزحف إليه تقدم على رأس رجاله نحواً من خمسة أميال ليرابط غربي طبرية عند قرية حطين* ، وهي قرية من منطقة غنيّة المرعى وفيرة الماء بها قبر النبي شعيب .

وكان ذلك في ٥٨٣ هـ/ تموز ١١٨٧ م في يوم راكد الهواء شديد الحرارة بلغ فيه الفرنجة " سطح جبل طبرية " المشرف على سهل حطين ، وهي منطقة على شكل هضبة ترتفع عن سطح البحر أكثر من ٣٠٠ م ، ولها قمتان أشبه بالقرنين ، مما جعل العرب يطلقون عليها اسم « قرون حطين » . وقد حرص صلاح الدين على أن يقف رجاله بحيث يحولون بين الفرنج والوصول إلى ماء بحيرة طبرية في وقت " اشتد بهم العطش" . ثم أمر صلاح الدين بإشعال النار والأعشاب والأشواك التي تكسو الهضبة ، " وكانت الريح على الفرنج ، فحملت حرّ النار والدخان إليهم ، فاجتمع عليهم العطش ، وحرّ الزمان ، وحرّ النار ، والدخان وحرّ القتال " على قول ابن الأثير .



وعندما أشرقت شمس يوم السبت اكتشف الفرنجة أن صلاح الدين استغلّ ستار الليل ليضرب نطاقاً حولهم حتى أحاطت بهم قواته " إحاطة الدائرة بقطرها " . وبذلك بدأ الهجوم الشامل على الفرنجة وهم في أسوأ الظروف " فأخذتهم سهام المسلمين ، وكثر فيهم الجراح ، وقوي الحر وسلبهم العطش القرار" على قول المؤرخ ابن واصل . وكان أن انتهت المعركة بوقوع الجيش الصليبي بأكمله بين أسرى وقتلى ، ولم يستطع النجاة من أمراء الصليبيين سوى ريموند أمير طرابلس في قلة من رجاله . وأما غي لوسينيان ملك الفرنجة ، وأرناط صاحب حصن الكرك ، وجيرار مقدم الداوية* ، فقد سيقوا مع غيرهم من أكابر الفرنجة إلى صلاح الدين في مخيمه ، فأحسن استقبالهم وأمر لهم بالماء المثلج ليرووا ظمأهم ، خلا أرناط الذي ذكّره صلاح الدين بجرائمه ، " وقرعه بذنوبه وعدد عليه غدراته " ، ثم أمسك سيفه وأطاح برأسه .

والحق إن معركة حطين بالنسبة إلى الفرنجة كانت أضخم من كارثة حربية ، لأنه لم ينتج عنها أسر ملكهم وضياع هيبة مملكتهم وسلطتها الفعلية في فلسطين فحسب ، وإنما نتج عنها أيضاً نقص واضح في الفرسان المحاربين ، بعد أن سقط زهرة فرسانهم بين قتيل وأسير - فمن شاهد القتلى قال ما هناك أسير ، ومن عاين الأسرى قال ما هناك قتيل " على قول أبي شامة . ولا يخفى أن الوجود الصليبي الذي ولد ضعيفاً في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، وظل منذ ذلك الوقت يعاني نقصاً شديداً في المحاربين والسكان الفرنجة ، كان لا يستطيع أن يتحمل الكارثة التي حلّت به في حطين . وهكذا غدت فلسطين عقب معركة حطين في متناول قبضة صلاح الدين ، فشرع بفتح البلاد والمدن والثغور الصليبية واحداً بعد آخر ، حتى توّج جهاده بتحرير بيت المقدس في سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧ م .

المراجـع :

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، القاهرة ١٣٠٣ هـ .
- أبو شامة : أزهار الروضتين في أخبار الدولتين ، القاهرة ١٢٨٧ هـ .
- ابن شداد : سيرة صلاح الدين (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) ، القاهرة ١٩٦٤ .
- ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية (مترجم) ، بيروت ١٩٦٧ .
- سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، القاهرة ١٩٦٣ .

حفيد البناء : رَ : محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي

حق : رَ : تقرير المصير
رَ : العودة
رَ : اللاجئين الفلسطينيين
رَ : النازحين

الحقب الجيولوجية : رَ : البنية والبناء الجيولوجي

حقوق الإنسان (لجنة ـ) :

لجنة حقوق الإنسان *Commission on Human Rights* هي

لجنة فنية تابعة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي أحد الأجهزة الرئيسة الستة التي تتكون منها منظمة الأمم المتحدة . وقد جاء اختصاص المجلس الاقتصادي والاجتماعي في مسائل حقوق الإنسان في المادة ٦٢ من ميثاق الأمم المتحدة التي تقضي بأنه من بين وظائف المجلس " أن يقدم توصيات فيما يختص بإشاعة احترام حقوق الانسان والحريات الأساسية ومراعاتها " ، وأن يعدّ مشروعات اتفاقات بهذا الشأن لتعرض على الجمعية العامة ، ويدعو إلى مؤتمرات دولية لدراسة المسائل التي تدخل في دائرة اختصاصه .

ويستند وجود لجنة حقوق الإنسان إلى المادة ٦٨ من الميثاق التي تخوّل المجلس الاقتصادي والاجتماعي إنشاء لجان للشؤون الاقتصادية والاجتماعية ولتعزيز حقوق الإنسان . وقد قام المجلس بإنشاء لجنة حقوق الإنسان منذ دورته الأولى بالقرار رقم ٥ (د ـ ١) في ١٩٤٦/٢/١٦ . وكان عدد أعضاء اللجنة واحداً وعشرين عضواً ، ثم زيد في ثلاث مرات حتى أصبح ثلاثة وأربعين عضواً في عام ١٩٨٠ .

وتتكون اللجنة من ممثلي الدول الذين يختارون على أساس قاعدة التوزيع الجغرافي العادل ، ولمدة ثلاث سنوات . ويتراوح التمثيل العربي في اللجنة بين ثلاث وخمس دول عربية . وتنطبق على اللجنة اللائحة الداخلية للجان الفنية التابعة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي . وهي تجتمع بشكل سنوي .

تتلخص مهمة اللجنة ، كما حددها المجلس الاقتصادي والاجتماعي ، في تقديم اقتراحات وتوصيات وتقارير للمجلس حول :

١) إعلان دولي لحقوق الإنسان .

٢) إعلانات أو اتفاقات دولية حول الحريات المدنية ، ووضع المرأة ، وحرية الإعلام ، والمسائل المشابهة .

٣) حماية الأقليات .

٤) تحريم التمييز على أساس العرق والجنس واللغة والدين .

٥) أي مسألة أخرى تتعلق بحقوق الإنسان ولا تشملها الفقرات السابقة .

وتقوم اللجنة بعمل دراسات وتوصيات وتحقيق مهام أخرى بناء على طلب المجلس الاقتصادي والاجتماعي ، وتقدم أيضاً مقترحات تتعلق بوسائل تأمين الاحترام الفعّال لحقوق الإنسان وحرياته الأساسية .

ومن المعروف أن المسائل الخاصة بحقوق الإنسان ذات أهمية سياسية حسّاسة بالنسبة إلى الدول الأعضاء في اللجنة . ويمثّل التصويت على القرارات التي تصدر عنها ، والخاصة بقضية فلسطين ، مواقف الدول الأعضاء من حقوق الإنسان بشكل عام ، ومن قضية فلسطين بشكل خاص .

ويصعب الحديث عن لجنة حقوق الإنسان وقضية فلسطين دون التطرق إلى هيئات الأمم المتحدة الأخرى التي عالجت هذه المسألة ، ولا سيما مجلس الأمن والجمعية العامة ، لأن القرارات التي تصدر عن اللجنة فيما يتعلق بقضية فلسطين تعبّر عن الاتجاه العام السائد في الأمم المتحدة بالنسبة إليها ، وتظهر قرارات الجهازين الرئيسين فيها ، وهما مجلس الأمن والجمعية العامة . ولهذا تنسجم قرارات لجنة حقوق الإنسان المتصلة بقضية فلسطين في كثير من الأحيان مع قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة ولكن ما يميز عمل اللجنة أنها تركز على جانب حقوق الإنسان ، لا على الجانب السياسي الذي يهتم به أساسا الجهازان الرئيسان للمنظمة .

ويبرز استعراض قرارات لجنة حقوق الإنسان المتصلة بقضية فلسطين ، مثلها في ذلك مثل قرارات الأمم المتحدة الأخرى في الموضوع ذاته ، التغيّر الذي طرأ على طبيعة هذه القرارات تبعاً للتطورات السياسية والعسكرية وغيرها في المنطقة . ولكن يلاحظ أن ثمة مجموعة من هذه القرارات قد أصبحت قرارات رتيبة يجري ترديدها عاماً بعد عام .

كانت بداية اهتمام اللجنة بقضية فلسطين في دورتها الرابعة والعشرين التي أعقبت العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧ (ر : حرب ١٩٦٧) . فقد شهدت المرحلة التالية تزايداً واضحاً في عدد القرارات التي صدرت عن الأمم المتحدة بشأن فلسطين والشرق الأوسط ، وذلك بعد عقدين من التجاهل والإنكار وطرح المسألة من زاوية لاجئين فحسب .

وعلى أثر هذه الدورة أصدرت اللجنة القرار رقم ٦ (د ـ ٢٤) بتاريخ ١٩٦٨/٢/٢٧ الذي أكدت فيه ، كما فعل من قبلها مجلس الأمن (القرار ٢٣٧ في ١٩٦٧/٦/١٤) والجمعية العامة (القرار ٢٥٢ الدورة الاستثنائية الطارئة ـ ٥) ، أكدت فيه " حق كل السكان الذين رحلوا منذ نشوب القتال في الشرق الأوسط في العودة ، وأن على الحكومة المعنية اتخاذ الإجراءات الضرورية من أجل تسهيل عودة هؤلاء السكان إلى ديارهم دون تأخير " .

وقد صدر هذا القرار بالاستناد إلى نصوص اتفاقيات جنيف بتاريخ ١٩٤٩/٨/١٢ بشأن حماية المدنيين وقت الحرب ، ونصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي يقر مبدأ حق كل فرد في العودة إلى بلده ، ونال القرار تأييد جميع أعضاء اللجنة ، ومن ضمنهم ممثل الولايات المتحدة الامريكية .

وبعثت اللجنة على أثر هذه الدورة برقية إلى حكومة (إسرائيل) بتاريخ ١٩٦٨/٣/٨ طلبت إليها فيها " الامتناع فوراً عن ارتكاب أعمال هدم بيوت لسكان المدنيين العرب الذين يسكنون المناطق التي احتلتها إسرائيل ، واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية " .

وفي الدورة الخامسة والعشرين أكدت اللجنة من جديد في القرار رقم ٦ (د ـ ٢٥) بتاريخ ١٩٦٩/٣/٤ ما تضمنه قرارها السابق ، وأعربت عن قلقها الشديد " بسبب رفض إسرائيل الالتزام بتفاقية جنيف المؤرخة في ١٩٤٩/٨/١٢ ، والخاصة بحماية المدنيين في وقت الحرب " ، ودعت حكومة (إسرائيل) إلى احترام هذه الاتفاقية وتطبيقها بصورة تامة .

وقررت كذلك تأليف فريق عمل خاص من الخبراء يضم أعضاء فريق العمل الخاص الذي سبق أن شكلته اللجنة للنظر في الاتهامات بالتعذيب والمعاملة السيئة للمساجين والمعتقلين في جنوب أفريقيا . وعهدت إلى فريق العمل المذكور بمهمة :

" أ ـ التحقيق في الادعاءات الخاصة بانتهاك إسرائيل لاتفاقية جنيف المؤرخة في ١٩٤٩/٨/١٢ المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب في الأراضي التي تحتلها إسرائيل نتيجة نشوب القتال في الشرق الأوسط .

" ب ـ تلقي الرسائل ، وسماع الشهود ، واستخدام أية إجراءات شكلية يُرى أنها ضرورية .

" ج ـ تقديم تقارير بالنتائج التي يتوصل إليها وتوصياته في هذا الشأن إلى دورة لجنة حقوق الإنسان السادسة والعشرين " .

وقد تقرر اعتباراً من دورة اللجنة عام ١٩٦٩ إدراج مسألة حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة نتيجة نشوب القتال في الشرق الأوسط بنداً مستقلاً له أسبقيته في جدول أعمال الدورات السنوية التالية

وخلافاً للقرار رقم ٦ الذي أيدته أكثرية الأعضاء كان قرار اللجنة رقم ٧ الذي صدر في الدورة والتاريخ نفسيهما بإجماع الأصوات . والسبب في ذلك أنه اقتصر على الدعوة إلى إقامة تسوية سلمية لنزاع الشرق الأوسط واحترام الحقوق الأساسية لجميع السكان في المنطقة .

وفي الدورة السادسة والعشرين أخذت لجنة حقوق الإنسان بالاعتبار تقرير فريق العمل الخاص الذي أعده بعد زيارة عدة بلدان في الشرق الأوسط وسماع الشهود وجمع المعلومات المكتوبة ، ولاحظت اللجنة في قرارها رقم ١٠ (د ـ ٢٦) المؤرخ في ١٩٧٠/٣/٢٣ " بخيبة أمل رفض إسرائيل التعاون مع الفريق السالف الذكر" . وأيدت " النتائج التي انتهى إليها فريق العمل بشأن :

" أ) تطبيق اتفاقية جنيف الخاصة بحماية المدنيين في وقت الحرب على كل المناطق المحتلة ، بما في ذلك القدس المحتلة .

" ب) وجود انتهاكات لتلك الاتفاقية في المناطق الخاضعة للاحتلال الإسرائيلي " .

وكرّرت اللجنة دعوتها (إسرائيل) إلى احترام هذه الاتفاقية ، وإلى الإحجام عن إقامة مستعمرات في الأراضي المحتلة ، وإلى الكفّ فوراً عن إجبار سكان المناطق المحتلة على التعاون مع سلطات الاحتلال الإسرائيلية ، وإلى ضمان العودة الفورية للأشخاص الذين رحلوا أو نقلوا ، إلى ديارهم ، وإلى الإحجام عن تدمير المنازل ، وإلى إعادة الممتلكات المصادرة ، وإلى الكفّ فوراً عن ترحيل المدنيين الفلسطينيين عن قطاع غزة

وقد صدر هذا القرار بأغلبية ١٢ صوتاً مقابل لا شيء ، وامتناع ١٦ عن التصويت من بينها الولايات المتحدة .

وكان أمام اللجنة في دورتها السابعة والعشرين تقرير اللجنة الخاصة للتحقيق في الممارسات الإسرائيلية التي تمس حقوق الإنسان لسكان المناطق المحتلة ، وهو الذي تقدمت به إلى الدورة الخامسة والعشرين للجمعية العامة عام ١٩٧٠ . وكانت هذه اللجنة الخاصة قد قصرت زيارتها على مصر وسورية والأردن ولبنان بسبب رفض (إسرائيل) التعاون معها . وقد استمعت في الأقطار التي زارتها إلى ١٤٠ شاهداً ، وجمعت وثائق مكتوبة وإقرارات مختلفة من أشخاص على علم بالأوضاع في الأراضي المحتلة . وخلصت إلى أن (إسرائيل) تتبع في الأراضي المحتلة " سياسات وممارسات هي انتهاك لحقوق الإنسان لسكان هذه الأراضي " .

وعلى الأثر تبنّت لجنة حقوق الإنسان بأغلبية ١٤ صوتاً مقابل صوتين (الولايات المتحدة أحدهما) وامتناع ١٤ القرار رقم ٩ (د ـ ٢٧) الصادر في ١٩٧١/٣/١٥ الذي أكدت فيه من جديد قراراتها السابقة ، وأضافت " أن جميع الإجراءات التي قامت بها إسرائيل لاستعمار المناطق المحتلة ، بما في ذلك القدس المحتلة ، لاغية وباطلة " . كما حثّت اللجنة " الصليب الأحمر على التعاون مع أجهزة الأمم المتحدة ، وخصوصاً مع اللجنة الخاصة للتحقيق في الممارسات الإسرائيلية التي تمس حقوق الإنسان لسكان الأراضي المحتلة في تنفيذ مهمتها لضمان حقوق الإنسان لسكان المناطق المحتلة "

وأكّدت اللجنة قراراتها السابقة في القرار رقم ٣ (د ـ ٢٨) الصادر بتاريخ ١٩٧٢/٣/٢٢ بأغلبية ١٥ صوتاً مقابل ٤ (من بينها الولايات المتحدة) وامتناع ١١ ، وأضافت " أن المخالفات الخطرة التي ارتكبتها إسرائيل لاتفاقية جنيف الرابعة في الأراضي العربية المحتلة تكوّن جرائم حرب وإهانة للبشرية " ، ومن بين هذه المخالفات الخطيرة التي أشارت إليها اللجنة " الترحيل أو النقل غير القانوني ، والسجن غير القانوني ، ومنع الحق في محاكمة عادلة ونظامية ، وأخذ الرهائن ، وهدم الأملاك ونزع ملكيتها على نطاق واسع " .

وفي الدورة التاسعة والعشرين أكّدت اللجنة من جديد قراراتها السابقة وتبنّت قرار الجمعية العامة رقم ٢٩٤٩ (د ـ ٢٧) الذي جاء فيه : " إن جميع التدابير التي اتخذتها إسرائيل لتغيير التركيب السكاني ووضع المناطق العربية المحتلة ، بما فيها القدس المحتلة ، لاغية وباطلة " . ودعت اللجنة (إسرائيل) " إلى أن توقف إقامة المستعمرات في المناطق العربية المحتلة ، وأن تلغي جميع السياسات والتدابير التي تؤثر في التركيب السكاني وفي طبيعة هذه الأراضي " . وجاء ذلك التأكيد وهذا التبني في قرار اللجنة رقم ٤ (د ـ ٢٩) الصادر بتاريخ ١٩٧٣/٣/١٤ بأغلبية ١٨ صوتاً مقابل صوتين ، أحدهما الولايات المتحدة ، وامتناع ١٠ عن التصويت .

واتخذت اللجنة في الدورة الثلاثين القرار رقم ١ (د ـ ٣٠) الصادر بتاريخ ١٩٧٤/٢/١١ بأغلبية ٢١ صوتاً ضد صوت واحد ، وامتناع ثمانية أصوات من بينها الولايات المتحدة . ولا يختلف مضمون هذا القرار عن مضمون القرارات السابقة .

جاء التحوّل الكبير لصالح القضية الفلسطينية عام ١٩٧٤ عندما قبلت الجمعية العامة الاستماع إلى رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية * ، وتبع ذلك اعتراف الجمعية العامة للأمم المتحدة " بالحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني ، بما فيها حقه في تقرير المصير دون تدخل خارجي ، والحق في الاستقلال والسيادة الوطنية " (القرار رقم ٣٢٣٦ ، د ـ ٢٩ ، في ١٩٧٤/١١/٢٢) وقبولها في المنظمة بصفة مراقب دائم لدى الأمم المتحدة (القرار رقم ٣٢٣٧ ، د ـ ٢٩ ، بتاريخ ١٩٧٤/١١/٢٢) (ر : الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني ، ومنظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة) .

وانطلاقاً من هذه القرارات الدولية وغيرها أكّدت لجنة حقوق الإنسان في دورتها الحادية والثلاثين ، فضلاً عمّا جاء في قراراتها السابقة ، " أن جميع الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل لاستغلال الموارد البشرية والطبيعية ، وجميع الموارد الأخرى في الأراضي العربية المحتلة ، تشكّل خرقاً للسيادة الدائمة للشعب العربي على مصادره الطبيعية " ، كما أكّدت " أن الاحتلال العسكري للأراضي يشكل تهديداً خطراً للسلام والأمن الدوليين ، وأنه بذاته خرق مستمر لميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان " . ودانت " جميع الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع القدس " (القرار رقم ٦/أ (د ـ ٣١) بتاريخ ١٩٧٥/٢/٢١ ، وقد صدر بأغلبية ٢٢ صوتاً ضد صوت واحد هو صوت الولايات المتحدة ، وامتناع ٩) .

أما الجزء ب من القرار السابق فقد ووفق عليه بأغلبية ٢١ صوتاً مقابل ٦ ضدّه ، وامتناع ٥ . وهو يشجب " سياسة وممارسة تدنيس المعابد الإسلامية والمسيحية ، وعدم احترام القادة الدينيين وسوء معاملتهم ، وانتهاك حرية العبادة في الأراضي العربية التي تحتلها إسرائيل " . وطلب القرار من (إسرائيل) " ضمان حرية العبادة وإطلاق سراح المطران كبوجي فوراً " .

وفي الدورة الثانية والثلاثين اتخذت اللجنة القرار رقم ٢ (د ـ ٣٢) الصادر بتاريخ ١٩٧٦/٢/١٣ بأغلبية ٢٣ صوتاً مقابل صوت واحد هو صوت الولايات المتحدة ، وامتناع ٨ . وقد كررت فيه جميع الإدانات المتضمنة في قرارات الجمعية العامة وقرارات اللجنة ذاتها ، بما فيها " منع سكان الأراضي المحتلة من ممارسة حقوقهم في التربية القومية والحياة الثقافية "

ورحّبت اللجنة في القرار رقم ١/آ (د ـ ٣٣) الصادر بتاريخ ١٩٧٧/٢/١٥ بأغلبية ٢٣ صوتاً مقابل ٣ ضده ، بينها الولايات المتحدة ، وامتناع ٦ ، رحّبت ببيان مجلس الأمن في جلسته رقم ١٩٦٩ بتاريخ ١٩٧٦/١١/١١ الذي عبّر المجلس فيه عن قلقه البالغ ، واهتمامه بالوضع الحالي الخطر في الأراضي العربية المحتلة نتيجة لاستمرار الاحتلال الإسرائيلي . وأعلنت اللجنة " إدانة جميع الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل من أجل تغيير بنية ووضع المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل والممارسات الدينية المتّبعة فيه واعتبارها ملغاة وباطلة " ، وطلبت من (إسرائيل) إلغاء جميع الإجراءات التي تمّ اتخاذها كما طلبت منها " إطلاق سراح جميع العرب الموقوفين أو المسجونين نتيجة كفاحهم من أجل تقرير المصير وتحرير أراضيهم ، ومنحهم ، إلى حين إطلاق سراحهم ، الحماية التي نصّت عليها الأحكام المتعلقة بمعاملة أسرى الحرب " . وطلبت " من الأمين العام جمع جميع المعلومات المتعلقة بالمعتقلين ، كعددهم وهوياتهم ومكان ومدة الاعتقال ، وتقديم هذه المعلومات إلى اللجنة في دورتها القادمة " .

أما القرار ١/ب الذي صدر عن اللجنة دون تصويت فيؤكّد من جديد انطباق اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب على جميع الأراضي العربية التي تحتلها (إسرائيل) منذ سنة ١٩٦٧ ، بما فيها القدس ، ويطلب " من إسرائيل الإقرار والالتزام بأحكام هذه الاتفاقية في هذه المناطق " .

وأقرّت اللجنة أيضاً في ١٩٧٧/٢/١٠ إرسال برقية إلى حكومة (إسرائيل) تعبّر عن القلق إزاء موت معتقلين عرب في سجون إسرائيلية * نتيجة سوء الأوضاع فيها ، وتطلب من حكومة (إسرائيل) اتخاذ إجراءات عاجلة لضمان تحسين أوضاع السجن والامتناع عن إساءة معاملة المعتقلين التزاماً بأحكام اتفاقيات جنيف المتعلقة بهذا الشأن . وقد وافقت على إرسال البرقية ٢٢ دولة ، وعارضته ثلاث دول منها الولايات المتحدة ، وامتنعت عن التصويت ٥ دول .

وفي الدورة الرابعة والثلاثين أقرّت اللجنة ثلاثة قرارات تتعلق بقضية فلسطين . ولا يختلف القرار ١ (د- ٣٤) تاريخ ١٩٧٨/٢/١٤ بجزئيه (أ) و (ب) عن القرار رقم ١ الذي صدر عن الدورة الثالثة والثلاثين .

ويؤكد القرار رقم ٢ (د- ٣٤) الذي صدر بتاريخ القرار السابق نفسه بأغلبية ٢٥ صوتاً مقابل ٣ (من بينها الولايات المتحدة) وامتناع ٤ ، يؤكد " حق الشعب الفلسطيني غير القابل للتصرف في تقرير المصير من دون تدخل خارجي ، وفي إقامة دولة ذات سيادة واستقلال تامّين في فلسطين " .

أما القرار رقم ٣ (د- ٣٤) في التاريخ نفسه كذلك فانه يقرّ شرعية نضال الشعب الفلسطيني " بالوسائل المتوفرة كافة ، بما فيها النضال المسلح " . وقد صدر هذا القرار بأغلبية ٢٤ صوتاً ضد ٣ (من بينها الولايات المتحدة) وامتناع ٥ .

وصدر عن الدورة الخامسة والثلاثين للجنة ثلاثة قرارات . ويدين القرار رقم ١/أ (د- ٣٥) الصادر بتاريخ ١٩٧٩/٢/٢١ بأغلبية ٢٠ صوتاً ضد صوتين (أحدهما الولايات المتحدة) وامتناع ٩ ، يدين سياسات سبقت إدانتها . وأما القرار ١/ب (د- ٣٥) الذي صدر في التاريخ نفسه فيتحدث عن انطباق اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب على جميع الأراضي العربية التي تحتلها (إسرائيل) منذ سنة ١٩٦٧ ، بما فيها القدس ، وقد صدر دون تصويت .

ولا يختلف القرار رقم ٢ (د- ٣٥) الذي صدر عن اللجنة في التاريخ ذاته بأغلبية ٢٣ صوتاً ضد ٣ (من بينها الولايات المتحدة) وامتناع ٥ ، لا يختلف عن قرار اللجنة رقم ٢ الذي صدر في دورتها السابقة . وأما القرار رقم ٣ (د- ٣٥) الصادر بأغلبية ٢٣ صوتاً ضد ٤ (من بينها الولايات المتحدة) وامتناع ٤ عن التصويت فلا يختلف عن قرار اللجنة رقم ٣ الذي صدر في أعقاب دورتها السابقة .

وفي الدورة السادسة والثلاثين صدر عن اللجنة قراران يتعلقان بقضية فلسطين ، هما القرار رقم ١ (د- ٣٦) المؤرخ في ١٩٨٠/٢/١٣ . ولا يختلف هذا القرار بجزءيه عن القرار رقم ١ في الدورات السابقة . غير أنه يدين ، بالإضافة إلى قائمة الإدانات المعتادة ، " تسليح المستوطنين في الأراضي المحتلة لارتكاب أعمال عنف ضد المدنيين العرب " . وقد صدر القسم أ من القرار بأغلبية ٢٨ ضد ٣ وامتناع ٨ . وأما القسم ب منه فقد صدر بدون تصويت .

وخصصت اللجنة قرارها رقم ٢ (٢- ٣٦) المؤرخ في ١٩٨٠/٢/١٤ لاتفاقيات كامب ديفيد * . فقد أوضحت اللجنة في قرارها هذا أن " صحة أية اتفاقات ترمي إلى حل قضية فلسطين تستدعي أن تتم الاتفاقات داخل إطار الأمم المتحدة وميثاقها وقراراتها على أساس نيل شعب فلسطين وممارسته ، على وجه تام ، حقوقه غير القابلة للتصرف ، بما في ذلك الحق في العودة والحق في الاستقلال الوطني والسيادة الوطنية في فلسطين ، وباشتراك منظمة التحرير الفلسطينية " .

ولاحظت اللجنة بقلق " أن اتفاقات كامب ديفيد قد عقدت خارج إطار الأمم المتحدة ، وبدون اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية ممثل الشعب الفلسطيني " . وقد رفضت " أحكام هذه الاتفاقات التي تتجاهل ، أو تخالف ، أو تنتهك ، أو تنكر ، حقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف ، بما في ذلك حق العودة وحق تقرير المصير والحق في الاستقلال الوطني والسيادة الوطنية في فلسطين وفقاً لميثاق الأمم المتحدة ؛ والتي تتوخى استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية التي تحتلها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧ ، وتتغاضى عنه " .

ودانت اللجنة "بشدة جميع الاتفاقات الجزئية والمعاهدات المنفصلة التي تشكل انتهاكاً صارخاً لحقوق الشعب الفلسطيني ومبادىء الميثاق والقرارات المتخذة في مختلف المحافل الدولية بشأن القضية الفلسطينية " .

وأعلنت أخيراً " أن اتفاقات كامب ديفيد ، وغيرها من الاتفاقات ، باطلة من حيث ادعاؤها البتّ في مستقبل الشعب الفلسطيني والأراضي الفلسطينية التي تحتلها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧ " .

وقد عقدت الدورة السابعة والثلاثون للجنة بحضور فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وصدر عن هذه الدورة قراران يخصان قضية فلسطين . وقد دانت اللجنة في قرارها رقم ١/أ الصادر بتاريخ ١٩٨١/٢/١١ بأغلبية ٣١ ضد ٣ وامتناع ٨ قرار (إسرائيل) ضم القدس وإعلانها عاصمة لها واعتبرته باطلاً . كما أعربت اللجنة عن قلقها بشأن التقارير التي تشير إلى نيّة السلطات الإسرائيلية ضمّ المرتفعات العربية السورية المحتلة في الجولان . ودانت كذلك مصادرة شركة الكهرباء العربية * في القدس ، والشروط غير الإنسانية التي تسود في السجون الاسرائيلية ، وبخاصة في سجن نفحة ، وحملة القمع الإسرائيلية المستمرة ضد الجامعات في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، ومحاولات اغتيال رؤساء بلديات نابلس ورام الله والبيرة .

وطلبت اللجنة من السلطات الإسرائيلية أن تطبّق فوراً قرار مجلس الأمن رقم ٤٨٤ (١٩٨٠) المؤرخ في ١٩٨٠/١٢/١٩ والقرارات السابقة بشأن العودة الفورية لرئيسي بلديتي الخليل وحلحول المبعدين .

ويتعلق قرار اللجنة ١/ب بانطباق اتفاقية جنيف الرابعة على جميع الأراضي العربية المحتلة ، بما فيها القدس . وأما قرارها رقم ٢ (د ـ ٣٧) الصادر بأغلبية ٢٥ صوتاً ضد ٩ وامتناع ٨ فيماثل القرار رقم ٢ الذي صدر في أعقاب دورتها السابقة .

عادت لجنة حقوق الإنسان في دورتها الثامنة والثلاثين إلى مناقشة موضوع حقوق الانسان في الأراضي العربية المحتلة ، وقالت في قرارها رقم ١/أ المؤرخ في ١٩٨٢/٢/١١ إن الاحتلال بحد ذاته يعتبر انتهاكاً صارخاً لحقوق الإنسان لسكان الاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة ، وأبدت قلقها لممارسات (إسرائيل) المنتهكة للمواثيق الدولية ، وأعادت رفضها وإدانتها لقرار (إسرائيل) ضم القدس إليها ، ولإقامة المستعمرات ، ولأساليب الإبعاد والنفي ونقل السكان العرب ومصادرة الأراضي والأملاك ، وللسبي الأثري والثقافي ، وغير ذلك من الممارسات . وطلبت اللجنة من (إسرائيل) أن تلغي فوراً هذه القرارات ، وتقلع عن هذه الممارسات كافة .

أعادت اللجنة في القسم (ب) من قرارها المذكور تأكيد ضرورة قيام (إسرائيل) بتطبيق أحكام اتفاقيات جنيف ، وبخاصة تلك المتعلقة بحماية المدنيين في وقت الحرب .

خصصت اللجنة قرارها رقم ٢ الصادر يوم ١١ شباط أيضا لقضية الجولان * ، الأرض السورية المحتلة ، فدانت القرار الإسرائيلي الصادر في ١٩٨١/١٢/١٤ والقاضي بضم الجولان إلى (إسرائيل) ، وأعلنت أن هذا القرار باطل ولاغ ولا أثر قانونياً له ، وطلبت من (إسرائيل) ، السلطة المحتلة ، أن تلغي القرار فوراً .

كررت اللجنة في قرارها رقم ٣ الصادر يوم ١٩٨٢/٢/١١ الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني ، وأعلنت معارضتها للمفاوضات الخاصة بالحكم الذاتي الجارية ضمن إطار اتفاقيات كامب ديفيد .

يبدو مما سبق أن عدد قرارات لجنة حقوق الإنسان المتصلة بقضية فلسطين منذ عام ١٩٦٨ حتى عام ١٩٨٢ قد بلغ حوالي ٢٦ قراراً ، أي بمعدل قرارين سنوياً تقريباً . وتتجاهل (إسرائيل) قرارات هذه اللجنة كما تفعل بالنسبة إلى قرارات الأمم المتحدة الأخرى .

وأخيراً فإن هناك حقيقة واضحة في جميع قرارات الأمم المتحدة ، ومن ضمنها قرارات لجنة حقوق الإنسان ، هي وقوف الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية بشكل عام ضد هذه القرارات ، وفي أحسن الظروف امتناعها عن التصويت عليها

المرجع :

ـ قرارات ومحاضر لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة .

الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني :

فلسطين عربية منذ أربعة آلاف سنة ، شعبا ، وأرضا ، ومجتمعا ، وثقافة وحضارة ، وآمالاً ، ومصالح ، ومصيرا ، بالرغم من تعرضها عبر التاريخ ، لغزوات عدة جماعات بشرية أو دول غريبة عن الوطن العربي .

وانطلاقا من هذه الحقيقة التاريخية يبدو أي بحث في الحقوق الثابتة للشعب العربي الفلسطيني من نافلة القول . غير أن الغزوة الصهيونية التي تعرضت لها فلسطين وشعبها قد أدت إلى قيام (إسرائيل) في ١٩٤٨/٥/١٥ ، ووقوع قسم من الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال ، ونفي القسم الآخر من وطنه ، ومحاولة طمس وجوده الوطني وحقوقه . وكان من نتيجة ذلك أن ثار هذا الشعب لتحرير وطنه ، ودفع منظمة الأمم المتحدة إلى إعادة دراسة « قضية فلسطين » ، واتخاذ قرارات كثيرة بشأن ما أطلق عليه « الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني » .

ونعْتُ الحقوق بأنها "ثابتة " ترجمة درج استعمالها للكلمة الإنكليزية والفرنسية *Inaliénable* التي تعني ، حرفيا ، " غير القابلة للتصرف " . وهي تلك الحقوق التي لا يجوز التنازل عنها ، ولا يُقبل التنازل عنها ، أو إنهاء العمل بها على أي نحو آخر ، أو إعمالها بغير ما هي عليه . وهي ، نتيجة لذلك ، ذات قوة وديمومة مطلقة

والحقوق الثابتة للشعوب تلازم الشعوب حكما . وحينما تقترن بشعب ما تعني ، أول ما تعني ، اعترافا بوجود جماعة بشرية تعتبر " شعبا " من حيث التكوين والخصائص ، وأن هذا الشعب قد أصبح له بالتالي حقوق ثابتة .

أ ـ الشعب العربي الفلسطيني وحقوقه في فلسطين : والشعب العربي الفلسطيني موجود في وطنه فلسطين . والانتداب الذي فرضته عصبة الأمم * على فلسطين بموجب المادة ٢٢ من عهد العصبة كان يستهدف قيادة شعب البلد نحو الاستقلال . ويعني هذا اعترافا بالشعب الفلسطيني وحقوقه وهويته الوطنية بغض النظر عن صك الانتداب * الذي اعتبر غير مشروع لتعارضه مع نص هذه المادة .

ومن المعروف أن الأمم المتحدة ، منذ صدور قرار تقسيم فلسطين * ١٨١ (د ـ ٢) بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ وحتى عام ١٩٦٩ ، ظلت بتأثير القوى الإمبريالية والاستعمارية والصهيونية تعالج موضوع « الفلسطينيين » على أنهم مجموعة لاجئين لا شعب كامل متكامل . وكانت إجراءات الأمم المتحدة طوال تلك الفترة تستهدف تنفيذ حقهم في العودة ، وتأمين النفقات المالية لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين * (الأونروا) . ويمكن

القول بإيجاز إن قضية فلسطين كانت في تلك المرحلة « مشكلة لاجئين » .

غيّرت الجمعية العامة في عام ١٩٦٩ نظرتها إلى مشكلة اللاجئين فاعترفت « بالحقوق الثابتة لشعب فلسطين » . واستمر الأمر كذلك حتى جاء عام ١٩٧٤ فأصدرت الجمعية العامة ، إثر حرب ١٩٧٣ *، قرارها رقم ٣٢٣٦ (د - ٢٩) بتاريخ ١٩٧٤/١١/٢٢ الذي حددت فيه حقوق الشعب الفلسطيني بأصولها وفروعها في الفقرات التنفيذية الخمس الأولى من القرار على النحو التالي :

" ١) تؤكد (الجمعية العامة) من جديد الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني في فلسطين ، وبخاصة :

أ - الحق في تقرير مصيره دون تدخل خارجي .

ب - الحق في الاستقلال والسيادة الوطنيين .

" ٢) وتؤكد من جديد حق الفلسطينيين الثابت في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم التي شردوا عنها واقتلعوا منها ، وتطالب بإعادتهم إليها .

" ٣) وتشدد على أن الاحترام الكلي للحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني هذه ، وإحقاق هذه الحقوق ، أمران لا غنى عنهما لحل قضية فلسطين .

" ٤) وتعترف بأن الشعب الفلسطيني طرف رئيسي في إقامة سلم عادل ودائم في الشرق الأوسط .

" ٥ - وتعترف كذلك بحق الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه بكل الوسائل وفقا لمقاصد ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه " .

ب - حق تقرير المصير : حق تقرير المصير * هو حق كل شعب في حكم نفسه بنفسه واختيار نظامه ومستقبله اختيارا حرا . ولا يصبح هذا الحق قابلا للتطبيق إلّا في شعب يعيش على أرضه ويشغلها بصورة مستمرة غير متقطعة لا بصورة عرضية . وهذا ينطبق على الشعب الفلسطيني ولا ينطبق على جماعة غريبة احتلت أرض غيرها كما جرى في فلسطين . وإن تطبيق تقرير المصير على الشعب الفلسطيني يثبت حق هذا الشعب في الاستقلال ، وينقض أية إمكانية لإقامة دولة يهودية في فلسطين .

وحق تقرير المصير هو الأساس والمنطلق للحق في الاستقلال والسيادة الوطنيين ، وتتفرع عنه الحقوق الأخرى . وهو الحق الذي يلازم حق التساوي في الحقوق بين الشعوب . وقد برز حق تقرير المصير في ميثاق الأمم المتحدة كوسيلة لتحقيق أحد مقاصده . فقد نصّ في مادته الأولى على " إنماء العلاقات الدولية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالمساواة في الحقوق بين الشعوب ، وبأنْ يكون لكل منها حق تقرير مصيره " . وكرّر الميثاق هذا المعنى بشكل آخر في مادته الخامسة والخمسين . وقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، استنادا إلى الميثاق ، عدة وثائق بشأن حق تقرير المصير للشعوب ، لعل من أهمها القرار ١٥١٤ في ١٩٦٠/١٢/١٤ المتضمن " إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمَرة " وفيه كررت الجمعية العامة وفصّلت مفهوم حق تقرير المصير حتى جاء تفسيرا قانونيا للميثاق فيما يتعلق بهذا الحق . وقد اعتبره بعض الفقهاء حجة ملزمة ، واكتسب طابع القواعد الملزمة في القانون الدولي .

حينما باشرت الجمعية العامة النظر في قضية فلسطين عام ١٩٤٧ عيّنت في دورتها الاستثنائية الأولى ، في العام ذاته ، لجنة الأمم المتحدة الخاصة بشأن فلسطين * للتحقيق في الحالة في فلسطين ، والتقدم بتوصيات بشأنها . وجاء في تقرير اللجنة حول تقرير المصير في فلسطين ما يلي :

" فيما يتعلق بمبدأ تقرير المصير فإنه ، رغم الاعتراف الدولي بهذا المبدأ في نهاية الحرب العالمية الأولى ، ورغم أنه تمّ الالتزام به في الأقاليم العربية الأخرى ، لم يتم عند وضع صكوك الانتداب من الفئة (أ) تطبيق ذلك المبدأ على فلسطين . ويرجع ذلك بوضوح إلى النية في تيسير إنشاء الوطن القومي اليهودي هناك . ومن الجائز جدا ، في الواقع ، القول إن الوطن القومي اليهودي والانتداب الفريد من نوعه على فلسطين يتعارضان مع ذلك المبدأ " .

وبالرغم من هذا الرأي لم تول اللجنة نفسها أهمية لهذا المبدأ ، ولم تُجمع على تطبيقه بالنسبة إلى الشعب الفلسطيني ، فانقسمت إلى أغلبية أوصت بتقسيم فلسطين وأقلية نصحت بقيام دولة فلسطينية موحدة مستقلة مع ضمانات لحقوق الأقلية من سكان هذه الدولة . ولكن الجمعية العامة ، بضغط من الولايات المتحدة والقوى الاستعمارية والإمبريالية الموالية لها ، أصدرت في دورتها الثانية قرارها رقم ١٨١ في ١٩٤٧/١١/٢٩ بتقسيم فلسطين . وكان من نتائجه المباشرة الأولى ، إلى جانب سلب الشعب الفلسطيني حقوقه وقسما من وطنه ، نشوء مشكلة اللاجئين التي عالجتها الجمعية العامة في دورتها الثالثة في العام التالي ، فأصدرت في ١٩٤٨/١٢/١١ قرارها ١٩٤ الذي تضمن وجوب تمكين اللاجئين من العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم والتعويض على من لا يرغب في العودة .

وهكذا انقلبت قضية الشعب الفلسطيني وحقوقه إلى « مشكلة لاجئين » وأخذت الجمعية العامة تعالج القضية ضمن هذا الإطار طوال عشرين عاما لم يبال المجتمع الدولي خلالها بحق تقرير المصير الذي سُلب من الشعب الفلسطيني اغتصابا . وحينما أراد مجلس الأمن عام ١٩٦٧ أن يضع "مبادىء لسلام عادل ودائم "في الشرق الأوسط لم يفعل في قراره ٢٤٢ في ١٩٦٧/١١/٢٢ سوى المناداة "بحل عادل لمشكلة اللاجئين " .

ظهر مفهوم الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني أول ما ظهر في وثائق الأمم المتحدة ، في قرار الجمعية العامة ٢٥٣٥ (الدورة - ٢٤) في ١٩٦٩/١٢/١٠ . فقد ورد فيه أن الجمعية العامة " تؤكد من جديد حقوق شعب فلسطين الثابتة " .

تقدمت الجمعية العامة خطوة أخرى عام ١٩٧٠ حينما أعلنت في قرارها ٢٦٧٢ (د - ٢٥) في ١٩٧٠/١٢/٨ أنها :

" ١) تعترف لشعب فلسطين بالتساوي في الحقوق ، وبحق تقرير مصيره بنفسه وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

"٢) وتعلن أن احترام حقوق شعب فلسطين الثابتة هو عنصر لا غنى عنه في إقامة سلم عادل ودائم في الشرق الأوسط " .

كررت الجمعية العامة هذه المفاهيم في قرارات أصدرتها في أعوام ١٩٧١ و١٩٧٢ و١٩٧٣ وأضافت إليها ما يزيدها قوة ووضوحا . ففي القرار ٢٧٨٧ المؤرخ في ١٩٧١/١٢/٦ (الدورة - ٢٦) قرنت الجمعية العامة نضال الشعب الفلسطيني بنضال الشعوب الأخرى الواقعة تحت الاستعمار والتسلط الأجنبي ، إذ جاء في الفقرة الأولى منه : " تؤكد (الجمعية العامة) شرعية نضال الشعوب في سبيل تقرير المصير والتحرر من الاستعمار والتسلط والاستعباد الأجنبي ، ولا سيما في إفريقيا الجنوبية ، وعلى الخصوص شعوب زمبابوي وناميبيا وأنغولا وموزامبيق وغينيا - بيساو ، وكذلك الشعب الفلسطيني ، بكل الوسائل المتوفرة التي تنسجم مع ميثاق الأمم المتحدة " .

ودانت بقرارها ٣٠٧٠ (د - ٢٨) في ١٩٧٣/١١/٣٠ " جميع الحكومات التي لا تعترف بحق الشعوب في تقرير المصير والاستقلال ، وخصوصا شعوب إفريقيا التي لا تزال تحت السيطرة الاستعمارية ، وكذلك الشعب الفلسطيني " .

وازداد الجمع بين الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني والحقوق الثابتة لشعبي ناميبيا وزمبابوي (روديسيا) وضوحا في قرارات عديدة لاحقة منها على سبيل المثال القرار الذي أصدرته الجمعية العامة تحت بند " منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمَرة " برقم ١٤/٣٢ (د - ٣٢) وتاريخ ١٩٧٧/١١/٧ . فقد جاء فيه :

" تؤكد (الجمعية العامة) من جديد ما لشعبي ناميبيا وزمبابوي ، وما للشعب الفلسطيني وسائر الشعوب الواقعة تحت السيطرة الأجنبية والاستعمارية ، من حقوق ثابتة في تقرير المصير والاستقلال الوطني والسلامة الإقليمية والوحدة الوطنية والسيادة دون أي تدخل خارجي " .

عبّرت الجمعية العامة في قرارها ٢٧٩٢ (د - ٢٦) المؤرخ في ١٩٧١/١٢/٦ عن " قلقها العظيم لعدم السماح لشعب فلسطين بالتمتع بحقوقه الثابتة ، وبحقه في تقرير المصير " . وزادت الجمعية العامة الأمر وضوحا وتحديدا في قرارها ٣٠٨٩ (د - ٢٨) المؤرخ في ١٩٧٣/١٢/٧ إذ أكدت من جديد " أن لشعب فلسطين الحق في حقوق متساوية ، وفي حق تقرير المصير وفقا لميثاق الأمم المتحدة " ، وأعربت " عن قلقها الشديد لأن إسرائيل قد حرمت شعب فلسطين التمتع بحقوقه الثابتة وممارسة حقه في تقرير المصير " .

وفي الدورة ٢٩ للجمعية العامة عام ١٩٧٤ حازت مسألة تقرير المصير للشعب الفلسطيني تقدما سريعا إثر الظروف والعوامل التي نشأت بعد حرب ١٩٧٣ ، فأدرجت الجمعية العامة " قضية فلسطين " في جدول أعمالها ، وأصدرت القرار ٣٢٣٦ بتاريخ ١٩٧٤/١١/٢٢ الذي أُشير إليه من قبل . وقد أصبح هذا القرار وثيقة تاريخية قانونية سياسية ، وأصبح المحور السياسي والقانوني لنضال الشعب الفلسطيني في المحافل الدولية . وغدا السند والمرجع لمختلف القرارات التي صدرت فيما بعد عن الجمعية العامة والمنظمات الدولية الأخرى ، وعن مؤتمرات حركة عدم الانحياز* ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي* ، ومنظمة الوحدة الإفريقية ، وغيرها .

جـ - حق العودة : كان إخراج الشعب الفلسطيني من وطنه هدفا رئيسا من أهداف الحركة الصهيونية . فمن دون ذلك لم يكن ممكنا تحقيق المشروع الصهيوني بإقامة (إسرائيل) . كان إنشاء « الوطن القومي اليهودي » في فلسطين مرتبطا بطرد الشعب الفلسطيني من وطنه ، أي أن هذا الكيان كان يستلزم لقيامه كشرط مسبق ، لا هدر حقوق الشعب الفلسطيني وحسب ، بل تصفية وجوده كشعب عن طريق نفيه وإخضاع ما تبقى منه في وطنه للاستعمار .

وعندما سنحت الظروف للصهيونيين في فلسطين عام ١٩٤٨ ، عملوا على بلوغ هذا الهدف بأبشع وأقسى ما عرف في التاريخ القديم والمعاصر من أساليب الإرهاب المادي والنفسي ، والعنف ، والفظائع ، والمذابح ، لإخراج أكبر قسم من الفلسطينيين من ديارهم . وبعد قيام (إسرائيل) استمرت سلطاتها في عمليات تصفية الوجود الفلسطيني بأشكال متعددة ومتجددة (ر : إخراج الفلسطينيين من ديارهم) .

حينما أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثانية قرار تقسيم فلسطين ١٨١ لم تشر إلى حق العودة ، إذ لم تكن هناك حاجة لذلك .

كان من المتوقع ، حسب خطة التقسيم ، أن تضم " الدولة العربية " عشرة آلاف يهودي ، وأن يكون في " الدولة اليهودية " ٤٩٨,٠٠٠ يهودي و ٤٩٧,٠٠٠ عربي . غير أن السواد الأعظم من هؤلاء العرب تم اقتلاعهم من ديارهم ، وطردهم من وطنهم ، دونما سبب سوى رغبة الحركة الصهيونية في تنفيذ خطتها في استعمار

فلسطين وتصفية الوجود الفلسطيني . وهنا تبدأ المسؤولية القانونية الدولية ، لا سيما وأن قرار التقسيم تضمّن أحكاما عديدة تضمنْ للأقليات حقوقا معينة . واعتبرت تلك الأحكام في القرار " قوانين أساسية للدولة ، فلا يتعارض قانون ، أو نظام ، أو إجراء رسمي ، مع هذه الأحكام أو يتدخل فيها ، ولا يُقدم عليها أي قانون أو نظام أو إجراء رسمي " .

وحينما رأى الوسيط الدولي الكونت برنادوت أن (إسرائيل) انتهكت هذه الأحكام والحقوق طلب منها أن تسمح للاجئين بالعودة . فلما رفضت (إسرائيل) ذلك طلب من الجمعية العامة في تقريره إليها في ١٩٤٨/٩/١٦ " أن تؤكد حق اللاجئين العرب في العودة إلى ديارهم في الأراضي الواقعة تحت السيطرة اليهودية " فاغتالته العصابات الصهيونية في اليوم التالي .

اتخذت الجمعية العامة في دورتها الثالثة ، بناء على تقرير برنادوت ، قرارا رقمه ١٩٤ بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١١ جاء في فقرته الحادية عشرة :

"تقرر (الجمعية العامة) وجوب السماح للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش في سلام مع جيرانهم بأن يفعلوا ذلك في أقرب وقت ممكن ، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يختارون عدم العودة ، وعن كل فقدان أو ضرر يصيب الممتلكات . ويتعين على الحكومات والسلطات المسؤولة ، بموجب مبادىء القانون الدولي أو عملا بروح الإنصاف ، التعويض عنه " .

وأنشأت الجمعية العامة في القرار نفسه لجنة الأمم المتحدة للتوفيق بشأن فلسطين * ، وطلبت منها أن تعمل على "تسهيل عودة اللاجئين وتوطينهم من جديد ، وإعادة تأهيلهم الاقتصادي والاجتماعي ، ودفع التعويضات لهم " .

صيغت الفقرة ١١ من القرار ١٩٤ على افتراض أن الحق في العودة لم يكن موضع جدال أو خلاف ، وأن المطلوب هو تحقيق التنفيذ العملي للإعادة إلى الوطن . ولذلك فقد كلف القرار نفسه لجنة التوفيق معالجة الأمر مع (حكومة إسرائيل) ، على افتراض أن هذه "الحكومة " ستتعاون مع اللجنة وتتخذ " كافة التدابير الممكنة للمساعدة في تنفيذ هذا القرار " . وقد ثبت فيما بعد أن جهود لجنة التوفيق ، مثلها في ذلك مثل جهود برنادوت التي سبقتها ، كانت فاشلة فشلا مطلقا ، إذ اصطدمت برفض (إسرائيل) تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ، وإصرارها على تنفيذ خططها الاستعمارية الصهيونية .

أخذت الجمعية العامة هذه الحالة بعين الاعتبار حين قدمت (إسرائيل) طلبا للانتساب إلى الأمم المتحدة ، فجعلت قبول الطلب مرتبطا بالتعهد الذي أعلنته (إسرائيل) بشأن التزامها تنفيذ القرارين ١٨١ الخاص بالتقسيم و١٩٤ الخاص بالعودة (رَ : إسرائيل في الأمم المتحدة ، عضوية) .

واجهت الجمعية الحالة الناجمة عن رفض (إسرائيل) تنفيذ إعادة اللاجئين إلى وطنهم ، فأصدرت بتاريخ ١٩٥٢/١/٢٦ قرارها ٥١٣ (د ـ ٦) الذي نص على أن أحكامه لا تخل بأحكام الإعادة إلى الوطن الواردة في الفقرة ١١ من القرار ١٩٤ ، وتضمن برنامجا اقترحته وكالة الإغاثة (الأونروا) يستهدف التعجيل بإعادة إدماج العرب النازحين في الحياة الاقتصادية للمنطقة . وجاء فيه أن ذلك يجب أن يتم إما بالإعادة إلى الوطن ، كما هو معلن في القرار ١٩٤ ، وإما بإعادة توطينهم في مناطق أخرى . وقد قاوم الشعب الفلسطيني مقاومة شديدة الشطر الثاني من هذا القرار فلم يخرج قط إلى حيز التنفيذ .

وفي السنوات التي أعقبت ذلك كررت الجمعية في قراراتها حق العودة * . وحينما شنت (إسرائيل) عدوانها عام ١٩٦٧ نشأت مشكلة جديدة هي « الموجة الثانية » من اللاجئين ، فأصدرت الجمعية العامة سلسلة من القرارات تعالج ، كلاً على حدة ، حق مجموعة الفلسطينيين الذين طردوا من وطنهم عامي ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ ، وحق مجموعة الفلسطينيين الذين شردوا من وطنهم نتيجة عدوان ١٩٦٧ . ويظهر الفصل بين هاتين المجموعتين من اللاجئين ، أول ما يظهر ، في قرار الجمعية العامة ٢٤٥٢ (د ـ ٢٣) المؤرخ في ١٩٦٨/١٢/١٩ الذي يمثل النموذج لما تبع ذلك من قرارات .

نص القرار ٢٤٥٢ بشأن لاجئي ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ على أن الجمعية العامة :

"تلاحظ مع الأسف الشديد أنه لم تتم إعادة اللاجئين إلى وطنهم أو تعويضهم كما هو منصوص عليه في الفقرة ١١ من قرار الجمعية العامة ١٩٤ (د ـ ٣) ، وأنه لم يحرز أي تقدم ملموس في برنامج إعادة اللاجئين ، إما بإعادتهم إلى وطنهم أو بتوطينهم ، وهو البرنامج الذي أقرّته الجمعية العامة في الفقرة ٢ من القرار ٥١٣ (د ـ ٦) ، وأن حالة اللاجئين لا تزال لذلك مدعاة للقلق الشديد .

" تلاحظ (الجمعية العامة) أن لجنة الأمم المتحدة للتوفيق بشأن فلسطين لم تتمكن من إيجاد وسيلة لإحراز تقدم في تنفيذ الفقرة ١١ من القرار ١٩٤ ، وتلتمس من اللجنة مواصلة جهودها في سبيل تنفيذها " .

أما بشأن لاجئي ١٩٦٧ فقد أشار القرار نفسه إلى قرار مجلس الأمن ٢٣٧ في ١٩٦٧/٦/١٤ الذي أهاب (بإسرائيل) " أن تسهّل عودة السكان الذين فرّوا من المناطق منذ نشوب الأعمال العدائية "

وتشدد الصيغة المستخدمة في مقدمة القرار ٢٤٥٢ على ضرورة " عودة اللاجئين بسرعة إلى ديارهم وإلى المخيمات التي كانوا يقطنونها من قبل " . وتبين هذه الصيغة بدقة أن بعض لاجئي ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ أصبحوا لاجئين مرة أخرى في عام ١٩٦٧ .

وتتخطى الجمعية العامة في القرار ٢٤٥٢ لجنة التوفيق ، وتخاطب (إسرائيل) مباشرة فيما يتعلق بلاجئي ١٩٦٧ ، وتطلب من الأمين العام للأمم المتحدة تتبع "التنفيذ الفعال لهذا القرار " . وخلافا للقرار ١٩٤ لم ينص القرار ٢٤٥٢ على أي شرط لعودة هؤلاء اللاجئين ، بل طلب من (إسرائيل) اتخاذ " التدابير الفعالة الفورية " لتحقيق العودة . ولقد صيغ القرار ٢٤٥٢ على غرار القرار ١٩٤ ، بافتراض ثبوت الحق في العودة ، وأن المطلوب هو تنفيذه .

وفي الدورة ٢٤ أصدرت الجمعية العامة قرارها ٢٥٣٥ بتاريخ ١٩٦٩/١٢/١٠ ، وكررت فيه ما ورد في القرار ٢٤٥٢ (د ـ ٢٣) ، وزادت عليه في القسم الخاص بلاجئي ١٩٦٧ ما يربط بين لاجئي ١٩٤٨ ولاجئي ١٩٦٧ (النازحين) . فقد ورد في مقدمته :

" إذ تدرك (الجمعية العامة) أن مشكلة اللاجئين العرب الفلسطينيين ناشئة عن إنكار حقوقهم الثابتة المقررة في ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان " .

وانتهت الجمعية العامة إلى الإشارة في متن القرار ـ لأول مرة ـ إلى "حقوق شعب فلسطين الثابتة " دون أن تعددها أو تحددها .

تابعت الجمعية العامة موضوع عودة اللاجئين ، بمجموعتيهم (١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ و١٩٦٧) ، بالطريقة ذاتها في أعوام ١٩٧٠ ، و١٩٧١ و١٩٧٢ . حتى إذا حلّ عام ١٩٧٣ أصدرت الجمعية العامة قرارها ٣٠٨٩ (د ـ ٢٨) بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٧ على أساس " الحق الثابت في العودة " ، وأعلنت فيه "أن تمتُّع اللاجئين العرب الفلسطينيين بحقهم في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم " لا غنى عنه من أجل تحقيق "تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ، ولممارسة شعب فلسطين حقه في تقرير المصير " . وتبغي الإشارة هنا إلى ثلاث نقاط :

١) الأولى أن القرار جاء تفسيرا من الجمعية العامة ـ وهي أكبر تجمع دولي حكومي رسمي ـ لقرار مجلس الأمن ٢٤٢ في ١٩٦٧/١١/٢٢ الذي نص على "تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين " ، دون أن يذكر أو يحدد أي أساس لتلك التسوية .

٢) والثانية أن الإشارة إلى حق اللاجئين في العودة جاءت مطلقة تشمل الوطن الفلسطيني بكامله ، ما احتل منه قبل عام ١٩٦٧ وبعده ، وتسري على جميع اللاجئين الفلسطينيين بدون استثناء أو شروط مسبقة .

٣) والثالثة أن القرار اعتبر العودة شرطا مسبقا لا بد من تحقيقه ليتمكن الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير مصيره .

تقدمت الجمعية العامة خطوة أخرى عام ١٩٧٤ في إثبات حق العودة . فقد جاء القرار ٣٢٣٦ (د ـ ٢٩) المؤرخ في ١٩٧٤/١١/٢٢ أكثر جذرية ووضوحاً ودقة من القرارات السابقة ، وتميز بأنه لم يتضمن تقسيماً في أحكامه كالذي سبق استخدامه للفصل بين لاجئي ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ ولاجئي ١٩٦٧ . فبعد أن أشار القرار في فقرته الأولى إلى الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني نص في فقرته الثانية على أن الجمعية العامة :

" تؤكد من جديد حق الفلسطينيين الثابت في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم التي شردوا عنها واقتلعوا منها ، وتطالب بإعادتهم " .

وأهمية هذه الفقرة تتجلّى في وصفها حق العودة بأنه « ثابت » . يضاف إلى ذلك أن الركائز الثلاث التي أشير إليها بشأن القرار ٣٠٨٩ ظهرت هنا أيضا بوضوح .

اقتفت القرارات الخاصة بحق العودة التي أصدرتها الجمعية العامة بعد عام ١٩٧٤ آثار القرار ٣٢٣٦ ، وأكدت مضمونه ، وزادت عليه في القرار ٢٨/٢٣ (د ـ ٣٣) بتاريخ ١٩٧٨/١٢/٧ أنه لا يمكن إقامة سلم عادل ودائم في الشرق الأوسط دون أن يتحقق ، في جملة ما يتحقق ، نيل "الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة ، وفيها الحق في العودة . . . " . وهنا تبرز لأول مرة الإشارة الهامة إلى أن حق العودة هو "للشعب الفلسطيني " بمثل ما هو للفلسطينيين كأفراد .

لقد كررت الجمعية العامة قرارها بشأن العودة ، منذ عام ١٩٤٩ وحتى عام ١٩٨١ ، أي خلال خمسة وثلاثين عاما ، اثنين وثلاثين مرة . وقد صدر آخر قرار اتخذته بهذا الشأن في دورتها السادسة والثلاثين برقم ١٤٦/٣٦ وتاريخ ١٩٨١/١٢/١٦ .

د ـ الحقوق الثابتة الأخرى : إلى جانب حقوق العودة وتقرير المصير والاستقلال والسيادة الوطنيين التي حددها القرار ٣٢٣٦ حقوقا ثابتة للشعب الفلسطيني هناك حقوق ثابتة أخرى لعلّ من أهمها :

١) حق الشعب الفلسطيني في فلسطين : على اعتبار أن هذا الإقليم ، فلسطين ، هو وطن الشعب الفلسطيني وملكه ومحل سيادته . وهذا ما عنته الجمعية العامة في قرارها ٣٢٣٦ حين أكدت " الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني في فلسطين " .

٢) حق التساوي في الحقوق : وذلك استنادا إلى المادة الأولى من ميثاق الأمم المتحدة التي نصت على "احترام المبدأ الذي يقضي بالتساوي في الحقوق بين الشعوب ، وبأن يكون لكل منها الحق في تقرير مصيره " .

٣) حق الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه بكل الوسائل وفقا لمقاصد ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه : وقد وردت الإشارة إلى هذا الحق في عدة قرارات أصدرتها الجمعية العامة ، كالقرار ٣٢٤٦ (د - ٢٩) بتاريخ ١٩٧٤/١١/٢٩ . وكان هذا القرار خاصا " بحق الشعوب في تقرير المصير والإسراع في منح الاستقلال للبلاد والشعوب المستعمَرة " ، وسمّى في فقرته السابعة "شعوب إفريقيا والشعب الفلسطيني " بالذات ، وطلب من جميع الدول ، ومن وكالات الأمم المتحدة والمنظمات الحكومية الدولية وغير الحكومية ، أن تقدم لهذه الشعوب المساعدات المعنوية والمادية وغيرها من أشكال المساعدة "في كفاحها في سبيل الممارسة الكاملة لحقها الثابت في تقرير المصير والاستقلال " . وأكدت الجمعية العامة " شرعية كفاح الشعوب في سبيل التحرر من السيطرة الاستعمارية والأجنبية والقهر الأجنبي بكافة الوسائل المتاحة ، ومنها الكفاح المسلح " .

وينبع من هذا الحق ويرتبط به .

(١) حق الشعب الفلسطيني باستخدام القوة والكفاح المسلح .

(٢) الحق في الدفاع الشرعي عن النفس .

(٣) الحق في طلب وتلقي المساعدات المعنوية والمادية من الدول والمنظمات والمؤسسات الدولية .

٤) حق الشعب الفلسطيني في المساهمة في أعمال المنظمات والمؤتمرات الدولية : منحت الجمعية العامة منظمة التحرير الفلسطينية * ، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، مركز المراقب في دورات الجمعية العامة وجميع المؤتمرات الدولية التي تعقد برعاية الجمعية العامة أو هيئات الأمم المتحدة الأخرى(القرار ٣٢٣٧ في الدورة - ٢٩ بتاريخ ١٩٧٤/١١/٢٢) ، كما دعت الجمعية العامة منظمة التحرير إلى الاشتراك في مداولاتها بشأن قضية فلسطين (القرار ٣٢١٠ في الدورة - ٢٩ بتاريخ ١٩٧٤/١٠/١٤) ، (رَ : منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة) .

٥) حق الشعب الفلسطيني في الاشتراك في الجهود والمؤتمرات الخاصة بالشرق الأوسط : طلبت الجمعية العامة مرات عديدة منها ما ورد في القرار ٥٦/٣٤ (د - ٣٤) بتاريخ ١٩٧٩/١١/٢٩ ، "دعوة منظمة التحرير الفلسطينية ، ممثلة الشعب الفلسطيني ، إلى الاشتراك على قدم المساواة مع الأطراف الأخرى ، وعلى أساس قرار الجمعية العامة ٣٢٣٦ (د - ٢٩) ، في جميع ما يبذل من جهود ، وما يجري من مداولات ، وما يعقد من مؤتمرات بشأن الشرق الأوسط ، برعاية الأمم المتحدة " .

٦) حق الشعب الفلسطيني في إقامة علاقات رسمية مع أشخاص القانون الدولي : وقد تمثلت ممارسة هذا الحق باعتراف عدد كبير من الدول بمنظمة التحرير الفلسطينية وبالحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني . وقد قبلت هذه الدول بافتتاح منظمة التحرير مكاتب لها في عواصمها ، ومنحت العاملين في هذه المكاتب الحصانات الدبلوماسية ، وعاملتهم كما تعامل ممثلي الدول المستقلة ذات السيادة . وهذا بحد ذاته تطور جديد في قواعد القانون الدولي المتعلقة بالاعتراف والتمثيل الدبلوماسي والحصانات المترتبة عليه .

هذا ، ومن الجدير بالذكر أن الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها السادسة والثلاثين (أيلول - كانون الأول ١٩٨١) أصدرت عدة قرارات بشأن قضية فلسطين ضمّنتها المواقف التالية :

١) بشأن قضية فلسطين :

(١) أعربت الجمعية العامة عن بالغ قلقها من عدم تحقيق حل عادل لقضية فلسطين ، ومن أن هذه القضية ما زالت تؤدي إلى تفاقم النزاع في الشرق الأوسط الذي تمثل القضية جوهره ، ومن تعريض السلم والأمن الدوليين للخطر .

(٢) إن قرار مجلس الأمن ٢٤٢ المؤرخ في ١٩٦٧/١١/٢٢ لا يؤمن مستقبل الشعب الفلسطيني وحقوقه الثابتة التي يمثل نيلها شرطا لا بد منه لايجاد حل عادل للقضية .

(٣) أكدت الجمعية من جديد أنه لا يمكن إقامة سلم عادل دائم في الشرق الأوسط دون أن يتحقق ، في جملة أمور ، حل عادل لقضية فلسطين على أساس نيل الشعب الفلسطيني حقوقه الثابتة ، وفيها الحق في العودة وفي تقرير المصير والاستقلال الوطني والسيادة الوطنية في فلسطين وفقا لميثاق الأمم المتحدة ومبادىء القانون الدولي .

(٤) لا يمكن مناقشة مستقبل الشعب الفلسطيني دون حضوره مُمثَّلا بمنظمة التحرير الفلسطينية .

(٥) أيدت الجمعية العامة البرنامج الذي وضعته لجنة الأمم المتحدة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة* ، وطلبت من مجلس الأمن ضرورة اتخاذ إجراء عاجل بشأنه .

(٦) أكدت من جديد حق الفلسطينيين الثابت في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم في فلسطين ، وطالبت بإعادتهم .

(٧) أكدت من جديد حقوق الشعب الفلسطيني الثابتة في فلسطين ، وفيها الحق في تقرير المصير دون تدخل خارجي ، وفي الاستقلال الوطني والسيادة الوطنية وإنشاء دولته المستقلة ذات السيادة .

(٨) أعربت عن معارضتها لكل السياسات والخطط الرامية إلى اعادة توطين الفلسطينيين خارج وطنهم . (القرار ٣٦/١٢٠ - دال ، ١٩٨١/١٢/١٠) .

٢) بشأن القدس :

(١) وجّهت الجمعية العامة "اللوم" إلى (إسرائيل) لسنّها

"القانون الأساسي" المتعلّق بالقدس ، واعتبرته انتهاكا للقانون الدولي .

(٢) قررت أن كل التدابير والإجراءات التشريعية والإدارية التي اتخذتها (إسرائيل) ، السلطة المحتلة ، والتي غيرت طابع مدينة القدس ومركزها ، وبخاصة "القانون الأساسي" المتعلق بالقدس ، وإعلان القدس عاصمة (لإسرائيل) ، باطلة أصلا ويتعيّن إلغاؤها فورا .

(٣) أكدت أن هذا الإجراء يمثل عقبة خطيرة في سبيل تحقيق سلم شامل وعادل ودائم في الشرق الأوسط .

(٤) قررت أن لا تعترف بـ "القانون الأساسي" ولا بما تتخذه (إسرائيل) من إجراءات أخرى تستهدف تغيير طابع القدس ومركزها . وطلبت إلى جميع الدول وسائر المنظمات الدولية أن تمتثل لهذا القرار والقرارات الأخرى المتصلة بالموضوع ، وتحثها على عدم القيام بأية أعمال لا تتفق وأحكام هذا القرار والقرارات المذكورة . (القرار ٣٦/١٢٠ ـ هاء ؛ ١٩٨١/١٢/١٠) .

٣) بشأن الاراضي المحتلة :

(١) أكدت الجمعية العامة ضرورة انسحاب (إسرائيل) الفوري والكامل وغير المشروط من جميع الأراضي الفلسطينية والعربية الأخرى المحتلة ، وأعلنت أن أي حل عادل ودائم يجب أن يكفل تحقيق هذا الانسحاب (القرار ٣٦/٢٢٦ ـ ألف ، ١٩٨١/١٢/١٧) .

(٢) أعلنت أن قرار (إسرائيل) فرض قوانينها وولايتها وإدارتها على منطقة الجولان * السورية المحتلة لاغٍ وباطل وليس له أي أثر قانوني (القرار ٣٦/٢٢٦ ـ باء ، ١٩٨١/١٢/١٧) .

المراجـع :

ـ مجلة مركز الدراسات الفلسطينية : العدد ٣٣ ، نيسان ـ حزيران ١٩٧٩ ، بغداد .
ـ مجلة قضايا عربية : العدد ٧ ، تشرين الثاني ١٩٧٩ ، بيروت .
ـ مجلة شؤون فلسطينية : العدد ٣٨ ، تشرين الأول ١٩٧٤ ، العدد ٤١/٤٢ ، كانون الثاني ـ شباط ١٩٧٥ ، بيروت .
ـ وثائق وتقارير وقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٧ حتى ١٩٨١ .

الحقـوقيـون : رَ : الرابطة الدولية للحقوقيين الديمقراطيين

الحقوقيين العرب (اتحاد ـ) :

تأسس اتحاد الحقوقيين العرب في كانون الثاني ١٩٧٥ في بغداد . وهو يتكون من الجمعيات العربية للحقوقيين ، ومن التنظيمات المشابهة لها ، ومن بعض الشخصيات الحقوقية العربية التي تنتمي إلى أقطار عربية لم تنشأ فيها بعد جمعيات للحقوقيين والاتحاد العام للحقوقيين الفلسطينيين * عضو أصيل في الاتحاد

ويرمي هذا الاتحاد إلى تحقيق عدة أهداف أهمها : العمل على استكمال تحرير الوطن العربي سياسيا واقتصاديا . والسعي إلى توحيده ، والعناية بالتراث القانوني العربي ، وحماية حقوق الإنسان ، ووضع أُطُرٍ دستورية وقانونية للمبادىء السياسية والاجتماعية التقدمية في الوطن العربي .

وقد أبدى الاتحاد ، منذ تأسيسه ، اهتماما بالغا بالقضية الفلسطينية . ففي مؤتمره التأسيسي المنعقد في بغداد من ١١ ـ ١٩٧٥/١/١٥ أصدر توصية أكّد فيها "حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واستعادة أرضه ودعم نضاله بكل الوسائل الممكنة" ، ووجّه "تحية إلى جميع الدول الصديقة المناصرة للحق العربي في فلسطين" .

وتتضمن جميع التوصيات التي صدرت حتى الآن عن المكتب الدائم للاتحاد فقرات مسهبة عن القضية الفلسطينية وأبعادها العربية والدولية . ولم يجتمع المكتب مرة إلا وجّه إلى هذه القضية كل عنايته . ففي اجتماعه الأول الذي عقد في بغداد من ٤ ـ ١٩٧٥/٥/٦ صدرت توصية أكدت "أن منظمة التحرير الفلسطينية * هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي في فلسطين" ، وطالبت "الدول العربية بتقديم الدعم المادي والمعنوي الكافي لتمكينها من تحرير كامل الأرض الفلسطينية ، وإقامة السلطة الشرعية والدولة الديمقراطية العلمانية فيها" ، ووجّهت "تحية الإكبار إلى المناضلين الفلسطينيين المعتقلين في سجون العدو الصهيوني" ، ودعت "كافة الجمعيات الحقوقية في العالم إلى التدخل السريع لحمايتهم من مختلف أنواع التعذيب الوحشي الذي يتعرضون له" .

ولما عقد المكتب اجتماعه الثاني في تونس بين ٢٤ و١٩٧٦/٤/٢٦ حيّا "نضال الشعب الفلسطيني من أجل استعادة حقوقه القومية المغتصبة وإقامة الدولة الديمقراطية في فلسطين" ، ودعا إلى "وحدة فصائل المقاومة الفلسطينية" ، وأشاد "بالانتصار السياسي الذي حققته منظمة التحرير الفلسطينية على المسرح الدولي ، وبقرار الأمم المتحدة الذي اعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطيني ، وبقرار إدانة الصهيونية باعتبارها شكلا من أشكال العنصرية" . وأكّد المكتب "أن الكفاح

المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين وجميع الأراضي العربية المحتلة ".

كرّر المكتب في اجتماعه الثالث الذي عقد في القاهرة من ١٥ ـ ١٧/٣/١٩٧٧ توصياته السابقة، وأشاد "بانتفاضة الشعب الفلسطيني في الأراضي العربية المحتلة التي توّجت يوم الأرض *"، ودعا "جميع الدول العربية إلى الوفاء بالتزاماتها بدعم صمود الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة، والالتزام بمقررات مؤتمر الرباط" (ر: القمة العربية، مؤتمرات)، ودان "كافة أشكال الضغط الرامية إلى تحجيم دور المقاومة الفلسطينية أو احتوائها ".

وعقد المكتب اجتماعاً طارئاً في بغداد في ١ و٢/١٢/١٩٧٧ لبحث النتائج الخطيرة التي ستترتب على زيارة الرئيس المصري إلى القدس المحتلة، ولتحديد دور الحقوقيين العرب في المرحلة الراهنة. وأصدر المكتب بياناً أعلن فيه أن الزيارة "تشكل أكبر تحدّ لإرادة الجماهير العربية الصامدة في وجه المؤامرة الصهيونية ـ الإمبريالية، كما تشكل استخفافاً بإرادة الشعب العربي في مصر الذي تحمّل أغلى التضحيات وقدّم آلاف الشهداء من أجل الحفاظ على عروبة فلسطين وتحقيق التحرر السياسي والاقتصادي لكل الوطن العربي ".

وأصدر المكتب في اجتماعه الرابع الذي عقده في بغداد بين ١٦ و١٨/١٠/١٩٧٨ بياناً تضمن مناقشة قانونية لاتفاقيتي «كامب ديفيد»*، ودراسة عميقة للآثار والأبعاد الناجمة عنهما على الصعيدين العربي والدولي. وقد استخلص المكتب، بعد مناقشة الموضوع، " أن الاتفاقيتين تشكلان جزءاً لا يتجزّأ من المخطط الإمبريالي ـ الصهيوني الرامي إلى تصفية قضية العرب المركزية (القضية الفلسطينية)، وضرب حركة الثورة العربية، وإعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة العربية بما يكفل إحكام السيطرة الاستعمارية من جديد على أمتنا العربية ".

وفيما بين ١٨ و٢٠/٥/١٩٧٩ نظّم اتحاد الحقوقيين العرب ندوة في بغداد عن «حقوق الإنسان والحريات الأساسية في الوطن العربي». وقد قدمت فيها دراسات مستفيضة عن حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره. ودعت إحدى التوصيات بصراحة إلى اعتماد أسلوب الكفاح المسلح لتحرير فلسطين، على أساس أن قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة تعتبر "أن رفض الاعتراف بالحقوق الأساسية للشعوب في تقرير مصيرها يشكل انتهاكات جماعية فادحة لجميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية"، ولذلك ناشدت التوصية العالم " تمكين الشعب العربي الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير مصيره بكل الوسائل، بما فيها الكفاح المسلح ".

الحكم المصري (١٨٣١ ـ ١٨٤٠م):

دخلت فلسطين، مع بلاد الشام كلها، في حكم محمد علي باشا (١١٨٤ ـ ١٢٦٥هـ / ١٧٦٩ ـ ١٨٤٩م) والي مصر قرابة عشر سنوات بين تشرين الثاني سنة ١٨٣١م ونهاية سنة ١٨٤٠م، وذلك نتيجة حملة عسكرية قامت بها جيوش محمد علي بقيادة ابنه إبراهيم باشا (١٢٠٤ ـ ١٢٦٤هـ / ١٧٩٠ ـ ١٨٤٨م) واكتسحت فيها قوى السلطان العثماني محمود الثاني حتى مشارف الآستانة.

كان دخول محمد علي إلى فلسطين والشام آخر عمل عسكري من أعماله، كما كان أكبرها وأهمها من الناحيتين المحلية والدولية. فبعد أن حاربت جيوشه في نجد والسودان واليونان عشرين سنة في خدمة السلطان، أو ضمن الإطار العثماني، جاءت هذه الحروب الأخيرة على السلطان لتكوين مملكة من المناطق العربية. وإذا كانت حروب محمد علي الأولى لم تثر إلّا تعقيدات دولية يسيرة فإن دخوله لشام وعبوره الأناضول مهدّداً القسطنطينية أثار أزمة دولية شغلت الدولة العثمانية والدول الأوروبية أكثر من عشر سنوات، وتركت أثرها البعيد في تاريخ المنطقة كلها، وكانت فصلاً من أخطر الفصول في تاريخ المسألة الشرقية، عرف «بالمسألة السورية».

وأطماع محمد علي في الشام قديمة عرفت عنه منذ سنة ١٨١١م. وقد كان يقدم الخدمات العسكرية للسلطان في نجد واليونان وهو يطمع أن ينال مقابلها حكم الشام. كما كان يتدخل في العلاقات بين ولاة الشام، ويقبل لجوء بعضهم إليه، ويعمل على الوساطة لهم عند السلطان وهو يحتضن هذا الأمل. لأن بلاد فلسطين، والشام من ورائها، تتيح له التوسع الجغرافي والاستراتيجي. فهي من أغنى أقاليم السلطنة، تقدم له الأخشاب للأسطول، وتمكّنه من استغلال الحرير والقمح * والقطن والصوف والكتان والتبغ والزيت، بالإضافة إلى تأمين حدوده عبر سيناء، وتوسيع مكانه التجاري، وإمداده بالجنود.

وكانت قوة محمد علي في مصر، بعد استنجاد السلطان بها واختبارها الناجح في نجد واليونان، تشجّعه على منافسة السلطان والحصول على ما غدا يعتبره من حقه ومن مكافآته المشروعة على خدماته وخسائره في الحرب. وقد أيقن أن قوته سوف تتضاعف بإدخال الشام في حكمه، وأن السلطان الضعيف سوف يخضع في النهاية للأمر الواقع. فليس ثمة إذن من مجازفة كبيرة في مجابهة الباب العالي بالقوة، وامتلاك الشام بالاحتلال الواقعي، مع تعدّد ولاة العثمانيين وتنافسهم، وقلة قواتهم، وضيق الشعب بهم وبمظالمهم. ورأى محمد علي أنه يستطيع، في أسوأ الأحوال، امتلاك عكا على

الأقل ، وتأمين حدوده الشرقية ، وإبعاد تهديدات الباب العالي عن مصر ، والخلاص من عدوان البدو على طرق التجارة في سيناء ، وضمان عدم لجوء الهاربين من الجندية إلى برّ الشام . ويبدو أن مشروعه الحربي في البدء لم يكن يجاوز هذا المدى ، إذ لم يكن بالإمكان تكوين مملكة أوسع ، أو مملكة واحدة من الأراضي التي يتكلم أهلها العربية تعدل في المساحة أراضي السلطنة وتستطيع بقواتها الذاتية في أي وقت الاستقلال عن السلطان .

وفي الوقت نفسه كانت الأوضاع الدولية من جهة ، والظروف الصعبة للدولة العثمانية من جهة أخرى ، وتكامل قوى مصر من جهة ثالثة ، تعطي محمد علي الفرصة الذهبية المناسبة تماماً للتحرك العسكري وتحقيق أحلامه . فالدول الأوربية منشغلة بأزماتها من الإصلاح الداخلي في إنكلترا إلى ثورة سنة ١٨٣٠م في فرنسا وغزوها الجزائر إلى إنشغال النمسا بالتحرك الثوري في بولونيا . والسلطنة العثمانية من ناحيتها تمرّ بفترة صعبة من الضعف بعد تدمير الإنكشارية سنة ١٨٢٦م وتحطيم الأسطول العثماني في نافارين سنة ١٨٢٧ م ثم الهزيمة أمام روسيا ، وانسلاخ اليونان سنة ١٨٢٨ ، ومعاهدة أدرنة سنة ١٨٢٩ ، بالإضافة الى تردّي سمعة السلطان محمود الثاني بسبب « تفرنجه » ومحاولاته الإصلاح المظهري ، وتدهور أموره في العراق والشام . وأما محمد علي فكان قد أعاد بناء أسطوله ، ونال سنة ١٨٣٠ محصولاً طيباً من القطن والحبوب ، وكان فيضان النيل سنة ١٨٣١ يعد بمحصول وافر ، وكانت المعامل الحربية تعمل بأقصى إنتاجها ، والجيش قد استعاد قوته وتنظيمه . ولمحمد علي حليف قوي ، هو الأمير بشير بن قاسم الشهابي * الثاني صاحب لبنان ، يمكن أن يكوّن مع الجيش المصري كمّاشة تسحق عبد الله باشا * الخازندار (الجزار الثاني) أقوى ولاة الشام ، وكان يوقّع بإسم " أمير الحاج السيد عبد الله والي الشام وصيدا وطرابلس ومتصرف ألوية غزة وحيفا وجنين ونابلس وسنجاق القدس الشريف حالاً " لأنها كانت جميعاً في حكمه .

وكان محمد علي على اطلاع مستمر على أوضاع برّ الشام وما حوله . وما من شك في أنه كان يراقب بارتياح تردّي الأمور فيه . فإذا كان البدو يغيرون على أطرافه ، وداود باشا والي بغداد المملوكي يتمرّد على السلطنة (١٨٢٩ - ١٨٣٠) ، فإن حلب قد ذُبحت بالثورة والحصار وضريبة الدور أربعة أشهر (١٨٢٠) ، والعامة في لبنان قد ثاروا تلك السنة (العامية الأولى) ، والولاة اقتتلوا حول دمشق ثم حاصروا عكا تسعة أشهر سنة ١٨٢٢ ، ثم ثار الجنبلاطيون سنة ١٨٢٥ ، واقتتلت في الوقت نفسه الزعامات النابلسية في قضايا الضرائب والولاء ، وامتنعت القدس * وبيت لحم * عن دفع الضرائب * . ومع اقتراب العزم على الحملة المصرية كانت الأوضاع تزداد سوءاً ، وقامت ثورة في فلسطين وما وراءها ، بالرغم من جبروت عبد الله باشا الجزار ، وبسبب هذا الجبروت فالمتسلّمون في غزة * كان كل همهم جمع المال بكل وسيلة ، والملتزمون للميري كانوا كالمطرقة الثقيلة على رؤوس أهالي غزة ، والبدو في الأطراف ينهبون كل عام من ثروة غزة ما يزيد على ١٠ آلاف كيس (أي ٢٠٠ ألف ليرة ذهبية) دون أن يردعهم أحد . وكان الناس يتسامعون بقرب مجيء محمد علي وينتظرون الفرج . ولعلهم بهذا الأمل ، أو بتحريض من مصر ، اتفقوا أخيراً مع بدو التياها والترابين ، وطردوا ، بزعامة مصطفى الكاشف ، وكيل الجمرك ، وأعلنوا العصيان . وكتب الجزار إليهم يطلب تسليم الثائر ويهدد بالويل وإباحة الدماء والأعراض والأموال ، ولكنه لم يتمكن من تنفيذ وعيده لأن الجند المصري سبقه إلى غزة . وأما القدس فكانت قد خرجت من مظالم محمد باشا أبو المرق لتدخل في مظالم الجزار ومتسلميه . وأما نابلس * فكانت خارجة من تمرد استمر عدة أشهر سنة ١٨٣٠ سببه أن هذه المدينة كانت تتبع والي دمشق وقد أعياه تحصيل ضرائبها (٦٠٠ كيس = ١٢ ألف ليرة ذهبية) فتعهد الجزار للسلطنة بدفع ألفي كيس عنها (٤٠ ألف ليرة ذهبية) وضمت إليه ، فامتنع زعماء نابلس والأهلون عن دفع الضريبة الباهظة ، وجرّد عليهم الجزار حملة نكبت بعض زعمائهم ، كما ألجأت جماعة ثالثة إلى الثورة والاعتصام بقلعة صانور حتى استعان الجزار عليهم بالأمير بشير الشهابي . واستسلمت القلعة لتدمر تدميراً كاملاً ، مما دفع الزعماء إلى التعاون مع الحكم المصري القادم .

وهكذا كانت جميع الظروف تزين المغامرة لمحمد علي . ولم يكن يعجزه إيجاد الذريعة للتحرك العسكري إلى فلسطين ومحاربة والي عكا الكبير الذي كان يرى فيه المنافس . كما كان الجزار بدوره يخافه ويستجيب لتحريض السلطنة في الوقوف سدّاً في وجهه . ومن هنا جاء عناد عبد الله باشا ومماطلته في تسديد ديون محمد علي عليه ، وقبوله لجوء الفلاحين المصريين الهاربين من الجندية ، وعددهم ستة آلاف ، بدعوى أنهم عثمانيون لهم أن يعيشوا في أية أرض عثمانية .

وهذه هي ، بجانب أمور أخرى ، الذرائع المباشرة التي تذرّع بها محمد علي لشنّ الحرب . وكان شن الحملات العسكرية بين ولاة الدولة العثمانية أمراً مألوفاً ، ولذلك لم يقلق الباب العالي كثيراً منها في الأسابيع الأولى ، كما لم يجد محمد علي صعوبة أو تناقضاً في أن يعلن عند سير الحملة أنه إنما يحارب عبد الله باشا فقط ويؤدّبه ، وأنه على الولاء للسلطان . وحين تحركت الحملة كان محمد علي واثقاً من أنها لن تجد في وجهها سوى جنود عبد الله باشا المكروهة ، وأن فلسطين على الأقل سوف تكون المكافأة لهذه النزهة العسكرية .

تحرّكت جيوش محمد علي بقيادة ابنه إبراهيم باشا من مصر في

البر والبحر في ١٨٣١/١٠/٢٩ . وقد تألفت في البداية من حوالي ٢٨ ألف جندي تساندهم مدفعية الميدان والحصار وقطع الأسطول البحري . والقوة الأولى التي اخترقت سيناء توجّهت إلى العريش فخان يونس * فغزّة . ولم تجد أي صعوبة في احتلال هذه المدينة التي كانت قلعتها مهدمة منذ حملة نابليون قبل ثلث قرن (ر : الحملة الفرنسية) . وكانت قوى الجزار فيها قد هربت فتابع الجيش المصري مسيره على الساحل إلى يافا * ودخلها يوم ١٨٣١/١١/٨ ، ووافاه هناك بالأسطول إبراهيم باشا مع أركان حربه ، ثم غادرها إلى حيفا * (١٣ تشرين الثاني) التي اتخذت قاعدة للتحركات العسكرية وللذخائر والمؤونة . وبدأ على الفور حصار عكا * المجاورة من البر والبحر يوم ١٨٣١/١١/٢٦ ، وكان الجزار قد اعتصم فيها وتحصّن .

وتلكأ الأمير بشير الشهابي صاحب لبنان في التعاون الفوري مع الحملة العسكرية المصرية وتردّد في اتخاذ الموقف الحاسم . وكتب إليه إبراهيم باشا بعد أن وصل إلى حيفا (١٨ تشرين الثاني) يبلغه ما تم ويدعوه إليه . فجاء الجواب أن تدبير بعض الأمور يوجب تأخره ، وطلب مرسوماً باستدعائه ، مما أغضب محمد علي ودفعه حتى إلى تهديده . ولكن ما ان استكمل إبراهيم باشا حصار عكا وبدأ يضربها في ١٨٣١/١٢/٨ حتى كان الأمير بشير ينزل معسكره في اليوم التالي ، ويصبح مستشاره الأول في الإدارة والحرب .

خلال هذه الفترة كان زعماء المناطق الفلسطينية قد قدّموا الولاء لإبراهيم باشا وهو في حيفا ، وكانت كتائب من الجيش المصري قد أوغلت في المناطق الجبلية إلى نابلس والقدس والخليل * واحتلت الداخل الفلسطيني كله بعد احتلال الساحل . وصدرت الأوامر بتعيين المتسلمين فيها . وأعلن في القدس رفع العوائد التي كانت تفرض بشكل تعسفي على غير المسلمين ، مما أكسب الفتح تأييد الطوائف في فلسطين وتأييد البطريرك الماروني . ورأى إبراهيم باشا والأمير بشير ضرورة احتلال الساحل اللبناني كسباً للزمن ومنعاً لنجدة عكا ، فسارت بعض الفرق فأخذت صور وصيدا وبيروت . ولما عجزت عن أخذ طرابلس لحق بها إبراهيم باشا فاحتلّها . غير أن حصار عكا عدة أشهر أقلق محمد علي كل القلق . فهو لم يحرمه فقط من فرض الأمر الواقع ، بل سمح للباب العالي أن يثق بقوة الجزار على الصمود ، وأثار في نفس محمد علي ذكرى هزيمة نابليون أمام هذه المدينة وما نجم عن ذلك من خذلان . ولهذا توالت أوامره بضرورة فتحها لأسباب عسكرية وسياسية ونفسيّة . وكان إبراهيم باشا يطمئن والده - كما تذكر الوثائق - لأنه كان يدرك على ما يبدو اختلاف موقفه عن موقف نابليون ؛ فلديه أسطول فعّال ولا يلاقي معارضة الأسطول الإنكليزي مثله ، بالإضافة إلى تقبّل السكان له دون مقاومة أو رفض .

كانت المصاعب المحلية الأولى التي لقيها حين أعلن الأمير بشير انحيازه إلى الفاتحين . وأعلن الموارنة ذلك ، فانحاز الجنبلاطيون أعداء الأمير بشير إلى الجانب العثماني ، ومعهم زعماء الدروز والآخرون ، وهربوا إلى حمص وحماه يحرّضون على القتال ، مما دعا إبراهيم باشا إلى اتخاذ أول إجراء زجري في البلاد ، إذ ذهب إلى دير القمر وأخذ من كل أسرة درزية رهينتين .

ويبدو أن الباب العالي ، رغم قلقه المتزايد من التوسّع المصري ، كان يحسب في البدء أنه تحرك عسكري موقت ومحدود ، أو انه لن يجاوز عكا ، ولن ينتهي بأكثر من التخلّص من الجزار . ولذلك اتسم ردّ الفعل العثماني الأول بالبطء ، إذ أرسل الباب العالي موفداً إلى محمد علي يطلب منه الكف عن القتال فلم يفز منه بغير المطاولة . ثم كلف السلطان والي طرابلس أن يتولى المقاومة . فلمّا انهزم في واقعة الزراعة ، جنوبي حمص (١٨٣٢/٤/١٤) ، أدرك الباب العالي أبعاد الموقف ، وحاول أن يستغل مكانه الديني ، وصمود عكا والجزار في وقت واحد ، فأعلن عصيان محمد علي ضد وليّ النعم في ١٨٣٢/٤/٢٣ وأصدر في حقه الفتاوى الدينية ، وجرده مع ابنه إبراهيم من رتبة الوزارة (الولاية) ، وأباح دماءهما ، ودعا الدول الأوروبية إلى قطع علاقاتها مع محمد علي ، وأصدر الأوامر لإعداد القوى العسكرية البحرية والبرية للمسير إلى الشام الذي أفزعته واقعة الزراعة .

لكن الأمور كانت قد تطورت تطوراً آخر بما لا يشتهي السلطان . فقد سقطت عكا في ١٨٣٢/٥/٢٧ بعد ستة أشهر من الحصار ، وأسر عبد الله باشا وأرسل إلى مصر حيث قوبل بالحفاوة . وبلغ من ابتهاج محمد علي بالنصر أن أمر بالزينة ثلاثة أيام . وبعد أقل من ثلاثة أسابيع سقطت دمشق (٢٦ حزيران) . ثم هزمت الجيوش العثمانية التي احتشدت عند حمص (٨ تموز) هزيمة ساحقة ردّتها إلى أقصى شمال سورية . ثم هزمت عند مضيق بيلان (٣٠ تموز) ، وصار الشام كله بيد محمد علي الذي عادت جيوشه فهزمت جيوش السلطان في واقعة قونية يوم ١٨٣٢/١١/٢١ ، وثارت بذلك أزمة دولية خطيرة انتهت بصلح كوتاهية (٤/٨ ثم ١٨٣٣/٥/٦) الذي أعطى محمد علي ولاية فلسطين والشام كله مع ولاية أضنة مدى الحياة، بالإضافة إلى ما كان في يده من نجد والحجاز ومصر والسودان وكريت .

على أن هذه الحرب والصلح الذي أعقبها أدخلا تعقيداً جديداً على ما كان يُسمّى المسألة الشرقية عرف بالمسألة السورية . فإذا كان الفتح المصري قد أرضى فرنسا التي كانت تقف وراء محمد علي ، وتؤيّده بالخبراء والدعم ، وتحاول الاستفادة من هذا الفتح في إقامة قواعد مستقرة لنفوذها القديم لدى الطوائف المسيحية في فلسطين

ولبنان ، فإنه في النهاية أخافها من تدخّل روسيا حامية للدولة العثمانية ، فعملت على كبح مطامع محمد علي وتحويله إلى الصلح والمسالمة . أما إنكلترا فوجدت في اتساع دولة محمد علي وزيادة أراضيه وقوته على الجبهة البرية المطلة على البحر المتوسط والخليج العربي تهديداً خطيراً لطريق الهند وعلاقاتها الاستعمارية . كما أن روسيا التي خشيت حلول محمد علي محل السلطنة الضعيفة في القسطنطينية أسرعت تضع المضائق والسلطنة تحت حمايتها بمعاهدة خنكار اسكله سي بتاريخ ١٨٣٣/٧/٨ التي فرضتها فرضاً على السلطان . بينما قلقت النمسا من انتصارات محمد علي ، ومن انفراد روسيا بحماية السلطنة على السواء .

في هذه السنوات من حكم محمد علي في فلسطين والشام بدأت بريطانيا تربط مصالحها مع اليهود وتستخدمهم للاستيطان في فلسطين وذلك ضمن الخطط التي بدأت وضعها وتطبيقها لتمزيق المنطقة الشامية وإيجاد الركائز الغريبة فيها . وقد استغلت قنصلياتها وممثليها القنصليين لبث الدسائس على محمد علي ، وافتتحت في القدس سنة ١٨٣٨ قنصلية (كانت أول قنصلية أجنبية فيها) للغرض نفسه ، وجعلت من عمل قنصلها المقيم هناك (يونغ ١٨٣٨ - ١٨٤٥م) رعاية المصالح البريطانية والأمريكية واليهودية . وأرسلت عدداً من عملائها من كبار ضباط التجسس لإقامة الركائز والعلاقات مع الأقليات السكانية . وكان من أهم هؤلاء العملاء فيما يتعلق بفلسطين الكولونيل جولر الذي تخصص بالعمل مع رؤوس الجماعة اليهودية في بريطانيا وفي الشام لكسب تأييدها لمشروع هجرة اليهود إلى فلسطين ، لأن من شأن هذه الهجرة إيجاد مجموعة سكانية غريبة فيها تستطيع بريطانيا الاعتماد على ولائها في هذه البقعة الاستراتيجية على طريق الهند .

وقد تعاون جولر مع يهودي بريطاني من الأثرياء البارزين في تلك الفترة كان يحمل الفكرة نفسها ، وهو موشيه مونتفيوري رئيس المجلس اليهودي البريطاني الذي زار فلسطين سبع مرات ، منذ سنة ١٨٣٥ ، دارساً أوضاعها وثرواتها ، وافتتح أول مدرسة لليهود فيها . ويبدو أنه دفع بعض اليهود في القدس إلى طلب السماح لهم بشراء الأراضي الزراعية . فقد تقدم وكيل طائفة السكناج (الغربيين) في تلك الفترة إلى « مجلس المشورة » المحلي في القدس طالباً الترخيص لهم " بمشترى الأملاك والأراضي للزراعة وتعاطي الحرث والزرع وبيع الأغنام والأبقار وتعاطي مصابن ومعاصر بناء يدفعوا المرتب للميري مثل الرعايا . . " فرفض المجلس ذلك وجاء كتاب محمد علي في ١٨٣٧/٤/٣٠ بالموافقة على المنع .

وتقدم مونتفيوري بمشروع آخر قصد فيه ، كما كتب في مذكراته بتاريخ ١٨٣٧/٥/٢٤ ، إلى دعوة اليهود من أوربا وأمريكا وجنوب إفريقيا للإقامة بتلك « القرى » من فلسطين . وقدّم مونتفيوري مشروعه حين زار فلسطين سنة ١٨٣٩ إلى إبراهيم باشا وصرّح قائلاً : " إنه سوف يتمنى على محمد علي ويتوسل إليه أن يؤجر لنا مائة أو مائتي قرية لمدة خمسين سنة . وحين أعود لإنكلترا لن أتردد في إنشاء شركة لتحسين تلك الأراضي وتشجيع إخواننا في أوربا على العودة إلى فلسطين " .

ويبدو أن مشروع مونتفيوري لم يكن يهودياً فقط ، بل كان إنكليزياً أيضاً . فقد قدمت مذكرة به إلى مؤتمر لندن سنة ١٨٤٠ ، كما كتب به بالمرستون وزير الخارجية إلى السفير البريطاني في القسطنطينية . وصدر مرسوم عثماني فيما بعد (١٨٤٩م) يسمح لمونتفيوري بشراء الأرض التي قام عليها حيّ مونتفيوري بالقدس . ولكن المشروع المقدم إلى إبراهيم باشا ومحمد علي سنة ١٨٣٩ رفض .

على أن اليهود لم يكونوا بالنسبة إلى إنكلترا في تلك الفترة سوى إحدى أوراق اللعبة السياسية . وكان الهمّ الأساسي لها هو إضعاف محمد علي ، وإبقاء فلسطين والشام في يد « الرجل المريض » ، والقدرة الدائمة على التدخل في البلاد بالعملية الطائفية . وبالرغم من أن السلطنة العثمانية هُزمت مرة أخرى أمام جيوش محمد علي في معركة نصيبين بوم ١٨٣٩/٦/٢٤ فقد استطاعت السياسة الإنكليزية الوصول مع المطامع الدولية إلى موقف مشترك يحرم محمد علي ثمرة النصر ، ويجعل كلمتها هي الأساسية في « المسألة السورية » . وقدمت إنكلترا والنمسا وروسيا وبروسيا وفرنسا مذكرة إلى الباب العالي في ١٨٣٩/٧/٢٧ تطلب فيها ألاّ يُبرم أمر في المسألة إلا باطلاع واتفاق الدول . وقد حاول بالمرستون بعد هذه الخطوة تقديم حل يعطي محمد علي حكم فلسطين (دون مدينة عكا) مع مصر . فرفضت فرنسا هذا الحل ، مما أدّى إلى أن تعقد إنكلترا مع الدول الباقية مؤتمر لندن الأول في ١٨٤٠/٧/١٥ الذي تبنّى الفكرة نفسها مع إضافة مدينة عكا إلى الصفقة ، وأن يكون حكم مصر وراثياً لمحمد علي ، وحكم فلسطين مدى الحياة . بشرط أن يقبل ذلك خلال عشرة أيام ، ويتخلّى فوراً عن كل ما تحت يده غير ذلك . فإن رفض حرم من ولاية فلسطين (عكا) ، وأعطي مهلة عشرة أيام أخرى لقبول حكم مصر الوراثي فقط ، على أن يظل تابعاً للسلطان ويجبي الضرائب باسمه . فإن رفض الإنذار تصرفت الدول بما تراه . وتتعهد إنكلترا والنمسا بقطع المواصلات بين الشام ومصر بكل الوسائل .

وقد رفض محمد علي الإنذار . ولكن فرنسا تخلت عن تأييده في اللحظات الحرجة ، واستطاعت الدسائس أن تثير الثورات في طول الشام وعرضه ، في الوقت الذي كانت فيه قوى الأسطول الإنكليزي

مع العثماني والنمسوي تحتل مدن لبنان الساحلية ، ثم حيفا ، وتضرب عكا بحراً وتحتلها في ٤/١١/١٨٤٠ . وتوغلت في البلاد وحدة إنكليزية احتلت القدس ، واستسلمت يافا ونابلس ، وانتشرت في أنحاء لبنان والجليل ونابلس والخليل انتفاضات ضد المصريين استحوذت على معظم المناطق الفلسطينية وعلى البقاع ولبنان ، واصبحت مقاومة القوى المصرية بعد كل ذلك دون جدوى .

وقد واجه محمد علي ، وابنه إبراهيم ، في بلاد الشام أوضاعاً ومشكلات تختلف عمّا عرفاه في مصر ، وأهمها :

١) وجود بُنى اجتماعية ـ اقتصادية ذات قوى مستقرة وزعامات محلية تقتسم السلطة في البلاد ، وتستند من جهة إلى كتل أسرية أو قَبلية واسعة ، ومن جهة أخرى إلى مصالح مادية ليس من السهل أن تتخلى عنها (التزام الضرائب ، إتاوات الطرق ، إقطاعات زراعية ، قيادات عسكرية . . .) . وكانت لبعضها صفة شرعية بمراسيم سلطانية . ومن هذه الزعامات : آل رضوان * في غزة ، وآل أبي غوش ما بين القدس ويافا ، وآل عمرو في جبال الخليل ، وآل عبد الهادي وطوقان وجرار والقاسم في نابلس .

٢) وجود السلاح بكثرة في أيدي الناس نتيجة لاضطراب الأمن المتمادي عدة قرون ، ولحاجات الدفاع الجماعي والفردي المستمرة ، حتى غدت حيازة السلاح تقليداً اجتماعياً مستقراً ، ومجال اعتزاز من جهة ، وقوة وعدوان من جهة أخرى .

٣) تمرد البدو الدائم وعدوانهم على الريف ، سواء في ذلك بدو سيناء كالتياها والترابين حول غزة ، والتعامرة حول الخليل ، والجماعات البدوية شبه المستقرة في الداخل (رَ : البداوة والاستقرار) .

٤) استقرار نظام الإدارة العثماني على أساس الالتزام بالضرائب والارتزاق في التجنيد ، وقيام مصالح طبقية سياسية ومالية على ذلك النظام

٥) التدهور الاقتصادي (الزراعي ـ التجاري) الناجم عن سوء علاقات الإنتاج ، وعن الابتزاز الضريبي والإقطاعي وعدوان البدو وجماعات الجند والملتزمين وتحديد التجارة الخارجية في مرافىء معينة .

يُضاف إلى هذا كله أن الشام كانت في أجوائها العامة تمرّ بمرحلة انتقالية تتسم بالحذر والتخوف نتيجة صدمة التحديث التي كانت تهبّ عليها بقوة ، سواء من الشمال ، من قبل السلطان محمود الثاني الذي سحق الإنكشارية و « فَرْنَجَ الملابس » وحاول تنظيم الإدارة ، أو من الشرق بإصلاحات داود باشا في بغداد ، أو من الجنوب بأعمال محمد علي . وهكذا ، وبالرغم من أن بعض القطاعات في فلسطين والشام (كالجماعات المتنوّرة ، والطوائف غير الإسلامية ، وجماهير الطبقات المسحوقة من الفلاحين والحرفيين الذين يأملون الخير بتغيّر الدول) قد رحبت بالحكم المصري الجديد ، فإن القطاعات الأخرى التي تؤلّف مراكز القوى الحقيقية في البلاد (كالزعامات المحلية ، وجمهور الوظائف والمصالح المادية أو التزمّت الديني ، أو البدو) ، كانت تنشر جو الريبة في إبراهيم باشا ، وتكوّن بؤر الرفض والمقاومة لحكمه . ولهذا يجد الباحثون بين الوثائق المعاصرة ما يشير إلى أن الفتح المصري قد قوبل بالترحاب بوصفه المنقذ من سوء الحكم العثماني . كما يجدون في الوقت نفسه في رسائل إبراهيم باشا إلى أبيه ما يشير إلى أن سكان فلسطين والشام وأضنة قد قبلوا بحكمه على مضض ، وما يفصح عن شكواه أكثر من مرة خلال انشغاله بحصار عكا من سكان نابلس والقدس . ويضاف إلى هذا أن زعماء الدروز (جنبلاط ، العماد ، نكد) هربوا شمالاً يحرّضون الناس عليه ، كما أن دمشق لم ترحب به مما اضطر محمد علي إلى نصيحة ابنه بألّا يأخذها بالشدة وأن يكتفي بتهديدها .

وعلى أي حال صارت فلسطين والشام ، وخاصة بعد صلح كوتاهية ، تابعين لمحمد علي ، وصدر الفرمان السلطاني بتعيينه حاكماً عاماً عليهما . ومع أن إدارة البلاد كانت إدارة عسكرية (رَ : الإدارة) فقد كان أمام هذا القائد أن يعمل على إقامة النظام المتفق مع نظام مصر الجديد لدمج الشام مع مصر ونجد والسودان فيما يشبه المملكة العربية الواحدة التي تقابل السلطنة التركية العثمانية ، وإنْ كانت تابعة لها . وكان هذا الوضع الجديد أشبه بإحياء السلطنة المملوكية القديمة التي كان العثمانيون قد ابتلعوها قبل ثلاثة قرون ونيف ، ولكن بمفهوم عصري حديث . ولم يكن إبراهيم ليخفي طموحه السياسي في إقامة مملكة عربية تضم الناطقين بالضاد . ولذلك بادر إلى القيام بعدد من التدابير الإدارية والسياسية والقضائية والمالية والاقتصادية التي ترمي ، كما في مصر ، إلى إقامة سلطة مركزية قوية في الشام توطّد الأمن ، وتصفّي التعسف الإقطاعي والبدوي ، وتنظّم الإدارة المالية ، وتوقف التدهور الاقتصادي ، وتدخل البلاد في دورة العلم الحديث ومبادىء المساواة بين المواطنين . وعلى هذه الأسس صدر مرسوم محمد علي بتعيين حاكم إداري عام للشام هو محمد شريف باشا باسم « حكمدار عربستان » ، وقسّمت البلاد بين عدد من الولاة ، وجعلت فلسطين مديريات يتولّى كل مديرية منها « متسلم » عليه " . . . أن يتعاطى الأحكام والضبط والربط وتحصيل المطلوبات العائدة إلى الخزينة ، ويباشر راحت الرعايا وعمار القرايا (ويتحاشى) الظلم والتعدّي ويزجر المعتدين . . " . وقد " تحرر مرسوم إلى الشيخ حسين عبد الهادي بمتسلمية جنين * والحاق بلادها ، ومرسوم إلى الشيخ محمد

القاسم بمتسلمية نابلس ، وتسليم مقاطعة الشعراوية لعهدة الشيخ محمد عبد الهادي ، وبلاد الجماعين لعهدة يوسف القاسم ، وإقليم المشاريق لعهدة عبد الله الجرار ، وبلاد بني صعب لعهدة يوسف وعبد الوهاب الجيوسي . . " . وأقرّ إبراهيم باشا تعيين الزعماء الآخرين القائمين في اللد * والرملة * من آل أبي غوش ، وأسعد الخضر لمتسلمية يافا ، وتألف مع كل متسلم « ديوان للمشورة » من الملاّكين والتجار ورجال الدين وظيفته تشبه وظيفة المحاكم المدنية . ولكل مدينة قاض ، وللقضايا الكبرى محكمة من قاض وعضوين . وأما السلطة القضائية العليا فهي في يد إبراهيم باشا الذي يصدر الاحكام في القضايا الجنائية والسياسية (رَ : القضاء) . وقد نظّم البريد * بينه وبين القاهرة للاتصال الدائم بالقلم الخاص « بمصالح برّ الشام » عند أبيه .

وبالرغم من أن إبراهيم باشا استخدم معظم المتنفّذين القدامى في إدارة البلاد ، فقد حاول بذلك القضاء عملياً على نفوذهم بإدخالهم ضمن النظام الإداري العام ، وضمن حدوده وقيوده ، كما خرّب الكثير من قلاعهم .

واهتمّ إبراهيم باشا ، إلى هذا ، بإصلاح نظام الضرائب (رَ : الضرائب) . ولم يُلْغِ نظام الالتزام تماماً ، ولكنه عهد بالإدارة المالية إلى موظف شامي كبير هو حنا بحري ، ووضع ميزانية للبلاد ، وحدد كمية وأنواع الضرائب بدقة ومنع تجاوزها . وحددت الجمارك وألغي الالتزام فيها ، مما سمح للقوى الاقتصادية بالاطمئنان .

واهتم إبراهيم باشا بالأمن ، وبخاصة في المناطق المبلوّة بالغزو البدوي . ولم يكتف بقمع البدو بل أنزلهم في المناطق المهجورة للاستقرار ، وشجع الفلاحين على العودة إلى أراضيهم . وقد نجم عن هذا ازدهار الأراضي الزراعية واتساعها وظهور قرى جديدة . كما نجم عنه تأمين ونشاط طرق التجارة والمرور (الترانزيت) ، سواء في الداخل ومع المدن الساحلية أو على طرق القوافل الصحراوية من الشام إلى العراق وحركة البضائع الهندية والإيرانية عبر الشام إلى أوربا . ونمت بذلك المدن وانتعشت الطبقات الحرفية والبورجوازية فيها .

وأضاف إبراهيم باشا إلى ذلك محاولة دعم الإنتاج الزراعي ذي المردود الاقتصادي العالي (تربية دود القز ، القنب ، الكتان ، الزيتون *) بالإضافة إلى استخراج بعض المعادن ، وإنزال الجيش لمكافحة الجراد .

وأدخل إبراهيم باشا عدداً من الإصلاحات في حقل التعليم ، وإنْ كانت المدارس التي أنشئت قليلة العدد والتأثير ، وتتجه بخاصة لخدمة الأوضاع العسكرية .

ولعل من أهم أعمال إبراهيم باشا أنه حاول خلال إدارته البلاد إدخال مفهوم المساواة في المواطنة بدلاً من مفهوم التمايز الطائفي الموروث . وعمل على تضييق الفجوة بين الأكثرية المسلمة والطوائف غير المسلمة . وهكذا جرى إلغاء العوائد التعسّفية ، كما استخدم خبرات أبناء الطوائف على نطاق واسع ، الأمر الذي نجم عنه انتعاش هذه الجماعات وتدفّق البعثات التبشيرية والقنصليات الأجنبية ، كما نجم عنه في الوقت نفسه بعض الانكماش والحذر لدى المسلمين . وقد استُغلّ ذلك في النهاية للدعاية المضادة له ، سواء من قبل العثمانيين أو من جانب العملاء الأجانب .

ولكن ما كاد إبراهيم باشا يبدأ العمل حتى فوجىء بمصاعب لم يكن ينتظرها ، ولم يواجه محمد علي مثلها في مصر . ولم تأت هذه المصاعب من مشكلة الضرائب ، فإن إبراهيم باشا لم يفرض ضرائب مجحفة في فلسطين والشام ، ولم يلغ حتى نظام الالتزام والمتزعّمين المحليين ، بل طبق عليهم بالتدريج قيود الانضباط والتنظيم والتحصيل الدقيق وعدم تجاوز الضرائب المقررة . وإذا كان قد أوجد ضريبة جديدة هي ضريبة « الفردة » ، أي فرض مبلغ سنوي يراوح بين ١٥ و ٥٠ قرشاً على كل فرد ، فإن الضرائب الأخرى كانت مألوفة ، كضريبة الشونة (ما يقدمه الأهالي للجيش المرابط عندهم) والدخولية (مرور البضائع إلى المدينة) والتسريح (على انتقال الحاصلات الزراعية) والطاحون (على الحبوب) والمواشي . . .

على أن ما أثار الاستياء ، ثم النقمة فالثورة ، هو التدابير الأخرى المتصلة بالأمن وبالحاجات العسكرية التي لم يكن أهل فلسطين والشام على استعداد لتقبلها ، ومنها :

١) مصادرة المؤن لتموين الجيش ، أو شراؤها غصباً بأسعار متدنية .

٢) مصادرة حيوانات النقل ، وهي أساسية في حياة الفلاح لنقله وحمل إنتاجه وعمله الزراعي .

٣) سوْق الناس لإقامة التحصينات العسكرية بالسخرة او بالاجور التافهة .

٤) نزع السلاح من الاهلين .

٥) التجنيد الإجباري .

وقد كان ممكناً أن يتحمل الناس التدابير الأولى . وأما الأمران الأخيران فكانا أقسى ما صدم الأهلين من النظام الجديد ، لأنهم تعودوا ، لعدة قرون ، وبسبب غياب الأمن الحكومي ، أن ينظروا إلى السلاح في أيديهم على أنه الأمان الوحيد والضمانة . فلمّا أضاف إبراهيم باشا إلى ذلك أمر أبيه بإعلان التجنيد الإجباري في البلاد سنة ١٨٣٤ بسبب حاجته إلى الجند بلغ التذمّر أوجه . فصدر أمر إبراهيم باشا في ١٨٣٤/٤/٢٥ بطلب ثلاثة آلاف مجند من كل من أقضية القدس ونابلس والخليل دون تحديد مدة معينة للتجنيد . وإذا

كان قد سبق تطبيق ذلك في مصر دون صعوبة كبيرة ، فإن فرضه في الشام مع جمع السلاح والتدابير الأخرى كان يقتضي الصدام لا مع عواطف الأهلين وحسب ، بل ومع سلاحهم أيضاً .

وبالرغم من أن إبراهيم باشا استخدم أفراد الأسر البارزة وأبناء المتزعمين والمشايخ والملتزمين الأقوياء موظفين وقادة في الجيش لتدبير أسر الفلاحين ، فإنه في الوقت نفسه أثار نقمتهم بحرمانهم من العوائد المالية التي اعتادوها ، ومن النفوذ الذي كان يمارسونه . وكانت جذور هذه الجماعات التقليدية المتسلطة ، مثل أسرة أبي غوش في جبال القدس ، وآل الماضي في إجزم ، وطوقان وقاسم وجرار في جبل نابلس ، وآل عمرو في جبل الخليل ، وغيرهم ، عصيّة على الاقتلاع السريع ، وقد حاول بعضهم التمرّد ، كآل أبي غوش ، فكانت النتيجة نفي عدد من الزعماء وأخذ بعضهم رهائن . وكان من السهل على هذه الزعامات إثارة الأتباع واللعب بمشاعر الناس من خلال البنى الاجتماعية ـ الاقتصادية التي تستند إليها .

وقد أضيف إلى ذلك كله عاملان آخران يتصل أولهما بالمشاعر الدينية . فإن تحسّن أحوال الطوائف غير المسلمة في ظل إبراهيم باشا أنذر المسلمين ، وفيهم الدروز ، باهتزاز علاقات العيش التقليدية بين الطوائف .

وكان الثاني الميول العثمانية التقليدية لدى الناس . فلم يكن العثمانيون بحاجة إلى عملاء محليين يحرّكون النفوس على إبراهيم باشا ، لأن قواعدهم القديمة المستندة إلى المشاعر الدينية والزعامات المحلية والملتزمين ، وإلى البنى الاجتماعية ـ الاقتصادية المتضررة بالنظام الجديد ، كانت معبأة وجاهزة للعمل . ولعل الإنجاز الأساسي الذي حققه زعماء النقمة أنهم استطاعوا إلباس المشاعر الشعبية وعوامل الاستياء المختلفة اللباس الديني ، وحرضوا الناس على « الكافر إبراهيم باشا » . وهكذا تفجرت الحركات الثورية في أكثر من مكان في الشام ، وفي أوقات متقاربة متلاحقة ، ولكنها بدأت واتخذت الشكل الجماعي العنيف في فلسطين .

ففي أواسط نيسان سنة ١٨٣٤ وصل إبراهيم باشا إلى القدس فجمع زعماء جبال نابلس والخليل وأبلغهم تنفيذ أوامر والده بالتجنيد . وعلم بتواطؤ قبائل الكرك على الرفض فاستدعاهم إليه وأصر على نزع السلاح والتجنيد . ولكن ما كاد إبراهيم باشا يغادر القدس إلى يافا أوائل أيار حتى وصلته الأنباء بعودة الجميع عن مواقفهم ، وبهجوم الفلاحين والبدو على القوات المصرية في الكرك في منتصف أيار ، وبأن حامية الخليل قد ذُبحت . وكتب إليه متسلم المدينة تفاصيل المعارك الدموية التي كانت بين الجند وبين عرب التعامرة والثوار قرب بلدة سعير* . وبعد ثلاثة أيام (٢٥ أيار) ورد من قائد القدس أن الطريق إلى يافا قد انتهب من باب الواد إلى لفتا* ، وتحركت الفتنة في بيت جالا* وبيت لحم ، واجتمع الفلاحون الثائرون في قريتي الشيخ بدر والبيرة* وأخذوا بحصار القدس ، بينما انتهبت في الوقت نفسه نابلس ، ووصلت الثورة حتى صفد* في الشمال وغزة في الجنوب .

ولم تكن الثورات مجرد انفجار شعبي عفوي وحسب ، بل اتخذت الشكل التنظيمي بتسلّم الزعامات والوجاهات المحلية قيادتها . فقد عقد رجال القدس اجتماعاً حضره عدد كبير من مشايخ القرى المجاورة وقرروا إعلان الثورة في ١٨٣٤/٤/٢٨ . وعقد زعماء نابلس اجتماعاً مماثلاً في بيت وزن غربي نابلس واتخذوا القرار نفسه (حوالي ٢٠ أيار) . وأذاع أهل صفد بياناً (أواسط حزيران) وقّعه القاضي والمفتي ونقيب الأشراف بالثورة أيضاً .

وقد استطاع ثوار القدس بالتعاون مع نجدات نابلس والخليل أن يسيطروا على المدينة ، وأن يحاصروا حاميتها في القلعة (٨ ـ ١٤ أيار) ، في حين كان قاسم الأحمد الذي هرب من معتقله في يافا يقود الثوّار في نابلس مع الشيخ عيسى البرقاوي وتجتمع حولهما عدة عشرات من الألوف الثائرة . وكانت صفد تطرد اليهود منها مع أعوان الحكم المصري ، والخليل في يد الثوار ، وغزة في يد البدو الذين غزوها وانتشروا في مناطقها . وكانت اللد وطبرية والسلط قد التحقت بالثورة .

في هذه الغمرة الثورية العارمة بعث إبراهيم باشا يطلب النجدات من دمشق وعكا وطرابلس ومصر ، وقرّر العودة على الفور بما لديه من القوات إلى القدس يوم ١٨٣٤/٦/٦ ، واستطاع بعد ثلاثة اصطدامات عنيفة ، ورغم العوائق والخسائر ، دخولها في ١٨٣٤/٦/٨ . وبالرغم من أنه أعلن العفو عن الثوار إنْ استسلموا فانه لم يأت أحد الى معسكره . ومع أن إبراهيم باشا هزم الثائرين بعد ذلك في غماس (حوالي ١٠ حزيران) ، ثم عند بيت لحم ، فانه لم يكن من القوة بحيث ينهي أمرهم ، أو يخمد الثوار الآخرين الذين غطّوا فلسطين كلها ، ولا سيما بعد أن سحقوا في مرج ابن عامر* (منتصف حزيران) القوة التي خفّت لمعونته من دمشق . ولذلك تحصن إبراهيم باشا في قلعة القدس في انتظار النجدات من أبيه .

وقد حاول ثوار نابلس بقيادة قاسم الأحمد اقتحام القدس فصدّهم ثلاث مرات في لفتا ، ودير مار الياس ، وسلوان . ولم يجد بدًا من مفاوضتهم لكسب الوقت ، فألغى عنهم الفردة ، وأوقف التجنيد مقابل تقديم المعونة له . ومثل الشيخ قاسم بين يديه فعين حاكماً على البلاد في ١٨٣٤/٦/٢٦ وانتهى الحصار الذي امتد شهراً ونصف الشهر .

بعد أيام جاءت النجدات بالبر من مصر يقودها عدد من أبرز

لضباط ، بينما وصل محمد علي نفسه ببعضها على الأسطول من الإسكندرية إلى يافا . وهرع إبراهيم إلى لقاء أبيه (أول تموز) ، واصطحب معه عدداً من وجهاء القدس لم يحسن محمد علي استقبالهم ، بل أرسلهم إلى مصر للإقامة الجبرية . وبعد أن أعطى تعليماته ، وكلّف الأمير بشير الشهابي إخماد ثورة صفد ، عاد إلى الإسكندرية . وانصرف ابنه إبراهيم بالقوات في ١٨٣٤/٧/١٠ من يافا إلى نابلس التي كان ثوارها ، وهم العدد الأكبر والأخطر ، قد نقضوا الاتفاق ومنعوا عنه مؤونة القمح المفروضة . ويذكرون أنه كان أرسل بكتاب من أبيه إلى قاسم الأحمد مع مبلغ جسيم من المال ، ووعد بالإعفاء عن التجنيد وبالتسامح في الميري . وكان في الوقت نفسه يستميل آل أبي غوش ، فلمّا استجاب هؤلاء له مقابل إطلاق زعيمهم إبراهيم أبي غوش قطع المفاوضة مع قاسم الأحمد ، واستعان بخبرة آل أبي غوش في الطرق ومواقع المياه ليسير بالقوات إلى جبال نابلس (١٠ - ١٦ تموز) . وقد سحق في طريقه بلدة الطيبة * ، وأحرق قاقون * ، وهزم جموع الثوار في معركة عند زيتا * ، ثم أسرع إلى لقاء كتلتهم التي اجتمعت بقيادة قاسم الأحمد في دير الغصون * قرب طولكرم * (١٦ تموز) . وتمكن إبراهيم من هزيمتهم هزيمة نهائية عاد بعدها إلى نابلس التي خرج أهلها يطلبون الأمان . فنزل بظاهر البلد في ١٨٣٤/٧/١٨ وقتل من وقع في يده من الثوار المعروفين . وأما باقي الزعماء (الأحمد ، والبرقاوي ، وجرار) فقد أخذوا عائلاتهم من نابلس وهربوا إلى الخليل . وقد جرى تجريد السكان من السلاح .

في الوقت نفسه كان الأمير بشير يلبّي تكليف محمد علي فيسوق قواته إلى صفد . وقد تلقى قبل وصولها موفدها الشيخ صالح الترشيحي الذي قدم باسمها الطاعة . فاحتلها الأمير ، وعيّن حاكماً لها . وقبض على ٢٢ من وجوهها كانوا كاتبوا ابنه بالثورة . وخضعت المناطق المجاورة ، وتلقى الأمير طاعة طبرية * وقرى جبل الجليل والساحل حتى عكا ، وكتب في ١٨٣٤/٧/٢٥ إلى محمد علي " بانقطاع دابر الفساد ودخول الرعب إلى قلوب الجميع " .

وعاد إبراهيم باشا إلى القدس يدخلها في ٣٠ ألف جندي أقنعوا أهل المدينة أن ثورتهم انتهت فقدّموا بدورهم الطاعة .

وأرسل ثوار الخليل يعرضون الطاعة والأمان ، فأبى إبراهيم إلّا أن يسلموا زعماء الثورة أحياء . ورفض أهل الخليل هذا الطلب الصعب فتحرك بقواته إليهم في (٥ آب) ، والتقى بجموعهم في بيت حالا فهزمها . ثم أرسل يطلب التسليم من الخليل التي أصرت على المقاومة ، فهاجم البلد الذي لم يستطع ثواره الصمود أكثر من بضع ساعات أبيحت الخليل بعدها للنهب والقتل والأسر ، وخسرت ما لا يحصى من الأموال والرزق (٦ آب) . واعتقل إبراهيم باشا علماء الخليل ودراويشها وأبعدهم إلى مصر . وأما مشايخ نابلس فأخذوا طريقهم إلى الكرك الثائرة مع السلط في شرقي الأردن .

بعد أسبوع من ذلك كان إبراهيم باشا يلحق بثورة الكرك ليسحقها ، ويستولي على البلد ، ويشعل في مساكنها النيران ، ويقطع أشجارها ، ثم يتوجّه إلى السلط ويجبر السكان على طلب الأمان . وكان زعماء نابلس في ذلك الوقت يشردون في البادية للاحتماء بعشائر غزة . ولكن ملاحقة إبراهيم باشا السريعة أوقعتهم في الأسر ، وأُخذ قاسم الأحمد والبرقاوي إلى دمشق فقتلا فيها ، وقطعت رؤوس أولادهما في عكا والقدس .

لمّا عاد إبراهيم باشا إلى القدس في ١٨٣٤/٩/١٠ كانت الثورة قد انتهت تماماً ، وكانت تدابيره القاسية قد ساقت الشباب للتجنيد في القلاع والأسطول ، وكان جمع الأسلحة يتم في كل مكان .

وإن خمدت ثورة فلسطين سنة ١٨٣٤ فقد كلفت النظام المصري الكثير من الجهد والضحايا ، كما جرّأت عليه المناطق الأخرى التي ثارت في الشام بعد ذلك ، وتركت ضده الكثير من الأحقاد الدموية التي سوف تتفجر في فلسطين نفسها فيما بعد . وقد دفعت البلاد ثمناً غالياً لثورتها ، سواء من الدماء أو من الدمار الزراعي في الكروم والزيتون حول الخليل والقدس ونابلس . ولكن هزيمة الثائرين زعزعت بالمقابل البنى الاجتماعية - الاقتصادية التقليدية التي كان يستند إليها زعماء الثورة ، وفتحت الأعين بعد ذلك لتقبّل النظم والأفكار الحديثة التي أدخلها إبراهيم باشا إلى البلاد .

كانت ثورة ١٨٣٤ ، إضافة إلى محاربة الدول الأوربية لمحمد علي ، والنظم الجديدة التي طبقها إبراهيم باشا في بلاد الشام ، وضمنها فلسطين ، من أسباب إجهاض المشروع المصري لإقامة مملكة عربية موحّدة تواجه السلطنة العثمانية ، مما فرض على محمد علي بعد عشر سنوات من الحكم المصري قبول الأمر الواقع والانسحاب من بلاد الشام .

لقي إبراهيم باشا أشد المتاعب والخسائر في تنفيذ الانسحاب . وقد جمع جيشه بدمشق للانسحاب ، فكان هناك سبعون ألف مقاتل ، عدا عدة آلاف من الأسر والموظفين العاملين في إدارة البلاد . وقد قسمهم ثلاثة فيالق : واحد منها عبر غزة إلى العريش ، والثاني سلك طريق الحج إلى معان ومنها إلى العقبة ، والثالث ركب البحر من غزة . ولكن مجموع الجنود الذين خرجوا من فلسطين لم يكن أكثر من ٤٠ ألفاً ترك آخرهم غزة في ١٨٤١/٢/١٩ .

وفي كل الأحوال كانت محاولة محمد علي فتح فلسطين والشام تجديداً وتأكيداً لذلك الارتباط التاريخي المتصل في المصائر السياسية وفي التكامل الاقتصادي والثقافي بين الإقليمين المصري والشامي الذي يزيد عمره على خمسة وثلاثين قرناً كان خلالها الحكم في

الإقليمين على الدوام في يد واحدة ضمن دولة مشتركة. وكانت تجربة محمد علي في الفتح أول مشروع في العصر الحديث لإنشاء مملكة واسعة في قلب الأقطار العربية. وقد تكالبت عليها القوى الاستعمارية، وبخاصة إنكلترا، حتى سحقتها.

المراجع:

- أسد رستم: بشير بن السلطان والعزيز.
- أسد رستم: الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي، بيروت ١٩٣١ - ١٩٣٤.
- أسد رستم وأبو شقرا: بيان وثائق الشام في عهد محمد علي الكبير في أسد رستم وثائق الشام في عهد محمد علي الكبير، بيروت ١٩٤٠ - ١٩٤٣.
- محمد كرد علي: خطط الشام، دمشق ١٩٢٥ - ١٩٢٨.
- عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي، القاهرة ١٩٤٧.
- عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، القدس ١٩٦١.
- بولس قرالي: فتوحات إبراهيم باشا في فلسطين ولبنان وسورية، (بيت شباب ١٩٣٧).
- طنوس الشدياق: أخبار الأعيان في جبل لبنان، بيروت ١٨٥٩
- إسكندر ابكاريوس: المناقب الإبراهيمية والمآثر الخديوية، مصر ١٩١٠
- مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، بيروت ١٩٧٣.
- سليمان أبو عز الدين: إبراهيم باشا في سورية، بيروت ١٩٢٩.
- داود بركات: ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، مصر ١٩٣٤.
- يوسف الدبس: تاريخ سورية، بيروت ١٨٩٣.
- ميخائيل مشاقة: مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان، القاهرة ١٩٠٨.
- أسد رستم: ثورة ١٨٣٤ (بالإنكليزية).
- عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون، دمشق ١٩٧٦.
- علي مبارك: الخطط التوفيقية، القاهرة ١٣٠٤ - ١٣٠٦هـ.
- الموسوعة الإسلامية: مادة إبراهيم باشا.

حكماء إفريقيا (مشروع -):

تصدت منظمة الوحدة الإفريقية لتسوية أزمة الصراع العربي-الإسرائيلي بعد فشل مشروعات التسوية الأخرى، ولا سيما مشروع روجرز* ومهمة يارينغ. فبدأت جهوداً حثيثة لتقريب وجهات النظر بين مصر و(إسرائيل)، لأن مصر، وهي جزء من القارة الإفريقية وعضو مؤسس في المنظمة، تعاني من الاحتلال الإسرائيلي وتتعرض للتهديد بالعدوان المستمر عليها من جانب (إسرائيل).

وفي ٢٢/٦/١٩٧١ اتخذ مؤتمر ملوك ورؤساء دول وحكومات المنظمة المنعقد في أديس أبابا (وهو أعلى هيئة فيها)، اتخذ قراراً يعدّ من أقوى القرارات التي صدرت عن المنظمة في دعم مصر وإدانة (إسرائيل) منذ عدوان ١٩٦٧. وقد طالب القرار بما يلي:

١) الانسحاب الفوري للقوات الإسرائيلية من جميع المناطق العربية إلى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ إعمالاً لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.

٢) الدعم الكامل لمهمة غونار يارينغ عامة، ولمقترحات السلام التي تقدم بها في شهر شباط ١٩٧١ بصورة خاصة، وهي المقترحات التي وافقت عليها مصر ورفضتها (إسرائيل).

٣) التشديد مجدداً على تضامن المنظمة مع مصر، وترحيب المنظمة بموقف القاهرة الإيجابي من مقترحات يارينغ كخطوة عملية لإقامة سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط.

٤) التنديد بتحدي (إسرائيل) لمبادرة يارينغ، ومطالبتها بتقديم أجوبة إيجابية على مقترحاته.

واقتناعاً من القادة الإفريقيين بأن إسرائيل ماضية في التصلّب في موقفها، وأن من اللازم ممارسة الضغط عليها لزحزحتها عن هذا التصلب، اختار اجتماع القمة لجنة مؤلفة من عشرة زعماء أفارقة برئاسة المختار ولد دادا رئيس جمهورية موريتانيا، وعضوية رؤساء كل من الحبشة، وتانزانيا، وكينيا، وليبيريا، ونيجيريا، والسنغال، والكمرون، وساحل العاج، وزائير، لحمل (إسرائيل) على تقديم بعض التنازلات.

وقد اختارت لجنة العشرة أربعة رؤساء من بينها ليقوموا بزيارة مصر (وإسرائيل) وتوجيه أسئلة محددة ومقترحات دقيقة لكل من الرئيس السادات وغولدا مئير حول مستقبل محادثات السلام. وقد تألفت اللجنة الرباعية التي سمّيت «لجنة حكماء إفريقيا» من رؤساء السنغال، وزائير، والكاميرون، ونيجيريا، وترأسها ليبولد سنغور رئيس جمهورية السنغال. وبدأت عملها في بداية شهر تشرين الثاني من عام ١٩٧١.

وبعد عدد من الزيارات لكل من مصر (وإسرائيل) رفعت اللجنة تقريراً بنتائج مساعيها إلى الأمين العام للأمم المتحدة «يوثانت» والدول الخمس الكبرى والدول الإفريقية المعنيّة. وقد تضمن التقرير مواقف مصر و(إسرائيل) إزاء النقاط الست التالية التي أثارتها اللجنة:

١) استئناف مهمة يارينغ على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢: أجابت مصر بالترحاب وبدون تحفظات. وأما (إسرائيل) فقد أبدت موافقتها شريطة عدم فرض أية شروط مسبقة، أي عدم مطالبتها بتبديل رفضها لمبدأ الانسحاب إلى ما وراء حدود ٥/٦/١٩٦٧، كما كان يارينغ قد طلب منها

٢) التوصل إلى اتفاق مؤقت لإعادة فتح القناة على أساس انسحاب إسرائيلي جزئي، مع حلول قوات دولية على الضفة الشرقية للقناة محل القوات الإسرائيلية المنسحبة. وافقت مصر على هذا الترتيب بشرط أن تلتزم (إسرائيل) بالانسحاب الكامل من

الأراضي المحتلة حالاً . وكذلك وافقت (إسرائيل) على هذا الترتيب شريطة أن يتم التفاوض بين الطرفين على شروط هذا الانسحاب الجزئي ، دون أي التزام منها بالانسحاب الكامل .

٣) قضية الحدود الآمنة والمعترف بها : أصرّت مصر على أن التسوية النهائية تعني انسحاب (إسرائيل) الكامل من الأراضي العربية المحتلة وفق قرارات منظمة الوحدة الإفريقية . وأما (إسرائيل) فقد أبدت استعداها للتفاوض على شروط قيام هذه الحدود الآمنة ، ليس أكثر .

٤) الضمانات التي يمكن أن تقدمها منظمة الأمم المتحدة لدعم أية تسوية بين طرفي النزاع ، بما في ذلك وجود قوات دولية في المناطق الإستراتيجية : كرّرت مصر موافقتها على تمركز القوات الدولية على جانبي الحدود في هذه المناطق . وأما (إسرائيل) فقد اكتفت ببيان استعدادها للتفاوض حول هذا الموضوع ، ولكنها بيّنت أن لها شروطاً وتحفظات بشأنه .

٥) وجود نص في التسوية النهائية حول إجراءات الانسحاب الكامل : وافقت مصر مشددة على أن الانسحاب يجب أن يكون كاملا إلى حدود ٤ / ١٩٦٧/٦ ، بحيث تعود جميع الأراضي العربية المحتلة إلى السيادة العربية القانونية عليها . وأما (إسرائيل) فاكتفت بإظهار استعدادها للتفاوض على الحدود التي سيتم الانسحاب إليها .

٦) حرية الملاحة في مضائق تيران ووجود قوات دولية في شرم الشيخ : وافقت مصر على المبدأ . وأما (إسرائيل) فقد اشترطت التفاوض لتحقيق شروط هذا الترتيب

أمام هذا التفاوت البيّن في الموقفين المصري والإسرائيلي كان محتما أن تفشل مهمة " حكماء افريقيا " . وقد أعلن الرئيس ليوبولد سنغور هذا الفشل صراحة في خطاب ألقاه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة (كانون الأول ١٩٧١) ووجه فيه نقداً شديداً (لإسرائيل) بسبب " موقفها من مهمة البعثة الإفريقية للسلام وانعدام رغبتها الجديّة في تحقيق تسوية سياسية للنزاع " .

ويتضح مما تقدم :

١) أن محاولة حكماء إفريقيا لم تكن أكثر من مساع لتقصّي الحقائق وتنشيط مهمة يارينغ ، فلا يمكن تسميتها " مشروع سلام " بالمعنى الدقيق للتعبير .

٢) إن مساعي الزعماء الأفارقة انصبّت على التسوية الجزئية بين مصر و(إسرائيل) لا على التسوية الشاملة للقضية .

٣) إن الجانب المصري أظهر خلالها أقصى درجات " الليونة الاستراتيجية " وأما (إسرائيل) فمارست " تصلّبا استراتيجياً " مع " ليونة في التكتيك " فحسب ، إذ ردّت على جميع المسائل الحساسة باستعدادها للتفاوض حولها فقط .

المراجع :

- مجلة السياسة الدولية ، العدد ٢٧ ، كانون الثاني ١٩٧٢ ، القاهرة .
- فؤاد سليم القاسمي . تقارير حول مشاريع التسويات السلمية للصراع العربي - الإسرائيلي ١٩٤٨ - ١٩٧٢ ، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٢٢ ، حزيران ١٩٧٣ ، بيروت .

حكماء صهيون : ر : بروتوكولات حكماء صهيون

حكومة عموم فلسطين : ر : عموم فلسطين (حكومة ـــ)

ابن حلاوي : ر : احمد بن احمد بن محمد الرملي

حَلْحُول (بلدة ـ) :



بلدة عربية تبعد ٧ كم فقط عن مركز مدينة الخليل * باتجاه الشمال على طريق الخليل - القدس . وتقع في منبسط يرتفع ٩٩٧ م عن سطح البحر فوق جبال الخليل * ، وعند خط تقسيم المياه بين سفوح الجبال الغربية وسفوحها الشرقية .

لموقع حلحول الجبلي أثر في اعتدال حرارتها وطيب هوائها وغزارة أمطارها ، إذ يبلغ متوسط درجة الحرارة السنوية فيها ١٥° ، ويزيد متوسط كمية الأمطار السنوية على ٥٠٠ مم . وقد ساهمت طبيعة صخورها في خصب تربتها وكثرة ينابيعها ، إذ يعرف فيها نيف وعشرون نبعاً أشهرها عين الدّروة وعين الحسا وعين برج السور .

بنى الكنعانيون * قرية حلحول . وذكر معظم الكتاب الأقدمين والرحالة في كل العهود أنها قرية غنية بمزروعاتها ، وذكروا أن فيها قبر يونس بن متّى الذي أقيم عليه مسجد . وتنتشر حول القرية آثار الخرب المهجورة .

استفادت حلحول من موقعها الجغرافي القريب من مدينة

الخليل ، واعتدال مناخها وخصب تربتها ووفرة مياهها ، فتطورت عمرانيا وسكانياً . ويدل على ذلك ارتفاع عدد سكانها من ١,٩٢٧ نسمة في سنة ١٩٢٢ إلى ٥,٣٨٧ نسمة سنة ١٩٦١ وإلى أكثر من ١٥ ألفا في السنوات الأخيرة .

وقد انفتح السكان على الحياة المدنية فكانوا سبّاقين في مجال التعلّم والتطور قبل غيرهم من سكان ريف الخليل وتوسع الإنتاج الزراعي في أراضي حلحول البالغة نحو ٣٧,٣٣٤ دونما ، وازدادت محاصيلها من الخضر* والفواكه والزيتون* ، ووجدت لها سوقا واسعة في البلاد العربية المجاورة .

أما بناء البلدة ذاتها فقد بلغت مساحته ١٦٥ دونما ، وانتشرت الأبنية الجديدة الحجرية الجميلة وسط البساتين ، وامتد العمران على جانبي طريق الخليل - القدس التي كانت تبعد عن مركز البلدة القديمة مسافة كيلو متر واحد ، حتى اتصل بناء حلحول ببناء الخليل وغدت ضاحية شمالية لهذه المدينة

المراجع :

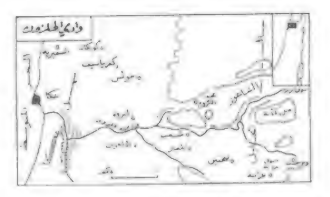
- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٧
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٥ ، ق٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
- خريطة فلسطين مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الخليل

الحَلَزُون (وادي -) :

من أودية الجليل* الأدنى وسهل عكا* في شمال فلسطين ، وأحد روافد نهر النعامين* . يقدر طوله بنحو ٣٠ كم ، واتجاهه العام شرقي - غربي . وتظهر عليه تعرجات وانعطافات كثيرة ، خاصة في قسمه الشرقي ضمن جبال الجليل الأدنى .

تتشكل بدايات الوادي من مياه السيول الهابطة من المرتفعات المحيطة بسهل عرابة الواقع على ارتفاع قدره ٢٠٠ م فوق سطح البحر ، ومن مياه بعض الينابيع الصغيرة على أطراف السهل المذكور . ويسير الوادي غرباً ، فشمالاً غربياً ، ضمن أراضٍ صخرية يتعمق مجراه فيها ، ويضيق بين كتلة جبل كمانة ومرتفعات شمال سخنين حيث يرسم منعطفاً نحو الشمال . ثم يعود ويسير غرباً ضمن نهايات جبال الجليل الأدنى وأقدامها الغربية . ويرفد وادي الحلزون عند المنعطف المذكور وادي الشاغور القادم من الشمال الشرقي ليجمع مياه سيول وينابيع المرتفعات المحيطة بسهل الرامة على ارتفاع متوسط قدره ٣٧٥ م فوق سطح البحر مطوّقاً جبل كمانة من الشمال الغربي والغرب

وبعد أن يقطع وادي الحلزون نحو ١٥ كم تخرج مياهه من



الأراضي الجبلية وأقسام الوادي الضيقة الخانقة العميقة ، وتدخل سهل عكا الساحلي وأراضيه المنبسطة عند قرية شعب ، على ارتفاع يقل عن ٧٥ م فوق سطح البحر .

ويفسّر فرق الارتفاع بين بدايات وادي الحلزون ورافده وادي الشاغور ومخرجه من الجبال ، مرور الوادي في قطاعات ضيقة عميقة نجمت عن الحفر والحت الرأسيين الكبيرين نتيجة الانحدار الشديد ضمن الصخور* الكلسية - الدولوميتية الغالبة على جبال الجليل الأدنى . وأما في السهل ، حيث الانحدار الضعيف ، فيسير الوادي بهدوء حتى ينتهي ، ويمر ضمن مستنقعات تشكلت عند منطقة رفده لنهر النعامين جنوبي مدينة عكا* . ونظام جريان الوادي سيلي - مطري يعتمد على أمطار المنطقة المغذية لحوضه ، وكميتها المتوسطة تراوح بين ٥٠٠ و ٦٠٠ مم سنوياً .

وتكثر على القمم والسفوح المطلة على الوادي الخرب* والمواقع الأثرية التي تدل على إعمار قديم للمنطقة . كما تقوم عند مخرجه من الجبال قرية شعب التي كانت ثالث قرية في قضاء عكا .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ج٧ ، ق٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الرامة - عكا
- خريطة فلسطين الجيولوجية : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠

حَلْقِيم (وادي -) : ر : غزة (وادي -)

الحلويات : ر : المواد الغذائية (صناعة -)

الحليب (وادي -) : ر : الحسي (وادي -)

حُلَيْقات (قرية ــ) :

قرية عربية تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة غزة * . ولموقعها أهمية خاصة لوجودها في قلب منطقة نفطية، ولمرور طريق كوكبا - برير - غزة منها . وتوازي هذه الطريق الساحلية طريق غزة - المجدل - يافا الساحلية حتى دوار جولس ، ومن ثم إلى أسدود * . وتحيط بقرية حليقات قرى عربية مثل كوكبا * وبيت طيما * في الشمال ، وبرير * في الجنوب ، وبيت جرجا * في الغرب ، والفالوجة * في الشرق . وترتبط مع هذه القرى بطرق فرعية إلى جانب الطريق الساحلية الرئيسة

نشأت حليقات فوق رقعة متموجة نسبياً من السهل الساحلي * الجنوبي على ارتفاع ١٠٠ م فوق سطح البحر . وهي على الضفة الشرقية لبداية أحد الأودية الرافدة لوادي القاعة، الذي يرفد بدوره وادي الشقفات أحد روافد وادي الحسي * . وكانت القرية تتألف من مجموعة بيوت مندمجة ذات مخطط مستطيل يمتد طوله بمحاذاة طريق كوكبا - برير . وانحصرت القرية بين هذه الطريق شرقاً ووادي حليقات غرباً . ومعظم بيوتها من اللَّبِن بينها بعض الدكاكين . وقد توسعت القرية في أواخر عهد الانتداب . وأصبحت مساحتها ١٨ دونما . وإلى الشرق من حليقات بعض الخرائب الأثرية القريبة التي تعود إلى العهد الروماني ، مثل خربة سنبس وخربة مليطا (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

بلغت مساحة أراضي حليقات ٧,٠٦٣ دونما ، منها ١٥٢ دونما للطرق * والأودية، ولايملك الصهيونيون فيها شيئاً، ومصادر المياه قليلة حول القرية ، ويشرب الأهالي من بئرين فيها . وأما الزراعة * فإنها تعتمد على الأمطار التي يصل متوسطها السنوي إلى نحو ٣٥٠ مم . وكانت حليقات تنتج الحبوب * بالإضافة إلى الفواكه . وتتركز زراعة الأشجار المثمرة في الجزء الشمالي الغربي من أراضي القرية .

بلغ عدد سكان حليقات عام ١٩٢٢ نحو ٢٥١ نسمة ، وازداد عام ١٩٣١ إلى ٢٨٥ نسمة كانوا يقيمون في ٦١ بيتاً . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ٤٢٠ نسمة . وكانت الزراعة الحرفة الرئيسة للسكان ، إلى جانب العمل في أعمال الحفر والتنقيب عن النفط * التي كانت تجريها شركة بترول العراق أواخر عهد الانتداب

احتل الصهيونيون حُليقات عام ١٩٤٨ وطردوا سكانها ودمروها وأقاموا على أراضيها مستعمرة « جلتس » . وأخذوا منذ عام ١٩٥٥ يستغلون النفط من آبار حُليقات وينقلونه بالأنابيب إلى ميناء أسدود ، ومن هناك إلى مصفاة حيفا .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة برير

حَمَامَة (قرية ــ) :

قرية عربية تقع على بعد كيلو مترين من شاطىء البحر شمالي المجدل * بثلاثة كيلومترات ، وعلى بعد ٣١ كم إلى الشمال الشرقي من غزة * ، قريباً من الخط الحديدي وطريق يافا - غزة الساحلي . ويمر شرقي القرية على مسافة ٥ كم أنبوب نفط إيلات - أسدود . وتربطها طرق ثانوية بالطريق الرئيسة الساحلية ، وبمحطة السكة الحديدية ، وبالمجدل وشاطىء البحر .

بُنيت القرية في موقع قرية يونانية عرفت باسم « باليا *Paleya* » تعني حمامة . ولذا اكتسبت حمامة أهمية سياحية لوجود الخرائب الأثرية حولها (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . ويضاف إلى ذلك أن القرية أقيمت على منبسط سهلي يرتفع قرابة ٣٠ م فوق سطح البحر ، وتحف بهذا الموقع من الشرق ومن الغرب تلال رملية طولية مزروعة يبلغ ارتفاعها ٥٠ م فوق سطح البحر . وللحمامة أهمية اقتصادية أيضاً لأنها تمتد وسط منطقة تزرع فيها الحمضيات * والعنب * والتين والزيتون * والمشمش واللوز والجميز والبطيخ ومختلف أنواع الخضر * والحبوب * . وتشتمل أيضاً على الأشجار الحرجية التي زرعت لتثبيت الرمال والحد من زحفها . وتجدر الإشارة إلى أن مساحات واسعة من الكثبان الرملية (البرص) تمتد شمالي حمامة بين وادي أبطح في الجنوب ووادي صقرير في الشمال .

يتخذ مخطط القرية شكل النجمة بسبب امتداد العمران على طول الطرق التي تصل قلبها بالقرى والمدن المجاورة . ويظهر نموها العمراني واضحاً في اتجاه الشمال والشمال الغربي . وقد بلغت مساحتها في أواخر عهد الانتداب البريطاني ١٦٧ دونما ، وبلغت مساحة الأراضي التابعة لها نحو ٤١,٣٦٦ دونما .

نما عدد سكان حمامة من ٢,٧٣١ نسمة عام ١٩٢٢ إلى

٥,٠١٠ نسمات عام ١٩٤٥ . وكان معظم سكان القرية يعملون في الزراعة * وصيد الأسماك * . وفي عام ١٩٤٨ طرد الصهيونيون سكان حمامة من قريتهم وقاموا بتدميرها وإنشاء مستعمرتي « نتسانيم وبيت عزرا » على أراضيها .

المراجع :

– مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
– خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة أسدود .

الحمائم والصقور :

يستخدم هذان الاصطلاحان في (إسرائيل) عادة لتصنيف الساسة الإسرائيليين حسب مواقفهم من الصراع العربي - الإسرائيلي . فغلاة المتطرفين الصهيونيين ، دعاة التوسع العدواني السافر على الأراضي والحقوق العربية ، يوصفون بأنهم « صقور » ، وأما الأقل تطرفاً الذين يموّهون نزعاتهم العدوانية بطروحات تبدو معتدلة ، وان كانت لا تختلف في الجوهر عن مطامح غلاة المتطرفين ، فيطلق عليهم « الحمائم » .

وأول من استخدم هاتين الصفتين الصحفيان الأمريكيان ستيوارت أولسوب وشارل بارتل أثناء أزمة الصواريخ في كوبا عام ١٩٦٢ للتمييز بين مواقف الساسة الأمريكيين المتشددة والمتساهلة مع الاتحاد السوفييتي .

وتكرر استعمال الاصطلاحين في الكتابات السياسية الأمريكية أثناء حرب فيتنام ، فالحمائم هم الذين طالبوا بخروج الولايات المتحدة من الحرب ، والصقور هم من دعوا إلى متابعة الحرب .

وبعد عدوان الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ استخدم هذان الاصطلاحان للتمييز بين مواقف الساسة الإسرائيليين ، وخاصة في حزب العمل * الحاكم آنذاك ، من موضوع التسوية . على أن التقسيم إلى حمائم وصقور أمر نسبي . فالنقاش بين الطرفين كان ولا يزال يدور في إطار سياسة العدوان والتوسع . وليس الفرق بينهما جوهرياً ، بل يدور معظم الأحيان حول صيغ مطّاطة تحمل جميعها مدلولات توسعية ، وتتعلق بمدى وأسلوب تحقيق الإستراتيجية الصهيونية العدوانية . ولا يتعدى الخلافُ التكتيكَ لتنفيذ هذه الإستراتيجية . فالصقور اعتقدوا أن تصلّبهم هو الذي يصون الموقف الإسرائيلي من التآكل ويساعد (إسرائيل) على الصمود أمام الضغوط الخارجية . على حين يرى الحمائم أن مواقفهم تخدم (إسرائيل) دعائياً وإعلامياً تجاه الخارج . ولذلك تبنّوا مواقف تفاوضية تشكل غطاء دعائياً وإعلامياً للاستراتيجية الأساسية . وقد روعي في صياغة مواقف الحمائم أن يكون هذا الموقف مقبولا لدى غالبية الإسرائيليين المتشبعين بالأفكار والأكاذيب الصهيونية ، ومبرراً لدى أصدقاء (إسرائيل) في الخارج ، إن لم يمكن قبوله من الجانب العربي . ويستهدف إظهار (إسرائيل) بمظهر « الدولة » الساعية إلى السلام لتحسين موقفها دعائيا ، وتحميل العرب مسؤولية استمرار التوتر ، وإيهام الإسرائيليين بأن حكوماتهم تفعل ما في وسعها من أجل « السلام » ، ولا تتحمل مسؤولية الحرب إذا ما نشبت .

وفي حين يدعو الصقور إلى اعتبار الواقع الناجم عن عدوان الخامس من حزيران واقعاً ثابتاً يجب تكريسه بشكل مكشوف ، ويتصرفون على أساس أنهم الحكومة الدائمة للمناطق المحتلة ، يدعو الحمائم إلى التصرف عملياً على أساس أن الاحتلال دائم فعلاً ، ولكن مع الإعلان بأن هذا الوضع هو وضع مؤقت . ولذلك ليس هناك فرق كبير بين الجانبين إزاء سياسة إيجاد أمر واقع جديد في المناطق المحتلة ، كإقامة المستعمرات ، ودمج المناطق المحتلة اقتصادياً (بإسرائيل) ، وتصفية وضع اللاجئين ، وغير ذلك .

يدعو الصقور علنا إلى ضم جميع المناطق المحتلة إلى (إسرائيل) ، وأما الحمائم فلا يعارضون ذلك زهداً في التوسع وإنما لقلقهم على الطابع الديموغرافي (لإسرائيل) ، إذ يخشون أن تتحول إلى دولة ثنائية القومية . ولذلك يدعو الحمائم ، تحت شعار ضمان « حدود آمنة » * للكيان الصهيوني ، إلى « تعديل الحدود » وضم المناطق التي ليس فيها كثافة سكانية عربية .

والخلاصة أن الحمائم والصقور في الكيان الصهيوني ينطلقون جميعاً في مواقفهم من مصدر الفكر التوسعي الاستعماري العدواني العنصري الصهيوني . والخلاف بينهم خلاف شكلي هو في النهاية خلاف بين متطرفين وأشد تطرفا .

حمدي التاجي الفاروقي (مشروع –) :

إثر حرب ١٩٦٧ * نشر الدكتور حمدي التاجي الفاروقي في شهر أيلول ١٩٦٧ مشروعا لإقامة دولة فلسطينية في القسم العربي من فلسطين حسب قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩ (ر : تقسيم فلسطين) . وتوضع هذه الدولة تحت إشراف الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية مدة خمس سنوات ، مع إمكانية تعديل طفيف في حدود الدولتين العربية والإسرائيلية . ويترك للشعب الفلسطيني تحديد نظام الدولة التي تتكون ميزانيتها من المصادر الطبيعية ، ولا سيما البحر الميت * ، ومن الدخل السياحي ، ومن المعونات العربية والأجنبية ، ومن مساهمة أبناء الشعب الفلسطيني في الخارج . وتقوم علاقات ثقافية واجتماعية واقتصادية وثيقة بالأمة العربية باعتبار الشعب الفلسطيني جزءا منها وستكون هذه الدولة بمعزل عن (دولة إسرائيل) وترتبط

بها بحسن جرار فقط . واقترح صاحب المشروع تأليف وفد من بعض المدن الرئيسة للطواف بالدول العربية والأجنبية لشرح المشروع وكسب التأييد له .

ولكن المشروع لم يحظ بالرضى بسبب تعارضه مع الحق الفلسطيني في إقامة دولة على كامل التراب الوطني الفلسطيني ومن ثم لم يكتب له النجاح .

المراجع :

– مهدي عبد الهادي : المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السلمية ١٩٣٤ – ١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥ .

الحَمْراء (قرية –) :

قرية عربية تقع إلى الجنوب من مدينة بيسان * . وتسمى أيضاً عرب الحمراء نسبة إلى سكانها من عشيرة الحمراء أحد فروع قبيلة الصقور التي استقرّت في الجهة الجنوبية من غور بيسان . ولموقع الحمراء أهمية خاصة بسبب مرور طريق بيسان – الجفتلك – أريحا بالطرف الغربي من أراضي القرية ، وبسبب إشرافها على منطقة الغور * إلى الشرق منها .

استقر عرب الحمراء في هذه المنطقة منذ زمن قديم . فقد نزل قريتهم السلطان قلاوون * وهو في طريقه من الشام إلى مصر عام ١٢٨٩ م . وقد شجعهم على الاستقرار في هذه المنطقة توافر الماء وخصوبة الأرض .

تتألف القرية من منازل مبعثرة من اللَّبن والخيام (بيوت الشعر) ، على خلاف القرى العربية التي يغلب على منازلها طابع التجمع . وتنتشر المنازل والمضارب قرب التقاء وادي المدّوع بوادي شوباش * رافد نهر الأردن * وتتناثر بمحاذاة الطريق المؤدية إلى بيسان . ويراوح ارتفاع الأرض التي أقيمت عليها المنازل والمضارب بين ١٥٠ م و ١٧٥ م دون سطح البحر ، أي أن القرية نشأت فوق أقدام الحافة الغربية لغور الأردن . وتمتد إلى الشرق منها تلال أثرية ، مثل تل الشقف وتل أبو خرج وتل طاحونة السكر (ر : الخرب والأماكن الأثرية) . وهذا يدل على عمران المنطقة منذ القديم ، وقد ثبت أنه يعود إلى أيام الكنعانيين .

تبلغ مساحة الأراضي التابعة للحمراء نحو ١١,٥١١ دونماً ، منها ٢٢٩ دونماً للطرق * والأودية ، و٢,١٥٣ دونماً للصهيونيين . وقد استفاد السكان من توافر المياه في ريّ بساتين الخضر * والحمضيات * ، وكانت الزراعة * والرعي * حرفتيها الرئيستين . وأهم المنتجات الزراعية في القرية البرتقال والزيتون * والحبوب * وأصناف متنوعة من الخضر .

وصل عدد سكان عرب الحمراء في عام ١٩٤٥ إلى نحو ٧٣٠ نسمة . وقد أخرجتهم سلطات الاحتلال الصهيوني من قريتهم ودمرت مساكنهم ووزعت أراضيهم الممتدة غربي مستعمرة « طيرة تسفي » و « سدى إلياهو » .

المراجع :

– مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٦ ، ق٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
– خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة إربد .

الحمضيــات :

أُدخلت زراعة الحمضيات إلى فلسطين في القرن العاشر الميلادي على يد التجار العرب الذين نقلوها من موطنها الأصلي في جنوب شرق آسيا .

وظلت زراعة الحمضيات في فلسطين مقتصرة على المناطق الساحلية المحيطة بموانىء فلسطين : عكا * وحيفا * ويافا * ، حتى القرن التاسع عشر حين بدأت تنتشر تدريجياً لتشمل الساحل الفلسطيني من غزة * في الجنوب إلى شمال عكا في الشمال ، وفي غور الأردن ، ولا سيما في طبرية * وبيسان * وأريحا * ، وكذلك في السهول الداخلية ، وخاصة مرج ابن عامر * .

كانت المساحة المزروعة بالحمضيات في نهاية القرن التاسع عشر زهاء ٦٦٠ هكتاراً بلغ إنتاجها ١٨,٢٠٠ طن وكانت زراعة الحمضيات حتى هذه الفترة مقتصرة على السكان العرب فقط .

ونتيجة ازدياد طلب الأسواق الأوربية لحمضيات فلسطين ، ولا سيما برتقال يافا ، بالإضافة إلى ملاءمة الظروف المناخية (المناخ * المتوسطي المعتدل) وجودة التربة * (التربة الحمراء) ، اتسعت الرقعة المزروعة في عام ١٩١٥ إلى ٣,٠٠٠ هكتار امتلك السكان العرب منها ٧٣٪ والباقي للصهيونيين .

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى تراجعت زراعة الحمضيات كثيراً لنقص الأيدي العاملة . وبعد انتهاء الحرب اتسعت مساحة الحمضيات فوصلت إلى ٣,٠٠٠ هكتار في عام ١٩٢٣ ، ثم

تضاعفت ثلاث مرات ، وبلغت ٩,٠٥٠ هكتاراً في عام ١٩٣٠ .

وفي الثلاثينات من هذا القرن توسعت زراعة الحمضيات توسّعا كبيرا بسبب زيادة الطلب على الحمضيات الفلسطينية بعد أن توقّف تصدير الحمضيات من إسبانيا أثناء الحرب الأهلية الإسبانية . وبلغت المساحة المزروعة في عام ١٩٤٠ نحو ٣٠,٠٠٠ هكتار بلغ إنتاجها ١٥ مليون صندوق . وبلغت قيمة الصادرات منها ما يزيد على ٤ ملايين جنيه فلسطيني . واتسمت هذه المرحلة بزيادة الرقعة الزراعية للحمضيات ، ومحاولة الصهيونيين نشر زراعتها في مستعمراتهم . وكثر حفر آبار الماء في السهل الساحلي * والسهول الداخلية (ر : الآبار) . وقد ألّفت الحمضيات في هذه الفترة ٩٠٪ من صادرات فلسطين الزراعية ، و٧٥٪ من مجموع صادرات فلسطين (ر : التجارة) . وأتاحت زراعة الحمضيات في تلك الفترة فرص عمل كثيرة ، إذ عمل في قطف الحمضيات فقط قرابة


مزارع البرتقال في الرملة

٣٤,٠٠٠ عامل منهم ١٥,٠٠٠ عامل في المزارع العربية و١٩,٠٠٠ في المزارع الصهيونية ، حتى إن كثيراً من العمال العرب من البلدان المجاورة ، ولا سيما شرقي الأردن كانوا يفدون على فلسطين للعمل في مزارع الحمضيات

أما الأصناف المزروعة فكانت مساحتها تتمشى مع عامل الطلب ، وخاصةً في الأسواق الأوروبية ، إذ بلغت نسبة المساحة المزروعة بالبرتقال المعروف بالشموطي ٧٨٪ من جملة مساحة الحمضيات . يليه برتقال فلنسيا (١٠٪) ثم الكريبفروت (الكريفون) والليمون

ومع بداية الحرب العالمية الثانية تعرضت زراعة الحمضيات في فلسطين لمشكلات كثيرة . فقد أُغلقت الأسواق الأوروبية في وجه الصادرات ، وشحّت الأسمدة الكيميائية ، مما كان له أثر بالغ في المساحات المزروعة بالحمضيات فتقلّصت وأصبحت في عام ١٩٤٥ نحو ٢٤,٤٠٠ هكتار يملكها العرب والصهيونيون مناصفة .

ثم حدث تطور في زراعة الحمضيات بعد الحرب العالمية الثانية فأشرف على الزراعة * والتصدير مجلس مراقبة الحمضيات (أسس عام ١٩٤٠) ، ومجلس تسويق الحمضيات (أسس عام ١٩٤١)، واستطاع الأخير تأمين القروض المالية للمزارعين وتحسين الأسعار ، ثم بدأت عملية تصنيع الفائض من الحمضيات .

لكن التوسع الرأسي والأفقي لزراعة الحمضيات في فلسطين عاد من جديد إلى التراجع بسبب قيام (الكيان الصهيوني) وطرد السكان العرب من وطنهم ، فتدنّت المساحة المزروعة بالحمضيات عند قيام هذا الكيان إلى ١٢,٥٠٠ هكتار ملك منها السكان العرب ٥٠٠ هكتار ، أي ٤٪ ولم يزد نصيبهم من الإنتاج عن ١٪ من الإنتاج الكلي .

اهتمّ الكيان الصهيوني من جديد بزيادة المساحة المزروعة بالحمضيات لأهميتها الاقتصادية ، فوصلت المساحة إلى ٣٥,٥٠٠ هكتار في عام ١٩٦١ ، وإلى ٤٨,١٠٠ هكتار عام ١٩٧٠ . وبلغ إنتاجها عام ١٩٧٠ قرابة ١,٣٥٠,٠٠٠ طن . وما زالت المساحة تتزايد حتى بلغت في موسم ١٩٧٨/١٩٧٩ نحو ٥٠,٠٠٠ هكتار أنتجت ١,٤٧٤,٠٠٠ طن ، وبلغت قيمة الصادرات منها ٢٥٤,٦ مليون دولار . وتعادل هذه القيمة أكثر من ثلاثة أرباع قيمة الصادرات الإسرائيلية الزراعية . وتأتي (إسرائيل) حاليا في المرتبة الرابعة في العالم في تصدير الحمضيات بعد إسبانيا (٢٤,٧٪) والولايات المتحدة وإيطاليا (١٠,٦٪ لكل منهما) . وتساهم (إسرائيل) بنسبة ٩٪ من حجم التجارة الدولية بالحمضيات . ولكنها تأتي في المرتبة الثانية في العالم في تصدير الكريبفروت (الكريفون) بعد الولايات المتحدة الأمريكية ، إذ بلغت الكمية المصدرة منه عام ١٩٧٨ قرابة ٤٥٦,٠٠٠ طن . وفي مقدمة الدول المستوردة لحمضيات فلسطين المحتلة بريطانيا وألمانيا الاتحادية . فقد استوردت كل منهما ما تراوح نسبته بين ٢٠ و٢٣٪ من حمضيات فلسطين عام ١٩٧٨ ، ويعادل ٥٠ مليون صندوق . وتلي هاتين الدولتين فرنسا ، والدول الإسكندنافية ، وهولندا ، وبلجيكا ، وسويسرا ، وإيطاليا ، وأستراليا ، ويوغسلافيا ورومانيا ، بمعدل مليون صندوق لكل دولة .

يصنّع من حمضيات (إسرائيل) نحو ثلث الإنتاج السنوي . وهناك ثلاثون مصنعا تتوزع في مناطق الزراعة ، وتصدّر المنتوجات الصناعية إلى الدول التي تستورد الحمضيات طازجة ، وبالنسبة نفسها

تقريبا . ويوضح الجدول التالي إنتاج الأصناف المختلفة (الوحدة = ١,٠٠٠ طن) :

	١٩٦٩ - ١٩٧١	١٩٧٥	١٩٧٨
برتقال	٩١٢	١٠٥٢	٩١٩
مندرينا/كلمنتينا	٥٦	...	٨٥
ليمون	٤١	٣٨	٢٩
كريبفروت	...	...	١٥٦

وبالنسبة إلى حمضيات الضفة الغربية وقطاع غزة زادت المساحة المزروعة فيهما زيادة كبيرة منذ تقسيم فلسطين * . ففي الضفة الغربية لم تكن المساحة المزروعة بالحمضيات تزيد على ٤٦ هكتارا في عام ١٩٥٢ ، ولكنها زادت لتصل إلى ٢,٠٠٠ هكتار في موسم ١٩٦٨/٦٧ ، ثم إلى ٢,٢٠٠ هكتار عام ١٩٧١/٧٠ . ووصلت عام ١٩٧٩ إلى ٢,٥٩٣ هكتارا . وزاد الإنتاج من ٢٧,٥٠٠ طن عام ١٩٦٨/٦٧ إلى ٩٨,٨١٥ طنًا عام ١٩٧٩ . وبهذا بلغ متوسط إنتاج الدونم الواحد قرابة ٣,٨١٠ كغ . ويأتي برتقال فلنسيا في مقدمة حمضيات الضفة الغربية مساحة وإنتاجا ، إذ يزرع من هذا الصنف ما يزيد على ٥٤٪ من مساحة الأصناف الأخرى . وتتركز زراعة الحمضيات في الضفة الغربية في طولكرم * وجنين * وأريحا .

أما في قطاع غزة فقد بلغت المساحة المزروعة بالحمضيات في عام ١٩٥٣ ما يقرب من ٦٢٠ هكتارا قفزت إلى ٥,٥٨٩ هكتارا في عام ١٩٦٥ ، ووصلت عام ١٩٧٩ إلى ٧,٢١٥ هكتارا بلغ إنتاجها ١٨٦,٥٠٠ طن . ويغطي البرتقال الشموطي ما نسبته ٦٦٪ من مجموعة المساحة الكلية المزروعة بالحمضيات . وأنتجت فلسطين كلها ما مجموعه ١,٧٥٩,٣١٥ طنا عام ١٩٧٩ .

يصدّر الجزء الأكبر من حمضيات الضفة الغربية وقطاع غزة عبر الأردن إلى الدول العربية (رَ : الجسور المفتوحة) . وتصدر غزة جزءاً قليلاً إلى الدول الأوربية والدول الاشتراكية . وتلاقي زراعة الحمضيات في كل من الضفة الغربية وغزة مشكلات كثيرة بسبب الاحتلال ، وخاصة في مجال مياه الريّ والتسويق .

المراجـع :

ـ محمد يونس الحسيني : التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين ، القدس ١٩٤٦ .

ـ خليل أبو رجيلي : الحمضيات في فلسطين المحتلة ، بيروت ١٩٧٢ .

— Richter, W.: Israel und Seine Nachbarräume, Wiesbaden 1979

الحملـــة الفرنســـية :

هي الحملة الاستعمارية التي قادها نابليون بونابرت على فلسطين سنة ١٧٩٩ م واستمرت أربعة أشهر وانتهت بهزيمته عند أسوار عكا ، ومن ثم خروج الفرنسيين من مصر .

كان نابليون قائدا من قواد الثورة الفرنسية ـ وإن كان أبرزهم وأخطرهم ـ حين أرسلته حكومة الإدارة على رأس الحملة الفرنسية المعروفة إلى مصر سنة ١٧٩٨ م علّه يستطيع التوفيق في وقت واحد بين هدفين متناقضين هما : الاحتفاظ بعلاقات الصداقة مع الباب العالي من جهة ، واقتطاع جزء من ممتلكاته من جهة أخرى لقطع طريق الهند على إنكلترا وإيجاد مستعمرة فرنسية على هذا الطريق . وبالرغم من الدبلوماسية الفرنسية في الأستانة ، ومن إعلان بونابرت في القاهرة أنه إنما جاء صديقا لحضرة السلطان ولأهالي مصر جميعهم ، وأنه يحترم الإسلام والمسلمين ، وما جاء إلّا لطرد المماليك * أعداء السلطان وعقوبتهم على قطع التجارة الفرنسية ، وبالرغم من الكتب الوديّة التي أرسلها نابليون إلى حكّام البلاد العربية وإلى عبد الله باشا العظم وأحمد باشا الجزار * والي عكا اللذين كان ينتظر أن يحرّكهما الباب العالي ضده ، وبالرغم من تفقه الديني وجهوده في إخفاء غرضه الاستعماري ، بالرغم من ذلك كله أخفقت هذه المساعي . وبخاصة بعد معركة أبي قير البحرية (١٧٩٨/٨/١) ، وقبض السلطان على الفرنسيين ودبلوماسييهم في الأستانة . وكان معنى ذلك قطع العلاقات وإعلان الحرب .

وقد أعقب ذلك عقد محالفة دفاعية بين السلطان وروسيا (١٧٩٨/١٢/٢٥) سرعان ما انضمت إليها انكلترا (١٧٩٩/١/١٥) في الوقت الذي كتبت فيه حكومة الإدارة إلى نابليون تذكر عجزها عن إرسال الجند والذخيرة بسبب سيطرة إنكلترا وروسيا على مياه المتوسط ، وتطلب إليه تدبّر أمره بنفسه ، فإما أن يبقى في مصر ويدافع ، وإما أن يذهب فيهاجم الهند ، وإما أن يزحف في البر إلى القسطنطينية .

وبالرغم من أن نابليون نفّذ الحل الثالث فإنه لم يكن عند تنفيذه يتبع تعليمات حكومته لأن كتابها وصله متأخرا جدا (١٧٩٩/٣/٢٥) بعد أسبوع من حصاره عكا . وكانت الحملة على فلسطين مبادرة ذاتية من نابليون بنتيجة تقديره الخاص للموقف . وقد كتب إلى حكومته ، قبل مغادرته القاهرة لقيادة حملة فلسطين مباشرة ، أن الإنكليز وحّدوا قوى الشام تحت قيادة الجزار الذي اجتمع عنده باشوات الشام للهجوم على مصر ، وأنه زاحف الآن إليهم لدعم الموقف الفرنسي في مصر ، ولدفع خطر الهجوم عليها ، ولجعل الشاطىء السوري منطقة صديقة ، سواء

بالدبلوماسية أو بالحرب ، وأنه إنما يتصرف بهذا الشكل لانقطاع أخبار فرنسة عنه منذ شهرين .

غادرت الحملة الفرنسية حدود مصر يوم ١٧٩٩/٢/٦ ، وقدّر عدد أفرادها بنحو ١٣ ألف جندي ، لتلتحم بعد ثلاثة أيام بحامية العريش . وخرج نابليون ليلحق بها ويقود المعركة (١٧ - ١٧٩٩/٢/٢٠) ويحتلها . بعد أيام كان الفرنسيون يدخلون خان يونس * ، ثم ينزلون غزة * . وقد أنقذ الفرنسيين ما وجدوه فيها من المؤن والذخيرة بعد أن أكلوا في عبور الصحراء لحوم الكلاب والحمير وشربوا المياه الموحلة :

اتجه نابليون بعد أربعة أيام الى الشمال مبتعدا عن الساحل ليحتل اللد * والرملة * ويزداد من مخزون المؤن . وفي اليوم التالي انقلب إلى أطراف يافا * وشرع في حصارها وبناء المتاريس حولها (٣ آذار) . وكانت المدينة على تل مرتفع ، ولها سور متين ذو شرفات وأبراج ، تمتد من جهة بين الصخور ، وتحيط بها من الشمال غابة من شجر البرتقال والليمون والموز * . وقد دخل الفرنسيون المدينة في ١٧٩٩/٣/٧ بعد أربعة أيام من القتال العنيف ، وانصرفوا إلى القتل والنهب والهتك يومين . وفوجىء نابليون ، بعد أن توقف كل شيء ، بجنوده يقودون حوالي ٣ آلاف جندي أسير وجدوهم في أبراج المدينة ، وغضب لأسرهم وخاف إن هو أطلقهم أن يلتحقوا من جديد بالقوى التي تحاربه أو أبقاهم ألاّ يجد لديه المؤونة الكافية لإطعامهم ، فاختار الحل الوحشي وأمر بإعدامهم خلافا لكل التقاليد والقوانين . وبعد أن أطلق منهم المصريين والدمشقيين سيق الباقي إلى تلال الرمل جنوبي المدينة ليحصدهم الرصاص وليقتل بعضهم بالسلاح الأبيض . وكانت حصيلة المجزرة كما جاء في تقرير رسمي ٢,٥٠٠ جثة أضيفت إلى ألفي قتيل في الدفاع عن المدينة . ولم يكن غريبا أن يعقب تفسخ الجثث انتشار الطاعون .

وقد وجد نابليون متسعاً من الوقت ليبعث الرسائل لمحاورة أهل البلاد ، فأرسل رسالة يوم ١٧٩٩/٣/٩ إلى شيوخ نابلس يخيّرهم بين السلام وطرد رجال الجزار ، أو الحرب . ونشر في اليوم نفسه منشورا إلى شيوخ وعلماء غزة والرملة ويافا يطلب فيه منهم الإخلاد للسكينة ، ويعد باحترام الشعائر الدينية ، ويهدد المخالفين . وكتب في اليوم التالي رسالة طويلة لتقرأ في ديوان القاهرة مبيّنة انتصاراته قبل أن يتوجه إلى الشمال

لم يحاول نابليون المسير إلى القدس * لأنها - فيما قبل - خارج خطته ، ولأنه لا يريد التوغل في الجبال . ويبدو أنه خشي أن يثير المشاعر الإسلامية ، وأن يأخذ دخوله معنى الحروب الصليبية ، فاكتفى بكتاب أرسله إلى حاميتها . ولم ينصرف إلى نابلس لكثرة القوى التي تحصّنت في شعابها الجبلية . وقد حاول قسم منها جرّ بعض القوة الفرنسية إلى المرتفعات باتجاه زيتا * ليخرجوا إليها من الكمائن . وحاول الفرنسيون بالمقابل استدراج القوى النابلسية نحو المناطق السهلية فأخفقوا . ولكن هذه المناورات أفادت الغزاة على أي حال في تحييد القوى النابلسية ومنعها من الالتفاف على الجيش الفرنسي من الخلف . وفي تلك الأثناء تابع نابليون الزحف شمالا إلى حيفا * فاستسلمت له وتسلم قلعتها ، كما تسلم الناصرة * . وفي ١٧٩٩/٣/١٨ كان نابليون أمام أسوار عكا يبدأ الحصار وبناء المتاريس ورمي المدافع .

وفي أثناء الحصار أوكلت للجنرال كليبر حماية جبهة مرج ابن عامر * من هجوم محتمل من الشرق . وقد جاء هذا الهجوم بالفعل باجتماع زهاء ثلاثين ألف مقاتل انتهوا من دمشق إلى المرج . وقد استدرجوا كليبر بقواته التي لا تزيد على ١,٥٠٠ جندي حتى وصل إلى جبل الطور * (طابور) ثم عادوا يطبقون عليه . ولكن الخبر وصل بسرعة إلى نابليون الذي أنجده على الفور وأنقذه بهجومه المفاجىء ، وفرّ المهاجمون العثمانيون يوم ١٧٩٩/٤/١٦ .

لكن هذا النصر لم يفد الحملة الفرنسية . فقد تبيّن لنابليون متأخرا صدق رأي كليبر في عدم جدوى الهجوم المتكرر على عكا ، فقرر الانسحاب في ١٧٩٩/٥/٢٠ بعدما استمر الحصار الشاق أكثر من شهرين .

وقد أخفق حصار عكا لعدة أسباب ، منها :

١) استماتة المدافعين عن المدينة وحصانة أسوارها .

٢) أن نابليون كان يحارب في أرض كلها على العداء له ، ولا أمل في تجاوبها معه . وقد حاول أن يستميل شيوخ وزعماء البلاد المجاورة ، فكتب إلى دمشق يطمئنها على استمرار طريق الحج ، وكتب إلى عمر بن ظاهر العمر يعده بباشوية عكا ، وكتب إلى الأمير بشير الشهابي * وشيوخ نابلس يراودهم . ولكن نجاح هذه المساعي كلها كان رهناً بالرضى المستحيل بنابليون بديلا عن السلطان المسلم ، ورهناً بسقوط عكا التي لم تسقط .

٣) صمود عكا الذي منعه من استثمار انتصاره على القوى العثمانية التي أقبلت من دمشق وتجمعت عند جبل طابور . وقد كسب المزيد من عداء المنطقة حين بعث جنده بعد المعركة فنهبوا جنين * وأحرقوها ، وأخربوا قرى نابلس ، وهاجموا صفد * ، وقاتلوا طبرية * ، حتى طوّقه الحقد من كل جانب .

٤) تدخّل الإنكليز بقواتهم البحرية وخبرائهم لمعونة عكا . وقد وصلت إليها المعونات قبل يومين من الحصار مع قائد الأسطول الإنكليزي سدني سمث الذي استطاع إبقاء الطريق مفتوحا للتموين بين رودوس وعكا . وهكذا بقي حصار عكا برّيا ، لأن الأسطول الإنكليزي سيطر على البحر وصادر السفن الفرنسية التي حملت مدافع الحصار من يافا وشلّ السفن الباقية .

٥) خسارة نابليون في الحصار عددا من قواده الأكفياء والكثير من الجند (٣,٥٠٠ جندي) . ولم يكن لديه مدد يعوّض الخسائر أو أمل بالتعويض .

وهكذا شعر نابليون أن المغامرة فاشلة ، وانها سوف تتحول ، إن استمرت ، إلى كارثة ، لأن الثمن سيكون أيضا خسارة مصر ، وأنه إذا تأخر فقد يعجز حتى عن العودة إليها ما دام الإنكليز يدبّرون حملة الهجوم . وقد انتشرت في مصر الشائعات والاضطرابات فكتب نابليون إلى ديوان القاهرة يوم ١٦/٥/١٧٩٩ يعلن عزمه على العودة السريعة ، وأذاع ذلك في اليوم التالي على الجنود .

عهد نابليون إلى الجنرال كليبر بحماية مؤخرة الجيش المنسحب . وحين وصل إلى يافا يوم ٢٤/٥/١٧٩٩ وجد المئات من جنده المصابين بالطاعون فطلب من الأطباء قتلهم بالسم . ولما رفضوا جعلهم على ألواح خشبية حملها الأسرى إلى مصر ، ونسف التحصينات وألقى العتاد في البحر أو في بطن الرمال . وبعد ١٣ يوما من مغادرة عكا كان يغادر العريش ليدخل القاهرة يوم ١٤/٦/١٧٩٩ في موكب عظيم كالمنتصر . لكنه بعد أقل من ثلاثة أشهر (٢٢/٨/١٧٩٩) كان يركب البحر في السر إلى فرنسة تاركا للجنرال كليبر تدبر مصير الحملة .

وقد حاول كليبر الخلاص عن طريق التفاوض مع العثمانيين والإنكليز . ولكن شابا من حلب ، اسمه سليمان الحلبي ، فاجأه في مقر القيادة الفرنسية في القاهرة (١٤/٦/١٨٠٠) بتوجيه طعنة من خنجر مسموم فأرداه قتيلا . وبعد ذلك واجه سليمان وزملاء له من غزة أشنع عقاب . وما تزال جمجمة سليمان في متحف الإنسان في باريس .

وإذا كانت لحملة نابليون في مصر نتائجها المعروفة فإن هذا الامتداد الجانبي الذي امتدته إلى فلسطين كانت له بدوره نتائجه الخاصة الأخرى . فبالإضافة إلى إبراز وتأكيد الشأن الإستراتيجي لفلسطين بجانب مصر في المخططات الاستعمارية (الإنكليزية والفرنسية والروسية) وضع نابليون أثناء غزوته العابرة البذرة الأولى للمشكلة الصهيونية ، فقبل تحرك الحملة الاستعمارية من فرنسة تلقى بول باراباس ، عضو حكومة الإدارة في باريس ، من صديقه توماس كوريت الرأسمالي اليهودي الإيرلندي رسالة ينصحه فيها بالاستفادة من اليهود "لأنهم يقدمون لكم عنصرا يمكن الاعتماد عليه في الشرق " .

وقد وضع الاقتراح كما يبدو بتصرف نابليون أثناء تجهيز الحملة ، لأنه اجتمع بعدد من الشخصيات اليهودية الفرنسية التي صدر عنها بعد ذلك بيان يدعو يهود العالم إلى استخدام نفوذهم وثرواتهم لاستعادة بلادهم القديمة ، وإلى إقامة مجلس ينتخبه اليهود في ١٥ بلدا من أوروبا وتركيا وآسيا وإفريقيا ليقرر ما يجب عمله ، ويبلغ ذلك إلى الحكومة الفرنسية و" أما البلاد التي ننوي تبوئها بالاتفاق مع فرنسا فهي إقليم الوجه البحري من مصر ، مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت * ومنه إلى البحر الأحمر " .

وفي ٢٠/٤/١٧٩٩ ، وأثناء حصار عكا ، نشر في الجريدة الرسمية الفرنسية بيان من نابليون يدعو فيه اليهود لمؤازرة فرنسة وانتهاز فرصة وجوده في فلسطين لتحقيق آمالهم في التوضع ما بين عكا والإسكندرية .

والمشروع كله إنما كان يقصد التماس الدعم لفرنسة من الرأسمالية اليهودية ضد إنكلترا . وعلى أي حال اختنق هذا المشروع سريعا بهزيمة نابليون وبقي مجرد كلام على الورق . ولكن إنكلترا هي التي التقطت هذا الورق نفسه فيما بعد .

المراجع :

- محمد كرد علي : خطط الشام ، بيروت ١٩٧٢ .
- الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، القاهرة ١٢٩٧ هـ .
- نقولا الترك : ذكر تملّك جمهور الفرنساوية ، باريز ١٨٣٩
- ميخائيل مشاقة : مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان ، القاهرة ١٩٠٨ .
- محمد فؤاد شكري : الحملة الفرنسية ، القاهرة .
- عارف العارف : المفصّل في تاريخ القدس ، القدس ١٩٦١ .
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٦ .

الحمّة (قرية ـ) :



قرية عربية تقع على نهر اليرموك الأدنى عند مخاضة زور كنعان والتقاء الحدود السورية ـ الفلسطينية ـ الأردنية . وهي إحدى محطات خط سكة حديد درعا ـ سمخ ، وتبعد ٦٥ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة القنيطرة السورية ، و٢٢ كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة طبرية * .

تقوم القرية على أرض منبسطة بين محطة السكة الحديدية والضفة الشمالية لنهر اليرموك ، وتستند بظهرها إلى مرتفعات الحافة الجنوبية الغربية لهضبة الجولان * . وتنخفض ١٥٦ م تحت سطح البحر . وعرف الموقع في

العهد الروماني باسم « إماثا » . وكانت تتبع آنذاك مقاطعة أم قيس .

امتدت مباني القرية بشكل طولي على الضفة الشمالية لنهر اليرموك . ويقع جنوبيها جامع كبير كانت المساكن قد تجمعت حوله ، ثم نمت القرية باتجاه الشمال الشرقي نحو محطة السكة الحديد

امتدت برك ماء واسعة شمال القرية تملأها مياه ينابيع الحمة الحارة ، وأهمها ثلاثة هي : المقل والريح والبلسم . وتحتوي تلك الينابيع على نسبة كبيرة من الكبريت ونسبة أقل من الأملاح ، وتبلغ حرارتها على التوالي ٤٧° و٣٨° و٣٩,٤° . ويبلغ متوسط تصريف كل نبع من تلك الينابيع أقل من متر مكعب واحد من المياه في الثانية

وكانت هذه الينابيع مستعملة كثيراً في زمن اليونانيين والرومانيين ، ثم اقتصر استعمالها بعدئذ على القبائل الرحل التي كانت تزورها للاستفادة من خواصها . وفي فترة الانتداب البريطاني أُعطي أحد المواطنين اللبنانيين امتياز استثمار ينابيع الحمة لفترة تبدأ عام ١٩٣٦ وتنتهي عام ٢٠٢٩ . وأخذ الناس يؤمونها من مختلف جهات فلسطين والأقطار المجاورة للاستشفاء بمياهها من الأمراض الجلدية والعصبية . وأهم الأملاح المعدنية في ينابيع الحمة كربونات الكالسيوم ، وكبريتات الكالسيوم ، وكلوريد وسلفات الصوديوم ، وكلوريد البوتاسيوم ، وحامض السيلكون ، وأملاح الحديد والألمنيوم . ويعتقد أن إشعاعات الراديوم تنبعث من مياه الحمة ومصدرها اليورانيوم .

تبلغ مساحة أراضي الحمة ١,٦٩٢ دونما ، منها ٣٨٢ دونما للطرق * والأودية ، وقد غرس الزيتون * في ستة دونمات من تلك المساحة . وانتشرت زراعة الحبوب * إلى الشمال الشرقي من القرية على طول الضفة الشمالية لنهر اليرموك .

بلغ عدد سكان الحمة عام ١٩٣١ ١٧٢ نسمة كانوا يقطنون ٤٦ مسكنا . وارتفع هذا العدد إلى ٢٩٠ عربيا في عام ١٩٤٥ . وقد تعرضت الحمة لاعتداء صهيوني في عام ١٩٥١ ، إذ قصفت الطائرات القرية ومنشآتها ، وتشرد أهلها . وبقيت منذ ذلك الوقت نقطة حدود تحت إشراف القوات السورية ، إلى أن احتلها الصهيونيون في عام ١٩٦٧ وطردوا سكانها منها (رَ : حرب ١٩٦٧) ، ومدت إليها طريق معبدة من سمخ * ، وأنيم فيها منتجع سياحي .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ لوحة طبرية ـ فيق

الحميديّــة (قرية ـ) :

قرية عربية سميت بهذا الاسم نسبة إلى السلطان عبد الحميد الثاني العثماني . وهي تقع شمال مدينة بيسان * ، وتربطها بها طريق فرعية معبدة . وتصلها طريق فرعية طولها ٢ كم بكل من طريق وخط سكة حديد بيسان ـ جسر المجامع المارَّين إلى الشرق منها . وهناك طرق فرعية أخرى تصلها بقرى جبول * والمرصّص * والبواطي * وزبعة * .



أقيمت الحميدية فوق احدى التلال التي تمثل أقدام مرتفعات الجليل * الأدنى المشرفة على غور بيسان . وتقع على مستوى سطح البحر (٥) . ويجري وادي العشة في أراضيها الشمالية منحدرا نحو الشرق في طريقه إلى نهر الأردن * ، في حين يجري وادي الخنازير في أراضيها الجنوبية متجها نحو الشرق ليرفد نهر الأردن .

بنيت معظم بيوت الحميدية من اللّبن ، واتخذ مخططها شكلا مستطيلا تتعامد فيه شوارعها الضيقة . وقد امتدت مبانيها عبر نموها العمراني البطيء بمحاذاة الطرق المتجهة إلى

القرى المجاورة . ولم تتجاوز مساحتها حتى عام ١٩٤٥ عشرة دونمات . وكانت شبه خالية من المرافق والخدمات العامة . واعتمد سكانها على مدينة بيسان كمركز إداري وتسويقي لهم ، وحصلوا على مياه الشرب من الينابيع المجاورة . وفي الجهة الشمالية الشرقية من الحميدية مقام أحد الأولياء .

للقرية أراض مساحتها بالدونمات ١٠,٩٠٢ ، منها ٢٧١ دونما للطرق * والأودية ، و١,٣٨٦ دونما تسرّبت للصهيونيين . وقد استغلت أراضي الحميدية في زراعة الحبوب * وبعض أنواع الخضر * التي اعتمدت على مياه الأمطار . واستغل في الرعي * جزء من الأراضي ، وبخاصة تلك التي تمثل أندام المرتفعات الجبلية حيث تنمو الأعشاب الطبيعية معتمدة على الأمطار أيضا .

كان في الحميدية ١٩٣ نسمة في عام ١٩٢٢ ، وانخفض عدد السكان في عام ١٩٣١ إلى ١٥٧ نسمة كانوا يقيمون في ٤٢ بيتا . وفي عام ١٩٤٥ قدر عدد سكانها بنحو ٢٢٠ نسمة . وخلال حرب ١٩٤٨ * تمكن الصهيونيون من طرد سكان الحميدية وتدمير بيوتهم ، وإقاموا بعدئذ على أراضي الحميدية مستعمرتي « إيرغون درور ، وهمدية » .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة أم قيس .

الحنابلة : ر : المذهب الحنبلي

الحنابلة (جامع ــ) : ر : آل قدامة

حنا عبد الله العيسى (١٨٥٨ - ١٩٠٩) :

من أوائل الصحفيين والأدباء في فلسطين . تعلّم في مدارس طائفته الأرثوذكسية العربية في القدس * ، وتمكّن من الإلمام باللغة العربية وآدابها التي كانت مهملة في المعهد التركي . أرسى حجر الأساس لأعضاء عائلة العيسى في يافا * للعمل في الصحافة * الوطنية في فلسطين زهاء ستين عاماً . ومن أوائلهم شقيقه يوسف داود العيسى وابن عمه عيسى العيسى * اللذان أسسا جريدة فلسطين * سنة ١٩١١ .

ولقبه أصدقاؤه « بأبي السعيد » لإعجابه بالأصمعي ، فأصدر سنة ١٩٠٨ تقديراً لهذا العالم العظيم مجلة أدبية نصف شهرية في القدس أسماها « الأصمعي » ساهم بالعمل معه فيها شقيقه يوسف وصديقه خليل السكاكيني * ، كما ساهم بالكتابة فيها أدباء وشعراء تلك الفترة ، ومن بينهم محمد إسعاف النشاشيبي * والشيخ علي الريماوي * .

لم يكتف حنا العيسى بنشر المواضيع الأدبية في « الأصمعي » في الظروف السياسية والاجتماعية المظلمة تحت الحكم العثماني ، بل عالج ، كغيره من صحفيّي عصر النهضة ، المواضيع السياسية القومية متّبعاً خطاً سياسياً مناوئاً للسلطة . وهاجم الاستيطان الصهيوني وتسهيلات الحكومة لاستيلاء الصهيونيين على الأراضي العربية ، مناشداً في كتاباته الوطنية أثرياء العرب تطوير التجارة والصناعة الوطنيتين . وحثّ المصارف على إقراض الفلاح العربي الأموال لاستغلال أرضه . وكان حنا العيسى يؤمن بالتعليم الوطني العربي بالرغم من فضل المدارس الأجنبية على النهضة الثقافية في تلك الفترة . ونادى بضرورة تعليم المرأة ونهضتها . وقد توقفت « الأصمعي » بموت صاحبها سنة ١٩٠٩ بعد أن صدر منها أحد عشر عدداً في مدة خمسة أشهر ونصف .

المراجع

- يوسف خوري : الصحافة العربية في فلسطين (١٨٧٦ - ١٩٤٨) ، بيروت ١٩٧٦ .
- أحمد خليل العقاد : الصحافة العربية في فلسطين ، دمشق ١٩٦٧

الحنفية : ر : المذهب الحنفي

الحوارث : ر : وادي الحوارث (سهل ــ) :

الحوار العربي - الأوربي :

ر : الجماعة الاقتصادية الأوربية

حَوّارة (سهل ــ) : ر : مخنة (سهل ــ)

حَوّارة (قرية ــ) : ر : القرى العربية المندثرة

الحـــواريّـــون :

الحواريون هم « رسل » المسيح في عرف المسيحيين . والكلمة حبشية الأصل معناها الرسل . والرسل هم « الاثنا عشر » الذين يتكلم عنهم العهد الجديد ، ويذكر أربع لوائح بأسمائهم : ثلاثاً منها في الأناجيل الثلاثة الأولى ، والرابعة في سفر أعمال الرسل . وتبتدىء كل لائحة ببطرس وتنتهي بيهوذا الذي أسلم المسيح ، في حين تنتهي اللائحة الرابعة بمتيا الذي جُعل بدل يهوذا .

وهذه أسماؤهم : سمعان (بطرس *) ، وأندراوس ، ويعقوب بن زبدي ، ويوحنا أخوه ، وفيلبس ، وبرتلماوس ، وتوما ، ومتّى العشّار ، ويعقوب بن حلفى ، وتداوس ، وسمعان الغيور ، ويهوذا الإسخريوطي . وقد دعا المسيح ، بعد حياته في الأرض ، دعا بولس * ليكون رسولاً مع الرسل . والعهد الجديد ، ما عدا إنجيل مرقس وإنجيل لوقا وأعمال الرسل ، هو من وضع بعض أولئك الرسل .

ذكر الإنجيل أن متّى كان عشّاراً ، أي جابياً للعُشْر ، وأن بعض الرسل كانوا صيادي سمك . ويبدو أنهم كانوا بأجمعهم من بيئة فقيرة واحدة أرادهم المسيح واختارهم ليكونوا « صيّادي بشر » فصحبوه ، وعكف على تنشئتهم مدة سنتين ونصف ، وأرسلهم ليبشّروا ويتكلموا باسمه . وأولاهم سلطاناً على الكنيسة التي قُصر تأسيسها عليهم ، وأقامهم أساقفة عليها . وأمرهم أن يذهبوا ويدعوا جميع الأمم إلى التوبة لغفران الخطايا (لوقا ٢٤ : ٤٧) وأن يتلمذوا جميع الأمم ، ويعمّدوهم ، ويعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصاهم به (متّى : ٢٨ : ١٩) ، أي أن يواصلوا عمل المسيح في الأرض .

ويبين لنا سفر أعمال الرسل أن الرسل ، منذ اليوم الأول من الكنيسة ، يشهدون للمسيح الذي عاشوا معه ، ويقومون تحت قيادة بطرس بالمهمة التي أسندها إليهم . ثم يغادرون القدس ، وينتشرون في العالم ، ممثلين للمسيح وعاملين بكلمته ، ويختارون من الجماعات المبشّرة أناساً يمدّونهم بسلطتهم ومهمتهم ، وهذا ما تتابع عبر القرون حتى اليوم . وقد ذكر التقليد أن جميع الرسل سفكوا دماءهم في سبيل الشهادة .

الرسل إذاً هم أساس الكنيسة ، وأساقفة الكنيسة هم خلفاء الرسل .

المراجـع :

– جورج بوست : قاموس الكتاب المقدّس ، بيروت ١٩٧١ .

— Dufour, L. X.: **Vocabulaire de theologie biblique** , Paris 1970.

— Lebreton, J : **La vie et l'enseignement de Jesus-Christ,** Paris 1947.

— Mckenzie, J. L. : **Dictionary of the Bible,** New York 1978.

حَوْرَانِيـة (قـريـة ــ) :

رَ : المسمية الصغيـرة (قرية ــ)

الحـوريـون :

من الشعوب التي ظهرت في الشرق الأدنى في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد واضطلعت بدور واضح في حياة هذه المنطقة السياسية والحضارية في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد تقريباً .

لم يكن تاريخ الحوريين واضحاً قبل بداية القرن العشرين ، إذ لم تكن المعلومات المتيسرة عنهم عندئذٍ تتعدى ما ذكر عنهم في التوراة * من أنهم كانوا بين الشعوب التي أقامت في فلسطين قبل النزو الإسرائيلي . وأول ما أثار انتباه الباحثين رسالة مدوّنة باللغة الحورية أرسلها ملكهم توشراتا إلى الملك المصري أمنحتب الثالث (حوالي ١٤١٣ - ١٣٧٧ق.م.) ، وقد اكتشفت بين رسائل تل العمارنة * في سنة ١٨٨٧ . وفي أوائل القرن العشرين بدأت المصادر المتصلة بالتاريخ الحوري تتزايد كمّاً ونوعاً ، فاكتشف المنقب الألماني وينكلر *Winckler* في سنة ١٩٠٦ طبقة من الآثار الحورية في بوغازكوي ، الموقع الذي يمثل عاصمة الدولة الحثّية في وسط بلاد الأناضول ، كما عثر على عدد من النصوص التي ورد فيها اسم « خاري » . وقد أعاد هذا الإسم إلى الأذهان اسم « خوري » الذي ورد في التوراة ، واسم « خارو » الذي ظهر في المصادر المصرية .

وفي سنة ١٩٢٥ أجريت تنقيبات مهمة في مدينة نوزي الواقعة على بعد ١٦ كم من مدينة كركوك من الناحية الجنوبية الغربية وكشفت عن آثار مادية ومدونة عرف منها أن نوزي كانت من المراكز الحضارية الحورية الرئيسة ، كما أظهرت هذه الآثار أهمية شأن الحوريين في تاريخ الشرق الأدنى القديم الحضاري .

وعلى الرغم من الغموض الذي ما زال يكتنف جوانب من التاريخ الحوري فإن الوثائق التي اكتشفت حتى الآن مكّنت المؤرخين من تتبع تاريخ الحوريين من بداية ظهورهم على مسرح الأحداث حتى اختفائهم وانصهارهم في الشعوب الأخرى .

بدأت أعداد كبيرة من الحوريين ، على ما يبدو ، بالهجرة من جنوب القوقاز وأرمينيا إلى منطقة الشرق الأدنى في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد ، واستقر عدد منهم في العراق ، كما يستدل من نصّين ، أحدهما باللغة الأكدية والثاني باللغة الحورية ، يرجع تاريخهما إلى العهد الأكدي (٢٣٧٠ ـ ٢٢٠٠ق.م.) . ويستدل من النص الحوري أنه كانت هناك في هذا العهد المبكر مملكة حورية صغيرة في مدينة أوركيش الواقعة في منطقة الخابور . وكان ملكها ،

صاحب هذا النص ، يعرف باسم تيشاتال . وكان الحوريون على ما يبدو يمارسون بعض المهن في جنوب العراق كما يستدل من وجود أسماء حورية في بعض الوثائق . وازداد عدد الحوريين في العراق في عهد سلالة أور الثالثة (٢١١٣ - ٢٠٠٦ق.م.) كما يتضح من تردد أسمائهم في الوثائق التي يعود تاريخها إلى هذا العهد . وفي بداية الألف الثاني قبل الميلاد بدأ الحوريون ينتشرون فوق رقعة واسعة من الشرق الأدنى ، إذ اكتشفت آثارهم وأسماؤهم في مناطق تمتد من سلسلة جبال زاغروس شرقاً إلى سواحل البحر المتوسط غرباً . ومن بلاد الأناضول شمالاً إلى فلسطين جنوباً . وقد أشارت التوراة إليهم ، وذكرتهم الوثائق المصرية . ومما تجدر الإشارة إليه أن الظروف الدولية التي سادت بين القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد كانت ملائمة لتغلغل الحوريين وانتشارهم وازدياد نفوذهم ، لأن هذه الفترة شهدت انحسار النفوذ الحثي عن سورية بسبب مشاكل داخلية في بلاد الأناضول (رَ : الحثيون) ، وكانت الدولة الآشورية تعاني من حالة ضعف شديد ، وسقطت دولة بابل العظيمة لتحل محلها الدولة الكاشية التي لم يكن لها تأثير يذكر في أحداث الشرق الأدنى . وعرف الحوريون كيف يستغلون تلك الأحوال في توسيع هجرتهم واحتلال مناطق مهمة في العراق وسورية ، ووصلوا إلى فلسطين وانضم عدد منهم إلى الهكسوس * الذين دخلوا مصر.

وكان الحوريون في بداية تاريخهم أسياد أنفسهم ، بدليل عدم اكتشاف أسماء أجنبية بين أسمائهم في نصوص القرن الثامن عشر قبل الميلاد وما قبله . ولكن جماعة من الهنود - الأوربيين استطاعت بعد الاستيطان في العراق وسورية وفلسطين فرض سيطرتها على الشعب الحوري ، وأقامت دولة عرفت باسم الدولة الميتانية ، كان لها شأن كبير في تاريخ الشرق الأدنى القديم في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد . وكانت هذه الطبقة الحاكمة على ما يبدو ذات قدرات حربية كبيرة نتجت عن مهاراتهم الفائقة في استخدام أسلحة الحرب الفتاكة في ذلك العهد ، وهي الخيول والعربات . وكانت أسماء هؤلاء الحكام تختلف عن الأسماء الحورية التي لم تكن هندية - أوربية ، وكان يشار إليهم بلقب ماريانا ، وهو تعبير في اللغة الهندية - الأوربية عن شاب أو محارب . وتعاظمت قوة الحوريين تحت زعامة الهنود - الأوربيين بعد سقوط دولة بابل العظيمة حوالي سنة ١٦٠٠ق.م. وأصبح لدولتهم وزن كبير بين الدول الكبرى في ذلك العهد ، إلى أن قضى عليها الحثيون * والآشوريون .

تشير الأسماء الحورية التي وردت في نصوص اكتشفت في شمال سورية إلى وجودهم في هذه المنطقة في القرن السادس عشر قبل الميلاد . وهناك دلائل كثيرة تشير إلى أنهم كانوا على رأس عدد من الإمارات الصغيرة ، كدولة « علالاخ » التي كان لحكامها أسماء تدل على أنهم كانوا من طبقة الماريانا الهندية - الأوربية . وجاء في المصادر المصرية من القرن الخامس عشر قبل الميلاد أن الحوريين كانوا يقاومون الغزو المصري في سورية ، وأنهم دخلوا مع المصريين في حرب طاحنة في قادش . بيد أن أهم ما يلفت النظر هو وجود الحوريين الواضح في فلسطين ، وتأثيرهم في الحياة العامة هناك . فقد أشارت رسائل العمارنة إلى عدد من الحوريين الذين كانوا في فلسطين ، وكان حاكم مدينة القدس * في القرن الرابع عشر قبل الميلاد يحمل اسم « عبدي - خيبا » وخيبا او خيبات ، إلاهة حورية مشهورة . وبلغ من تعاظم وجود الحوريين في فلسطين ان المصريين أطلقوا عليهم أحياناً اسم « خور » أو « خوري » .

وورد في التوراة اسم الحوريين مع أسماء الشعوب الأخرى التي كانت تقيم في أرض كنعان * (فلسطين) قبل الغزو الإسرائيلي وورد اسمهم بصيغة « حورايت » و « حوريم » . ويبدو واضحاً أن الاسرائيليين تأثروا بهم وتزاوجوا معهم ، حتى إن يعقوب * تزوج امرأتين حوريتين على ما يبدو (سفر التكوين ٣١ : ١٤ - ١٦) هما راحيل وليئة . وظهرت آثار الحوريين في بعض القوانين اليهودية ، وخاصة في القواعد المتبعة في تأجير الاراضي الزراعية (عدد ٣٦ : ٩ ، الملوك الاول ٢١) . وبلغ تشابه بعض جوانب الحياة الحورية والحياة العبرانية درجة دفعت بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأن الحوريين والعبرانيين * كانوا يقيمون معاً في العراق قبل هجرتهم إلى فلسطين ، وخاصة في ضوء ما اكتشف في مدينة نوزي من الوثائق القانونية الحورية التي تذكر عدداً من المؤسسات المشابهة لما عند العبرانيين . وهناك عدد من القوانين اليهودية التي لا يمكن فهمها فهماً صحيحاً إلا بعد دراسة الممارسات القانونية عند الحوريين .

وكان الحوريون يتكلمون لغة لم يستطع العلماء بعد ربطها بأي زمرة من الزمر اللغوية المعروفة . وأقرب لغة إليها هي اللغة الأورارتية التي ظهرت في أرمينيا في الألف الأول قبل الميلاد. واستخدم الحوريون الخط المسماري العراقي في كتابة وثائقهم ، مما سهل على علماء اللغة قراءتها . وأما ديانتهم فكانت تدور حول عبادة آلهة متعددة منها آلهة حورية وآلهة هندية - أوربية وأخرى عراقية . وكان إلههم الأعظم « كوماري » على رأس المجمع الإلهي . وظهر أثر هذا الإله في عبارة الحثيين ، بل في الأساطير الإغريقية . وكان الإله (تيشوب) ، إله العاصفة ، أكثر الآلهة شعبية وانتشاراً ، حتى إنه أصبح الإله الرئيس في عدد من دويلات سورية وبلاد الأناضول . وكانت زوجته الإلاهة خيبا . وعُبدت الآلهة مترا وفاروتا واندرا ، وهي آلهة هندية - أوربية . وانتشرت بين الحوريين عبادة الإلاهة عشتار ، وهي إلاهة عراقية عبدها الساميون والسومريون .

وقام الحوريون بدور بارز في نقل التأثيرات الحضارية الى شعوب الشرق الأدنى ، فنقلوا عناصر حضارية سومرية - سامية إلى بلاد الأناضول ، كما نقلوا الكثير من عناصر الحضارة الحثية إلى شمال سورية والعراق . وأما خصائص الفنون الحورية فما زالت في الجوانب الغامضة التي يحتاج فهمها إلى المزيد في دراسة آثارهم الفنية . وهناك أمل كبير في أن يؤدي اكتشاف عاصمة الدولة الميتانية « واشوكاني » التي ما زال موقعها غير معروف إلى الكشف عن المزيد من التاريخ الحوري الحضاري .

اختفى الحوريون حوالي القرن السادس قبل الميلاد بعد مجيء أقوام جدد طغوا عليهم ، فذابوا في بقية شعوب الشرق الأدنى .

المراجع :

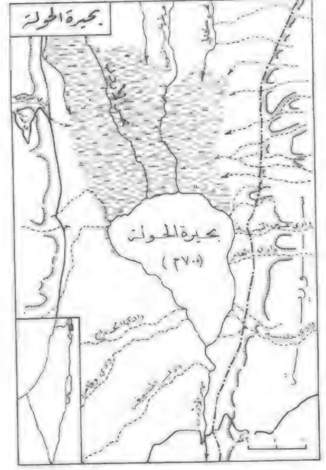
- جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١
— **Cambridge Ancient History**, VOL.II, 1965.
— Gelb, I.J : **Hurrians and Subarians**, Chicago 1944.
— Speiser, E. A.: **Mesopotamian Origins**, 1930.

الحولة (بحيرة ـ) :

سميت البحيرة بهذا الاسم ، فيما يقال ، نسبة إلى « حول » أو « شول » أحد أبناء آرام . وقد أطلق عليها السكان المحليون تسميات كثيرة ، منها « بحر بانياس » نسبة إلى نهر بانياس ، و« بحر حيط » نسبة إلى منطقة حيط المشهورة بزراعة القمح * والواقعة جنوبي غرب البحيرة ، وسموها « الملحة » و« الملاحة » نسبة إلى القشور الملحية في بعض السبخات المجاورة للبحيرة ، و« سمكون » لما فيها من أسماك كثيرة ، و« قادس » ، نسبة إلى موقع قادس القريب منها .

كانت الحولة بحيرة شكلها العام بين الدائرة والمثلث تتعرج بعض سواحلها بزوايا بارزة تؤدي إلى نشوء خلجان صغيرة . ولا يخلو وسطها من الجزر الصغيرة . وترتفع الحولة ٧٠ م فوق سطح البحر ، وتبلغ مساحتها ١٤ كم² من المياه العذبة التي يتفاوت عمقها بين ٢ و٥ م . ولا يتجاوز طولها ٦ كم ، ويختلف عرضها بين ٤,٤ كم في طرفها الشمالي و٠,٨ كم في طرفها الجنوبي .

لا تشغل البحيرة وسط وادي الحولة تماما ، فهي أقرب إلى الجانب الشرقي . وتراوح المسافة بين جانب الوادي الغربي وطرف البحيرة بين ٣ و٦ كم . وأما المسافة بين جانب الوادي الشرقي وطرف البحيرة فلا تتجاوز ٣ كم . وكانت الأحوار والمستنقعات * تحف بشواطىء البحيرة الشمالية ، وتحتل مساحة أكبر من مساحة



البحيرة نفسها ، وتغطي مع البحيرة النصف الجنوبي من وادي الحولة الذي يبلغ طوله ٢٥ كم ، أي أن طول البحيرة مع المستنقعات يبلغ نحو ١٣ كم .

كان نهر الأردن * يدخل بحيرة الحولة من طرفها الشمالي الغربي ، بمصب يبلغ عرضه ٣٠ م ، بعد ضياعه في المستنقعات المترامية الأطراف الممتلئة بالنباتات المائية الطبيعية (ر : النباتات الطبيعية) . وتزداد مساحة المستنقعات أثناء فيضان نهر الأردن في أواخر الشتاء وأوائل الربيع . ولكنها تأخذ في الإنكماش مع بداية فصل الصيف حتى تصل الى نصف مساحتها السابقة . ويبدأ الانكماش في الأطراف الشمالية فتتراجع نحو البحيرة في الجنوب . ويصيب النقص طول المستنقعات أكثر مما يصيب عرضها .

كانت النباتات المائية كاللوتس والبردي والبوص والحلفاء تغطي سطح البحيرة وأطرافها . والجزر مغطاة بنباتات يصل ارتفاعها إلى ٣ م أحيانا . لذلك كانت أطراف البحيرة خادعة يصعب الاقتراب منها . ومياهها صافية رائقة حتى في أوقات الفيضان ، لأن النباتات الكثيفة شمالي البحيرة وحول أطرافها شكلت مصافي تمنع وصول ما

أسمى طوبي وماري صروف شحادة وقدسية خورشيد أحاديثهن عن المرأة والأسرة وتربية الطفل .

وهكذا أسهم هؤلاء الأعلام الكبار وكثيرون غيرهم في حركة الأدب الفلسطيني الحديث إسهاماً جيداً .

وحين نامت محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية في فلسطين مقام الإذاعة الفلسطينية ـ إذاعة حكومة الانتداب ـ دعا القائمون عليها علماء وصحفيين ومحاضرين من البلاد العربية المجاورة مثل عبد الله العلايلي ، وعلي الحوماني ، وكرم ملحم كرم . وقد عمل في هذه الإذاعة حين نقلت إلى جزيرة قبرص نجاتي صدقي ، وغيره من الفلسطينيين .

ولم يقتصر نشاط الفلسطينيين الإذاعي الثقافي على هاتين الإذاعتين بل امتد بعد نكبة ١٩٤٨ إلى غيرهما من إذاعات البلاد العربية . ففي الإذاعة الأردنية عدد من المثقفين الفلسطينيين في البرامج الثقافية . وقد أنشئت في معظم البلدان العربية إذاعات فلسطينية لخدمة النضال الفلسطيني بعد حرب ١٩٦٧ * ، وعملت هذه الإذاعات على تنشيط الحركة الثقافية الموجهة في الدرجة الأولى إلى الفلسطينيين بأساليب ثقافية متعددة ، منها شعبية فولكلورية ، ومنها غنائية ، ومنها تعليقات وأخبار وغيرها .

وحين نشأ التلفزيون في البلاد العربية أسهم الكتاب والمثقفون الفلسطينيون بجانب من النشاط الثقافي فيه .

جـ ـ أدب الأطفال : في أدب الأطفال الفلسطيني سمات أدب الأطفال في الأدب العربي الحديث عامة ، وهي التي جعلت أدب الأطفال يتأخر في حضور شخصيته إلى وقت قريب ، ويتأخر في ظهوره بالمعنى العلمي الحديث ، حتى يصح القول إنه إلى الآن لم يظهر الأدب الفلسطيني المتخصص في كتابة أدب الأطفال بعناصره الأساسية .

بيد أن بالإمكان القول إنّ بعض المربين الفلسطينيين أسهموا في وقت مبكر من حياة الثقافة الفلسطينية الحديثة بالاهتمام بالأطفال والكتابة لهم ، وخاصة في مجال الكتب المدرسية . وربما كان خليل السكاكيني الرائد في هذا الميدان . ولعل كتابه « الجديد » الذي ألفه بطريقة درجات متصاعدة تبعاً لمدارك الأطفال من خير المؤلفات المدرسية في الوطن العربي الحديث عامة ، وفي الثقافة الفلسطينية الحديثة خاصة . وقد أسهم محمد إسعاف النشاشيبي بنصيب في هذا الحقل بكتابه « البستان » .

وإذا كان الكتاب المدرسي ، على ما فيه من مآخذ تخرجه أحياناً من دنيا الأطفال ، قد بنى لبنة متواضعة الأهمية في هذا الشأن ، فإن بعض الكتاب الفلسطينيين كتبوا مادة يمكن أن تكون في بعض جوانبها في متناول الأطفال ، وإن لم تجمع خصائص أدب الأطفال ولم يقصد كتّابها التوجه إلى الأطفال . وفي طليعة هؤلاء الكتاب إسحق موسى الحسيني في كتاب « مذكرات دجاجة » ، فالإصغاء النفسي للحيوان الذي يقارب منطقُه منطق الإنسان من عناصر الشخصية عند الأطفال . وهناك بعض الكتب الفلسطينية التي تثير اهتمام الأطفال الكبار ، وإن لم توجه إليهم في الأصل ، ككتاب « الدنيا حكايات » وكتاب « من سوالف السلف » لفايز علي الغول .

جاءت بعد هذا النوع من الكتابة مرحلة اتجه بعض الكتّاب الفلسطينيين فيها إلى كتابة كتب موجهة للأطفال خاصة . لكنها اتسمت ببعض السمات السلبية التي أصابت كتبا عربية أخرى ، مثل غياب تحديد مراحل العمر عند الأطفال الذين تصلح الكتب لهم فتثير اهتمامهم وفضولهم . ومثل غياب الربط بين واقع الأطفال ومضمون الكتب في بعض الأحيان ، وكذلك الربط بين لغة الكتب والجو النفسي لمراحل الطفولة الموجهة هذه الكتب إليها . ولكن هذه السلبية لا تقلل ، من الناحية التاريخية ، من مسيرة التأليف الأدبي للأطفال لدى المؤلفين الفلسطينيين . ومن الكتب التي يمكن الإشارة إليها في هذا الحقل : كتاب « كوكو البطل » وكتاب « خالد وفاتنة » لراضي عبد الهادي ، وكتاب « سمسمة الشجاعة » لأمين فارس ملحس ، وكتاب « أحمد المدلل » وكتاب « أيام الشتاء » وكتاب « وردان » ، وهذه الثلاثة من تأليف فايز علي الغول وإسحاق موسى الحسيني ، وكتاب « الملك سيف بن ذي يزن » لتوفيق أبو السعود ، وكتاب « ذكاء القاضي » وكتاب « العدل أساس الملك » ، وهما مسرحيتان للطلبة ألفهما نصري الجوزي ، وكتاب « مجموعة مسرحيات تاريخية » لجمال حجازي وجميل أبي ميزر

ولما أخذت البلاد العربية المتقدمة نسبياً في نهضتها الثقافية تعنى بالأطفال ، وخاصة منذ بدايات الثلث الأخير من هذا القرن ، أخذت أقلام جديدة فلسطينية تتجه إلى كتابة أدب الأطفال ، لكن ظلت التقديرات الذاتية للجو النفسي للطفل هي الغالبة على هذه المرحلة أيضاً ، وكذلك عنصر التجريب بدل عنصر النضج الفني في كتابة هذا النوع من الأدب . ثم إن كتّاب هذه المرحلة لم يظهر بينهم كاتب متخصص تمام التخصص في الكتابة للأطفال بأدواته وعناصره ومؤهلاته الرفيعة المستوى .

وعلى الرغم من ذلك ، تعدّ هذه المرحلة مرحلة متقدمة نسبياً على ما مرّ بها من مراحل في أغلب الأحيان . ومن كتّاب هذه المرحلة الأخيرة البارزين : القصاصون محمود شقير ، وفخري قعوار ، وشحادة الناطور ، ومفيد نحلة ، وقد أسهموا بكتابة القصة القصيرة في هذا الميدان ، أما مفيد نحلة فقد أسهم أيضاً بالرواية . وشارك بالرواية وبالشعر كذلك أحمد أبو عرقوب .

ومن الذين أسهموا بكتابة الشعر الفلسطيني للأطفال : علي الخليل ، ومحمود الشلبي ، ومحمد القيسي ، والشاعر الشعبي (أبو الصادق) . وكان لعبد الكريم الكرمي (أبي سلمى) ولمعين بسيسو إسهام في هذا المجال . ومن الكاتبات الفلسطينيات اللواتي عنين بأدب الأطفال باسمة حلاوة ، وروضة الهدهد التي أخذت في كتابة بعض المؤلفات التي تصور أبطالاً من تراثنا للأطفال .

د ـ أدب الرحلات الفلسطيني : عرف الفلسطينيون هذا النوع من الأدب لأنهم ترجموا ثمرة اتصال فلسطين بكثير من بلدان العالم ، وثمرة اتصالهم هم أنفسهم بتلك البلدان . وقد برز بينهم رحالة متكوا صفات الرحالة العرب القدامى الذين اشتهروا بيقظة الملاحظة ، وعمق الإدراك ، وبراعة التعبير عن كل ما يلقونه في البلاد التي رحلوا إليها . ولعل في طليعة هؤلاء جميعا : الشيخ خليل الخالدي * (١٨٦٣ ـ ١٩٤١) ، وروحي الخالدي (١٨٦٤ ـ ١٩١٣) . فقد أولع الشيخ خليل الخالدي بالرحلات الطويلة الشاقة إلى حد أنه استطاب شد الرحال إلى العالمين العربي والإسلامي شرقا وغربا ، وطاف في دور الكتب القائمة في العواصم الإسلامية والعواصم العربية ، ووقف على تلك الخزانات وما احتوته من كتب مخطوطة وآثار محفوظة ونسخ شاردة ، واجتمع له من هذا كله أن أصبح ثقة العالم الإسلامي في التراث العلمي الإسلامي المتمثل في الكتب والمدونات والسجلات والمكتبات والكراريس والمخطوطات . وأولع الشيخ خليل بالأندلس ، ورحل إليها رحلتين كانت الثانية في عام ١٩٣٢ ، ووقف في مساجدها وجوامعها يستنطق آثارها ويستقصي أخبارها . وقد كتب في ذلك كتابا بعنوان « رحلتي إلى بلاد المغرب والأندلس » . وقد قال عنه أحمد بن محمد الهواري في كتابه « معجم الشيوخ » : " إن للشيخ الخالدي مذكرة في نحو خمسين جزءاً في ذكر ما وقف عليه من الكتب والمكتبات التي زارها " .

أما روحي الخالدي فله تطواف في بلدان شرقية وغربية ، وقد زار الأندلس ، ودوّن كتاباً بعنوان « رحلة إلى الأندلس » وصف فيه آثار تلك البقعة العربية النادرة

وهناك عدد من الفلسطينيين الذين اهتموا بأدب الرحلات ، وبالرحلات ، منهم إسكندر الخوري البيتجالي القاضي الشاعر الذي زار أمريكا الجنوبية في مهمة إنسانية سنة ١٩٥٢ ، وكتب في ذلك كتابا بعنوان « جولة في أمريكا اللاتينية » . وبندلي صليبا الجوزي * (١٨٧١ ـ ١٩٤٢) الذي ألف كتاباً بعنوان « رحلة البطريرك مكاريوس ابن الزعيم إلى بلاد الكرج » وجورج إسكندر دوماني العكي المولد الذي تخصص بدراسته في أمريكا في علم طبقات الأرض وعلم النباتات والحيوانات المتحجرة ، واختارته الأكاديمية العلمية في الولايات المتحدة سنة ١٩٥٨ عضوا في البعثة الجيوفيزائية إلى القطب الجنوبي ، فكان أول عربي وطئت قدماه تلك المجاهل ، ونشرت له مكتبة الكونغرس الأميركي كتباً علمية قيمة

ومن الفلسطينيين الذين لهم نشاط في ميدان الرحلات وأدبها القس أسعد منصور ، والمطران نقولا عبد الله ، ودرويش المقدادي * ، ونقولا زيادة ، وأكرم زعيتر ، وعلي الدجاني ، ومحمود العابدي * ، وعارف العارف * ، وعزمي النشاشيبي .

فقد زار القس أسعد منصور بريطانيا ، وألف كتابا بعنوان « رحلة إلى بلاد الإنكليز » طبع في عام ١٩٣٠ . وألف المطران نقولا عبد الله كتابا بعنوان « انطباعاتي في إفريقيا »

وكتب درويش المقدادي مقالات في المجلات العربية وصف فيها رحلات كبار المؤرخين العرب والمسلمين . وفي سنة ١٩٢٤ زار عمّان (عاصمة الأردن) ، ووصف رحلته إليها بمقال نشرته مجلة دار المعلمين تناول فيه عمان ـ الرومان وعاداتهم ـ والمدن العشر وآثار عمان ـ والشركس وعادة الخطف عندهم

واهتم نقولا زيادة بالرحلات وأدب الرحلات عند العرب وعند غيرهم من الأوربيين ، فألف كتابين في هذا الميدان : الأول بعنوان « روّاد الشرق العربي في العصور الوسطى » نشره سنة ١٩٤٣ ، وعرض فيه للرحلة والرحالين في العصور الوسطى ، والرحلة والحج ، والحجاج المسيحيين ، والجغرافيا والرحلات في الإسلام . والرحالة المسلمين ، والرحالة الأوربيين في زمن الصليبيين ، ورحالي القرن الرابع عشر ، ورحالي القرن الخامس عشر ، ورسم صورة للحياة في الشرق العربي مقتبسة من رحّالي العصور الوسطى ، وعرض للأسفار في العصور الوسطى .

أما كتابه الثاني في هذا الموضوع فهو « الجغرافيا والرحلات عند العرب » ، نشره في سنة ١٩٦٢ ، وعرض فيه لأدب الرحلة عند العرب ، فذكر طلائع الرحالين ، ووقف عند رحالين من المشرق ومن المغرب كابن بطوطة ، والرحالة ابن فضلان ، والتجاني التونسي ، ووقف عند الخليج العربي ورحالي العصور الوسطى ، وعند الخليج العربي والرحالين الأوربيين

أما أكرم زعيتر فقد ترأس وفداً عربياً إلى أمريكا اللاتينية في سنة ١٩٤٧ لشرح قضية فلسطين والدفاع عنها ، فطاف في جمهورياتها ، واتصل بساستها ، وألف كتابا في وصف رحلته هذه أسماه « مهمة في قارة » .

وقام علي الدجاني في سنة ١٩٤٤ بزيارة للملكة العربية السعودية ، وإثر عودته إلى القدس نشر كتاباً بعنوان « مشاهدات في الحج »

وكان لمحمود العابدي إسهام في هذا المجال ، إذ أخرج في سنة ١٩٧١ ترجمة لرحلة السائح الإنكليزي « كينغليك » التي زار فيها فلسطين . وفي هذه الرحلة تفاصيل ضرورية عن الحياة الاجتماعية قلّ أن توجد في كتاب آخر كتب عنها في تلك الفترة .

وأسهم عارف العارف بالتعبير عن رحلته التي أجبر عليها حين أسره الروس في سنة ١٩١٥ مع رهط من الضباط العرب كانوا في الجيش العثماني ، وبعثوا بهم إلى معتقل قرب مدينة « كراس نويارسك » الواقعة على شاطىء نهر ينى ساي ، حيث أمضى هنالك ثلاث سنوات . ثم هرب ومعه واحد وعشرون أسيراً عربياً إلى صفوف الثورة العربية الكبرى ، وسلكوا طريق منشوريا - اليابان - الصين - الهند - مصر عن طريق البحر الأحمر . وكان تعبير عارف العارف عن هذه الرحلة بمحاضرة عنوانها « رؤياي » ، طبعها أول طبعة سنة ١٩٤٣ .

وأما عزمي النشاشيبي فأسهم في هذا المجال بكتيبين : الأول بعنوان « من القدس الشريف إلى النجف » ، والثاني بعنوان « من القدس إلى لندن »

المراجـع :

- هاشم ياغي : حركة النقد الأدبي الحديث في فلسطين ، القاهرة ١٩٧٣ .
- عبد الرحمن ياغي . حياة الأدب الفلسطيني الحديث ، بيروت ١٩٦٨
- ناصر الدين الأسد : محمد روحي الخالدي رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين ، القاهرة ١٩٧٠ .
- ناصر الدين الأسد : خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين ، القاهرة ١٩٦٣ .
- يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦
- نزيه أبو نضال : جدل الشعر والثورة ، بيروت ١٩٧٩ .
- هيفاء خليل شرايحة : أدب الأطفال ومكتباتهم ، عمان ١٩٧٨ .

إدْنَا (بلدة -) :

بلدة عربية تقع على مسافة نحو ١٣ كم إلى الغرب - الشمال الغربي من الخليل * . وتربطها طريق معبدة بكل من الخليل وترقوميا * ودير نخاس * وبيت جبرين * . وتربطها طريق معبدة أخرى بخربة بيت عوّا ، ويربطها درب ممهد بالدوايمه * والقبيبة .

نشأت ادنا على موقع مدينة « أشنه » الكنعانية ، وعرفت باسمها الحالي منذ عهد الرومان . وترتفع ٤٥٠ - ٥١٠ م فوق سطح البحر . تنحدر أراضيها الجبلية نحو الشمال الغربي حيث يمر أحد روافد وادي زيتا من طرفها الشمالي الشرقي ، ويمر وادي الدوايمة أحد روافد وادي القبيبة في أراضيها الجنوبية .



تتألف أدنا من بيوت مبنية من الطين أو الإسمنت أو الحجر ، وتخترقها طريق ترقوميا - الدوايمة من وسطها ، وتؤلف الشارع الرئيس في البلدة . وعلى جانبي هذا الشارع بعض المحلات التجارية والمرافق العامة . يتخذ مخططها شكل المستطيل ، وتبدو البيوت متجمعة متلاصقة في الجزء الشمالي من البلدة ، في حين تتباعد في تجمعات سكنية في الجزء الجنوبي منها ، على أن أكثر البيوت تتركز في الجزء الشمالي . وتشتمل البلدة على جامع ، وثلاث مدارس ابتدائية وإعدادية للبنين والبنات ، وعيادة صحية ، ومركز لتغذية الأطفال تابع لوكالة غوث اللاجئين . وتشرب البلدة من الآبار الموجودة في غربها وشمالها

بلغت مساحة البلدة في عام ١٩٤٥ نحو ١٥٣ دونما . لكن ازدياد عدد سكانها ، ولا سيما الازدياد الناجم عن استيطان بعض اللاجئين الفلسطينيين ، أدى إلى امتداد العمران نحو الجنوب ونحو الشمال ، حتى وصلت مساحتها عام ١٩٨٠ إلى ٣٠٠ دونم .

لبلدة ادنا أراض واسعة مساحتها ٣٤,١١٢ دونماً ، منها ١٦ دونماً للطرق والأودية . وتحيط بالبلدة بساتين الأشجار المثمرة كالزيتون * الذي يحتل المكانة الأولى بين الأشجار المثمرة ، والعنب * والتين . وتزرع الحبوب * والخضر * أيضاً في الأراضي المنبسطة وفي بطون الأودية . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار وتنمو الأعشاب الطبيعية على المرتفعات الجبلية وتستخدم لرعي المواشي ، ولا سيما الأغنام والماعز .

بلغ عدد سكان ادنا في عام ١٩٢٢ نحو ١,٣٠٠ نسمة . ازدادوا في عام ١٩٣١ إلى ١,٧١٩ نسمة ، كانوا يقيمون في ٣١٩ بيتا ، وفي عام ١٩٤٥ قدر عدد السكان بنحو ٢,١٩٠ نسمة . وفي تعداد ١٩٦١ وصل عددهم إلى ٣,٥٩٨ نسمة ويقدر عددهم سنه ١٩٨٠ بنحو ٥,٥٠٠ نسمة .

المراجـع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢
- خارطة فلسطين : مقياس : ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الخليل .

الإدوميـون : ر : الإيدوميون

الأدويــة (صناعة ــ) : ر : الصناعة

أديب أبو ضبة (١٨٩٦ - ١٩٢٢) :

أحد العاملين في الميدان الوطني الفلسطيني ، ولد بيافا * ، وأتم تحصيله الابتدائي والثانوي في مدارسها . ثم انتمى إلى الجامعة الأميركية ببيروت ، وأتم الدراسة التمهيدية للطب فيها . وحال اشتداد الحركة الوطنية بيافا واندماجه بها دون مواصلته الدراسة ، وقد كان له دوره الفعال في ثورة يافا * سنة ١٩٢١ . وانتخب عضوا وسكرتيرا للوفد الفلسطيني إلى مكة في موسم الحج سنة ١٩٢٢ زميلا لرئيس الوفد الشيخ عبد القادر المظفر * ولرفيق التميمي . وعاد الوفد من الحجاز إلى نابلس رأساً لحضور المؤتمر الفلسطيني الخامس سنة ١٩٢٢ (ر : المؤتمر العربي الفلسطيني) . وقد قرر المؤتمر المذكور مقاطعة الانتخابات للمجلس الاشتراعي الذي اقترحت تأليفه السلطة البريطانية ، بسبب الإجحاف الذي يصيب العرب من جرّائه . واختير وفد للطواف في المدن والقرى الفلسطينية للدعوة إلى مقاطعة الانتخاب والتبشير بقرارات المؤتمر . وكان مؤلفا من الشيخ عبد القادر المظفر وخليل السكاكيني * وأديب أبو ضبة . وحدث أن انقلبت السيارة بهم وهم في طريقهم إلى طولكرم * ونابلس * ، ونهض أديب أبو ضبة يحاول أن يساعد رفيقيه لإنقاذهما فتحولت السيارة عن موضعها فقضت عليه ، وجرح زميله المظفر . وقد احتفلت نابلس بتشييع جثمانه حين مر بها احتفالا كبيراً . وخرجت يافا لاستقبال جثمان فتاها الشهيد . وأقامت له في أربعينه احتفالاً تأبينياً أشاد بتضحيته ، وبما أثر عنه من مناقب الوطنية والأخلاق ، ودوره البارز في الحركة الوطنية على رغم صغر سنه .

المراجع :

ــ أكرم زعيتر : وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٩

ــ جريدة فلسطين (يافا) ، ١٩٢٢ .

أديل عازر (١٨٩٠ - ١٩٧٢) :

واحدة من رائدات الحركة النسائية * . ولدت في مدينة يافا * . وفيها قضت شبابها ، وتزوجت ، وبقيت حتى عام ١٩٤٨ . نزحت عن يافا مع أسرتها في ذلك العام إلى مصر ، وقامت في الإسكندرية حيث توفيت

تلقت أديل عازر تعليمها في مدينة يافا ، وأنهت دراستها الثانوية فيها ، ثم انصرفت إلى تعلم اللغات الأجنبية فأتقنت اللغتين الفرنسية والإنكليزية .

اتجهت منذ بواكير صباها إلى الحركة النسائية الخيرية والعلمية ، وشاركت في تأسيس الجمعيات الخيرية * والمعاهد التعليمية ، كالمعهد العلمي ، أو الكلية الأرثوذكسية بيافا . وهكذا تميزت أديل عازر بحبها للعلم ، وإيمانها العميق بخدمة أبناء وطنها عن طريقه .

أما على مستوى النشاط النسوي الوطني - السياسي فترجع شهرة أديل عازر إلى إسهامها في المظاهرات الوطنية والمؤتمرات السياسية . وقد اكتسبت مكانة خاصة عندما احتلّت مركز الرئاسة في اجتماع السيدات العربيات * الذي عقد في ٢٧/٧/١٩٣٦ في يافا بمناسبة اليوم المئوي للإضراب العام في مدن فلسطين وقراها . كما كان لمساعيها ونشاطها الأثر الأكبر في اتخاذ قرار عام بإصدار نداء وطني وجّهته المجتمعات إلى بنات فلسطين تحت عنوان :

" يا بنات فلسطين قدّمن حُليكن وساعدن أمّتكن " .

المراجع :

ــ عيسى السفري : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، يافا ١٩٣٧

ــ أسمى طوبي : عبير ومجد ، بيروت ١٩٦٦ .

ــ المؤتمر النسائي الشرقي . المرأة العربية وقضية فلسطين ، القاهرة ١٩٣٨ .

إذنـــا ر : إدنـا

إذْنِبَّـــة (قرية ــ) :

قرية عربية تقع في أقصى جنوب قضاء الرملة * متاخمة لحدود قضاء الخليل في منتصف الطريق بين قريتي التينة * ومغلّس * . نشأت إذنبّة فوق رقعة متموجة من الأرض الانتقالية بين المرتفعات الجبلية شرقاً والسهل الساحلي * غرباً . وترتفع قرابة ١٥٠م فوق سطح البحر وقد عرفت إذنبة في العهد الروماني باسم دانب .

كانت منازلها مندمجة ، مبنية من الطوب والحجر . وقد ظلت مساحتها صغيرة ونموها العمراني بطيئاً ، إذ لم تتجاوز مساحتها ٢٥ دونماً ، ولم تضم أكثر من ١٠٠ بيت . وتحيط بالقرية مجموعة خرب أثرية ، مثل خربة المنسية وخربة دير النعمان وخربة الشيخ داود (ر : الخرب والأماكن الأثرية) . وتدل هذه الآثار الغنية على أن منطقة إذنبة كانت في الماضي معمورة بالسكان .

بلغت مساحة أراضي إذنبة ٨,١٠٣ دونمات ، منها ١٤٩ دونماً للطرق والأودية ، و ١٠٨٣ دونماً تملكها الصهيونيون . وتشتهر أراضيها بغنى مراعيها لتوافر الأعشاب في الربيع ، وبصلاحها لزراعة الأشجار المثمرة والحبوب* . وأهم الغلات الزراعية في القرية الزيتون* والحبوب .

نما عدد سكان إذنبة من ٢٧٥ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ٣٤٥ نسمة عام ١٩٣١ وإلى ٤٩٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وقد عمل معظم السكان في الزراعة* والرعي وتربية المواشي والدواجن . لكن إنتاج الأرض كان ضعيفاً نسبياً لوجود الحجارة الصغيرة في التربة من جهة ، ولاعتماد الزراعة على الأمطار التي تتفاوت كمياتها من عام لآخر .

تعرضت إذنبة عام ١٩٤٨ للعدوان الصهيوني فغادرها سكانها . وقد دمرها الصهيونيون وأقاموا عام ١٩٥٥ على بقاياها مستعمرة « هاروبيت » .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٢

- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة الرملة .

الأراضـــي :

ر : استملاك الأراضي (قانون ـ ١٩٥٢)

ر : استملاك الأراضي للصالح العام (قانون ـ ١٩٤٣)

ر : انتقال الأراضي (قانون ـ ١٩٢٠)

ر : انتقال الأراضي (نظام ـ ١٩٤٠)

الأراضي (قانون ـ العثماني) : ر : الأرض (ملكية ـ)

الأرثوذكس (بطريركية ـ)

ر : القدس (بطريركية ـ)

الأرثوذكسيـــة :

لفظة « أرثوذكس » لفظة يونانية تعني « المستقيم الرأي » . وأخذت تعني في المصطلحات الدينية المسيحية « أتباع الإيمان القويم » . بدأ استعمال هذه اللفظة في القرون الأولى لتمييز أتباع المذهب الأرثوذكسي من غيره من المذاهب المسيحية .

وبعد انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية في القرن الحادي عشر الميلادي ، أصبحت الكنيسة الشرقية تعرف باسم « الكنيسة الأرثوذكسية » ، والكنيسة الغربية باسم « الكنيسة الكاثوليكية » ، وهذه أيضاً لفظة يونانية تعني « الكنيسة الجامعة » .

كانت الكنيسة الشرقية قديماً تخضع لبطريركية القسطنطينية ، ثم أخذت الكنائس تستقل شيئاً فشيئاً لأسباب دينية أو سياسية أو قومية .

والكنائس الأرثوذكسية اليوم هي :

١) الكنيسة البيزنطية : وتستعمل اللغة اليونانية . وصيغة الصلوات فيها تعود إلى تقاليد بيزنطية تكونت في بيزنطة ، أي القسطنطينية . وتشمل هذه الكنيسة اليوم الكنيسة اليونانية في القسطنطينية وبلاد اليونان ، وفي جزيرتي كريت وقبرص ، وفي فلسطين وسورية ولبنان ومصر ، والكنائس الشرقية في روسيا وفي سائر دول أوربا الشرقية . وكل كنيسة من تلك الكنائس مستقلة عن الأخرى استقلالاً تاماً .

٢) الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية : ولغتها الأرمنية ، وجميع رعاياها من الأرمن .

٣) الكنيسة السريانية الأرثوذكسية ، أو الكنيسة اليعقوبية : ولغتها السريانية ، وصيغة صلواتها تعود إلى القرون الأولى . وقد تكونت في القدس وأنطاكية ، وجميع رعاياها من العرب ، ما عدا هنود الملابار الذين انضموا إلى كنيسة أنطاكية .

٤) الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر : ولغتها القبطية أو المصرية القديمة . وجميع رعاياها من المصريين .

٥) الكنيسة الحبشية الأرثوذكسية في الحبشة : وجميع رعاياها من الأحباش .

وجميع هذه الكنائس ممثلة الآن في فلسطين ، ولا سيما في القدس ، وفي كنيسة القيامة* نفسها ، ولكل منها شأن خاص . وهذه الكنائس قليلة العدد ، ما عدا الكنيسة اليونانية العربية الأرثوذكسية التي يعرف أتباعها في اللغة الدارجة باسم « الروم » ، أو « الروم الأرثوذكس » . وقد دعوا بذلك لأنهم كانوا ينتسبون أصلاً إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية . وأول من أطلق عليهم هذا اللقب هم المؤرخون العرب . وفي اللغات الأوربية يدعون باسم « اليونان الأرثوذكس » . وهم الأكثرية بين الفئات المسيحية المقيمة اليوم في فلسطين . والكلام في هذه المادة مقصور على هذه الفئة الأخيرة .

بدأ تعدد الطوائف المسيحية في المكان الواحد منذ القرن الخامس الميلادي أي القرن الذي ظهرت فيه الكنائس المونوفيزية *. كذلك بدأ في فلسطين وجود الكنيسة اليعقوبية*، أو كنيسة السريان الأرثوذكس ، وإلى جانبها الكنيسة الملكية ، أي التابعة لمذهب الإمبراطور أو الملك . وهذه الكنيسة الملكية هي التي أصبحت فيما بعد الكنيسة اليونانية العربية الأرثوذكسية . وعلى حين كان رعايا الكنيسة اليعقوبية كلهم من العرب السوريين أو الفلسطينيين ، كان رعايا الكنيسة الملكية من اليونان ، ومن العرب المتأثرين بالحضارة اليونانية .

لم تصبح الأرثوذكسية في فلسطين كنيسة مستقلة بطابع متميز من الكنيسة العامة إلا بعد القرن الحادي عشر الميلادي إثر الانقسام الكبير بين الشرق والغرب . ولم تتأثر الكنائس في الشرق بهذا الانقسام إلا بصورة تدريجية . فقد بقيت كنيسة القدس مثلاً في القرون التالية على اتصال بكنيستي القسطنطينية وروما على السواء ، لهذا فإن تاريخ الأرثوذكسية في فلسطين هو تاريخ المسيحية فيها بصورة عامة حتى القرن الحادي عشر حين تم الانفصال عن روما بدءاً من سنة ١٠٥٤م .

واستقرت اللغة العربية في الكنيسة الأرثوذكسية بعد الفتح العربي ، لأن عدداً من بطاركة القدس وأساقفة سائر الأبرشيات في فلسطين كانوا من السوريين أو الفلسطينيين ، وكانوا يتقنون اللغتين اليونانية والعربية

وظل مصير الكنيسة الأرثوذكسية في العصرين الأموي * والعباسي * متقلباً متوقفاً على علاقات الخلافة بالإمبراطورية الرومانية ، وعلى مصير المعارك الدائرة بينهما . فإذا حسنت العلاقات بينهما حسن حال الكنيسة ، وإذا ساءت العلاقات ساء حال الكنيسة . وقد أصبح بطريرك القدس في العهد الإسلامي رئيس ملة يتولى إدارة شؤون رعاياه من الناحية الدينية والمدنية

في العهد الصليبي أقام الصليبيون على الكرسي البطريركي في القدس بطاركة من الفرنجة متحدين مع كنيسة روما . فحلت اللغة اللاتينية في هذا العهد محل اللغة اليونانية . وأصبح رعايا الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية، من يونان وعرب ، خاضعين لإدارة بطاركة القدس اللاتين (ر : الفرنجة) .

عاد البطاركة اليونان إلى القدس بعد انقضاء عهد الصليبيين . لكن الكنيسة اليونانية في فلسطين تعرضت لاضطهادات المماليك * مما دعا إلى تعيين بطاركة عرب على الكرسي البطريركي في القدس . وفي هذا يقول المؤرخ قسطنطيوس الأول بطريرك القسطنطينية (١٨٣٠ - ١٨٣٤) : " بعد بطاركة اللاتين كان جميع بطاركة القدس عرباً ، وكانوا ينتخبون من بين أساقفة البطريركية ، ولكنهم من العرب ومن بين الإكليروس الوطني " . وقال دوسيتاوس بطريرك القدس (١٦٦٩ - ١٧٠٧) في تاريخه : " منذ كانت السلطة في أيدي سلاطين مصر لم يكن بطاركة القدس يونانيين ، بل كانوا عرباً " .

وكان آخر البطاركة العرب في القدس البطريرك عطاالله ، أو دوروثاوس الثاني (١٥٠٥ - ١٥٣٤) . ويقال إن السلطان العثماني سليم الأول أصدر « فرماناً » يقضي بحرية العبادة للمسيحيين ، ويمنحهم السلطة الكاملة على الأماكن المقدسة .

وكان أول بطريرك يوناني في كنيسة القدس البطريرك جرمانس (١٥٣٤ - ١٥٧٩) . وقد عيّنه الباب العالي وأصبح تعيين البطاركة في القدس منوطاً بسلاطين القسطنطينية الذين حلوا محل الأباطرة اليونانيين . وعمد البطريرك جرمانس إلى تقوية جمعية القبر المقدس للمحافظة على المصالح اليونانية في بطريركية القدس ، ولا سيما في الأماكن المقدسة . وانتهج هذا البطريرك سياسة تقصد بها إقصاء العناصر العربية عن إدارة البطريركية ، وعن المناصب الكنسية العليا .

بدأت العناصر العربية في الكنيسة الأرثوذكسية تطالب بحقوقها منذ القرن التاسع عشر . ومن الدوافع التي أدت إلى هذه اليقظة تعدد المدارس التي أسستها الكنيسة الكاثوليكية في فلسطين والكنيسة الروسية الأرثوذكسية (ر : الإرساليات الروسية ، مدارس) . وقد نشطت الكنيسة الروسية بصورة خاصة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وحتى عام ١٩١٤ ، وحاولت أن تحل محل الكنيسة اليونانية في حماية ورعاية الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين . ولهذا حاولت أن تقف إلى جانب العناصر العربية في الكنيسة . يضاف إلى ذلك نشاط الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية المتزايد بين مسيحيي فلسطين . كل ذلك نبه العناصر القيادية من العرب الأرثوذكس المطالبة بحقوقهم

وكانت العناصر اليونانية تعتمد على تأييد الباب العالي ورفضت جميع المطالب العربية . وأقرّ الباب العالي عام ١٨٧٥ أول نظام كنسي لكنيسة القدس يصدر عن سلطة مدنية غير أرثوذكسية وقد حدد هذا النظام مهام المجمع المقدس ، أو السينودس ، وكيفية انتخاب البطريرك . ولم يراع في هذا النظام حقوق العرب ، حتى كان عام ١٩٠٨ فاضطر البطريرك دميانس إلى تقبل المطالب العربية ، فقدم بعض التنازلات ، وكوّن لجنة مختلطة من اليونان والعرب للإشراف على قسم من شؤون الكنيسة . ولم تكن هذه التنازلات كافية ، إذ أنها لم تعط العرب أية سلطة تؤثر في انتخاب البطريرك .

ولما حلّ الانتداب البريطاني محل الباب العالي ، وبدّل نظام

١٨٧٥ نظام آخر عام ١٩٣٤ . ظل عاجزاً هو أيضاً عن إنصاف العرب الأرثوذكس . ولهذا قاطع العرب ، بعد وفاة البطريرك دميانس سنة ١٩٣١ ، الانتخابات التي أدت إلى تعيين البطريرك تيموثوس عام ١٩٣٦ (ر . الكهنة الأرثوذكس العرب ، مؤتمر) . وما زال الصراع قائماً حتى اليوم بين اليونان والعرب على الرغم من أن الأكثرية الساحقة من أبناء الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين هم من العرب ، ولا تؤلف الجالية اليونانية سوى أقلية ضئيلة

تشمل الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين ، بالإضافة إلى الكرسي البطريركي في القدس ، ست مطرانات في قيصرية وبيسان والبتراء وعكا وبيت لحم والناصرة ، وستة مراكز رئيس أساقفة في للد وغزة وسناء ويافا ونابلس وسبسطية وجبل الطور .

وعدد أتباع الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين اليوم نحو ٦٠ ألف نسمة . ويجب أن يكون البطريرك يوناني الأصل ، حاملاً الجنسية الأردنية ، وعضواً في جمعية القبر المقدس ، يساعده في إدارة الكنيسة مطران في الناصرة ، وآخر في عمان ، بالإضافة إلى المجمع المقدس ، أو السينودس المكوّن من ثمانية عشر عضواً كلهم من رجال الدين برتبة أسقف أو أرشمندريت ، والمجلس المختلط المكوّن من خمسة عشر عضواً من العرب واليونان ، والمنتخب لمدة ثلاث سنوات . وفي دار البطريركية في القدس محكمة كنسية تنظر في شؤون الرعايا الأرثوذكس بموجب قانون الأحوال الشخصية ، ومدرسة لاهوت تأسست عام ١٨٥٥ ، وجميع طلابها من اليونان . وفي دير القديسة هيلانة وقسطنطين مكتبة قديمة تحتوي على عدد من المخطوطات الثمينة .

المراجع :

- Duchesne, L.: Histoire ancienne de l'Eglise, Paris 1910.
— Fliche, A. et Martin, V.: Histoire de l'Eglise, Paris 1939.
- Le Principali Comunità Cristiane Oggi in Terra Santa, VS.
- Misset, H.: Histoire du Christianisme, spécialement en Orient, Liban 1948.

الأرجنتين : ر : أمريكا اللاتينية (دول -)

الأردن (استثمار مياه نهر - وروافده) :

أ - توطئة : تمتد مطامع الصهيونية العالمية بالسيطرة على مصادر المياه في شمالي فلسطين إلى المراحل الأولى من نشوء الحركة الصهيونية نفسها في الربع الأخير من القرن التاسع عشر . وقد تبلورت هذه المطامع بأجلى صورها في الرسالة التي رفعها حاييم وايزمن باسم المنظمة الصهيونية العالمية " بتاريخ ١٩١٩/١٢/١٩ إلى ديفيد لويد جورج رئيس الحكومة البريطانية باعتباره ممثلاً لمؤتمر الصلح " المنعقد في أعقاب الحرب العالمية الأولى . في الوقت الذي كان فيه الاستعماران البريطاني والفرنسي منهمكين في اقتسام أراضي سورية الطبيعية ورسم حدود الدويلات التي قررا تشكيلها فيها خلافاً لكل العهود والمواثيق التي كانت بريطانيا قد أعطتها للعرب خلال ثورتهم العربية الكبرى .

أعلن وايزمن في رسالته هذه رفض الصهيونية المطلق لخطوط الحدود الشمالية لفلسطين التي سبق تعيينها من قبل الاستعماريين البريطاني والفرنسي في اتفاقية سايكس - بيكو " المبرمة في الخفاء بينهما عام ١٩١٦ . وأكد وايزمن في رسالته : " أن مستقبل فلسطين الاقتصادي كله يعتمد على موارد مياهها للري والقوى الكهربائية وتستمد موارد المياه بصورة رئيسية من منحدرات جبل حرمون ومن منابع حوض الأردن ومن نهر الليطاني " . وحدّد في البند الثامن من طلبات الصهيونية العالمية التي حدّدتها الرسالة رغبتها في رسم الحدود الشمالية لفلسطين وفقاً للنص التالي : " لهذه الأسباب نرى من الضروري أن يضمّ حد فلسطين الشمالي وادي الليطاني إلى مسافة نحو ٢٥ ميلاً فوق المنحنى ، ومنحدرات جبل حرمون الجنوبية ، لضمان السيطرة على منابع الأردن وإتاحة إعادة تحريج هذه المنطقة " .

وقد استجاب الحلفاء يومذاك لأكثر هذه الطلبات ، فعدّلوا الحدود المعتمدة سابقاً في اتفاقية سايكس - بيكو بما يتفق مع الكثير من الرغبات الصهيونية . فوضعوا الضفة الشرقية لمجرى نهر الأردن " الأعلى (نهر الشريعة) ولبحيرة طبرية " كاملة ضمن الحدود الفلسطينية ، واقتطعوا من لبنان بعض القرى والأراضي في حوض الحاصباني ، ومن سورية بعض المساحات والأراضي الهامة القريبة من بانياس واليرموك والمحيطة ببحيرة طبرية (خاصة ما جرى التعارف على تسميته فيما بعد بمثلث اليرموك) .

إلّا أن هذه الاستجابة ظلت قاصرة عن تلبية كل ما كانت الصهيونية تطمع في السيطرة عليه ، وظلت هذه تطمع في إخضاع المصادر المائية العربية لسيطرتها . ودأبت بعد الحرب العالمية الأولى ، بدعم وتأييد من الاستعمار البريطاني طوال فترة انتدابه على فلسطين ، وبدعم وتأييد من الاستعمار الأميركي عقب إقامة (الدولة الإسرائيلية) ، دأبت في حبك المؤامرات ورسم الخطط والمشاريع الهادفة لغرض تحكّمها بأكبر قدر من مصادر تلك المياه ، حتى تتمكن من استثمارها في تحقيق مشاريعها الاستيطانية والتوسعية الاستعمارية كلما سمحت لها الظروف الملائمة بذلك ، دون أي اكتراث بما للعرب من حقوق في تلك المياه . وقد احتدم حول هذه

المشاريع ، والمشاريع المضادة التي أعدها العرب لمجابهتها ، الكثير من النزاعات والصراعات التي بدأت خلال سني الانتداب وظلت تتصاعد خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن حتى انتهت عام ١٩٦٧ باحتلال (إسرائيل) أكثر مناطق تلك الينابيع والروافد ، وسيطرتها على أكبر قسط من الموارد المائية في حوض الأردن (ر : حرب ١٩٦٧) .

ب ـ مشاريع استثمار مياه نهر الأردن وروافده خلال فترة الانتداب (١٩٢٢ ـ ١٩٤٨) : تميزت سياسة سلطة الانتداب البريطاني منذ قيامها في مطلع العشرينات بالالتزام الدائم بمحاباة مصالح الصهيونية والسعي إلى تحقيقها وصونها على حساب المصالح العربية . وقد اتجهت سياستها المائية في فلسطين ، وخاصة ما يتعلق منها باستثمار مياه حوض الأردن ، بانتهاج خطين متلازمين في آن واحد :

الخط الأول : العمل على منح اليهود كل ما طلبوه من الامتيازات المائية ، سواء منها ما كانوا على استعداد لاستثماره مباشرة ، أو ما كانوا يخططون لاستثماره في المستقبل .

الخط الثاني : السعي لعرقلة إمكان قيام أي من الجهات العربية في فلسطين والأردن باستثمار أي من الموارد المائية التي يحتمل أن تكون لها صلة بالمشاريع الصهيونية المعدة للتنفيذ ، أو المتوقع إعدادها في المستقبل

١) امتياز روتنبرغ . يتضح التطبيق العملي لهذه السياسة بعقد الامتياز الذي منحه المندوب السامي البريطاني عام ١٩٢٦ شركة الكهرباء الفلسطينية ، وهي شركة أسسها المهندس اليهودي الروسي الأصل بنحاس روتنبرغ لاستخدام مياه نهر الأردن واليرموك عند نقطة تلاقيهما (في جسر المجامع ومستعمرة نهاريم اليهودية) لتوليد الطاقة الكهربائية مدة سبعين عاما . وبالرغم من أن مياه اليرموك كلها وأكثر مياه الأردن الأعلى عربية المصادر ، فقد أعطى الامتياز الشركة الصهيونية وحدها حق استثمار مياه الأردن وروافده ، وفيها اليرموك ، لتوليد الطاقة الكهربائية ، وحرم إمارة الأردن حق استعمال هذه المياه لأغراض الري إلا بترخيص من الشركة ، وهذا ما لم تسمح به الشركة قط . وأعطى صك الامتياز الشركة كذلك حق إنشاء محطات ومراكز لتوزيع القوة الكهربائية في شرقي الأردن ، باستثناء مناطق بلديات عمان والسلط والكرك . أما أرباح الامتياز فقد شرحت المادة ٣٤ منه أسلوب تقاسمها بين الشركة وحكومة الانتداب دون أن تعطي أياً من الدول العربية صاحبة الحق في المياه المستثمرة في المشروع أي نصيب منها .

ومما تجدر الإشارة إليه عند ذكر هذه الشركة أن صاحب امتيازها المهندس روتنبرغ أصبح منذ عام ١٩٢٩ رئيسا للمجلس الوطني اليهودي * في فلسطين ، وأن أول مدير عين لها كان هربرت صموئيل ، وهو أول مندوب سام للحكومة البريطانية ، وكان وراء الضغوط التي بُذلت لإعطاء الامتياز . وأن مدير الشركة عام ١٩٤٨ ، المدعو « أبا يوسف » ما كاد يجد مشروعه محتلا من قبل الجيش العراقي أثناء حرب ١٩٤٨ * حتى قام بنسف جميع منشآته واختفى ، ليثبت فيما بعد أنه كان يقود قوات الهاغاناه * في مقاتلة القوات العربية في المنطقة الشمالية من فلسطين .

٢) امتياز تجفيف الحولة : يتضح أيضاً التطبيق العملي لنهج الانتداب البريطاني في ممالأة مصالح الصهيونية على حساب المصالح العربية في مشروع تجفيف مياه الحولة * . ففي أواخر عهد الحكم العثماني في فلسطين (حزيران ١٩١٤) منحت الحكومة العثمانية عدداً من اللبنانيين امتيازا يخولهم الحق في استصلاح أراضي الحولة واستغلالها . وقد بدأ أصحاب الامتياز فور أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها عام ١٩١٨ يعدون لتنفيذ مشروعهم ، فأسسوا شركة زراعية عربية ، وبدأوا يشقون بعض الأقنية لتصريف مياه بحيرة الحولة * . ولكنهم سرعان ما وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام عقبتين هامتين حدّتا من اندفاعهم ، أولاهما ضخامة التكاليف اللازمة لإنجاز مختلف عمليات التجفيف واستصلاح أراضي المنطقة وتهيئتها للاستثمار ، مما كان يفرض عليهم البحث عن مصادر مساعدة أخرى للتمويل . والعقبة الثانية الأخطر التي جابهوها في سلسلة العراقيل والصعوبات التي خلقتها سلطة الانتداب البريطاني ، بالتواطؤ مع المنظمات الصهيونية، هي الرغبة في الاستيلاء على الامتياز . وقد أدت العقبات والعراقيل والضغوط إلى انسحاب المموّلين اللبنانيين ، وتنازلهم عن امتيازهم عام ١٩٣٤ لصالح شركة تطوير الأرض الفلسطينية اليهودية ، مما أتاح للصهيونية العالمية إمكان تحقيق هدف من أهم أهدافها التي كانت تخطط لها منذ أمد بعيد

ومما يجدر ذكره هنا أن الشركة اليهودية التي كانت تبدي كل الحماسة للاندفاع في تنفيذ المشروع لم تقدم طوال فترة الانتداب ، على الرغم من جميع التسهيلات التي قدمت لها ، على بذل أي جهد يذكر في دفع عجلته ، مؤثرة تأجيل العمل الجدي فيه إلى الوقت الذي تحقق فيه الصهيونية حلمها بتأسيس (دولة إسرائيل) ، والهيمنة على كل أراضي المنطقة ، لتتمكن آنذاك من السير في تنفيذ كل ما تبغي تنفيذه من أعمال دون حسيب أو رقيب .

٣) مشروع إيونيدس : لعل أول إشارة جاءت من أية جهة بريطانية خلال فترة الانتداب بشأن إمكانية استثمار مياه حوض الأردن في مشروعات الري كانت من لجنة بيل * التي كلفت من قبل الحكومة البريطانية عام ١٩٣٧ التحقيق في أسباب الثورة الفلسطينية

الكبرى (ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩) * وتقديم الحلول والتوصيات لمنع تكررها . وقد جاء بين الاقتراحات التي قدمتها هذه اللجنة لحكومتها يومذاك ضرورة إجراء دراسات مستفيضة حول موارد المياه في حوض الأردن ، وإمكانيات استثمارها في ري أراضي الأغوار في حوض الأردن لتبين إمكان تطبيق مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود الذي اقترحته اللجنة في تقريرها منعاً لتكرر الأحداث الدامية فيها .

وتنفيذاً لهذه التوصية عيّنت الحكومة البريطانية الخبير الهيدرولوجي م.ج. إيونيدس مديراً للتنمية في حكومة شرق الأردن ليقوم بإجراء هذه الدراسة . وبالرغم من قصر مدة العامين اللذين قضاهما الخبير إيونيدس في الأردن لهذه الغاية وعدم كفايتهما عادة للوصول إلى نتائج معتمدة علميا لمثل هذه الدراسات الهيدرولوجية ، خرج عام ١٩٣٩ بتقرير مطوّل عن هيدرولوجية حوض الأردن وروافده ، وعن أوضاعه الجيولوجية ، ظل إلى أمد طويل مرجعاً هاماً تستند إليه أكثر المشاريع المتعلقة باستثمار مياه حوض الأردن التي جرى بحثها والنقاش حولها في الخمسينات من هذا القرن .

وتتلخص النتائج والمقترحات التي توصل إليها الخبير إيونيدس في الفصل الأخير من تقريره ، والتي عاد وأفاض في شرحها عام ١٩٤٦ في بحث نشره ، تتلخص في الخطوط العامة التالية :

(١) أن يحوّل جزء بسيط من تصريف مياه نهر اليرموك لا يتجاوز ١,٦ م٣/ثا عبر قناة تتجه جنوبا لتقطع وادي العرب ، وتصل حتى وادي زقلاب لتجمع تصريفهما الدائم ويصبح مجموع تصريفها ٢,٥٦ م٣ /ثا . ويقدّر التقرير أنه من الممكن ري نحو ٤٥,٣٦٠ دونماً من أراضي الغور * الشرقي بهذه الكمية من المياه .

(٢) تخزين فائض مياه اليرموك في بحيرة طبرية ، وإنشاء قناة تسحب مياهها من البحيرة مباشرة لري نحو ٣٠٠,٠٠٠ دونم من أراضي الغور الشرقي ، مع الإشارة إلى إمكانية إنشاء قناة موازية لري أراضي الغور الغربي .

(٣) يقدّر التقرير أن مجموع كميات المياه التي يمكن تأمينها سنويا لغايات الري في شرق الأردن لا تتجاوز ٧٤٢ مليون م٣ من المياه بسحب ٤٦٠ مليون م٣ منها من نهر اليرموك وبحيرة طبرية ، والباقي ، وهو ٢٨٢ مليون م٣ ، يمكن تأمينه من مجاري الوديان والآبار . ويقدر أن مجموع كميات مياه الأمطار التي يمكن استثمارها في الزراعات البعلية ، أي ١,٦٠٠ مليون م٣ ، هو كل ما يتوفر للأردن في مشاريعه الإنمائية للتطور في المستقبل .

(٤) يستطرد التقرير ليشير إلى أن استثمار مياه اليرموك وطبرية غير ممكن عملياً بسبب الامتياز المعطى لشركة روتنبرغ اليهودية ، ولا بد من التفاوض معها لعقد اتفاق يتيح إمكانية هذا الاستثمار

وعندما كلفت الحكومة البريطانية عام ١٩٣٨ لجنتها الفنية الثانية ، المعروفة باسم لجنة وود هيد * ، دراسة إمكانات تنفيذ مشروع تقسيم فلسطين من الناحية العملية ، رأت هذه اللجنة أن مسألة الموارد المائية التي بيّنتها دراسة إيونيدس في المنطقة لا تؤيد سلامة تنفيذ مشروع التقسيم ، فأوصت بالتخلي عنه . وبقيت حكومة الانتداب عاجزة عن القيام باستثمار أي جزء من مياه الحوض لصالح الري في الأردن تحت ضغط المصالح الصهيونية المستمر حتى نهاية عهدها عام ١٩٤٨ ، وظلت مياه حوض الأردن تستثمر حصراً لصالح الاقتصاد الصهيوني طوال فترة الانتداب .

وبالرغم من تواضع التصورات التي قدمها إيونيدس في تقريره تميزت الخطوط العامة التي عرضها بأنها أصبحت منطلقا لكثير من الدراسات والمشاريع التي تلتها ، لكن بتفصيل أوفى وبشمول أعمّ .

جـ - المشاريع الصهيونية لاستثمار مياه نهر الأردن وروافده : لم ترض الصهيونية العالمية عمّا توصل إليه الخبير إيونيدس في تقريره من نتائج ، ولم تجد في استنتاجاته ما يتناسب مع طموحاتها وآمالها . فراحت تلجأ لعدد من الخبراء ليساعدوها في إعداد أفضل مشروع لاستثمار مياه حوض الأردن في إرواء أراضي الجنوب والنقب * لتأمين استيعاب هجرة ملايين اليهود إليها . وكان من أبرز هؤلاء الخبراء والتر كلاي لاودر ميلك الذي أوفد إلى فلسطين عام ١٩٣٨ من قبل وزارة الزراعة الأميركية بذريعة أنه خبير في حماية التربة مكلّف "دراسة استعمالات الأراضي في البلاد العريقة في القدم لتبيّن إمكان الاستفادة منها في حماية الأراضي في الولايات المتحدة" . وفي ظل هذا الغطاء الغريب من التعمية راح لاودر ميلك يتابع دراسته في المنطقة خلال سني الحرب العالمية الثانية . في حين كانت أنظار العالم كله تلاحق أحداث الحرب المثيرة وتنشغل بمضاعفاتها الخطيرة . حتى إذا كان عام ١٩٤٤ ، حين أوشكت الحرب على النهاية ، خرج لاودر ميلك إلى العالم بكتابه « فلسطين أرض الميعاد » يلهب بما جاء فيه من أفكار ورؤى حماسة الصهيونيين ، ويعدهم فيه بفلسطين تدر عليهم الخيرات ، وتتسع لما لا يقل عن أربعة ملايين من المهاجرين الجدد علاوة على أرض فلسطين ويحققون أحلام الطليعيين من زعمائهم .

١) مشروع لاودر ميلك : لم يقدّم كتاب لاودر ميلك مشروعا بالمعنى المفهوم من التعبير ، ولكنه قدّم عدداً من المقترحات والتوجيهات اعتبرها الصهيونيون أفضل نواة لمشروع . وتتلخص الأفكار التي ضمنها لاودر ميلك كتابه في النقاط التالية :

(١) إن كميات المياه المتوفرة في مصادر حوض الأردن حسب تقديره تفيض عن حاجات إرواء المساحات القابلة للاستثمار

الزراعي فيه . وهو يقدر هذه المساحات بنحو ١٣٥ ألف فدان (٥٤٠ ألف دونم) تحتاج إلى نحو ٨٠٠ مليون م٣ من الماء (على أساس نحو ١،٥٠٠ م٣ من المياه للدونم الواحد) ، في حين يقدر مجموع المياه المتوفرة في الحوض بنحو ١،٨٠٠ مليون م٣ من المياه تكفي لري نحو ١،٢٠٠،٠٠٠ دونم . وهو لذلك يرى نقل الكمية التي تقدر لها أنها تفيض عن حاجة الحوض إلى مناطق أخرى (كالنقب مثلاً) لتأمين المجال الحيوي للملايين الذين يتنبأ بإمكان تهجيرهم إلى فلسطين من الخارج .

(٢) التعويض عن نقص المياه المستمر في البحر الميت* ، بسبب استهلاك مياه نهر الأردن الأعلى وروافده في مشاريع الري من جهة ، والتبخر من جهة أخرى ، بجرّ قناة تستوعب حوالي ٣٠ م٣/ثا من البحر المتوسط قرب حيفا* بطول ٧ أميال حتى جبل الكرمل* ، ثم عبر نفق بطول ٢٠ ميلاً لتصب في الجانب الغربي من وادي الأردن ، بمسقط مائي علوه نحو ٤٠٠ م ، مما يساعد في توليد طاقة كهربائية قدرها حوالي ١١٠ ميغاواط (ر : قناة البحرين المتوسط والميت ، مشروع -) ، إضافة إلى ٤٠ ميغاواط أخرى يمكن توليدها من مساقط أقنية الري في الحاصباني واليرموك .

(٣) تشكيل هيئة عليا ، على نمط هيئة وادي تنسي في الولايات المتحدة ، تتولى مسؤولية استثمار المشروع وتنفيذ مختلف تفاصيله من منشآت ري وصرف وتسوية للأرض وزراعتها وسيطرة على الفيضانات وإنشاء للصناعات واستخراج لمعادن البحر الميت الخ . . . مما يساعد في توفير ثروة ومجالات عمل في فلسطين تكفي لاستيعاب ما لا يقل عن أربعة ملايين من المهاجرين اليهود الجدد إليها ، [illegible] فة إلى [illegible] [illegible] [illegible] رب المو[illegible]دين بيها وفي [illegible] [illegible] ذلك

[illegible]) رأى لاودر ميلك أن [illegible] سيطرة عو [illegible] مشروع واستثماره يجب أن يظلا بأيدي اليهود الذين تعرضوا للاضطهاد على أيدي مسيحيي أوروبا ، مع إمكانية إشراف الأمم المتحدة عليه . وأما العرب ، فإذا " وجد بعضهم أنهم لا يحبون العيش في بلاد صناعية فبالاستطاعة نقلهم بسهولة إلى سهول وادي الفرات ودجلة حيث يوجد متسع لأعداد هائلة من المهاجرين "

وقد أثارت هذه الصورة الزاهية التي قدمها لاودر ميلك إلى الصهيونيين عن مستقبل الوطن الذي يحلمون بتشييده في فلسطين المشاعر والحماسة . فأسرعوا إلى خبراء هيئة وادي تنسي في الولايات المتحدة يستعينون بهم لتجسيد أفكار لاودر ميلك بمشروع هندسي متكامل يهدف إلى وضع ما يمكن وضعه من المصادر المائية المتوفرة في فلسطين والبلاد العربية المجاورة في خدمة المشاريع الصهيونية لتطوير « الوطن القومي » بما يساعد على استيعاب ملايين المهاجرين .

وكانت نتيجة ذلك مشروع « هيز » الذي يعتبر متمماً ومكملاً لمشروع لاودر ميلك .

وبالرغم من أن مشروع جيمس هيز لم ينشر إلا عام ١٩٤٨ تحت عنوان « اقتراحات لتطوير الري والطاقة الكهربائية في فلسطين » فقد كان مع مشروع لاودر ميلك معداً بخطوطه العامة عام ١٩٤٦ ليستغل سلاحاً بيد الصهيونيين للضغط على لجنة التحقيق الانكلو - أميركية* المكلفة من قبل إنكلترا والولايات المتحدة عام ١٩٤٦ لدراسة مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وللتأثير في مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة المعقدة عام ١٩٤٧ لإقرار مشروع التقسيم ، كي يتم رسم الحدود الشمالية لدولة (إسرائيل) بما يكفل لها السيطرة على جميع المصادر المائية الموجودة أصلاً ضمن حدود شمال فلسطين .

وقد قال عمانوئيل نيومان رئيس لجنة مسح أراضي فلسطين في تقريره الموضوع عام ١٩٤٨ : " إنه لمن حسن الحظ أن الذين كانوا مسؤولين عن وضع تفاصيل مشروع التقسيم كانوا على علم ومعرفة بوجهات النظر الأساسية لمشروع لاودر ميلك ، وأنهم اتخذوه ، لحد بعيد ، قاعدة حددوا على أساسها حدود المناطق العربية والمناطق اليهودية " (ر : تقسيم فلسطين)

٢) مشروع هيز : كان الهم الأول لهيز في وضع الخطوط العامة لمشروعه ، أسوة بزميله لاودر ميلك ، أن يخضع استثمار الموارد المائية في حوض الأردن حصراً لمصلحة المخططات الصهيونية ، دون أن يعير المصالح العربية أو الحقوق العربية في المنطقة أي اهتمام . وقد رسم الخطوات التي يرى تنفيذها لتحقيق أهدافه هذه ضمن ثماني مراحل خلاصتها :

(١) المرحلة الأولى : العمل على استثمار موارد المياه الجوفية ، وخاصة في الساحل . وكذلك إنشاء سد على نهر الحاصباني في لبنان لاستثمار مياهه بعد تحويلها عبر قناة مغلقة لتوليد الطاقة الكهربائية في محطة تنشأ داخل (إسرائيل) وهو يرى أن تأمين هذه الطاقة في مراحل المشروع الأولى ضروري لتوفير ما تحتاج إليه عمليات ضخ مياه الآبار من هذه الطاقة .

(٢) المرحلة الثانية : تحويل مياه نهر بانياس في سورية عبر قناة نحو تل القاضي (دان) لتجميع مياه ينابيعها مع المياه الفائضة من الحاصباني ، وجرها كلها في قناة مكشوفة تجري بالراحة لإرواء أراضي سهل الحولة* والجليل* الأدنى ووادي مرج ابن عامر* ، ثم إمرارها عبر نفق لتخزين فائضها في سهل البطوف*

(٣) المرحلة الثالثة : تحويل مياه نهر اليرموك إلى بحيرة طبرية تعويضاً عن مياه روافد الأردن المحولة في المرحلة الثانية للري . وبالرغم من أن نهر اليرموك لا يمس مشث ليرموك المقطع أساساً من

الأراضي السورية إلاّ بنحو ستة أميال فقط فهو يقترح تخصيص المملكة الأردنية الهاشمية بـ ٥٠٪ فقط من مياهه لري أراضيها في الغور ، وترك الباقي ، حسب ادّعائه ، لري أراضي المثلث ومنطقة بيسان *.

(٤) المرحلة الرابعة : لمنع انخفاض منسوب البحر الميت بعد استثمار مياه الأردن وروافده في مشاريع الري ، وللتعويض عن التبخر السنوي في هذا البحر المقدّر بحوالي مليباري متر مكعب من المياه ، يقترح المشروع تحويل كمية كافية من مياه البحر المتوسط تقارب ٣٠ م٣/ثا إلى البحر الميت عبر قناة تبدأ من حيفا حتى جبل الكرمل ، ثم عبر نفق طوله ٢٠ ميلاً إلى الجانب الغربي من وادي الأردن ، لتنقل بعد ذلك في قناة تحت الضغط حتى البحر الميت . ويبلغ مجموع ارتفاع المسقط المائي الحاصل في هذا التحويل نحو ٤٠٠ م . ويقدر واضع المشروع إمكان توليد طاقة كهربائية في محطة ابو سدرة بقوة ١٠٠ ميغاوات ، وفي محطة البحر الميت بقوة ٣٧ ميغاوات . وتصل الطاقة المولّدة الصافية من المشروع ، بعد حسم الجزء المستعمل منها في عمليات الضخ ، إلى ٥٦٠ مليون كيلووات ساعي .

(٥) المرحلة الخامسة : إقامة السدود والمنشآت اللازمة في سهل البطوف لتأمين تخزين مياه فيضانات الشتاء المجمّعة من مختلف الوديان والسايل والفائضة من عمليات المرحلة الثانية في بحيرة كبيرة تستوعب مليار م٣ من المياه .

(٦) المرحلة السادسة : العمل على استصلاح أراضي سهل الحولة ، وتجفيف المستنقعات فيها ، وضخ مياه ينابيعها لاستخدامها في ري الأراضي المستصلحة وتحويل الباقي ، ويقدر بحوالي ٤٥ مليون م٣ ، إما لريّ ٥٥ الف دونم من أراضي سهول الساحل الجنوبية ، وإما لري نحو ٢٩ الف دونم من سهول أريحا في الغور الغربي .

(٧) المرحلة السابعة : الاستفادة من مياه الينابيع المحلية وسيول الوديان غربي نهر الأردن ، بدءاً من وادي ابو سدرة والفارعة * في الشمال وحتى سهول أريحا في الجنوب ، في ريّ الأراضي الصالحة للاستثمار في مناطقها . وإمكان الاستفادة أيضاً مما يتبقى في نهر الأردن الأدنى من المياه بعد التحويلات التي أجريت في المراحل السابقة لريّ المزيد من أراضي غور أريحا ، على أن يؤجل ذلك إلى ما بعد التثبت من أفضلية تحويل مياه الأردن وروافده إلى مناطق اخرى (يقصد النقب دون ذكره صراحة) حيث يكون استثمار المياه فيه ، حسب رأيه ، ذا جدوى اقتصادية أكبر . لأن أراضي الأغوار متملحة غير خصبة ، وتحتاج لمقننات مائية عالية .

(٨) المرحلة الثامنة : إنشاء السدود على مختلف وديان الساحل الغربي من فلسطين لتخزين مياه فيضاناتها والينابيع التي تغذيها ، ونقل كل ما يفيض عن حاجة الأراضي المحيطة بها إلى منطقة النقب في الجنوب للمساعدة في تطوّرها وتنميتها . وتقدّر كمية ما يمكن تجميعه من المياه في هذه المرحلة بنحو ٣٢٠ مليون م٣ .

وقد أشار هيز في مشروعه إلى إمكان إضافة مرحلتين أخريين في المستقبل دون أن يدخل في تفاصيلهما صراحة . ومن الواضح أنه كان يقصد بهما رغبته في تحويل مياه نهر الليطاني في لبنان لاستثمارها في الأراضي الفلسطينية لصالح المشاريع الصهيونية .

هذه هي باختصار الخطوط العامة لمشروع هيز ، ومنها يتبيّن مدى استعداد واضعيه لتجاهل حقوق العرب في مياههم وحرمانهم من هذه المياه في إرواء أخصب أراضيهم في الأغوار تحت مختلف المزاعم المفتقرة لأدنى حدّ من الأمانة العلمية . وقد استغلّ الصهيونيون هذا المشروع لأقصى حد ، وبلغ من دعايتهم له وضغوطهم في سبيله أن جعلوا أنصارهم مخططي حدود (الدولة الإسرائيلية) في الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ يعتبرونه أساساً ودليلاً لهم ، فأدخلوا ضمن هذه الحدود كل المصادر المائية في شمال فلسطين ليضعوا هذه (الدولة) في مركز الهيمنة الكاملة على هذه المياه دون أي اكتراث بحقوق ومصالح أصحاب هذه المياه الأصليين . ويتجلّى خطر هذا المشروع من ناحية أخرى كذلك في أن الصهيونيين ، وقد أخذتهم الحماسة له كل مأخذ ، جعلوا منه مصدر التوجيه الأول الذي اعتمدوه في وضع الخطط البعيدة المدى لجميع مشاريعهم الإنمائية المائية بعد تأسيس دولتهم (إسرائيل) عام ١٩٤٨ .

٣) الخطة الإسرائيلية الأولى لاستثمار الموارد المائية ـ خطة السنين السبع : اندفع الصهيونيون منذ الأشهر الأولى لقيام (إسرائيل) عام ١٩٤٨ يعدّون الخطط لاستثمار كل ما يقع تحت أيديهم من الموارد المائية في تحقيق أمانيهم وأمانيهم في تنمية اقتصاد دولتهم الجديدة . وشكّلوا لهذا الغرض لجنة من سبعة عشر خبيراً ، ودعوا للمشاركة في دراساتهم هيز نفسه ومعه بعض كبار خبراء هيئة وادي تنسي . وحدّدوا أهداف خطتهم السبعية الأولى التي أعلنوها عام ١٩٥٣ بالعمل على زيادة استثمار الموارد المائية في (إسرائيل) من ٨١٠ مليون م٣ من المياه (وهو مجموع ما بلغه إنتاج المياه فيها حتى عام ١٩٥٣) إلى ١,٧٣٠ مليون م٣ في نهاية الخطة عام ١٩٦٠ ، آملين بذلك أن يتمكنوا من مضاعفة المساحات المزروعة ريّاً في البلاد ثلاث مرات ، وأن يبلغوا في إنتاجهم الغذائي ما يؤمّن ٧٥٪ من حاجتهم الاستهلاكية عام ١٩٦٠ الذي يقدّرون أن عدد سكانهم سيرتفع فيه إلى المليونين .

وقد اقتضت الخطة أن يؤمّنوا هذه الزيادة المقررة، وهي ٩٢٠ مليون م^{3} من مصدرين رئيسيين .

الأول : ٣٨٠ مليون م^{3} من مشاريع استثمار الينابيع والمياه الجوفية والسطحية المختلفة داخل فلسطين المحتلة .

والثاني : ٥٤٠ مليون م^{3} من مياه نهر الأردن وروافده ، على أن يجري تأمين ٣٤٠ مليون م^{3} منها من مشروع تحويل نهر الشريعة من نقطة جسر بنات يعقوب في الشمال إلى أراضي النقب في الجنوب . و١٢٠ مليون م^{3} من مشروع الحولة . و٨٠مليون م^{3} من مشروع طبرية - بيسان .

وكان مشروع تحويل مياه نهر الأردن الأعلى (الشريعة) إلى النقب في الجنوب يشكّل المحور الأساسي لخطة السنين السبع الإسرائيلية الأولى دون أن تأتي على ذكره صراحة ، إذ كانت التصاميم المائية المعدّة في الخطة تقضي بإنشاء شبكة مائية موحّدة ومترابطة في (إسرائيل) تستثمر بمجموعها كوحدة متكاملة تؤمّن حاجة مختلف الاستعمالات الزراعية والصناعية والمدنية في مناطق البلاد كلها ، على أساس أن يسعف بعضها بعضها الآخر كلما اقتضى ذلك الصالح العام . وقد اعتبرت القناة الرئيسة الناقلة لمياه الأردن من الشمال إلى الجنوب العمود الفقري الأساسي لهذه الشبكة ، تغذّيها الموارد المائية الأخرى في البلاد ، وتغذي هي بدورها مختلف المشاريع الثانوية والفرعية بحاجتها من المياه .

وقد تضمنت الخطة إنشاء ستة مشاريع تشمل جميع المناطق الرئيسة في (إسرائيل) ، وهذه المشاريع هي :

(١) مشروع تجفيف الحولة * : وهو المشروع الذي ظل حلما يراود القائمين على المنظمات الصهيونية منذ أن أشار عليهم زعماؤهم ،كروتشيلد وهرتزل في مطلع القرن العشرين ، بأهميته ، والذي بذلوا في سبيل استرجاع امتيازه من الأيدي العربية خلال فترة الانتداب كل ما كان بوسعهم بذله من ضغوط وجهود وأموال . وقد بُدىء بتنفيذ هذا المشروع عام ١٩٥١ ، أي قبل عامين من إعلان الخطة السبعية . وحدث بعد البدء بأعمال التنفيذ أن احتجت سورية لمجلس الأمن على عدوان اليهود على المنطقة المجردة غربي نهر الشريعة وعلى قصف القرى العربية وتهجير أهالي كراد البقارة * والناعمة * ومزرعة الخوري بالقوة .

ولكن ،بالرغم من القرار الإيجابي الذي اتخذه مجلس الأمن في الموضوع ، سمح الجنرال رايلي ، كبير مراقبي هيئة الأمم المتحدة يومذاك ، للإسرائيليين باستئناف العمل في المشروع ، بدعوى أنه يجري في القسم الإسرائيلي من المنطقة المجردة .

ويترتب على تنفيذ هذا المشروع إتاحة استثمار مساحة يبلغ مجموعها ١٤٠ ألف دونم من الأراضي الخصبة ، ورِيّها من نبع تل القاضي (دان) (ر : الحولة ، تجفيف بحيرة ــ)

(٢) مشروع الجليل الأعلى : يقضي بتحويل مياه مختلف الينابيع في الجبال ، وبعض الينابيع التي ترفد نهر الأردن في شبكة ري تتيح استثمار نحو ١٠٠ ألف دونم من الأراضي الصالحة للاستثمار في جبال الجليل الأعلى

(٣) مشروع غور الأردن : وحصيلته ري نحو ١٠٠ ألف دونم في غور بيسان والأردن بقناة خاصة من بحيرة طبرية ، وباستثمار عدد كبير من ينابيع المياه في المنطقة

(٤) مشروع الجليل الغربي : يقضي باستثمار مياه الفيضانات والسيول في وادي مرج ابن عامر (جزريل) ومياه نهر المقطع * (كيشون) والينابيع الكثيرة في المنطقة لري أراضي الجليل الغربي ومرج ابن عامر .

(٥) مشروع العوجا (اليركون) - النقب الغربي : وهو مشروع يقوم على إنشاء قسطل خرسانية ضخمة تنقل مياه رأس العين * ونهر العوجا وكذلك جزءاً هاماً من المياه المحولة من نهر الأردن في الشمال والمياه المكررة من شبكة المجاري في تل أبيب لإرواء القسم الغربي من أراضي النقب .

(٦) مشروع العوجا (اليركون) - النقب الشرقي : ويهدف هذا المشروع الموازي لمثيله الغربي إلى نقل جزء من مياه نهر العوجا ومياه نهر الأردن المنقولة من الشمال للتوسع في ري أراضي القسم الشرقي من النقب .

ويلاحظ أن هذه القائمة من المشاريع التي اشتملت عليها خطة السنين السبع لتطوير استثمار الموارد المائية في (إسرائيل) لم تشر بشكل صريح إلى تضمين الخطة مشروع تحويل مياه الأردن من موقع جسر بنات يعقوب في الشمال إلى النقب في الجنوب . ولكن واقع التنفيذ كان يشير إلى ذلك . إذ من السنين الأولى لقيام دولة (إسرائيل) كانت ثمة مؤشرات تدل على أن عمليات تنفيذية وتنقيبية تجري هنا وهناك كخطوات أولى للسير في تنفيذ مختلف أجزاء هذا المشروع دون إبطاء .

٤) مشروع تحويل مياه نهر الأردن إلى النقب : اعتمدته (إسرائيل) لتحويل مياه الأردن إلى النقب ، وتكلفت شركة ميكوروت اليهودية تنفيذه منذ عام ١٩٥٣ . ويتضمن هذا المشروع العمليات التالية .

(١) تحويل مياه نهر الشريعة من نقطة تقع بالقرب من موقع جسر بنات يعقوب جنوبي بحيرة الحولة ، وإنشاء سد تحويلي لهذه الغاية . وتنقل المياه في قناة مكشوفة باستيعاب ٤٣٥ مليون م^{3}

سنويا ، تجري جنوبا في الأرض المجردة من السلاح ، ومن ثم إلى موقع قرية الطابغة * في الشمال الغربي من بحيرة طبرية .

(٢) إسقاط ٢٣٦ مليون م^{3} من تصريف القناة في موقع الطابغة من منسوب ٤٢ م فوق سطح البحر في نهاية القناة إلى منسوب ٢١٠ م تحت سطح البحر في بحيرة طبرية ، وتوليد الطاقة الكهربائية في محطة توليد تنشأ لهذه الغاية تحت الأرض .

(٣) الاستفادة من جزء من الطاقة الكهربائية المولدة في إعادة رفع ١٧٣ مليون م^{3} من المياه ضخاً إلى منسوب + ٤٢ نفسه لمتابعة نقلها ، مع القسم المتبقي من تصريف القناة الأصلي ، إلى خزان صغير ينشأ في موقع سلّامة (تسالمون) ، واستثمار الجزء الباقي من الطاقة الكهربائية المولّدة في مشاريع التنمية الصناعية .

(٤) رفع كميات المياه المراد تحويلها إلى الجنوب من محطة ضخ تنشأ في سلّامة إلى ١١٠ م أخرى لتصل إلى منسوب ١٥٠ م فوق سطح البحر ، ثم نقلها عبر نفق عيلبون إلى خزان البطوف الكبير المصمم ليستوعب مليار متر مكعب من المياه .

(٥) نقل المياه من خزان البطوف عبر نفقي « مينا شيه » و« شمرون » إلى السهل الساحلي * ، ثم نقلها من هناك جنوباً في قناة ضخمة من الخرسانة المسبقة الإجهاد قطرها ٢٧٥ سم حتى تصل إلى ضواحي تل أبيب * حيث تلتقي بمشروعي العوجا (اليركون) ـ النقب الشرقي والغربي ، ثم تمتد تفرعاتها لتروي مختلف الأراضي المعدّة للاستثمار في منطقة النقب .

اصطدم تنفيذ هذا المشروع ، وهو في مراحله الأولى ، بعقبتين هامتين أوجبتا إعادة النظر في بعض الخطوط الرئيسة لتصميمه . وكانت العقبة الأولى فنيّة ، فقد تبيّن بعد التحريات الضافية التي أجريت في الموقع المختار لإنشاء خزان البطوف أن المواصفات الجيولوجية المتوفرة فيه لا تؤمن الكتامة المطلوبة للخزان ، وأن نسبة تسرب المياه منه تجعله غير صالح لتخزين الكميات المصمم لها أصلاً ، وأن لا بد من البحث عن موقع آخر يكون أكثر ملاءمة للتخزين المطلوب . أما العقبة الثانية ، وهي الأخطر والأهم ، فكانت سياسية ؛ فمنذ الأشهر الأولى من عام ١٩٥٣ ، وحتى قبل إعلان الخطة السبعية رسميا ، بدأت شركة ميكوروت تحفر القناة الرئيسة من موقع جسر بنات يعقوب التي تشكّل الحلقة الأولى من مشروع التحويل . ولكن ما كادت الرقابة السورية ترصد تحركات الحفارات التي كانت تعمل ليلاً ونهاراً في المنطقة المجردة من السلاح قرب حدودها حتى طلب من كبير المراقبين الجنرال بنيكه الأمر بوقف الأعمال . وقد استجاب الجنرال بنيكه للطلب السوري فوراً . ولكن (إسرائيل) رفضت دعوته للتوقف عن العمل شكلاً وموضوعاً ، واستأنفت العمل ، مما اضطر سورية إلى رفع شكواها إلى مجلس الأمن مهددة باللجوء إلى القوة إذا اقتضى الأمر . وقد اتخذ مجلس الأمن قراراً إيجابياً في الموضوع بتاريخ ١٩٥٣/١٠/٢٧ وأمر بوقف الأعمال . ولكن (إسرائيل) عادت وأعلنت تمردها على قرار مجلس الأمن مرة أخرى .

د ـ المشاريع العربية لاستثمار مياه نهر الأردن وروافده :

خرجت المملكة الأردنية الهاشمية من نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ لتجد نفسها مثقلة بمشكلة تدفق مئات ألوف النازحين إليها من هول الإرهاب الصهيوني * . فكان من الطبيعي أن يصبح رأس اهتماماتها بعد الهدنة البحث عن إمكان استثمار ثروتها المائية المهدورة في حوض الأردن بريّ أراضيها الواسعة في الأغوار والأزوار لرفد اقتصادها بما يساعدها على تحمّل ما ترتب على تلك الهجرة الجماعية من أعباء وتبعات . وقد ساعدها على ذلك ما نال منشآت مشروع روتنبرغ الكهربائي من تدمير شامل على أيدي أصحابها اليهود خلال الحرب ، وتحرّر المملكة بذلك من قيود الامتياز التي كانت تحول بينها وبين استثمار تلك الثروة طوال مدة الانتداب .

وقد أوكلت حكومة الأردن مهمة دراسة استثمار الثروة المائية إلى شركة بريطانية هي شركة مردوخ ماكدونالد وشركاه . وتبعتها دراسة أخرى قدمها مهندس أميركي أوفدته « النقطة الرابعة » الأميركية للتحقيق في المشاريع التي تقرر أن تنفق عليها قروضها ، وهو الخبير المهندس م . أ . بونجر . وفي ضوء المستجدات التي طرأت بعد تلك الدراسات كلّفت الحكومة الأردنية شركة بيكر وهيبرزا الأميركية وضع الدراسة النهائية والتصميمات للمشروع الأخير الذي اعتمدته يومذاك .

١) مشروع ماكدونالد : يعتبر هذا المشروع امتداداً وتطويراً لمشروع إيونيدس القديم . وقد رفعت الشركة تقريرها بشأنه إلى الحكومة الأردنية تحت عنوان « تقرير عن التوسع المقترح في ريّ وادي الأردن » ، في آذار ١٩٥١ ، وذلك بعد أن عرضته على الخبير إيونيدس وحصلت على موافقته عليه .

ويقوم المشروع على أساس أن يحصر استثمار مياه حوض الأردن في ري أراضي وادي الأردن على ضفتيه ، وأن تخزن فائض مياه اليرموك في بحيرة طبرية ، وأن يراعى في تصميم شبكات الري وتنفيذها الوضع السياسي الذي طرأ على المنطقة بعد ١٩٤٨ ، بقيام (إسرائيل) من جهة ، وبضم الضفة الغربية من فلسطين إلى المملكة الأردنية الهاشمية من جهة أخرى .

ويقترح المشروع السير في تنفيذ مختلف أجزائه على أربع مراحل :

(١) المرحلة الأولى : أن تنشأ قناة في الضفة الشرقية من غور الأردن بطول ٧٠ كم ، وبسعة ١٠ م^{3}/ثا (قابلة للتوسيع إلى

٢٠ م^{٣}/ثا) تستمد مياهها من تحويل مياه اليرموك إليها من سد تحويلي ينشأ بالقرب من موقع العدسية . ويقدّر أن مياه هذه القناة تكفي لري ١٨٩,٠٠٠ دونم من أراضي الغور الشرقي الممتدة من اليرموك حتى وادي الزرقاء ، مقسمة إلى حوالي ٦,٠٠٠ قطعة أرض ، مساحة كل منها ٣٠ دونماً ، تستثمر مستقلة من قبل عائلة واحدة .

(٢) المرحلة الثانية : أن تُمدّد قناة الغور الشرقية المنشأة في المرحلة الأولى ٢٦ كم أخرى لري حوالي ١١٠,٠٠٠ دونم من أراضي الغور الأردني المحيطة بجانبي طريق عمان ـ القدس ، والقريبة من البحر الميت . ويشير التقرير إلى ضرورة البدء بغسيل هذه الأراضي لإزالة ملوحتها قبل الشروع باستثمارها .

(٣) المرحلة الثالثة : متابعة المرحلتين الأولى والثانية باستثمار المياه الجارية في الوديان الشرقية من وادي الأردن لري ٥٦,٠٠٠ دونم أخرى ، بالإضافة إلى ما اقترح ريّه في المرحلة الثانية (١١٠,٠٠٠ دونم) ، وبذلك يتم استثمار كامل المساحات القابلة للزراعة في الضفة الشرقية من الأغوار بين نهر اليرموك والبحر الميت . وتتضمن هذه المرحلة كذلك شق قناة في الضفة الغربية من الأغوار تستمدّ مياهها من بحيرة طبرية لري ١٠٤,٠٠٠ دونم في غور بيسان ومثلث اليرموك ، وهما تحت السيطرة الإسرائيلية .

(٤) المرحلة الرابعة : أن يحول قسم من مياه القناة الشرقية عبر سيفونات تحت نهر الأردن ، وإنشاء قناة غربية لري ٢٠٠,٠٠٠ دونم من أراضي الغور الغربي في منطقة أريحا في الضفة الغربية .

يترتب على تنفيذ هذه المراحل الأربع استثمار مساحات يبلغ مجموعها في القسم الغربي من الأغوار حوالي ٥٥٥,٠٠٠ دونم يقترح تقسيمها إلى حوالي ١٨,٥٠٠ قطعة أرض ، مساحة كل منها ٣٠ دونماً ، وفي القسم (الإسرائيلي) من الغور الغربي ومثلث اليرموك ١٠٤,٠٠٠ دونم .

ومن الملاحظ أن تصريف ١٠م^{٣}/ثا المطلوب إنشاء قناة الغور الشرقية لاستيعابه غير كاف لري جميع المساحات المقترح إرواؤها في المشروع . ولذلك أشار مشروع ماكدونالد إلى إمكان تأمين الكمية اللازمة للري من مخزون مياه اليرموك الفائضة أثناء الشتاء ، إما بتحويل كامل فيضانات اليرموك إلى بحيرة طبرية وسحب مياه قناة الري منها مباشرة ، وإما بإنشاء خزّان على اليرموك في موقع الباقورة ، وإما بإنشاء خزّان صغير على نهر الأردن جنوب تلاقيه مع نهر اليرموك مقابل وادي المالح . ولما كان من شأن الاحتمالين الأخيرين إغراق مساحات واسعة من الأرض المزروعة الخصبة فقد اتجه مشروع ماكدونالد إلى اعتماد الحل الأول للتخزين دون إعارة الملابسات السياسية والأضرار التي تصيب المصالح العربية من هذا الاتجاه أي اهتمام .

وفي الواقع ، كان الجانب العربي دائما ينظر بحذر إلى كل اقتراح يشير بتخزين مياه اليرموك في بحيرة طبرية لعدد من الأسباب ، أهمها :

ـ أن حدود بحيرة طبرية كلها تقع تحت سيطرة (إسرائيل) وأن تخزين المياه العربية فيها يعني وضعها ضمن إطار التحكّم الإسرائيلي بدلاً من أن تبقى في إطار التحكم العربي .

ـ وأن مياه اليرموك مياه عذبة لا يتجاوز معدل درجة الملوحة فيها ٨٨ جزءا في المليون ، في حين تبلغ درجة الملوحة في مياه بحيرة طبرية ٣٠٠ جزء في المليون ، وهذا يعني أنه بدلا من أن يروي الأردن أراضيه بمياه عذبة صالحة للزراعة ستعطى له من البحيرة مياه عالية الملوحة نسبياً وأقل صلاحا لأغراض الزراعة .

ـ وأن نسبة التبخّر وضياع المياه في بحيرة طبرية عالية ، تقدّر بحوالي ٣٠٠ مليون م^{٣} في العام الواحد ، في حين تقلّ هذه النسبة كثيراً في حال تخزين مياه اليرموك في موقع ملائم على مسار النهر نفسه .

لذلك لم يكن من المستغرب أن يرحّب العرب بمشروع الخبير الأميركي بونجر المصمم على أساس تخزين مياه نهر اليرموك على مسار النهر نفسه عند موقع المقارن ضمن إطار مشروع معدّل لاستثمار مياه حوض نهر الأردن .

٢) مشروع بونجر : كان الخبير الاميركي ميلز بونجر يعمل في عمان لصالح وكالة التعاون الفني المتفرعة عن مشروع النقطة الرابعة الأميركي . وقد لاحظ أن الوديان الثلاثة التي تتجمع عند موقع محطة المقارن تتوافر فيها المواصفات الملائمة لإنشاء خزان كبير يتسع لكمية لا تقل عن نصف مليار م^{٣} من المياه ، وهي أكثر من مجموع إيراد النهر السنوي المقدر معدله بـ ٤٧٥ مليون م^{٣} .

أجرى بونجر دراسة وافية للموقع قدّم على أثرها بتاريخ ١١/٧/١٩٥٢ إلى مجلس الإعمار الأردني تقريراً يتضمن مشروعه لاستثمار مياه اليرموك في خدمة الاقتصاد العربي حصراً دون أن يكون له علاقة بأية جهة أخرى . ويتلخّص هذا المشروع في النقاط التالية :

(١) إنشاء سد في موقع محطة المقارن على نهر اليرموك بارتفاع ١٧٨ م وطول ٥٠٠ م ، واستيعاب ٥٠٠ مليون م^{٣} من المياه .

(٢) إنشاء قناة خرسانية تمتد على الضفة الجنوبية من مسار نهر اليرموك وتوصل مياه خزان المقارن إلى سد تحويلي ينشأ في موقع العدسية .

(٣) إنشاء محطة توليد كهربائية تحت سد المقارن مباشرة



عام ١٩٤٢ نحو ٨,٠٠٠ سفينة ومثل هذا العدد للسفن الخارجة منه وبلغ مجموع حمولة كل من الداخلة والخارجة ١,٤ مليون طنّ .

جذبت حيفا التجار من بعض المدن الفلسطينية والسورية والمصرية للعمل فيها . وشيّدت المحلات التجارية التي تزين الشوارع الرئيسة والساحات الكبرى في المدينة ، مثل شوارع اللنبي وستانتون واللورد بلومر ، وساحة الخمرة وساحة الجرينة . وأقيمت الأسواق التجارية التي تعرض فيها مختلف السلع كالسوق الأبيض وسوق الشوام وغيرهما . وكانت أسواق حيفا ملتقى كثير من سكان القرى العربية المحيطة بالمدينة يعرضون فيها منتجاتهم ويشترون ما يلزمهم منها . وتغيّر الوضع بعد عام ١٩٤٨ فأصبحت حيفا مركزا تسويقيا للمستعمرات الصهيونية المجاورة .

قامت (إسرائيل) بعد عام ١٩٤٨ بتطوير ميناء حيفا ، فتضاعف عدد الأرصفة والمنشآت فيه ، وغدت المخازن تستوعب ٧٥,٠٠٠ طن . وفي عام ١٩٥٤ أنشىء ميناء آخر متمم لميناء حيفا عند مصب نهر المقطّع . وقد أجريت عليه تحسينات فأصبح يضم في عام ١٩٦٤ حوضا لبناء وإصلاح السفن ، ورصيفا عائما ، ومرسى لسفن الصيد . ومنذ أن منعت سلطات الاحتلال البواخر التجارية من الرسوّ في ميناء يافا عام ١٩٦٥ أصبح ميناء حيفا أكبر موانىء الأرض المحتلة . وزادت حركة العمل فيه فأصبحت تعادل نحو ٥٦٪ من مجموع حركة العمل في الموانىء .

بلغ مجموع السفن التي دخلت ميناء حيفا عام ١٩٥١ ـ عدا ناقلات النفط ـ ١,١٦٨ سفينة ، في حين كان مجموع السفن التي دخلت موانىء فلسطين المحتلة تلك السنة ١,٣٧٠ سفينة . وفي عام ١٩٦٧ دخلت هذه الموانىء ٢,٣٧٢ سفينة منها ١,٥٤٥ سفينة دخلت ميناء حيفا . وفي عام ١٩٦٥ سجّل ميناء حيفا رقما قياسيا في عدد المسافرين عن طريقه إذ وصل إلى نحو ربع مليون مسافر

٢) الوظيفة الصناعية : بدأت حيفا تعيش نهضة صناعية منذ الثلاثينات حين أقامت إدارة المعارف في المدينة عام ١٩٣٦ مدرسة صناعية تعلّم عددا من الحرف الفنيّة كالنجارة والبرادة والحدادة وإصلاح السيّارات وغيرها . وقد تخرجت من هذه المدرسة مجموعات صناعية خبيرة ، وبلغ عدد طلبتها عام ١٩٤٦/٤٥ نحو ٦٩ طالبا .

وانشئت في حيفا النقابات والجمعيات التعاونية التي ضمّت أصحاب المهن . وقد استوعبت مصفاة شركة التكرير المتحدة كثيرا من العمّال . وعمل آلاف العمّال في قطاع النقل والمواصلات ، ولا سيما في أعمال الميناء والسكك الحديدية والشاحنات .

تطورت الصناعة في حيفا بعد عام ١٩٤٨ واستمرت في توسعها ، ولا سيّما داخل المنطقة الصناعية قرب الخليج البحري . وفي حيفا حاليا مصنعان لإنتاج وتجميع السيّارات ، ومصنع لإنتاج المواد الكيمائية والبتروكيميائية والأسمدة العضوية المستخلصة من النفايات ومياه المجاري المنقّاة (ر : الصناعة) . وفيها مركز صناعي لصناعة الطائرات ، ومعهد التخنيون الذي يشرف على تخريج الخبرات الفنّية عامة والصناعة خاصة . وتشتمل حيفا على مكاتب شركة السكك الحديدية التابعة للصهيونيين . وفيها شركة كهرباء ، وشركة سولل بونيه للمقاولات ، وشركة زيم للملاحة ، وشركات أخرى . وتساهم منطقة الميناء بتوفير عمل لنحو عُشر سكان المدينة ، وتساهم الصناعات في إيجاد فرص عمل للكثير من العمّال .

٣) الوظيفة الإدارية : أصبحت حيفا مركزا لقضاء حيفا منذ أواخر القرن التاسع عشر عندما تمّ تعيين « قائمقام » للقضاء . وتألف قضاء حيفا عام ١٨٩٩ م من مدينة حيفا وناحية قيسارية و٦٢ قرية . وفي أثناء الحرب العالمية الأولى كان قضاء حيفا يتألف من ٣ نواح و ٨٤ قرية . وفي عام ١٩٤٥ ضمّ القضاء ٥٢ قرية و١٤ عشيرة . بلغت مساحة القضاء آنذاك ١,٠٣١ كم٢ امتلك الصهيونيون منها ٣٦٤ كم٢ ، أي ٣٥,٣٪ من مجموع مساحة القضاء . وبلغ مجموع سكان القضاء ٢٢٤,٦٣٠ نسمة ، منهم ١٠٤,٥١٠ صهيونيين ، أي أن نسبة الصهيونيين في أواخر عهد الانتداب كانت ٤٦,٥٪ من مجموع سكان القضاء . وقد احتفظت حيفا بعد الاحتلال الصهيوني بمكانتها كمركز إداري لمقاطعة حيفا

التي أصبح معظم سكانها صهيونيين بعد طرد العرب سكانها الأصليين منها

٤) الوظيفة الزراعية : تعدّ هذه الوظيفة ثانوية بالنسبة إلى وظائف حيفا الأخرى ، فالمدينة تجارية وصناعية أساسا بالرغم من أنها تمتد في وسط زراعي يتفاوت في خصائصه بين الزراعة الجبلية والسهلية . وتشغل الغابات الطبيعية مساحة واسعة من الأرض الزراعية حول حيفا ، وبخاصة فوق جبل الكرمل . ولا شك في أن وجود الغابات الجبلية المطلّة على شاطىء البحر المتوسط يجعل من منطقة حيفا بيئة سياحية جاذبة .

وفي عام ١٩٤٣ بلغ مجموع إنتاج قرى قضاء حيفا العربية من القمح * ٤,٣٩٢ طنّا ، في حين أنتجت المستعمرات الصهيونية في القضاء ١,٨٦٣ طنّا . وقد أنتجت هذه القرى العربية في ذلك العام من الزيتون * ٣,٩٠٠ طن ، ومن الخضر ١٣,٣١٠ أطنان ، ومن الفواكه ، عدا الحمضيات ، ٤٣٦ طنّا .

وتسود حاليا في حيفا زراعة الأشجار بالإضافة إلى الخضر * التي تجد سوقا رائجة لها في مدينة حيفا .

المراجـع :

- محمد عدنان بخيت : حيفا في العهد العثماني الأول ، دمشق ١٩٧٨
- الأب منزي جوزيف الكرملي : حيفا ، ماضيها ومستقبلها ، كانون الثاني ١٩٠٤
- رفيق التميمي ومحمد بهجة : ولاية بيروت ، القسم الجنوبي ، بيروت ١٩٧٩
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤
- سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في فلسطين ، بيروت ١٩٣٩
- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٧
- ابن شدّاد : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، دمشق ١٩٦٣
- العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، القاهرة ١٩٦٥
- الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، روما ١٩٧٤ .
- ناصر خسرو : سفر نامة (مترجم) بيروت ١٩٧٠
- أحمد الخالدي الصفدي : تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني ، بيروت ١٩٦٩
- ميخائيل نقولا الصبّاغ العكاوي : تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني ، حريصا ، لبنان
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة حيفا
— Archdeacon Dowling. The Town of Haifa, 1914

حيفا (جوامع ــ) : ر : الجوامع والمساجد

حيفا (زوايا ــ) : ر : الخوانق والربط والزوايا

حيفا (كنائس ــ) :

في حيفا * الطوائف المسيحية التالية : الروم الكاثوليك مع أسقفهم المسؤول عن الجليل ، والموارنة ، والروم الأرثوذكس ، والأرمن ، والطائفة الإنجيلية الأسقفية ، واللاتين برعاية الآباء الكرمليين . ولكل طائفة كنيستها ، وكنيسة اللاتين الجديدة بُنيت سنة ١٩٦١

وللطوائف المذكورة ، والرهبانيات الكاثوليكية المختلفة في حيفا ، ومن بين هذه راهبات الكرمل المحصّنات ، مدارس ومنشآت اجتماعية من مياتم ودور حضانة وملاجىء للمعوقين ومستشفيات ودور ضيافة لزوار الأرض المقدسة .



مزار مريم العذراء

أما أهم كنيسة في حيفا فهي مزار مريم العذراء ، سيّدة الكرمل ، القائم على جبل الكرمل * . وكلمة الكرمل تعني كرم الله ، وفي العهد القديم ، يرمز الكرمل إلى الجمال والخصب . واشتهر هذا الجبل بتردد النبي إيليا والنبي أليشع إليه في القرن التاسع قبل الميلاد . وقد روى سفر الملوك الثالث (الفصل ١٨) انتصار إيليا فيه على كهنة البعل الفينيقي وذبحه إياهم .

وفي عهد المسيحية * نزل النسّاك بالجبل منذ القرن السادس الميلادي ، ثم أقام الرهبان فيه مختلف الأديار . وفي أحدها أسس القديس بروكارد ، وليد القدس ، رهبانية الكرمليين سنة ١٢١٠ م (رَ : الرهبانيات) . وقد بنى أولئك هناك سنة ١٧٦١ م ديرا وكنيسة على المغارة المعروفة منذ القرون الوسطى بمغارة إيليا النبي ، أو مار الياس . وأما الدير الحالي والكنيسة الحالية التي تعرف بمزار العذراء سيّدة الكرمل فقد تمّ بناؤهما بين سنتي ١٨٢٧ م و١٨٥١ م . وفي ١٩٣١ جدّدت الكنيسة المبنية على صورة صليب متساوي الأضلاع وفوقها قبة يؤمها السيّاح كل يوم ، والأهلون في شتى المناسبات ، ولا سيما في عيد سيّدة الكرمل (١٦ تموز) وعيد مار الياس (٢١) تموز)، ويصلون فيها للسيدة العذراء التي يزين تمثالها القسم الأعلى من الكنيسة ، ويزورون فيها مغارة مار إلياس .

المراجع :

— Briand, J: Guide de Terre Sainte, Jerusalem 1979.
— Hoade, E: Guide to the Holy Land, Jerusalem 1979.

حيفا (معارك —) :

كانت حيفا * في عام ١٩٤٧ من أكبر موانىء شرقي البحر المتوسط بعد الإسكندرية . وزاد من أهميتها وجود مصفاة لشركة نفط العراق فيها ، بالإضافة إلى وقوعها على عقدة طرق هامة حديدية وبرية . وبالتالي اكتسبت أهمية خاصة بالنسبة إلى السلطات البريطانية التي خططت لإجلاء قواتها عبر ميناء حيفا . وكانت لهذه المدينة أيضاً قيمة كبيرة في نظر الصهيونيين لكونها حلقة الوصل بين خطّيْ المستعمرات الصهيونية اللذين يمتد الأول منهما من مرج ابن عامر * إلى طبرية * ، ومن ثم إلى المطلّة على الحدود اللبنانية ؛ ويمتد الثاني عبر السهل الساحلي * الأوسط إلى يافا * ، ولأنهم طامعون في استغلال مرفئها لجلب المهاجرين الصهيونيين ، وفي استغلال نفط المصفاة . وأما بالنسبة إلى العرب فإن مدينة حيفا وسواها من مدن وقرى فلسطين تشكل أرضهم ووطنهم وحياتهم منذ أجيال ، وبالتالي فهي أكثر أهمية من كونها ميناء أو مصفاة أو مدينة كبرى .

بدأ العرب فور صدور قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩ (رَ : تقسيم فلسطين) ، يستعدون للدفاع عن أنفسهم ومدينتهم ، ولكنهم كانوا يفتقرون إلى السلاح والعتاد ، شأنهم في ذلك شأن عرب المدن الفلسطينية الأخرى ، لأن حكومة الانتداب البريطاني حرّمت على السكان العرب اقتناء السلاح أو حمله في حين تكدست الأسلحة لدى الصهيونيين . وبالتالي ضمّت مدينة حيفا قوة عسكرية صهيونية مدربة من الهاغاناه * والأرغون * تبلغ حوالي خمسة آلاف مقاتل منظمين ضمن وحدات وتشكيلات نظامية بقيادات كاملة .

من الناحية الجغرافية كانت الأحياء العربية واقعة في أرض منبسطة أسفل جبل الكرمل * ، في حين كان الصهيونيون الأفضل تنظيماً وتسليحاً يقطنون حي « هدارا هاكرمل » على سفوح جبل الكرمل ، وعلى المرتفعات وبجوار الميناء ، ويطوّقون بذلك الأحياء العربية . وبالإضافة إلى هذا كانت مدينة حيفا محاطة من جهاتها الأربع بعدد من المستعمرات الصهيونية القادرة على عزلة المواصلات بين حيفا والمدن العربية المجاورة .

صمّم العرب على الدفاع مهما كلفهم الأمر ، وشعروا بأن وضعهم يفرض عليهم الاعتماد على النفس ، فتألفت لجنة وطنية مسؤولة سياسياً أمام الهيئة العربية العليا * ، واعتمدت في تموينها بالسلاح على وعود اللجنة العسكرية * الموجودة في دمشق . وكان يترأس اللجنة الوطنية رشيد الحاج إبراهيم * ، وكلّف الملازم محمد حمد الحنيطي مهمة قيادة الحرس الوطني وتنظيم الدفاع عن المدينة فقسمها إلى عشرة قطاعات جعل في كل منها جماعة مسلحة بقيادة شخص مسؤول واحد يتولى الاتصال بقيادة المدينة المركزية . ولم يزد عدد أفراد الحرس الوطني عن ٣٥٠ شاباً معظمهم غير متفرغ للمهام العسكرية . وقد لقي الحنيطي صعوبات جمة في الحصول على السلاح اللازم .

تولت اللجنة إلى جانب قضايا الأمن مهمة الإشراف على مختلف المصالح العربية فأصدرت نظاماً للتقنين ومراقبة الأسعار ، وأشرفت على جمع التبرعات وصرفها . وعندما احتدمت المعارك نظمت الخدمات الطبية ومساعدة المنكوبين وتأمين المآكل والمأوى لأبناء الشهداء .

بدأت الاشتباكات اليومية بين العرب والصهيونيين فور صدور قرار التقسيم ، ووقعت عدة اشتباكات أساسية زادت من توتر الموقف ، ولا سيما بعد انفجار قنبلة وضعها الإرهابيون الصهيونيون في القطاع العربي من المدينة بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٣٠ ، فكان من نتيجة الانفجار مقتل ٦ وجرح ٤١ من العمال العرب العاملين في مصفاة النفط انتقم لهم رفاقهم بالانقضاض على الصهيونيين العاملين في هذه المصفاة وقتل ٤١ منهم .

وبتاريخ ١٩٤٨/١/١٤ فجّر العرب عربة بريد في القطاع الصهيوني وأصيب من جراء ذلك ٤٥ صهيونياً . وكان أسوأ حدث بالنسبة الى عرب حيفا استشهاد الملازم محمد الحنيطي الذي كان عائداً مع قافلة محملة بالسلاح والذخيرة من لبنان فتصدى له كمين صهيوني بتاريخ ١٩٤٨/٣/١٨ على مقربة من مستعمرة « كريات موتسكين » . وقيل إن ضابطاً بريطانيا هو الذي نقل أخبار هذه

القافلة إلى الصهيونيين فجهزوا لها كمينا قويا وتمكنوا من تفجير إحدى العربات وقتل عدد من المناضلين في حين تمكنت عربتان تنقلان السلاح والذخيرة من التملص والعودة .

أثر حادث استشهاد قائد الدفاع عن حيفا في معنويات سكانها العرب ، ولكن اللجنة الوطنية أسرعت بتكليف أمين عز الدين مهمة القيادة فوصل إلى حيفا يوم ١٩٤٨/٣/٢٧ ومعه حوالي ٤٠ مجاهدا .

وفي أواخر شهر آذار ١٩٤٨ نصب العرب كميناً لقافلة صهيونية متجهة نحو كيبوتس « يحيام » وقضوا عليها تماما .

توالت الاشتباكات يومياً وزاد في إضرامها الحاكم البريطاني الذي كان يوعز إلى قواته ، بداعي منع الصدام ، ان تطلق النار على العرب تارة وعلى الصهيونيين تارة أخرى ، موحيا بأن كل طرف يطلق على الآخر ، مما كان يزيد الموقف توتراً . ومع اقتراب موعد جلاء القوات البريطانية عن حيفا وضع الجنرال ستوكويل القائد البريطاني خطة لحشدها في المرفأ وأبلغ الأهلين أنه لن يتدخل في المنازعات وأن كل همه هو تأمين تحرك قواته بسلام نحو الميناء . ورفض رفضاً قاطعاً الاستماع إلى العرب عندما ذكّروه بأن الحكومة البريطانية هي المسؤولة عن الأمن حتى جلاء قواتها . بل إنه عندما شنّ الصهيونيون هجوماً قوياً على منازل العرب في ١٩٤٨/٤/١٩ عمل على منع وصول النجدات العربية من القرى المجاورة وصادر كل سلاح وجده بين أيدي العرب .

وفي يوم ١٩٤٨/٤/٢١ أبلغ الحاكم العسكري البريطاني المسؤولين العرب قراره الجلاء عن حيفا في حين كان قد أبلغ الجانب الصهيوني بذلك قبل أربعة أيام (٤/١٧) . وكان هذا الإعلان إشارة البدء للقوات الصهيونية لتطبيق الخطة التي وضعتها منذ مدة للاستيلاء على حيفا بكاملها وأطلقت عليها اسم « مسباراييم » (المقص) . وتتلخص فكرتها في تمزيق الحي العربي إلى ثلاثة أقسام توطئة لاحتلاله وفقاً للأسلوب التالي :

١) تقوم سرية من اللواء « كارميلي » (هاغاناه) باقتحام وادي رشمية شمالي شرق المدينة وإقامة رأس جسر على جانبه الآخر .

٢) تهبط قوة كبيرة من «هدارا هاكرمل » متجهة مباشرة نحو الحي العربي القريب من الميناء .

٣) تنطلق قوة ثالثة من الحي التجاري الملاصق للميناء فتلتقي القوة الثانية الهابطة من « هدارا هاكرمل » لتضغطا معاً على الحي العربي من الطرفين .

وقد ذكر نيتانييل لورش في كتابه « حرب الاستقلال الإسرائيلية » أن أفراد هذه القوة الثالثة كانوا قد وضعوا سابقاً في المنطقة على أساس أنهم عمال زراعة وأخفوا أسلحتهم لاستخدامها عند تنفيذ الخطة .

ومع فجر يوم ١٩٤٨/٤/٢٢ اندفعت سرية من اللواء كارميلي بشكل مفاجىء ، وعبرت جسر وادي رشمية طبقاً للخطة وتمكنت بعد معركة ضارية جدا من الوصول إلى بيت النجادة ، وهو بناء حجري مشرف على الوادي ، وتمركزت فيه وأخذت تطلق النار على المجاهدين الذين أسرعوا من مختلف الجهات وطوقوا هذه القوة وأصلوها نيرانا حامية أدت إلى مقتل الكثير من القوة الصهيونية ، فاستنجدت هذه عبثاً بقيادتها التي حاولت فك الحصار دافعة بعض الدبابات المصفحة ، ولكن العرب كانوا لها بالمرصاد . وبقيت السرية مطوّقة طوال اليوم ، وإن كانت قد أدت إلى جذب العديد من المناضلين نحوها مما سهل عمليات القوة الرئيسة من اللواء كارميلي التي اندفعت مساء اليوم نفسه ، وتمكنت بعد قتال من منزل إلى منزل من الوصول إلى أهدافها والالتقاء بالقوة الثالثة . وما إن انبلج صباح يوم ١٩٤٨/٤/٢٣ حتى كان الحي العربي قد تم تقسيمه إلى ثلاثة أقسام وبدأت قوات كارميلي تهاجم كل قسم على حدة ، ناسفة كل منزل تصدر عنه أية مقاومة ، مدمرة إياه على ساكنيه .

عند ذلك تدخّل الجنرال ستوكويل ، بعد أن تأكد من سيطرة القوات الصهيونية على المدينة ، وبعد أن بذلت قواته كل جهودها لمنع وصول النجدات العربية ، ولا سيما مناضلي الطيرة* التي وصل منها حوالي ٣٠٠ مناضل إلى مشارف حيفا ، تدخّل وطلب من الطرفين عقد هدنة بينهما .

وعندما اجتمع الطرفان لدى الحاكم العسكري البريطاني أبلغ هذا الأخير الجانب العربي أنه لن يسمح للقوات العربية المسلحة بدخول المدينة ، وأنه على استعداد فقط للتوسط بينهم وبين الصهيونيين على أن يقبلوا الهدنة ، وقدم لهم شروط الجانب الصهيوني وهي عشرة ، تتلخص بتسليم العرب كامل أسلحتهم وعتادهم خلال ثلاث ساعات ، وإزالة جميع الحواجز في الطرق ، وتسليم إدارة المدينة للسلطات الصهيونية التي تفرض منع التجول وتقوم خلاله بتفتيش المنازل بحثاً عن السلاح غير المسلّم . فطلب الجانب العربي مهلة للتشاور حول هذه الشروط . وعند مغادرة الجنرال البريطاني دار البلدية قال إنه لن يكون مسؤولا عن ذبح العرب إذا لم توقّع تلك الشروط حتى الساعة السادسة والنصف مساء .

وبعد التشاور قرر العرب بالإجماع رفض هذه الشروط وفضلوا إخلاء المدينة على تسليم أسلحتهم لاقتناعهم بأنهم سيتعرضون للمذابح إذا سلّموا السلطات الصهيونية سلاحهم .

عمد الصهيونيون فور سيطرتهم على المدينة إلى قلب مساجدها إسطبلات ، ونزعوا شواهد القبور الرخامية ليستخدموها في عمليات البناء ، وألقوا جثث الشهداء على الأرصفة إشاعة للرعب في نفوس مَنْ بقي من العرب في حيفا وفي سواها من المدن والقرى العربية . وهكذا غادر المدينة حوالي ٧٠ ألف عربي وتوزعوا على البلدان

المجاورة . وكان سقوط حيفا بيد الصهيونيين خسارة كبيرة أثّرت بعد ذلك في سير الحرب بكاملها .

المراجـع :

ـ عارف العارف : النكبة ، ج١ ، بيروت ١٩٥٦ .
ـ حسن البدري : الحرب في أرض السلام ، القاهرة ١٩٧٩ .
ـ الموسوعة العسكرية : ج١ ، بيروت ١٩٧٧ .

الحيوانات الأليفة :

لا تتعدّى مساحة الأراضي المزروعة في فلسطين ٢٥٪ من المساحة العامة . وأما الباقي فمناطق قاحلة أو أراض صالحة للرعي * .

وقد اشتهرت جبال الجليل * ونابلس * والقدس * والخليل * ومناطق غور* الأردن وصحراء النقب * منذ القدم بأهميتها في رعي المواشي وتربيتها ففي الشتاء يتجه الرعاة إلى صحراء النقب



سوق الماشية الأسبوعي في القدس

والغور حيث الماء والكلأ . وفي الربيع والصيف يعودون إلى المناطق الجبلية . وقد اهتمّ الفلسطينيون بتربية المواشي التي تساعدهم في النقل والزراعة * ، كالخيل والجمال والحمير والبغال والأبقار ، والحيوانات التي تؤمن الغذاء كالأغنام والمعز والطيور الداجنة .

ويستأثر العرب بتربية الأغنام والمعز . فمن بين ٢١٨ ألف رأس غنم و١١٦ ألف رأس معز موجودة في فلسطين المحتلة سنة ١٩٧٦ امتلك العرب أكثر من النصف . ويستفاد من الغنم والمعز في إنتاج اللحوم والألبان والجبن والزبدة ، ومعظم هذا الإنتاج يستهلكه العرب والصهيونيون الشرقيون . وأما أصواف هذه الحيوانات فخشنة تستخدم في إنتاج البسط بصورة رئيسة .

لم يهتم سكان قطاع غزة بتربية الغنم والمعز ، ولذا فإن أعدادها فيه قليلة . وأما الضفة الغربية فقد كانت تربية الغنم والمعز فيها متقدمة نسبياً قبل عام ١٩٦٧ ، وقد وصل عدد رؤوس الغنم فيها عام ١٩٦٦ إلى ٣٤٠ الف رأس ، والمعز إلى ٣٦٠ ألف رأس . ولكن تربية هذه الحيوانات تراجعت وانخفضت أعدادها كثيراً بعد الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧ بسبب الصعوبات التي فرضها الاحتلال . فقد صودرت آلاف الدونمات ، وأغلقت مناطق واسعة أمام الرعي ، وارتفعت أسعار الأعلاف ، ومنع تنقل الرعاة مع قطعانهم بين الضفتين الغربية والشرقية للأردن . وقد بلغ إنتاج الضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٧٤/١٩٧٥ نحو ٢٣ ألف طن من اللحوم معظمها من لحم الغنم والمعز ، و ٥٨ الف طن من الحليب .

تتركّز تربية الأبقار والطيور الداجنة في المزارع الصهيونية ، ويرجع ذلك إلى أسباب منها استيلاء الصهيونيين على أفضل الأراضي بعد عام ١٩٤٨ ، وتوفر رؤوس الأموال والشكل التعاوني في الإنتاج مما يساعد على تربية هذه الأنواع التي تتطلب عناية كبيرة . وكذلك يعود السبب إلى أن المستهلك الذي يتجه إليه الإنتاج أوربي تعوّد نمطاً معيّناً من الغذاء قوامه منتجات الأبقار والطيور . ولهذا ملك الصهيونيون عام ١٩٧٦ في فلسطين المحتلة ٢١٥ ألف رأس من البقر الحلوب ، و ١٠٠ ألف رأس بقر لاحم في حين لم يتعدّ ما ملكه العرب ٢٠ ألف رأس بقر من النوعين .

وقدّر عدد الوز والبط والدجاج الحبشي في المزارع الصهيونية عام ١٩٧٥/١٩٧٦ بنحو ٥,٣ مليون . وتقدم هذه المزارع ٧٥٪ من كمية لحوم الدجاج المستهلكة في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ .

وقد وصل عدد الدجاج اللاحم في العام نفسه إلى ٥٠ مليوناً ، وأما الدجاج البياض فكان عدده ٨ ملايين .

وتنحصر تربية الخنازير في الناصرة * وبيت لحم * . وهي قليلة لأنّ الديانتين الإسلامية واليهودية تحرّمان أكل لحم الخنزير .

ويربّى في فلسطين النحل بشكل واسع . ويصل الإنتاج السنوي من عسل النحل إلى ٥ آلاف طن تقريباً .

وتشتهر فلسطين منذ القديم بموانىء صيد السمك في عسقلان ويافا * وعكا * وغزة * . وهو يُصطاد من البحر المتوسط وخليج العقبة * ، وبحيرة طبرية * ، بالإضافة إلى ما يُربّى في الأحواض في مناطق الغور الشمالية . وقد وصل إنتاج فلسطين من السمك عام ١٩٧٥/١٩٧٦ إلى نحو ٢٨ الف طن ينتج قطاع غزة منها ٤ آلاف طن (رَ : الأسماك) .

المراجـع :

ـ النشرة الإحصائية لإسرائيل ، ١٩٧٧ .
ـ كتاب الإنتاج السنوي للأمم المتحدة ، ١٩٧٧ .